
بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الاسلامية



المنشآت المائية لخدمة مكة المكرمة والمشاعر المقدسة في العصر العثماني

" دراسة حضارية "

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الحضارة الاسلامية

اعداد

الطالب / عادل محمد نور عبدالله غباشي

اشراف

أ.د / عبد المنعم عبد العزيز رسلان

١٤١٠ هـ

المجلد الأول



بسم الله الرحمن الرحيـــم

والصلاة والسلام على رسولنا محمد وعلى آله وصحبـــه وسلم وبعد :

فهذا ملخص الرسالة المقدمة من الطالب عادل محمد نور غباشي لنيل درجة الدكتوراه في الحضارة الاسلاميـة بعنوان "المنشآت المائية لخدمة مكة المكرمة والمشاعر المقدسة فى العصر العثمانى " دراسة حضاريـــة.

تتكون هذه الدراسة من اربعة فصول تسبقها مقدمة وتقفوها خاتمة ،تحدثت في الفصـــل الأول عن مصادر المياه المغذية لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة ، واختص الفصل الثانى بجهود العثمانيـــين لتوفير المياه لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة ، وأفردت الفصل الثالث للدراسة العمارية لمنشآت الميـــاه في العصر العثمانى ، أما الفصل الرابع فقد خصصته للتحليل والمقارنة .

ومن خلال دراستى لهذا الموضوع توصلت الى عدد من النتائج العلمية من أهمها :ـ

١ ـ كشفت الدراسة عن الجهود التى بذلها العثمانيون فى سبيل ايصال المياه الى مكة المكرمـــة والمشاعر المقدسة ، سواء فى انشاء مرافق جديدة أو اجراء الاصلاحات والترميمات أو اعـــادة البنـاء فى العيون وقنواتها والخرزات والقناطر والآبار والبرك والحمامات والأسبلة والبازانـــات والميضآت والسدود ومجارى تصريف المياه المستعملة ومياه الأمطار .

٢ ـ اتضح أن العثمانيين لم يقفوا على ايصال المياه لغرض الشرب والوضوء فقط بل عملوا علـــى ايصالها لخدمة الأغراض الزراعية مما كان له انعكاسه على الحياة الاقتصادية .

٣ ـ تم تصحيح بعض المعلومات التاريخية واضافة معلومات جديدة خاصة بمرافق المياه العثمانيـــة.

٤ ـ تم لأول مرة توقيع مرافق المياه بمكة المكرمة فى العصر العثمانى على خرائط اعتمادا على مـــا ورد فى الوثائق والمصادر التاريخية والدراسة الميدانية .

٥ ـ أثبت أن العثمانيين قاموا بايفاد مهرة الصناع والعمال والمواد اللازمة للبناء من استانبول ومصـــر والشام مما أثر فى تشكيل طرز عمارة مرافق المياه فى مكة .

٦ ـ تم الكشف عن منابع عين عرفه وعين حنين وبعض العيون الأخرى .

٧ ـ أسفرت الدراسة الميدانية عند مقارنتها بما جمعته من وثائق ونصوص تاريخية عن تحديد مواقـــع العديد من منشآت المياه المندثرة على الطبيعة ، علاوة عن عملي على تسجيل مرافق الميـــاه الباقيـــة تسجيلا علميا أكدته بالصور العلمية والرسومات المختلفة والوصف .

٨ ـ عالج العثمانيون العيوب العمارية فى القناة الجديدة خاصة فى المناطق التى تكثر فيها كميـــات المياه عن طريق زيادة الحيز الهوائى فيها ، بحيث يسمح بمرور المياه بيسر وسهولة وذلـــك عن طريق رفع جانبى القناة وبالتالى تعلية غطائها.

٩ ـ التزم المعمار العثمانى بالتخطيط المتعرج والمنكسر للقناة بشكل دقيق ، وأخذ فى الاعتبار صيانـــة القناة وتدعيمها فى مناطق الانكسارات ، حتى تتصدى لتيار المياه المندفع اليها ، فضلا عـــن العناية بالبناء من حيث جودة لصق الاحجار وصفها بطريقة جيدة .

وباللــــه التوفيــــق .

الطالـــب	المشـــرف	عميـــد
عـــادل محمـــد نور عبدالله غباشي	أ.د. محمد رياض العـــتر	كلية الشريعة والدراسات الاسلامية
[signature]	[signature]	د/ سليمان بن واصل المعيرى [signature]

الإهداء

إلى والدي

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

قال تعالى : "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا".

آية (٢٣) من سورة الإسراء .

(الباحث)

محتويات الرسالة

محتويات الرسالـــــة

الموضـــــــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحـــة

الموضـــــوع	الصفحة

شكر وتقديــــــــر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آلــه وصحبه أجمعين وبعد ،

فإنني أشكر الله عز وجل الذى أنعم علينا بنعم لاتعد ولاتحصــى من أجلها وأعظمها نعمة الإسلام ، كما أشكره تعالى على توفيقه لي بسلــوك طريق العلم والمعرفة ، وعلى عظيم منه وعونه في إنجاز هذا البحث الــذي آمل أن أكون قد قدمته على الوجه المرضى ،فله الحمد والشكر والثنــاء الحسن في كل لمحة ونفس بعدد كل معلوم له .

وماكان لهذا العمل الذى يسجل أعمال قوم نصروا الإسلام وانتصروا بهِ عدة قرون أن يظهر لولا توفيق الله سبحانه وتعالى ثم دعم ومساعدة حكومة بلدى المملكة العربية السعودية وعلى رأسها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود راعي هذه النهضة العلمية فله ولحكومتــه الرشيدة كل الشكر والثناء على هذا الصنيع . وأدعو الله سبحانه وتعالــى أن يحفظه حصنا للإسلام والمسلمين .

كما أتقدم بشكرى الجزيل إلى كل من أعان في إنجاز هذا البحــث وأخص بالشكر :

١ - معالي مدير جامعة أم القرى الدكتور راشد الراجح ،وسعادة عميــد كلية الشريعة الحالي الدكتور سليمان التويجرى ، وسعادة عميدهــا السابق الدكتور صالح بن حميد ، وسعادة عميدها الأسبق الدكتور علي عباس الحكمي .

٢ - أتقدم بالشكر لسعادة الأستاذ الدكتور عبدالمنعم رســلان المشرف السابق على هذا البحث لما خصني بهِ من علم غزير ومناقشات قيمة طيلــة مراحل البحث غير مقتصر على المكان والزمان الرسميين فله مني كــل التقدير والإحترام . كما اشكر الأستاذ الدكتور/ محمد رياض العتر لقبوله الإشراف علــى هــذا البحــث .

٣ - دكتور عابد يشار قوجاق الموظف في الوقت الحاضر بمركز البحث العلمي في جامعة أم القرى ، حيث كان له دور في تسهيل مهمتي للحصول على مجموعة من الكتب والوثائق من مكتبة جامعة استانبول .

٤ - أشكر نفرا من العارفين باللغة العثمانية لمساعدتهم في ترجمة مجموعة من الكتب والوثائق العلمية وأخص منهم :

- دكتور سعد الدين أونال الباحث بمركز أبحاث الحج ، الذى لم يأل جهدا في مساعدتي غير عابىء بالوقت .
- دكتور نجاتي أوقطاج.
- الأخ عثمان كريم تونج الطالب بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى .

٥ - أخي مازن محمد نورغباشي المهندس المعمارى الذى ساعدني في عمل رسومات العديد من العمائر العثمانية بمكة.

٦ - الشريف مساعد بن منصور آل عبدالله بن سرور الذى أمدنى بمجموعة من الوثائق التي أثرت البحث . علاوة على مناقشاته العلمية التي أفادت البحث كثيراً.

٧ - الأستاذ محمود سليم خبير التصوير بقسم الحضارة بجامعة أم القرى .

٨ - الأستاذ سعيد خضير خبير المساحة بقسم الجغرافيا بجامعة أم القرى .

٩ - دكتور سليمان عبدالغني مالكي الذى لفت نظرى إلى بعض الوثائق الخاصة بالموضوع.

كما أشكر كل من قام بمساعدتي ومدّ لي يد العون في انجاز هذا البحث ممن لم يتسع المجال لذكر أسمائهم . وأسأل الله أن يوفقنا جميعا لما فيه الخير والصلاح.

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له القائل في قرآنه الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه " وأنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها " (1) والقائل " وجعلنا من الماء كل شيء حي " (2) .

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم القائل: " ثلاثة لاينظر الله إليهم يوم القيامة ولايزكيهم ولهم عذاب أليم : رجل كان له فضل ماء بالطريق فمنعه من ابن السبيل . ورجل بايع إماما لايبايعه إلا لدنيا فإن أعطاه منها رضي وإن لم يعطه منها سخط . ورجل أقام سلعته بعد العصر فقال والله الذى لا إله غيره لقد أعطيت بها كذا وكذا فصدقه رجل " . رواه البخارى (3) .

نخلص من ذلك إلى أن الإسلام اعتنى بأمر الماء وأشار إلى فضل توفيره للناس . ومن هذا الهدى الرباني والنبوى كان المنطلق لإختيار موضوع رسالتي لنيل درجة الدكتوراه في الحضارة والنظم الإسلامية بعنوان: " المنشآت المائية لخدمة مكة المكرمة والمشاعر في العصر العثماني " دراسة حضارية .

واضافة إلى ماسبق فإن لاختيارى لهذا الموضوع عوامل عديدة يمكن إجمالها فيما يلي :

<u>أولا:</u> رغبتي في الكتابة عن موضوع حضارى بمكة المكرمة التي خصها الله بأمور لم يخص بها غيرها فقد قال تعالى : " أن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً " . وقوله تعالى : " وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلداً آمنا وارزق أهله من الثمرات لعلهم يشكرون " . وقال تعالى: " وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام رب إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن

(1) جزء من آية (65) سورة النحل .

(2) جزء من آية (30) سورة الأنبياء .

(3)

تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم ".

وقوله صلى الله عليه وسلم : " إن الله حرّم مكة ولم يحرمها الناس " وقوله مخاطبا مكة يوم الفتح : " والله إنك لخير أرض وأحب أرض إلى الله تعالى ".

وكل مؤمن يقرأ شيئا عن مكة المكرمة ، فإنما يقرؤه بتلهف واستيعاب ويصغي لأخبارها بعناية واهتمام لأنها من أقرب الأشياء وأحبها إلى قلبه ، فهو يترقب بفارغ الصبر الفرصة التى تتيح له زيارتها ومشاهدتها والوقوف على مآثرها ومشاعرها وقوفا يجمع بين المرئي والمقروء ويطبق معلوماته على المواقع الحضارية تطبيقا صحيحا.

ثانيا : إن قيام بيت الله الحرام في مكة في واد غير ذى زرع ، مع إقبال الحجيج والعمار والمجاورين عليه ، استوجب توفير أكبر قدر من الماء لهم وقد أشارت إلى ذلك الاية الكريمة : " ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وأرزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ".

وقد أجيبت دعوة ابراهيم عليه السلام في الاستيطان بهذا المكان بظهور ماء زمزم فلا استيطان بدون ماء .

ولما كان المسلمون ورثة ابراهيم عليه السلام في دعوته فقد حرصوا منذ قيام دولتهم على الالتزام بعمران هذا المكان المختار لارتباطه بفريضة الحج التي هي ركن من أركان الإسلام . فنرى الصحابة في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وعصر خلفائه الراشدين يهتمون بتجديد بناء بعض الآبار القديمة وينشئون آباراً جديدة واستمر هذا الحال في العصر الأموى مع تطور جديد وهو قيام معاوية بن أبي سفيان بإجراء بعض العيون من منطقة حرم مكة ، ثم يتابع من جاء بعده العناية بتوفير المياه . وقد قامت الدولة

العباسية بدور كبير لتحقيق هذا الهدف وهذا مانراه في أعمال أم جعفر زبيدة زوجة هارون الرشيد (١٧٠١ - ١٩٣هـ) التي بذلت من مالها الكثير في سبيل توصيل المياه من خارج حرم مكة إلى داخلها رغم الصعوبات التي واجهتها في ذلك الوقت ويتابع ولاة أمور المسلمين في الدولة الاسلامية هذه السياسة فيهتمون بما عملته زبيدة إصلاحا وتجديداً وإنشاء، من حيث العناية بالقنوات والبرك ،وبصفة عامة جميع مرافق المياه بمكة .

ثم يأتي دور المواجهة الشاملة لهذه المشكلة في العصر العثماني حيث نجد أن موارد الماء لمكة لاتنهض باحتياجاتها السكانية ،وتظهر الحاجة الماسة للتفكير في توفير الماء لمواجهة متطلبات الحياة في البلد الحرام ، لذلك وفق الله المسؤولين إلى إكمال ماسبق العمل به ،وهو إيجاد رافد جديد لتزويد مكة بالماء ،وكان هذا باستكمال بناء القناة التي كانت تأتي من وادى نعمان ، وتقف عند بئر زبيدة (بحديقة الطفل بالعزيزية حالياً) فمدت إلى أن اتصلت بقناة عين حنين في الأبطح (موقع مبنى امارة منطقة مكة المكرمة الحديث).وانطلق الماء من القناتين إلى مكة حيث خرجت منه فروع متعددة تمر في فجاج مكة لتزود أهلها بالماء عن طريق الأسبلة والبازانات والبرك والميضآت والحمامات وغيرها .

وبذلك نعمت مدينة مكة بشبكة مائية غاية في الإحكام ،وفرت لأهلها الطمأنينة بالنسبة لأ مر حيوى لهم وهو الماء . كما نلحظ أن العصر العثماني قد اهتم أيضا بأمر يسعد أهل بلد الله الحرام ،وهو الوقوف أمام عوادى السيول فقد أنشأوا السدود الواقية التي تغير مجرى السيول وتوجهها إلى خارج مكة للاستفادة بمياهها في الزراعة . كما اهتموا بإنشاء وتنظيف مجارى تصريف مياه الأمطار والمياه المستعملة .

ولم يقف عمل العثمانيين عند هذا الحد فقد اهتموا بإقامة المنشآت المائية لخدمة الأراضي الزراعية كالآبار والبرك والاستفادة من فائض مياه القنوات ، علاوة على اهتمامهم بالآبار الموجودة بمكة إنشاءً وتجديداً .

وكان من الضروري دراسة هذه المنشآت وتوضيح معالمها عمارياً ورفعاً حتى تبرز في صورتها الحضارية التي تعبر عن مدى عناية المسلمين بالبلد الأمين في العصر العثماني سيما وأنه لم يُسبق إلى إبراز هذا الجانب الهام .

ثالثا : إن المتأمل للجهود التي تبذلها حكومة المملكة العربية السعودية وعلى رأسها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز في سبيل توفير الماء لحياة سكان أهل مكة وحجاج بيت الله الحرام يجد أن مكة أصبحت تعيش على مياه العيون وما يصلها من مياه البحر المحلاة ، وهذا يعبر عن حرص الدولة الآن على توفير الماء لسكان هذه المدينة وحجاجها ، كما يدفعنا إلى البحث فيما مضى من السنين لما عاناه من سبقنا في الحصول على الماء ، وطرقهم في علاج ذلك ، فلا يخلو ذلك من عبرة تدفعنا إلى شكر الله سبحانه وتعالى والمحافظة على هذه النعمة الجزيلة .

وهنا لامعدى من الإشارة إلى مثال لمعاناة الناس وتكبدهم المشاق في سبيل الحصول على الماء في بداية حكم العثمانيين لمكة ، فقد أشار قطب الدين النهروالي مؤرخ مكة (ت ٩٩٠هـ) إلى ذلك مخبراً بأن العيون قد بطلت وتهدمت قنواتها وانقطعت عين حنين عن مكة ، وصار أهل البلد يستقون من آبار في أعلى مكة وأسفلها ،وارتفع سعر الماء وقل وجوده علاوة على انقطاع عين عرفه وانهدام قنواتها، مما دفع الحجاج إلى حمل الماء إلى عرفه من أماكن بعيدة، وصار فقراء الحجاج يوم عرفة لايطلبون شيئا غير الماء لندرته ، كما ذكر قطب الدين أنه كان مراهقا في خدمة

والده ، وفرغ الماء الذى كانا يحملانه من مكة إلى عرفه ، فطلب قليلا من الماء للشرب ،فاشترى قربة صغيرة جداً يحملها الإنسان باصبعه بدينار ذهب ، والفقراء يصيحون من العطش يطلبون من الماء مايطفئون به ظمأهم في ذلك الموقف العظيم، فشرب هو وأهله بعض تلك القربة وتصدقوا بالباقي على بعض من كان مضطرا من الفقراء ، وجاء وقت الوقوف بعرفة والناس عطاش يلهثون ، فأمطرت السماء وسالت السيول من فضل الله ورحمته والناس واقفون تحت جبل الرحمة، فصاروا يشربون من السيل من تحت أرجلهم ويسقون دوابهم ٠

رابعا : يعد أحد أسباب اختيارى لهذا الموضوع أهميته في إعطاء صورة واضحة عن شبكة المياه بمكة في العصر العثماني الذى لم يسبق لأحد أن قام بتتبعها وتوقيعها على خرائط تهم القائمين على الأمر في العصر الحديث ، وذلك انطلاقا من أن تحديد مواقع العيون ومسار القنوات سيكون من العوامل المساعدة للمسئولين بمشيئة الله في معرفة أسباب ارتفاع منسوب المياه الجوفية في بعض أحياء مكة وعلاجها ٠

خامسا : يعد هذا البحث عملاً جاداً جديداً يضاف إلى المكتبة العربية ، سوف تساعد نتائجه على إجراء دراسة مقارنة بين مرافق المياه بمكة في العصر العثماني وتطورها في العصر السعودى ٠ آمل من الله أن أكون قد فتحت به بابا للمعرفة لي ولزملائي ٠

ومن الطبيعي أن يتطلب مثل هذا الموضوع الرجوع إلى العديد من المصادر سواء العربية أو الإنجليزية أو العثمانية أو التركية الحديثة فضلا عن الدراسة الميدانية لمرافق المياه بمكة ومقارنتها بمثيلاتها في العالم الإسلامي ٠ ويمكنني ايضاح ذلك على الوجه التالي :

لقد بدأت المرحلة الأولى في جمع معلومات هذا البحث منذ عام ١٤٠٤ هـ وهو العام الذى اجتزت فيه اختبار السنة التمهيدية للإعداد لدرجة الماجستير ٠ فقد كان موضوع توفير المياه للمدينة المقدسة يراودني

كثيراً ، وكنت دائما أحاول الإطلاع بين الحين والحين على العديد من المصادر والمراجع العربية وأدوث عنها ملحوظاتي في بطاقات . ولما رحلت إلى استانبول عام ١٤٠٤ هـ للإطمئنان على المادة العلمية الخاصة برسالتي للماجستير " دراسة لبعض العمائر العثمانية بالهفوف في النصف الثاني من القرن العاشر الهجرى " اغتنمت الفرصة وآخذت أبحث عن وثائق العثمانيين الخاصة بمرافق المياه بمكة ، فوقعت يدى على بضع منها ، الأمر الذى أعطاني مؤشراً عن أهمية هذا الموضوع وعن ما سأجده في الوثائق من معلومات سوف تؤكد ماذهب إليه المؤرخون عن جهود العثمانيين في سبيل توفير المياه بمكة المشاعر أو تصنيف معلومات غفل عن ذكرها المؤرخون فضلاً عن رؤيتي لوثيقة يعود تاريخها إلى عام ١٢٩٨ هـ وهي تمثل خارطة لمدينة مكة المكرمة في العصر العثماني ،وقد رسمت من قبل هيئة عسكرية . فرأيت أن نشرى لهذه الوثيقة لأول مرة سوف يساعدني على تحديد مواقع العديد من مرافق المياه بمكة ويعطى الموضوع صفة الجدية والأصالة .

والحقيقة أن إعداد هذا البحث لم يكن سهلاً وميسوراً ، بل واجهت في سبيل انجازه العديد من الصعاب التي وفقني الله سبحانه وتعالى في اجتيازها فإن جمع وثائق هذا البحث تطلب مني السفر إلى استانبول أربع مرات ، وذلك لغرض الحصول على إذن لدخول أرشف رئاسة الوزراء العثماني ومكتبة جامعة استانبول ومتحف طوب قابي سراى كما أنني رحلت أيضا إلى مصر وبحثت في أرشيف القلعة بالقاهرة ، هذا إضافة إلى تجميعي للوثائق الخاصة بهذا الموضوع من مكة والرياض والبحث عنها في المدينة مما سوف أشير إليه في ثبت مصادر هذا البحث .

كما تطلب إعداد هذا البحث القيام بدراسة ميدانية لتطبيق مانقلته من الوثائق والمصادر والمراجع على الواقع وذلك بغية تحديد مواقع منشآت المياه وتحديد مواقع العيون ومسار القنوات ورسم ذلك على خرائط وعمل مساقط وواجهات وقطاعات لمجموعة من المباني العثمانية الباقية

- موضوع هذا البحث - وتصويرها ، هذا إضافة إلى وصف جميع تلك المنشآت وصفاً علمياً ليكون هذا العمل أول تسجيل علمي مكتمل عن منشآت المياه بمكة المكرمة والمشاعر المقدسة في العصر العثماني .

وقد تطلب ذلك بضعة شهور من العمل المتواصل الذى كان يصاحبني فيه سعادة أستاذى الدكتور / عبدالمنعم رسلان الذى كان دائما ما يناقشني على الطبيعة فيما أكتب وكان لتوجيهاته أثرها البناء في تحديد مواقع العديد من منشآت المياه كما كان يصاحبني أيضا الاستاذ سعيد خضير خبير المساحة بقسم الجغرافيا بجامعة أم القرى وأخي المهندس المعماري مازن محمد نورغباشي ، إضافة إلى سائق سيارة الجيب وبعض العارفين بمواقع العيون ومسار القنوات والذين كان منهم الشريف مساعد بن منصور آل عبدالله بن سرور والأستاذ جابر الحسني .

أما إجراء المقارنات فقد تطلبت مني الرجوع إلى العديد من المصادر والمراجع العربية والتركية وقد واجهت الكثير من الصعاب في سبيل ترجمة المراجع التركية . ولم أكتف بذلك بل قمت بدراسة ميدانية في استانبول لتتبع مرافق المياه بها ، ومقارنتها بمرافق المياه بمكة وقد أثبت ذلك في الفصل الرابع من هذا البحث .

أما الرجوع إلى المصادر ، والمراجع العربية فقد استغرق ذلك وقتا طويلا ، لكثرة مصادر مكة العربية مع قلة ما بها عن هذا الموضوع .

ومن المفيد هنا الإشارة إلى نقد بعض المصادر والمراجع التى اعتمدت عليها في هذا البحث :

كان في مقدمة المصادر العربية الخاصة بالعصر العثماني كتاب "الأعلام" لقطب الدين النهرواني (ت ٩٩٠هـ / ١٥٨٢م) وعلى الرغم من قيمة هذا الكتاب التاريخية حيث أن مؤلفه عاصر العقود الأولى لحكم العثمانيين في مكة وشاهد ما لاقاه أهل مكة من مشقة في سبيل الحصول على الماء ، فإن ما كتبه عن موضوع بحثي لا يتعدى بضع صفحات تركزت

أغلب معلوماتها على أعمال العثمانيين في مد قناة عين عرفة من بئر زبيدة إلى الأبطح .

وقد كان هذا المؤلف ومن عاصره من أعيان مكة وعلمائها تربطهم بعبد القادر الجزيري صاحب كتاب "الدرر الفرائد المنظمة " (ت ٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م) صداقة وغالبا ما يبعثون له برسائل يصفون فيها حالة نقص المياه في مكة والأساليب التي اتبعها العثمانيون فى علاج هذه المشكلة وقد تمكنت بفضل الله من جمع هذه الرسائل من كتاب الجزيري وضمنتها بحثي مما كان له أجمل الأثر في اعطاء صورة واضحة عن أعمال العثمانيين في تلك الفترة .

ومن المصادر العربية أيضا :

- مخطوط : "الأرج المسكي في التاريخ المكي " لعلي الطبري (ت ١٠٧٠ هـ / ١٦٥٩م) وقد أفدت منه في تحديد مواقع مجموعة كبيرة من الآبار والأسبلة العثمانية ،وفي تحديد تطور عمران مكة وعلاقة ذلك بكمية المياه المتوفرة بها في ذلك الوقت .

- مخطوط : " منايح الكرم في أخبار مكة وولاة الحرم " لعلي السنجاري (ت ١١٢٥هـ) ويشتمل على أخبار مكة وولاتها منذ نشأتها إلى عصر المؤلف وقد رتبه على السنين ووصل فيه إلى أخبار نهاية شهر ذى الحجة سنة ١١٢٤هـ . وتكمن قيمة هذا المخطوط في أن مؤلفه كان معاصراً لأعمال العثمانيين العمارية في قناتي عين عرفه وعين حنين ، وقد ضمن المؤلف كتابه وصفا لأعمال محمد بيك بن حسين باشا عام ١١٢٤هـ/١٧١٢م والتي تثبت صحتها بعد مقارنتها بالوثائق الخاصة بهذا الموضوع .

- مخطوط : " تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام " لمحمد بن أحمد الصباغ المكي (١٢٤٣-١٣٢١هـ / ١٨٢٧-١٩٠٣م) وقد ورد بهذا المؤلف بعض المعلومات

المتناثرة في طياته عنتطور عمران مكة وعلاقة ذلك بأمر توفير المياه ، إضافة إلى ذكر بعض أعمال العثمانيين في سبيل توفير الماء لمكة .

ومنكتب الرحلات كتاب " مرآة لحرمين " لإبراهيم رفعت باشا الذى ضمن كتابه وصفاً لمسار قناة عين عرفة وبعض مواقع منشآت المياه بمكة كما انفرد ببعض المعلومات الخاصة بسبيل نهايةحدود حرم مكة من الجهة الغربية معتمدا في ذلك على قراءة نقش كتابي كان يعلو واجهة السبيل ، وأمدنا هذا المؤلف بصورتين فوتوغرافيتين لسبيل منى ، أمكنني قراءة بعض كتاباتها وتحديد تاريخ بناء السبيل .

ولما كانت هذه الكتب قليلة المعلومات بالنسبة لموضوع هذا البحث فقد كان لزاما علي الرجوع إلى الوثائق عليّ أجد فيها ما يشبع النهم ويلقي الأضواء على الجانب الحضارى وهو مايهمني أصلا.

وقد وفقت في ذلك والحمد لله وأشرت إلى أماكن وجودها في حواشي هذا البحث ، ثم قمت بجمعها وإلحاقها بثبت المصادر ، إضافة إلى نشرى مجموعة منها بالملحق الأول من هذا البحث . (

وعلى الرغم مما واجهته من مصاعب ، إلا أنني كنت سعيدا بالوصول إلى مادة علمية هامة أنشرها لأول مرة .

وفيما يتعلق بخطة البحث فقد قسمته إلى أربعة فصول تسبقها مقدمة وتقفوها خاتمة .

أشرت في مقدمة البحث إلى أهمية العناية بتوفير الماء بصفة عامة لكل مستوطنة وبصفة خاصة لمدينة مكة المكرمة لأهميتها الدينية. كما أشرت إلى أسباب اختيارى لهذا الموضوع ، وقد قمت بعرض ميسر إلى أهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في هذا البحث ، مع نقد بعضها وبيان خطة البحث التي جاءت على الوجه التالي :

الفصل الأول : جعلت عنوانه : " مصادر المياه المغذية لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة " ، وتحدثت فيه عن حدود مكة المكرمة والمشاعر المقدسة (النطاق المكاني للبحث) ثم قمت بعمل دراسة جغرافية لطبيعة المنطقة المحيطة بمكة والمشاعر ، وكمية مياه الأمطار المتساقطة على الأحواض المغذية لمكة وأماكن تصريفها . وعلى ضوء هذا يتجلى لنا أهمية الكمية الكبيرة من الماء الموجودة في وادى نعمان والتي سمحت للعثمانيين بالتفكيرفي تزويد مكة بهذا الماء خاصة لمواجهة التوسع العمراني لهذه المدينة .

وإضافة إلى ذلك فإن الدراسة الجغرافية في هذا الفصل تثري الدراسة العمارية التي سأقوم بها فيالفصل الثالث ، فدراسة الأودية والجبال ترتبط ارتباطا عضويا بالمواقع التى تحفر فيها الآبار أو المواقع التي تجرى بها القنوات ، هذا فضلا عن أن دراسة الأودية توضح لنا مسارالسيول ومدىارتباط ذلك بإنشاء السدود . كما أنني سوف أستعرض في هذا الفصل جهود المسلمين فيما قبل العصر العثماني لتوفير المياه لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة ليكون هذا العمل أساسا لدراستي عن جهود العثمانيين في العناية بمرافق المياه بمكة المكرمة والمشاعر المقدسة عنوان الفصل الثاني من هذا البحث .

وسوف أقدم في هذاالفصل استعراضا لجهود العثمانيين في ترميم وإنشاء مرافق المياه بمكة ، سواءفي عصر ازدهار الدولة وقوتها عندما كانت تضطلع بجميع هذه الأعباء دون طلب العون من أحد أو في الفترة التي ظهر فيها ضعفالدولة وعجزها عن القيام بجميع أعباء صيانة وإنشاء مرافق المياه بمكة وهي التي تبدأ من عام ١٢٩٥ هـ والتى شكلت فيها لجنة عين زبيدة لجمع التبرعات والصرف منها لمصلحة مشروعات المياه بمكة ، وتستمر هذه الفترة إلى نهاية العصر العثماني .

أما الفصل الثالث فقد جعلته للدراسة العمارية، والتى من خلالها سوف يمكنني أن أبرز الخصائص العمارية للمنشآت سواء أكان ذلك في التخطيط أو الشكل العام (التصميم) ، أو أسلوب البناء ، أو الوحدات الزخرفية ، مستعينا في ذلك بعمل الرسوم التخطيطية والقطاعات والواجهات والصور الفوتوغرافية ، فضلا عن نتائج مشاهداتى على الطبيعة وقيامي بالقياسات اللازمة للتأكد من صحة كل معلومة أسوقها بقيت آثارها الآن.

والحقيقة أن دراسة هذا الفصل تعتمد اعتمادا أساسيا على نتائج دراسة الفصل الأول والثاني من هذا البحث حيث نجد أن من الأمور الميسرة لفهم أسلوب البناء والمواد المستخدمة مافي المنطقة من معطيات طبيعية ساعدت العثمانيين على بناء مرافقهم المائية ، وطبعي لايمكن فهم ذلك إلا من خلال الدراسة الجغرافية التي قمت بها في الفصل الأول من هذا البحث . كما وأن الدراسة الجغرافية أمدتني بمعلومات جيدة عن مسار الأودية ومواقع الجبال التي ترتبط القنوات بها ارتباطا وثيقا سوف أوضحها في الفصل الثالث من هذا البحث .

كما أفادتني نتائج الفصل الثاني في تحديد تاريخ بناء المنشآت المائية التي سوف أقوم بإبرزا خصائصها ومميزاتها العمارية والزخرفية . وإضافة إلى ذلك فإنني سأقوم في الفصل الثالث بتحديد مواقع جميع مرافق المياه بمكة المكرمة في العصر العثماني على خرائط - قدر طاقتي - وذلك توخيا للوصول إلى صورة واضحة عن معالم مدينتنا المحبوبة وماكانت تنعم به من شبكة مائية وفرت لسكانها ولضيوفها العيش في أمن عدة قرون .

أما الفصل الرابع فجعلته لعمل مقارنات بين نتائج الفصل الثالث وهي استخلاص ماتميزت به مرافق المياه في مكة من خصائص عمارية وزخرفية ومقارنة ذلك بمثيلاتها في العالم الإسلامي متوخيا الوصول إلى خصائص المنشآت العثمانية بمكة ومدى تأثرها بما حولها من مدن العالم الإسلامي .

أما خاتمة البحث فقد خصصتها للنتائج العلمية التي توصلت إليها ٠

وقد أشفعت البحث بثبت يضم الوثائق والمصادر والمراجع التى أفدت منها في إعداده ، كما أشفعت ذلك بثلاثة ملاحق ،نشرت بالملحق الأول مجموعة من الوثائق ، والملحق الثاني خصصته لصور فوتوغرافية تم تصويرها تصويرا علميا لإظهار مميزات عمارة العثمانيين موضوع هذا البحث ٠ أما الملحق الثالث فجعلته للخرائط التي توضح منابع العيون ومسار القنوات ،وحددت عليهاتقريبا جميع مرافق المياه ، في مكة في العصر العثماني في حدود ماتوصلت إليه ، وإضافة إلى ذلك نشرت بهذا الملحق نتائج الدراسة الميدانية الخاصة برفع العمائر موضوع هذا البحث وما قمت به من عمل مساقط وواجهات وقطاعات ٠

وبعد ..

هذه دراسة عن : " المنشآت المائية لخدمة مكة المكرمة والمشاعر في العصر العثماني دراسة حضارية " اجتهدت فيها كي أصل إلى الحقيقة ،فإن كنت وفقت فذلك فضل من الله ، وإن قصر فكرى وعملي عن ذلك فلي ثواب المجتهد والله من وراء القصد ٠

" وقل ربّ زدني علماً "

عادل محمد نور عبدالله حامد محمد غباشي

١٤٠٩/١٠/٧ هـ

الفصل الأول

مصادر المياه المغذية لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة

١ - حدود مكة المكرمة والمشاعر المقدسة .

٢ - دراسة جغرافية لطبيعة المنطقة المحيطة بمكة المكرمة والمشاعر المقدسة .

٣ - دراسة لكمية مياه الأمطار المتساقطة على الأحواض المغذية لمكة المكرمة وأماكن تصريفها .

٤ - تطور عمران مكة المكرمة وحاجتها للماء .

٥ - عناية المسلمين بمنشآت المياه بمكة والمشاعر المقدسة فيما قبل العصر العثماني .

للوقوف على مصادر المياه المغذية لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة يلزمنا دراسة النطاق المكاني الذى تقع فيه هذه المدينة ومشاعرها ، لكي نقف على طبيعة المنطقة ، ومافيها من موارد مائية ، يمكن استغلالها في سد احتياجات هذه المدينة وما يتعلق بها ، كما تتضح في هذه الدراسة أهمية عمل مشروعات عمارية ، تدفع خطر المياه الزائدة عن حاجة المدينة ، بانشاء السدود ونحوها.

ولما كانت هذه المدينة قد ارتبطت منذ نشأتها بالصبغة الدينية كما هو معروف ، فقد ترتب على ذلك تطور عمرانها ، وضرورة توفير كميات مناسبة من مياه الشرب ، لمواجهة احتياجات سكانها ، فضلا عن قاصديها . لذلك كله كان من الضرورى عمل دراسة تلقي الضوء على ماقام به المسلمون من تعمير ، لمواجهة هذه الاحتياجات ، عبر العصور الاسلامية التي سبقت العصر العثماني بصفة عامة ، ثم القيام بدراسة تفصيلية لما تم بناؤه من منشآت في هذا العصر " موضوع الرسالة ".

الموقـــع :

لمكة المكرمة أسماء كثيرة ، من أشهرها ماورد في كتاب اللـه سبحانه وتعالى مثل: مكة ، وبكة ، وأم القرى ، والبلد الأميـن[(١)]. وتقع هذه المدينة على السفوح الدنيا لجبال السروات ، فهي تمثـل نقطة الالتقاء بين تهامة وهذه الجبال ، ويعدها المؤرخون تهاميـة[(٢)] . أما موقعها الفلكي فهو على درجة عرض ١٩ً ٢٥َ ٢١ْ شمـالا ، وخط طول ٣٦ً ٤٩َ ٣٩ْ شرقا [(٣)] . خارطة رقـم (١٦) .

حدود حرم مكة المكرمة والمشاعر المقدسـة :

تميزت هذه المدينة بوجود منطقة تحيط بمركز التجمع السكانـي حول بيت اللـه الحرام ، تسمى حرم مكة ، لها نفس قدسية ومكانة المسجـد الحرام ، حيث حرم الصيد فيها ، أو تنفير طيرها ، أو قطع شجرهـا ،

---

(١) آية (٣٤) سورة الفتح ، آية (٩٦) سورة آل عمران ، آيـة (٩٢) سورة الأنعام ، الآيات من رقم ١-٣ سورة التين ، تقي الدين محمد ابن أحمد بن على الفاسي المكي المالكي (٧٧٥ - ٨٣٢ هـ): شفـاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، حققه وعلق على أصوله وحواشيـه لجنة من كبار العلماء والأدباء ، ج ١ ص ٤٧-٥٣ ، دار الكتـب العلمية ، بيروت - لبنان ، محمد طاهر الكردى : التاريخ القويـم لمكة وبيت اللـه الكريم ، ج ١ ص ٢٨ ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م طبع على نفقة أحمد هاشم مجاهد ، مكتبة النهضة الحديثة - مكـة المكرمة ، محمد بن علوى بن عباس المالكي الحسني : في رحاب البيت الحرام ، ص ١٤٨-١٥٠ ، الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م ، دار القبلة للثقافة الاسلامية .

(٢) د. عبدالعزيز صقر الغامدى ، د. محمد محمود السرياني ، معراج نواب مرزا: مكة المكرمة في شذرات الذهب للغزاوى ، ص ٤٥ ، مطبوعـات نادى مكة الثقافي سنة ١٤٠٥ هـ ، د. عبدالله الصنيع : الخدمـات الصحية بمدينة مكة المكرمة ، ص ١٥ ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣ هـ ، مكة المكرمة ، كلية التربية .

(٣) د. عبدالعزيز صقر الغامدى وآخرون : المرجع السابق ، ص ٤٥ .

أو القتال فيها ، وتغلظ الدية فيها [1] ، قال تعالى : ﴿ أَوَلَم يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِم أَفَبِالبَاطِلِ يُؤمِنُونَ وَبِنِعمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾ [2] . وتمثل علامات حدود حرم مكة المشرفة ، الحد الفاصل بين الحل والحرم [3] .

وقد اختلف في تسمية هذه الأعلام ، فأطلق عليها الأنصاب ، والأعلام ، والأميال ، والمشهور عند المؤرخين الأوائل استخدام اسم الأنصاب ، غير أن المتداول الآن كلمة الأعلام [4] .

---

(١) أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد الأزرقي : أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق رشدى الصالح ملحس ، ج ٢ ص ١٢١ - ١٣١ ، الطبعة الرابعة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م ، مطابع دار الثقافة ، مكة المكرمة ، أبو الحسن بن محمد بن حبيب البصرى البغدادى الماوردى (٤٥٠ هـ) : الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، ص ١٦٤ - ١٦٦ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان سنة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨م ، تقي الدين الفاسي: المرجع السابق ، ج ١ ص ٦٧-٩٠ ، محمد بن علوى بن عباس المالكي : المرجع السابق ، ص ١٦٨-١٨٧.

(٢) آية (٦٧) سورة العنكبوت .

(٣) معراج نواب مرزا : الأساس الجيومورفولوجي لتحديد منطقة الحرم، ص ٢ ، الندوة الثالثة لأقسام الجغرافيا بجامعات المملكة العربية السعودية ، ١٧ رجب ١٤٠٧ هـ / ١٧ مارس ١٩٨٧م ، المملكة العربية السعودية ، وزارة التعليم العالي ، جامعة الامام محمدبن سعود الاسلامية ، كلية العلوم الاجتماعية ، الرياض .

(٤) أبو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ، ج ٢ ص ١٢٧ ، تقي الدين الفاسي : المصدر السابق ، ج١ ص ٥٩ ، معراج نواب مرزا: المرجع السابق ، ص ٢ .

- النصب : العلم المنصوب وهو علامة تنصب عند الحد جمعها أنصاب .
- العلم : شيء منصوب في الطريق يهتدى به جمعه أعلام .
- الميل :منار يبنى للمسافر في الطريق يهتدى به ويدل على المسافة جمعها أميال . انظر : د. ابراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط ،ج ٢ ، ص ٩٢٥ ، ٦٢٤ ، ٨٩٤ ، الطبعة الثانية .

كما تباينت الآراء في بداية تحديد حرم مكة المكرمة ، فمنها مايرجعه إلى عهد آدم عليه السلام ، ومنها مايرجعه إلى ابراهيم عليه السلام ، الذى يروى أنه أول من وضع أعلاما لهذه الحدود [١].

وليس بين أيدينا مايرجح أيا من هذه الآراء ، الا أننا نستدل من مجملها ، على قدم هذه الظاهرة ، وهي وجود منطقة حرم مكة [٢].

ولقد تواتر تجديد بناء هذه الأعلام الفاصلة بين منطقة الحل والحرم ، من عهد ابراهيم الخليل عليه السلام ، إلى عهد خادم الحرمين الشريفين ، الملك فهد بن عبدالعزيز [٣] حفظه الله .

---

(١) ابراهيم بن اسحاق بن ابراهيم بن بشير أبو اسحاق الحربى ، (ولد سنة ١٩٨هـ) : المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، تحقيق حمد الجاسر ، ص ٤٧١ - ٤٧٢ ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩م ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر - الرياض - المملكة العربية السعودية ، أبو الوليد الازرقي : المصدر السابق ، ج ٢ ص ١٢٧ ، تقي الدين الفاسي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٥ ، الكردى : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٩٤-٩٥ .

(٢) معراج نواب مرزا : المرجع السابق ، ص ١٠

(٣) اهتم المؤرخون بذكر أسماء من قاموا بتجديد بناء هذه العلامات وأهمهم : ابراهيم بن اسحاق الحربي : المصدر السابق ، ص ٤٧١ - ٤٧٢ ، أبو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٢٧-١٣٠ ، تقي للدين الفاسي : المصدر السابق ، ج ١ ص ٥٥ ، أحمد بن محمد الأسدى المكي : اخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام ، تحقيق د. الحافظ غلام مصطفى ، ص ١٨٠-١٨١ ، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ : ١٩٧٦م ، المطبعة السلفية بنارس ، الهند ، محمد بن علي ابن فضل بن عبدالله الحسيني المعروف بابن المحب الطبرى : اتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن ، ج ٢ ، ورقة ٣٩ ، مخطوط بمكتبة الحرم المكي رقم (٣٤١١) ، محمدطاهر الكردى : المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٩٩-١٠١ ، معراج نواب مرزا : المرجع السابق ، ص ٣-٤ .

واتخذ العلماء من المسجد الحرام ، أو من أبواب الأسوار المحيطة بمركز التجمع السكاني بمكة المشرفة ،مركزا لتحديد المسافة بينه وبين أعلام حرم مكة ، في مختلف الجهات لتحديد منطقة الحرم ، وعليه فقد اختلفت وجهات نظر المؤرخين في تقدير هذه المسافات [١].

غير أن هذا الخلاف لم ينجم عن تغيير مواقع الأعلام ، فمواقعها متواترة ومعروفة [٢] ، انما يعود سبب الخلاف إلى أمرين [٣]:

أحدهما : الإختلاف في مبدأ القياس ، حيث جعل بعضهم مبدأ القياس من أبواب المسجد الحرام ، وبعضهم جعله من أبواب سور مكة .

أما الأمر الآخر : فهو اختلاف العلماء في مقدار وحدة القياس ، فقدر بعضهم الميل بستة آلاف ذراع ، وآخرون قدروه بأربعة آلاف ذراع، وفريق ثالث قدره بثلاثة آلاف وخمسمائة ذراع وبعضهم قدره بألفي ذراع ، وهناك خلاف أيضا في مقدار ذراع اليد ، حيث

---

(١) أبو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ،ج ٢ ، ص ١٣٠-١٣١ ، تقي الدين الفاسي : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٥٥ - ٦٦ ،عبدالقادر ابن محمد بن عبدالقادر بن محمد بن ابراهيم الأنصارى الجزيرى : درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، ص ٥٦٧ ، المطبعة السلفية ومكتباتها ، القاهرة ،١٣٨٤، أبوعبدالله محمد بن محمد العبدرى : رحلة العبدرى المسماة الرحلة المغربية ، تحقيق وتقديم محمد الفاسي ، ص ٩٩-١٨٠ ، الرباط ١٩٦٨م .

(٢) محمد طاهر الكردى : المرجع السابق ،ج ٢ ، ص ١٠٤ ، معراج نواب مرزا: المرجع السابق ،ص ٥٠.

(٣) حسين عبدالله باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ٣١٠-٣١١ الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م ، الناشر: تهامة ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، محمد طاهر الكردى : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٠٣ - ١٠٤ ، معراج نواب مرزا : المرجع السابق ، ص ٦٠.

تباين تبعا لاختلاف الأجسام ، من الطول والقصر ، وهو يتراوح بين ٤٦ سم إلى ٥٢ سم ٠

وفي الوقت الراهن زالت معظم الإشكالات التي كانت في السابق فحدود الحرم يمكن معرفة أبعادها بدقة ، كما يمكن تحديد مواقعها على خرائط خاصة بذلك [1]، وان اختلفت المعايير ٠ وفيمايلي تحديد لمواقع هذه الأعلام [2] : خارطة رقم (١٦)٠

١- أعلام عرفة :

وتقع بجوار عرفة بالقرب من مسجد نمرة ، على طرف وادى عرنة ، في المكان الذى تلتقي فيه مياه شعب المأزمين بوادى عرنه، بالقرب من طريق المشاة بين طريق ٤ ، ٥ حاليا ، وتبعد عن المسجد الحرام بمقدار ١٨٫٤ كم تقريبا٠

٢ - أعلام الشرائع :

كانت ولاتزال تعرف بأعلام نجد ، لأنها تقع على الطريق المؤدى إلى نجد والطائف ، وتبعد هذه الأعلام عن المسجد الحرام بمقدار ١٥٫٢ كم تقريبا ، وتقع الآن على يمين الطريق السريع المؤدى إلى السيل والطائف، وسط منطقة عمرانية ، تعرف اليوم باسم مخطط الشرائع رقم (١) ٠

٣ - أعلام التنعيم :

تقع في منطقة التنعيم (العمرة) ،بجوار مسجد أم المؤمنين السيدةعائشة ، رضي الله عنها ، الكائن بالقرب من شركة كهرباء مكة

---

(١) المرجع السابق ، ص٦٠

(٢) المرجع السابق ، ص٧٠

حاليا ، وهي أقرب مناطق الحل إلى المسجد الحرام ، حيث تبعد عنه بمقدار ٦ر كم تقريبا •

٤ - أعلام الشميسي :

تقع في منطقة الشميسى (الحديبية قديما) ، الواقعة على طريق مكة جدة القديم ، والتي تبعد عن المسجد الحرام بمقدار ٢١ كم تقريبا •

٥ - أعلام اليمن :

تقع على طريق اليمن القديم ، وتبعد عن المسجد الحرام حوالي ١٣ كم تقريبا ، ومما يؤسف له أنه لاتوجد اليوم علامات بارزة في ذلك الموقع ، كما أن الطريق غير مطروقة •

أما موقع المشاعر المقدسة ، فان بعضها يقع داخل حرم مكة ، وبعضها الآخر يقع خارج حدود حرمها ، فالمشاعر التي تدخل ضمن حدود حرم مكة هي مزدلفة(١) ، ومنى(٢) ، والصفا ، والمروة(٣) •

---

(١) المُزْدَلِفَة : من الإزدلاف ، أحد مشاعر الحج بين منى وعرفه ،ويفيض اليها الحاج ليلة عشر ذى الحجة ، فيصلى المغرب والعشاء قصرا وجمعا ، وحدودها من الشمال ثبير النّصْع ، وثبير الأحدب ، ومفجر مزدلفة ، ومن الجنوب جبل مُكسّر ، وبعض وادى ضب ، ومن الغرب وادى محسر ، وعليه علامات تنص بنهاية مزدلفة ،ومن الشرق المأزمان ،وريع المرار ،وقسم من ثبير النّصْع ، وتسمى المزدلفة جمعا لاجتماع الناس بها ،وفيها المشعر الحرام الذى ورد ذكره في القرآن الكريم (آية ١٩٨ سورة البقرة) ،ومنها يسن للحاج أن يلتقط الجمار • عاتق بن غيث البلادى : معالم مكة التأريخية والأثرية ، ص٢٦٦ ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م ،دار مكة للنشر والتوزيع •

(٢) أحد مشاعر الحج ، وشهرته تغني عن تعريفه ،وبه من المعالم الدينية الجمرات الثلاث ومسجد المرسلات ، ومسجد الخيف ،ومسجد الكبش • عاتق بن غيث البلادى : المرجع السابق ص ٢٩٠•

(٣) الصفا والمروة : أحد مشاعر الحج والعمرة بالمسجد الحرام (=)

أما عرفات [١] فهو المشعر المعروف من مشاعر الحج ، ويقع خارج حدود حرم مكة ، ويشغل جزءًا فسيحًا من الأرض ، محاطا بقوس من الجبال يكون وتره وادي عُرنه ، فمن الشمال الشرقي يشرف عليه جبل سعد ، ومن الشرق يشرف عليه جبل ملحه ، ومن الجنوب تشرف عليه سلسلة جبال أم الرضوان [٢] .

= والتي يسعى بينهما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ (آية ١٥٨) سورة البقرة . وكذلك انظر عاتق بن غيث البلادي : المرجع السابق ص ١٥٢ ، ٢٦٥.

(١) عرفات ليس جمع عرفه ، كما يظن البعض ، انما هو مفرد على صيغة جمع ، وله نظائر في لغة العرب ، انظر : عاتق بن غيث البلادي : المرجع السابق ، ص ١٨٢.

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨٢.

٢ - دراسة جغرافية لطبيعة المنطقة المحيطة بمكة المكرمة والمشاعر المقدسة :

أ- التضاريس :

تتسم تضاريس منطقة مكة المكرمة والمشاعر المقدسة بمظهر الكتل الجبلية السوداء الداكنة ، التي تتخللها بعض الأودية والشعاب[1]. ويتميز هذا المظهر بوقوعه على الحافة الشرقية للسهل الساحلي للبحر الأحمر على بعد ٦٥ كلم ، ويشمل ثلاثة نطاقات مشابهة لامتداد البحر الأحمر ، وجبال السروات ، ومتناسقة بصفة عامة مع الارتفاع التدريجي من جهة البحر (غربا) إلى جهة جبال السروات (شرقا)[2] .

ففي النطاق الغربي يلحظ أن الارتفاع ينحصر عموما بين ٢٠٠ و٢٥٠ م فوق سطح البحر ، ويضم بعض التلال المتناثرة التي لايصل ارتفاع أعلى قمة فيها إلى ٤٠٠ م . أما النطاق الوسيط ،فأكثرعلوا من سابقه ،حيث يتميز بارتفاع عام يزيد على ٣٠٠ م ، وتنتشر فيه قمم جبال عديدة ، مثل جبل خندمة ، وجبل ثور ، وبعض قمم غرب منى ، أما النطاق الشرقي ، فيزيد ارتفاعه العام على ٤٠٠ م فوق سطح البحر ، وترتفع فيه القمم عن قمم النطاقين السابقين ، فقد تصل القمم إلى ٨٠٠ م أو تزيد ،ويتميز جبل الطارقي الواقع في هذا النطاق بتفرده بأعلى قمة في مكة ، حيث

---

(١) عمر رضا كحالة : جغرافية شبه جزيرة العرب ، راجعه وعلق عليه أحمد علي عميد كلية الشريعة بمكة ، ص ١٤٨-١٤٩ ، الطبعة الثانية ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤م ، الناشر مكتبة النهضة الحديثة ،مكة ، د. عبدالعزيز صقر الغامدي وآخرون : المرجع السابق ، ص ٤٧-٤٨.

(٢) د. بدرالدين يوسف محمد : مؤشرات في مناخ مكة المكرمة التفصيلي ، ص ٣٢ ، الندوة الثالثة لأقسام الجغرافيا بجامعات المملكة العربية السعودية ، ١٧-١٩ رجب ١٤٠٧ هـ / ١٧-١٩ مارس ١٩٨٧م ، المملكة العربية السعودية، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، كلية العلوم الاجتماعية ، الرياض .



بلغ ارتفاعه أكثر من ٩٠٠ م [١] .

ويمكن تفصيل هذا العرض الموجز لمظاهر التضاريس بمكة المكرمة والمشاعر المقدسة ،بذكر أهم الجبال والأودية لعلاقتها بموضوع دراستنا عن المياه المغذية لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة : خارطة رقم (١٦) .

أ- أشهر جبال مكة المكرمة والمشاعر المقدسة :

١- جبل أبي قُبَيس [٢] : كان يسمى في الجاهلية بالأمين [٣]، وهو أحد أخشبي مكة المكرمة [٤] ، ذكر موقعه كل من الأزرقي والفاسي فقالا : " هو الجبل المشرف على الصفا " [٥] ، وحدد لنا موقعه الكردي بقوله : " أنه يشرف على الكعبة المعظمة ... وأن أصل الصفا الذى يبدأ السعي منه يقع في أسفل أبي قبيس في مقابلة ركن الحجر الأسود " ويبلغ ارتفاعه ٤٢٠ م [٦] .

٢- جبل قُعيقعان [٧] : أطلق عليه اسم جبل جِزَلّ [٨]، وفي القرن

(١) المرجع السابق ، ص ٣٢ .

(٢) تقي الدين الفاسي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٥.

(٣) أبو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ،ج ٢ ، ص ٢٦٦.

(٤) الأخشب الثاني جبل قعيقعان الذى سيأتي تفصيله فيما بعد. محمد طاهر الكردى : المرجع السابق ، ج ٢ ص ٢٨٣.

(٥) أبو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٦٦ ،تقي الدين الفاسي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٤.

(٦) محمد طاهر الكردى : المرجع السابق ،ج ٢ ، ص ٢٨٤ ، ٢٨٣.

(٧) أبوعبدالله محمد بن ابراهيم اللواتي المعروف بابن بطوطة (٧٠٤ - ٧٧٥ هـ) : رحلة ابن بطوطة ، ص ١٤٤-١٤٦ ،دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠م.

(٨) أبو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ،ج ٢ ، حاشية رقم ٣ ص ٢٦٧.

الحادى عشر الهجرى أصبح يعرف بجبل هندى [١] ، واستمرت هذه التسمية إلى الآن [٢] ، وهو الجبل الثاني من أخشبي مكة المكرمة[٣] ، يشرف على المسجد الحرام من جهة الشمال [٤] والشمال الغربي [٥] ، وعلى كل منطقة المعلاة من الغرب ، ويشرف على جرول من الشرق ، ويتميز بضخامته حتى أصبح يطلق على أجزاء منه أسماء مختلفة ، منها جبل قرن ، وجبل النقا ، وجبل العبادى ، وغيرها [٦] ، ويبلغ ارتفاعه ٤٣٠ م [٧] .

٣ - جبل الخَنْدمة : جمعها خنادم ، وهي سلسلة جبال مكة الشرقية ، التي تبدأ من أبي قبيس متجهة شرقا إلى المفجر الذى يفصل بين جبال منى وجبال مكة ، وتمتد جنوبا حتى تشرف على المفجر الغربي الذى يفصلها عن جبل ثور ، أما شمالها فيشرف على الأبطح والحجون [٨] ، ولايكاد

---

(١) على بن عبدالقادر بن محمد بن يحيى بن مجدالدين الطبرى (ت ١٠٧٠هـ) الأرج المسكي في التاريخ المكي ، ورقة ١٦ ، مخطوط بمكتبة الحرم المكي الشريف رقم (٣٤٢٥) .

(٢) محمد طاهر الكردى : المرجع السابق ، جـ ٢ ص ٢٨٦ .

(٣) ذكر محمد طاهر الكردى في كتابه التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم في الجزء الثاني صفحة ٢٨٦ ، أن الجبل الثاني من أخشبي مكة هو الجبل الصغير الذى بأسفل جبل قيقعان المطل على الكعبة ، الذى كان يسمى بالاحمر ، ولما كثر السكان والبيوت بالجبل اختلط الجبلان ببعض فصارا كالجبل الواحد .

(٤) عاتق بن غيث البلادى : أودية مكة المكرمة ، ص ١١٣ ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م ، دار مكة للطباعة والنشر .

(٥) عاتق بن غيث البلادى : معالم مكة التأريخية والأثرية ، ص ٢٢٣ .

(٦) عاتق بن غيث البلادى: أودية مكة المكرمة ، ص ١١٣ .

(٧) محمد طاهر الكردى : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٨٦ .

(٨) عاتق بن غيث البلادى : أودية مكة المكرمة ، ص ١٠٨ ، عاتق بن غيث البلادى : معالم مكة التأريخية والأثرية ، ص ٩٧ .

يعرف عامة الناس منها إلا هذا الجانب وهو الجانب المأهول بالسكان[١].

٤ – جبل ثَبِير [٢] : من الملحوظ أن الجبال التي كانت تسمى " ثبير " بمكة المكرمة كثيرة [٣]، والذى أعنيه بثبير هنا ، هو الجبل الواقع على يسار الذاهب من مكة إلى منى ،ويمتد إلى أن يقابل[٤] جنوب جبل حراء ، فيشرف على طريق الطائف ، المار بنخلة اليمانية ، كما يمتد من جهة الشرق ، فيشرف على شمال غرب مزدلفة[٥]، ونظرا لضخامة هذا الجبل فقد أطلقت على أجزائه المختلفة أسماء تميزها[٦] كثبير غيناء ، وثبير النخيل ،وثبير النصع ،وثبير الأعرج [٧]، ومن أعظم هذه الأثبرة ثبير غيناء الذى كان يسمى ثبير الأثبرة وسميرا[٨] ، ثم صفرا[٩] ، أما اليوم فيطلق عليه جبل الرخم [١٠]، وهو المقابل

---

(١) د.عبدالعزيز صقر الغامدى وآخرون : المرجع السابق ، ص ١٨١ ، عاتق بن غيث البلادى : أودية مكة المكرمة ص ١٠٨.
(٢) عاتق بن غيث البلادى : معالم مكة التأريخية والأثرية ، ص ٥٥ .
(٣) ابو الوليد الأزرقي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٧٨–٢٨١ ، عاتق بن غيث البلادى : المرجع السابق ، ص ٥٥.
(٤) محمد طاهر الكردى : المرجع السابق ،ج ٢ ، ص ٢٩٨.
(٥) عاتق بن غيث البلادى : أودية مكة المكرمة ، ص ٩٧ ، ٩٩.
(٦) محمد طاهر الكردى : المرجع السابق ،ج ٢ ،ص ٢٩٨.
(٧) أبو الوليد الأزرقي : المصدر السابق،ج ٢ ،ص ٢٧٨–٢٨٠ ، محمد طاهر الكردى : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٩٨.
(٨) أبو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ،ج ٢ ، ص ٢٧٨.
(٩) عاتق بن غيث البلادى : المرجع السابق ، ص ٩٧.
(١٠) محمد طاهر الكردى : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٩٨ – ٢٩٩، عاتق ابن غيث البلادى : المرجع السابق ، ص ٩٧.

لجنوب جبل حراء ، وجانبه الشرقي يشرف على منى ويطلق عليه اسم جبل الثَقَبَة[(١)]، كما يشرف على مزدلفة من الشمال الغربي ، وعلى وادى أفاعيه من الجنوب ، ويفصل بينه وبين شبير النمع فج يصل المزدلفة بوادى أفاعيه إلى مكة ، يسير فيه بعض الحجاج عند النزول إلى منى تحاشيا للزحام[(٢)] ، ويبلغ ارتفاع شبير من جهة الثقبة ٨٨٣ م[(٣)] .

٥ - جبل حِرَاء[(٤)] : يطلق عليه اليوم جبل النور[(٥)] ، ذكر لنا موقعه الأزرقي فقال: " هو الجبل الطويل الذى بأصل شعب آل الاخنس ،مشرف على حايط مورش ، والحايط الذى يقال له حايط حراء ، على يسار الذاهب إلى العراق ، وهو المشرف القله مقابل شبير غيناء"[(٦)]، وحدد موقعه رشدى ملحس محقق كتاب أخبار مكة فقال : " هذا الجبل واقع في الشمال الشرقي من مكة المكرمة ، ويشرف على طريق العدل "[(٧)] وأيد ذلك عاتق بن غيث البلادى فذكر أنه يقع شمال شرق مكة[(٨)] ، مقابل شبير

---

(١) عاتق بن غيث البلادى : معالم مكة التأريخية والأثرية ، ص ٥٥ .
(٢) عاتق بن غيث البلادى : أودية مكة المكرمة ، ص ٩٩ .
(٣) محمد طاهر الكردى : المرجع السابق ،ج ١ ص ٢٩.
(٤) محمد طاهر الكردى: المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٠٤.
(٥) عاتق بن غيث البلادى : المرجع السابق ، ص ١٠٤ ، محمد طاهر الكردى : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٠٨
(٦) أبو الوليد الازرقي : المصدر السابق ،ج ٢ ، ص ٢٨٨.
(٧) المرجع السابق ، حاشية المحقق رقم (٣) ص ٢٨٨ .
(٨) عاتق بن غيث البلادى : معالم مكة التأريخية والأثرية ، ص ٨٢.

الاثبرة [١] ، وبهذا الجبل غار حراء الذى كان يتعبد فيه نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ، ويرتفع هذا الجبل بمقدار ٦٣٤ م عن سطح البحر [٢].

٦ - جبل عمر : كان يطلق عليه قديما العافر ،ذكر موقعه الأزرقي فقال " جبل عمر :الطويل المشرف على ربع عمر " [٣] وحدد موضعه الكردى بأنه " يمتد من الشبيكة إلى المسفلة " ويشرف على حي الهجلة [٤] ويرى البلادى أن جبل عمر هو جزء من جبل شبير الزنج حيث قال " شبير الزنج هو جبل المسفلة المشرف عليها من الغرب ، ويسمى اليوم بأسماء عديدة منها : جبل عمر من جهة ربع الحفائر غرب الشبيكة ، وجبل الناقة يتصل به ، من الشرق ... ومنه ايضا جبل الشراشف ، ويلي الشبيكة ... وفي غربه الجنوبي جبل النوبة وجبال كثيرة مسماة " [٥] .

٧ - جبل ثَوْر : [٦] يقال له ثور أطحل [٧] ، والمشهور حاليا لفظ ثور [٨] ، حدد موقعه الأزرقي بقوله "ثور جبل بأسفل مكة على طريق عرنة" [٩] وذكر الفاسي عن ذلك أيضا : " جبل ثور بأسفل مكة ... وأنه من مكة على ثلاثة أميال ... وسماه البكرى بأبي ثور وقال: انه من مكة على ميلين" [١٠]

---

(١) عاتق بن غيث البلادى : اودية مكة المكرمة ، ص ١٠٤.
(٢) محمد طاهر الكردى : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٠٤ ،٣٠٨ ،هذا وقد ذكر عاتق بن غيث البلادى في كتابه اودية مكة المكرمة ص ١٠٤ أن ارتفاع جبل حراء ٦٠٠م.
(٣) أبو الوليد الازرقي : المصدر السابق ،ج ٢ ص ٢٩٢.
(٤) محمد طاهر الكردى: المرجع السابق ،ج ٢ ص ٢٨٧.
(٥) عاتق بن غيث البلادى : المرجع السابق ، ص ٩٨.
(٦) عاتق بن غيث البلادى : معالم مكة التاريخية والاثرية ، ص ٥٧.
(٧) تقي الدين الفاسي : المصدر السابق ،ج ١ ص ٢٨٢.
(٨) محمد بن علوى مالكي : المرجع السابق ، ص ٢٧٤ ، محمد طاهر الكردى : المرجع السابق ، ج ٢ ص ٢٨٨.
(٩) أبو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ،ج ٢ ص ٢٩٤ ، محمد بن علوى مالكي : المرجع السابق ،ص ١٧٤.
(١٠) تقي الدين الفاسي : المصدر السابق ،ج ١ ص ٢٨١.

وذكر الكردى أنه " واقع جهة المسفلة على طريق اليمن ... ويبعد هذا الجبل عن المسجد الحرام بثلاثة كيلومترات أو أربعة " [١] .

وعلق على كل ذلك البلادى بقوله : انه يقع جنوب المسجد الحرام [٢] ، وبالتحديد بين سهل وادى المفجر [٣] شرقا وبطحاء قريش غربا ، ويفصله عن مجموعة جبال مكة فج يسمى المفجر . أما في الجنوب فيتصل بمجموعة جبال أقل منه ارتفاعا نهايتها جبل حُبشي [٤] . ويرتفع جبل ثور عن سطح البحر بمقدار ٧٥٩ م [٥] .

ومن الملحوظ أن بعض جبال مكة المكرمة ، قد تأثرت بالظواهر الطبيعية ، التى أوجدت بها بعض الفوالق والصدوع والشقوق ، حيث أتاح نقل كميات من المياه من أعالى هذه الجبال إلى أسفلها ، لتغذى بطون الأودية والشعاب [٦] . مما ساعد في الحصول على الماء عن طريق حفر الآبار .

---

(١) محمد طاهر الكردى : المرجع السابق ، ج ٢ ص ٢٨٨ .

(٢) عاتق بن غيث البلادى : معالم مكة التاريخية والأثرية ، ص ٢٧ .

(٣) المفاجر ثلاثة علي هيئة فجاج :
١- مفجر المزدلفة : بين شبير الأعظم وشبير الأحدب .
٢- المفجر الأوسط : بين المحصب وحوض البقر (العزيزية اليوم) .
٣- المفجر الغربي : بين جبل ثور وجبل سدير ، عاتق بن غيث البلادى ، أودية مكة ، ص ٩٩-١٠٠ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٩٩-١٠٠ .

(٥) محمد طاهر الكردى : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٨٨ .

(٦) د. عمر سراج أبورزيزة : تقرير مبدئي عن مشاكل المياه في مكة المكرمة ، رقم ٣٧٦ / ٤٠٧ ، وتاريخ ١٤٠٧/٧/٨ هـ ، المملكة العربية السعودية ، وزارة التعليم العالي ، جامعة الملك عبد العزيز .

ب - أودية مكة المكرمة :

تضم مكة المشرفة ثلاثة أودية رئيسة ، تستقطب مياه الحرم وتصرفها إلى الحل وهي : وادى ابراهيم ، وادى فخ ، وادى محسر[١]، وتتغذى هذه الأودية الرئيسة بالمياه ،من مجموعة كبيرة من الأودية الفرعية والشعاب التي تستقطب مياه الجبال [٢]. وسأتناول هذه الأودية بشيء من التفصيل لارتباطها بالبحث :

١- وادى ابراهيم :

وهو الذىعناه سيدنا ابراهيم الخليل في قوله تعالى :﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيرِ ذِي زَرعٍ ﴾[٣] . ويعد الوادى الرئيس بمكة ، حيث تقع فيه أحياء مكة القديمة[٤] .

ويأخذ هذا الوادى مياهه من شمال شرق جبل النور (حراء) ، ويتجه من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي ، مارا بالمسجد الحرام، ومنتهيا في جنوب المسفلة ، ثم يلتقي في أدناه مع وادى عرنة[٥] . وتنصرف إليه من أطرافه الشرقية مياه شعب الغسالة ، وحي الفيصلية والملاوى ، وشعب عامر ، وشعب علي ، وأجياد السد ، والمصافي ، أما من جهة الغرب فيستقطب مياه شعب الخانسة ، وأذاخر ،وحي الفلق ، والشبيكة ، وحارة الباب ، ودحلة الرشد ، وفي أدناه الغربي يلتقي مع

---

(١) معراج نواب مرزا : المرجع السابق ،ص ٩.
(٢) عاتق بن غيث البلادى : أودية مكة المكرمة ، ص ١٦ - ٢٢ ، ٢٨.
(٣) من آية (٣٧) سورة ابراهيم .
(٤) عاتق بن غيث البلادى : المرجع السابق ، ص ٢٠.
(٥) معراج نواب مرزا : المرجع السابق ص ٩.

وادى طوى عند قوز المكاسة (النكاسة) الذى تمتد أعاليه من ريع اللصوص (شارع الأندلس اليوم) بين ريع الحجون وريع الكحل ويخترق وادى طوى وسط حي العتيبية ، ومنطقة جرول فالتنضباوى (الطندباوى) فقوز المكاسة حيث يلتقي بوادى ابراهيم (١) . ومنطقة تصريف وادى طوى تشمل السفوح الغربية لكتلة اذاخر وامتداداتها ،حيث يستقطب هذا الوادى من الشرق مياه ريع الحجون ، وريع الرسام ،وجبل الكعبة ، وريع الحفاير ، ومن الغرب مياه ريع الكحل ، وريع أبي لهب (٢) .

٢ - وادى فخ :

وهو الوادى الرئيس الثاني بمكة المكرمة (٣) ، يسمى اليوم بعدة أسماء: أعلاه خريق العشر ، ووسطه الزاهر ، والشهداء ، وأسفله أم الجود ،وكان مابين الزاهر والحديبية يسمى بَلْدَح (٤) .وتقع منطقة تصريف أعالي الوادى في الشمال الشرقي من مكة المكرمة ، بالقرب من علمي نجد ، على طريق السيل الموصل من مكة المكرمة إلى الطائف من منطقة حوضية تقع بجوار حوض التصريف العلوى لوادى عرنه ، ومن هناك يأخذ وادى فخ مياهه ، كما يستقطب مياه وادى جليل ، وجبل حراء،وثنيه أذاخر الشامية ، وماحولها من الشرق ، ومياه الكتلة الوسطى من محور جبال فخ التي تنصرف إليه من خلال وادى المقارح من الغرب ، أما وسطه فيتلقى مياه الزاهر ، والشهداء ، والنزهة ، والزهراء ،ومجراه الأدنى تصب فيه مياه أم الجود ، عن طريق ريع الرحا ، ويواصل سيره باتجاه الغرب إلى الحديبية ،ويعرف هناك باسم وادى مكة ،ومن ثم إلى

---

(١) المرجع السابق ، ص ٩.
(٢) المرجع السابق ،ص ٩ .
(٣) عاتق بن غيث البلادى : معالم مكة التاريخية والأثرية ،ص ٢١١ ، معراج نواب مرزا: المرجع السابق ،ص ١٠.
(٤) عاتق بن غيث البلادى :المرجع السابق ،ص ٢١١.

المجرى الأدنى لوادى فاطمة [١]، ومنه للبحر الأحمر .

٣ - وادى محسر :

وهو ثالث الأودية الرئيسة بمكة المكرمة التى تستقطب جميع مياه مكة المكرمة الجنوبية الشرقية بما فيها منى ومزدلفه ، وتبدأ أعاليه من منطقة المعيصم ، متجها نحو الجنوب ،حيث يشكل الحد الفاصل بين منى ومزدلفة ، ويلتقي بعرنه عندالحسينية ، ويتلقى وادى محسر مياه مَشعري منى ومزدلفة ، ومنطقة العوالى والعزيزية [٢].

السمات العامة لمناخ مكة المكرمة :

يتسم مناخ مكة المكرمة بأنه مناخ حار جاف (صحراوى) فمعدلات الحرارة تظل عالية طوال العام أكثر من (١٨° م)، ويقل فيها هطول الأمطار حيث تهطل في شكل زخات لمدد قصيرة يمكن حدوثها في أى شهر من شهور السنة ، ويتصف صيفها بالجفاف ، وخاصة شهرى يوليو وآغسطس [٣].

وقد كان لهذه السمات المناخية بمكة المكرمة ، علاوة على طبيعة جبالها، واختلاف تضاريسها ، أثر واضح في اتجاه نمو المدينة العمراني وتباين نشاط سكانها [٤] .

---

(١) معراج نواب مرزا : المرجع السابق ،ص ١٠.
(٢) المرجع السابق ، ص ١١ .
(٣) د.بدرالدين يوسف : المرجع السابق ،ص ١٤.
(٤) المرجع السابق ، ص ١٤.

الحـــرارة :

يتبع مسار الحرارة في مكة المكرمة المنحنى الطبيعي لمســـار الحرارة العام ، فدرجات الحرارة هنا تبلغ أدناها في فصل الشتـــاء ثم ترتفع تدريجيا خلال الربيع ، لتبلغ القمة فيالصيف ثم تبدأ فـــي الانحدار التدريجي ، خلال فصل الربيع نحو الشتاء ، فقد بلغت درجـــات الحرارة العظمى والصغرى في متوسطاتها الفصلية منذ بضعة أعـــــوام كالتالي :[1]

الفصـــل	متوسط درجة الحرارة العظمـــى	متوسط درجة الحرارة الصغـــرى
الشتاء	٣٠ر٧° م	١٨ر٤° م
الربيع	٣٨ر١° م	٢٣ر٥° م
الصيف	٤٢ر٦° م	٢٧ر٨° م
الخريف	٣٨ر٥° م	٢٤ر٧° م

ويشير هذاالأمر إلى أن مناخ مكة المشرفة يغلب عليه الطابــــع الحار طوال السنة ، إذ لاتقل متوسط درجة الحرارة في الشتاء عـــن ٣٠ر٧° م نهارا و ١٨ر٤° م ليلا ، مما يدل على أن سكان هذه المدينـة فيحاجة ماسة للماء في شتى استعمالاته ٠

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٤٠

الأمطـــار :

تتسم الأمطار بمكة المكرمة ،بالقلة والتذبذب ، والفجائيـــة ، والمحلية ، وأهم أسباب هطول الأمطار بمكة المكرمة ، مرور المنخفضات الجوية المرتبطة بالضغط المنخفض على البحر المتوسط ،والتى تغـــزو شمال ووسط المملكة من الجانب الغربي في الشتاء ، كمايمكـــن أن تهطل الأمطار ، وبنسب أقل في الربيع إذ يقل عدد المنخفضات الجويـــة من البحر المتوسط ، ويضعف تأثيرها ، أما فصل الصيف فيتصف بالجفـــاف بينما تزداد فرص هطول الأمطار في الخريف بدرجة تنافس أمطار الشتاء[1].

علاقة الظواهر الجوية بالتضاريس :

تتعرض جبال وأودية مكة المكرمة لبعض الظواهر الطبيعية ،كعوامل التعرية ، مما يساعد على تفتت الصخور ،وانحدارها مع الأمطار ،لتغذيـــة بطون الشعاب والأودية ، مكونة بعض الخزانات الطبيعية غير المحصـــورة الجوفية التي تخزن كميات من المياه بالقدر الذى يتفق وعمق تلك الخزانـــات وتسمح بمرور المياه من أعالي تلك الوديان ، من أطراف مدينة مكـــة المكرمة ، من الناحية الجنوبية الشرقية ، مارة بمدينة مكة المكرمـــة ومتجهة نحو الجهة الشمالية الغربية تجاه البحر ، وتختلف أعمـــار وأعماق تلك الخزانات الطبيعية غير المحصورة، يدل على ذلك اختـــلاف تركيب وسمك طبقاتها ، كما تختلف درجة استهاص التربة من مكان لآخـــر تبعا لاختلاف تكوينها[2] .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٥.

(٢) د. عمر سراج أبورزيزه : المرجع السابق ، ص ١.

ويمكن القول بأن كميات المياه الجوفية لها علاقة وطيدة بأعماق تلك الخزانات الطبيعية غير المحصورة ، ولذلك نرى كثيرا من الآبار تنتشرفي أطراف وبطون الأودية ، وبعضها يخترق الطبقات الصخرية ، لتجميع المياه من خلال شقوق وفوالق في الجبال المحيطة بها(١).

٣ - دراسة كمية مياه الامطار المتساقطة على الأحواض المغذية لمكة المكرمة وأماكن تصريفها :

إن أهم الأحواض التي كانت تغذى مكة المكرمة ، والمشاعر المقدسة بمياهها حوضان هما : حوض وادى نَعْمان ، وحوض وادى عُرَنة ، اللذان جلبت مياه عيونهما إلى المدينة المقدسة ومشاعرها بواسطة القنوات(٢) .

أ- وادى نَعْمان : (خارطة ١٦)

كان يعرف بنعمان الأرّاك ، من أكبر الأودية المحيطة بمكة المكرمة ونظرا لاتساعه فإنه يسمى خبت نعمان ، ويتغذى أعلاه من ذيل جبل كرا ، ثم تتجمع مياه صدوره عند جبل قرن (المدراء) وهو الجبل الصغير المنحاز عن الجبال ، الذى يرى على يسار الصاعد من حزم الكرا ، فاذا تجمعت مياه صدوره أخذ الوادى اتجاهه إلى الجنوب الغربي،جاعلا

(١) المرجع السابق ، ص٥٠

(٢) انظر ص ٧٩ ومابعدها من هذا البحث.

جبل كبكب على يمينه ، وجبال سحار على يساره ، إلى أن يلتقي مع وادى عرنة عند العابدية [1]، ومن هناك تتجه مياه الوادى غربا إلى أن تصب في البحر الأحمر جنوب جدة ، بين مصب ملكان ، ومرّ الظهران [2]. ويبلغ طوله من حد ذيل جبل كرا إلى العابدية ٣٠ كيلا تقريبا ، أما عرض الوادى فيتراوح مابين كيلومتر واحد في بعض الاماكن ونصف كيلو متر في أماكن أخرى ، وينحدر الوادى بشكل ملحوظ في جزئه العلوى ، بينما يقل هذا الانحدار في جزئه السفلي [3] .

روافد وادى نعمان :

لوادى نعمان روافد عديدة ، تزوده بكميات ضخمة من الماء ،وسأكتفي بذكر بعض هذه الروافد ، مما يدل على غنى هذا الوادى بالماء [4] :

١- وادى رهجان :

وهو من أكبر روافد نعمان ، ويسيل منجبال سحار ،وجبال الخُشاع ويفترق رأسه إلى شعبتين كبيرتين : رهجان الأبيض من الشرق ،ورهجان الأسود من الغرب ، ويصب رهجان في نعمان على بعد ٢٩ كم من مكة ،يمين الطريق إلى الطائف [5] .

---

(١) عاتق بن غيث البلادى : أودية مكة المكرمة ، ص ٣٠-٣١.

(٢) عاتق بن غيث البلادى : معجم معالم الحجاز ، ج ٩ ، ص ٦٩ ، الطبعة الاولى ١٤٠٠هـ ، دار مكة للنشر والتوزيع .

(٣) مطلق محمد سعيد قاسي الاحمدى : بحث عن " دراسة المياه الجوفية باستخدام النظائر المشعة بمنطقة وادى النعمان بمكة المكرمة " ص ١٥ ،المملكة العربية السعودية ، جامعة أم القرى ،قسم الفيزياء ١٤٠١ هـ ، ١٩٨١م.

(٤) انظر دراسة الأمطار المتساقة على الجبال المغذية لوادى نعمان ص ٢٦ من هذا البحث .

(٥) عاتق بن غيث البلادى : المرجع السابق ،ج ٤ ص ١٠٩.

ولما كانت جبال الخُشاع (الخَشّعة)(١) ذات أهمية في تغذية وادى نعمان بالمياه ، فان التعرف على مخزونها المائي يمكن أن يتخذ مثالا نستطيع التعرف من خلاله على أهمية الجبال المغذية لوادى نعمان ، سواء كان ذلك بأسلوب مباشر أو غير مباشر .

وقد تبين أثناء دراستي الميدانية بجبال الخشاع في صيف عام ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م أنها غنية بمخزونها المائي . يدلنا على ذلك أن المياه تنبجس من بين طبقاتها ، وتكون مسيلات تتزايد كلما انحدرت طوال العام، وقد أدت هذه الظاهرة الى عمران هذه الجبال ، بسكنى الانسان فيها وممارسته لحرفة الرعي والزراعة . لوحة (١ ، ٢)

٢ - الهاوتان :

(مثني هاوه) وهما شعبتان تصبان من الجبال الواقعة غرب رَهْجان ، ثم تجتمعان فتدفعان بمياههما في وادى نَعْمان من الجنوب ، على بعد ٢٧ كم جنوب شرقي مكة ، قبالة مصب الوصيق ، وعلى مقربة من مصب رهجان (٢) .

٣ - صَار :

شعب كبير يصب في نعمان من الجنوب بين عرعر ، ورهجان ، يسيل من جبال تعرف باسم (صار) وتبدو عند مصبه في وادى نعمان المزارع ، مما يشير إلى غنى هذا الشعب بالمياه (٣) .

---

(١) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٢٨.

(٢) عاتق بن غيث البلادى : معالم مكة التاريخية والأثرية ، ص ٣١٣.

(٣) المرجع السابق ، ص ١٥١ ، عاتق بن غيث البلادى : معجم معالم الحجاز ، ج ٥ ، ص ١٢٣.

٤ ـ وادى عرعر[1] :

يأخذ مياهه من جبال سحار ، ويسيل في نعمان عند مزارع شداد[2] .

٥ ـ الضيقة :

واد كبير يرفد صدر وادى نعمان من الجنوب ، تسيل فروعه من جبال شُعَار، وبَلْم ، وعَفار ، ثم تجتمع في نعمان قرب طريق الطائف ـ مكة، وعند مصب الضيقة تجتمع في نعمان أودية كثيرة ، منها : يعرج ،والشراء حيث تشكل مايشبه الأصابع[3] .

٦ ـ صدور جبل كرا :

جبل ضخم ، تسيل منه صدوروادى نعمان ، حيث تتجمع المياه المنحدرة منجبل كرا ، مع مياه وادى علق في الكُرّ ، ثم تدفعان معاً في وادى نعمان ، بطرف جبل المدراء من الشمال[4] .

٧ ـ شعاب كبكب :

جبل ضخم يرتفع قرابة ١٧٥٠م عن سطح البحر ،ويقع بين وادى نعمان من الجنوب الشرقي ،وعرنه منغربها الشمالي ،ويمتد في الارض بين ثنية الوصيق من الجنوب الغربي،وثنية الشراء في الشمال الشرقي ومسافته تزيد عن ثلاثين كم[5] . وتنحدر المياه منه على وادى نعمان عن طريق شعابه وهي :القعري ، والدحيض ، والوكف ، ونصلة زبيدة (دقم زبيده)، واللصفة ، والنقرة ، وبرم ، وظلعه ، وبرقه ، ووصيق[6] .

---

(١) عاتق بن غيث البلادى : معالم مكة التاريخية والأثرية ، ص ١٨١.
(٢) عاتق بن غيث البلادى : أودية مكة المكرمة ، ص ٣٣.
(٣) عاتق بن غيث البلادى : معجم معالم الحجاز ،ج ٥ ، ص ٢١٢.
(٤) المرجع السابق ، ج ٧ ، ص ٢٠٧
(٥) المرجع السابق ، ج ٧ ، ص ١٨٧.
(٦) الشريف مساعد بن منصور : بحث عن عين زبيدة لم ينشر ،ص ١٤٥.

كمية المياه بوادى نعمان :

تشير الدراسات الجيولوجية ، التى عملت لمعرفة مدى امكانية الاستفادة منمياه الوادى ،إلى وجود كميات كبيرة من المياه به ، حيث قدّر متوسط المياه التي يمكناستغلالها سنويا ، نتيجة السريان المائي بوادى نعمان (١٣) مليون متر مكعب من المياه في الإتجاه النازل(١) . هذا فضلا عن الدراسة التي قامت بها وزارة الزراعة والمياه ، بالمملكة العربية السعودية ، لقياس كمية مياه الامطار المتساقة على محطة جبل كرا (٢٠٤ ل) منذ عام ١٣٨٦ هـ /١٩٦٦م إلى عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، والتى ظهر بها أن متوسط كمية مياه الأمطار المتساقطة علىالمحطة خلال ١٩ عاما قد بلغ ٢٠٨ ملم (٢)

ومن هذا نلحظ أن هذه الكمية منالمياه ، تزيد على كمية المياه المتساقطة على محطات وادى حنين ، الذى سوف نتحدث عن مياهه ،كمصدرا لتزويد مدينة مكة المكرمة بالمياه (٣) .

ب - وادىعُرَنَة : خارطة رقم (١٦)

واد كبير ، له روافد متعددة ، ويأخذ أعلى مساقط مياهه من الثنية بين جبال الهَدَأة وجبال طاد والتنضب ، التى يسيل ماؤها الشرقي إلى روافد نخله اليمانية ، والغربي إلى صدر عرنه (٤) . وتسقط على

---

(١) محضر اجتماع بتاريخ ١٤٠١/٢/١ هـ : لعمل دراسةمقارنةبين نتائج الاستشارى سوجريا ونتائج أبحاث جامعة الملك عبدالعزيزبمكة المكرمة، قسم الفيزياء عن سد وادىنعمان المزمع انشاءه من قبل مصلحة المياه والمجارى ، المنطقة الغربية ،جريدة عكاظ ، عدد (٥٣٦٧) الاحد ١٩٨١/٢/٨م.

(٢) المملكة العربية السعودية ، وزارة الزراعة والمياه ،ادارة تنمية موارد المياه . قسم الهيدرولوجيا ،النشرة الهيدرولوجية رقم ١١١. معلومات الامطار اليومية والشهرية لعام ١٩٨٤م.

(٣) انظر ص ٢٨ من هذا البحث .

(٤) عاتق بن غيث البلادى : أودية مكة المكرمة، ص ٢٣-٢٤.

هذه الجبال كميات كبيرة من الأمطار • يدلنا على ذلك انتشار النباتات على أعالي وسفوح هذه الجبال ، وقد فطن الأقدمون لهذا الامر ،فأقاموا سدودا كثيرة في الوديان التى تتخلل هذه الجبال ، اختزنوا فيها كميات كبيرة من المياه التى استغلوها في تغذية آبارهم طوال العام ، اضافة إلى استغلالها في الزراعة • انظر لوحة (٣ ، ٤)•

ويسمى صدر عرنة وادى الصدر ،وفيه قرية الشرائع التي هي من أرض حنين [١] قديما ، ثم ينحدر وادى عرنة بين جبلى لبن جنوبا ومسعود شمالا ، فيتجه غربا حتى يجتمع مع واديين ، يأتيانه من الشمال هما وادى البجيدى ، ثم ذى المجاز الذى يسيل من جبل كبكب ،ثم يتجه وادى عرنة إلى الجنوب الغربي ،مكونا مجرى يشبه خليجا ، وهنا يسمى المُغمَّس إلى أن يمر بعرفه ،فاذا صار بطرف جبل سلع اتجه جنوبا ، ثم يستمر الوادى في اتجاه الجنوب ،حتى يصير بطرف عرفه من الغرب ،عند مسجد نمرة ،ومن هنا يتجه الوادى ناحية الجنوب الغربي ،حتى يجتمع مع وادى نعمان عند العابدية ، وطوله ٤٠ كم تقريبا [٢] •

ومن أهم روافد وادى عرنة : وادى حنين الذى يسيل من جبال طاد والتنضب ، ثم ينحدر غربا فيمر بين جبل كنثيل وجبل لبن ،ويعرف اليوم

---

(١) حُنَيْن : واد وقعت به غزوة حنين المشهورة التي أشار اليها الله سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ في مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شيئًا ﴾ انظر اية (٢٥) سورة التوبة • ابن هشام :السيرة النبوية ،تحقيق مصطفا السقا وابراهيم الابيارى وعبدالحفيظ شلبي ، القسم الثاني ص ٤٢٢ ، دار الكنوز الادبية ، محمد علوى مالكي : المرجع السابق ،ص ٣٤٥•

(٢) عاتق بن غيث البلادى : المرجع السابق ، ص ٢٣-٢٤•

بوادى الشرائع ، وهنا يرفد وادىعرنه [1] .ولالتقاء مياه وادى حنين، ومياه وادىعرنة في هذه المنطقة أهمية كبيرة حيث تختزن فيها المياه، مما لفت أنظار القدماء إلى مظنة توفرالمياه فيها ، التي يمكن استغلالها في سداحتياجات مكة من الماء عن طريق عمل القنوات [2] .

ومن خلال دراسة قامت بها وزارة الزراعة والمياه بالمملكة العربية السعودية ، لمعرفة كمية مياه الأمطار المستاقطة على وادى حنين ،خلال المدة من عام ١٨٣٦ هـ - ١٤٠٦ هـ / ١٩٦٦-١٩٨٥م، ظهر في ثلاث محطات للرصد أن نتائجها كالتالي [3] :

١ - محطة رقم (٢١٨ آل): متوسط كمية الامطار المتساقطة عليها ٥ر٨٧ ملم.

٢ - محطة رقم (٣١٥ آل) : متوسط كمية الامطار المستساقطة عليها ٥ر٨٧ ملم .

٣ - محطة رقم (١١٤ آل): متوسط كمية الأمطار المتساقطة عليها ١ر٩٩ ملم .

نخلص من ذلك إلى تأكيد ماسبقتالإشارة إليه ،وهو أن كمية مياه الأمطارالمتساقطة علىجبلكرا ، الذى تعتبر صدوره أحد روافد وادى نعمان ، أكبر منكمية الأمطار المتساقطة على وادى حنين ،حيث بلغ متوسطها في محطة جبل كرا ٢٠٨ ملم في حين بلغ متوسطها في وادى حنين ٣٦٦ر٩١ ملم.

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٥-٢٦ ، عاتق بنغيثالبلادى : معالم مكة التأريخية والأثرية ، ص ٨٧.

(٢) انظر ص (٧٩) من هذا البحث .

(٣) تقرير من شركة تمل مهندس سليك بمكة المكرمة موجه الى أمانة العاصمة المقدسة رقم(١٢٩٤) وتاريخ ١٤٠٧/٤/٥ هـ ، ص ٢-٤.

وهذه النتيجة تطابق النتيجة التي وصل إليها العثمانيون في القرن العاشر الهجرى ، عندما فكروا في زيادة كمية المياه لمكة المكرمة فقرروا جلب هذه الكمية الإضافية من وادى نعمان ،لكثرة مياهه عن وادى حنين [1] .

...

(١) انظر ص ١٥٠ من هذا البحث .

٤ - التطور العمراني لمكة المكرمة وحاجتها للماء :

كان انبثاق ماء زمزم [١]، لاسماعيل وأمه عليهما السلام بداية نشأة مدينة مكة المكرمة...فقد جاء ابراهيم عليه السلام ، وهو مأمور من ربه ، بزوجه وابنه اسماعيل الطفل الرضيع ، ووضعهما عند البيت بمكة ، التى كانت خالية من الماء والأنيس ، وعندما غاب ابراهيم عن أنظارهما توجه إلى ربه بالدعاء ﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيرِ ذِي زَرعٍ عِندَ بَيتِكَ المُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجعَل أَفئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهوِي إِلَيهِم وَارزُقهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُم يَشكُرُونَ ﴾ [٢] .

ولما نفذ الماء الذى مع أم اسماعيل ، أخرج جبريل بأمر ربه ماء زمزم ، وشربت أم اسماعيل وارتوت ، وأرضعت طفلها ، واطمأنت نفسها ولعبت بئر زمزم دورها المرسوم بدقة ، وعناية في اجتذاب الناس للاستقرار حولها [٣] .

كما ارتبط هذا المكان بأمر ديني هام هو فريضة الحج إذ قال تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالحَجِّ يَأتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ لِيَشهَدُوا مَنَافِعَ لَهُم وَيَذكُرُوا اسمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنعَامِ فَكُلُوا مِنهَا وَأَطعِمُوا البَائِسَ الفَقِيرَ ﴾ ثُمَّ لِيَقضُوا تَفَثَهُم وَليُوفُوا نُذُورَهُم وَليَطَّوَّفُوا بِالبَيتِ العَتِيقِ ﴾ [٤] .

---

(١) لزمزم أسماء كثيرة منها طيبة وبره ومضنونه وميمونة .انظر أبو الوليد الازرقي : المصدر السابق ،ج ٢ ، ص ٤٤ ، ٤٦ ، تقي الدين الفاسي : المصدر السابق ،ج ١ ، ص ٢٥١-٢٥٢ ، حسين عبدالله باسلامه المرجع السابق ، ص ١٧١، ١٨٨.

(٢) آية (٣٧) سورة ابراهيم .

(٣) أبو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ،ج ١ ، ص ٥٤-٥٧ ، يحيى حمزه كوشك : زمزم طعام طعم وشفاء سقم ، ص ٥ ، الطبعة الاولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

(٤) الآيات من (٢٧-٢٩) سورة الحج .

نستدل من ذلك على أن نشأة مدينة مكة المكرمة ، قد ارتبطت منذ البداية بوجود الماء ، الذى كلما توفرت كمياته زاد عدد سكانها والوافدين إليها للحج ، ومن ثم توسعت رقعة العمران فيها .

ونظرا للارتباط الوثيق بين الماء والعمران ، فقد بذل المسلمون على مر العصور الإسلامية ، جهودا مضنية ، في سبيل توفير الكميات اللازمة من المياه لهذه المدينة المقدسة ، وللوقوف على مدى هذه الجهود ، يجب علينا أن نلقي الضوء على مدى التطور العمراني الذى شهدته مدينة مكة المكرمة عبر العصور الإسلامية ، وهل سار الأمر على وتيرة واحدة ؟ أم تعثر في بعض الفترات ؟ وما أسباب ذلك ؟ وهل ارتبط هذا التطور العمراني في المدينة بزيادة عدد سكانها فقط ؟ أم كان ذلك مرتبطا بأعداد الحجاج زيادة ونقصا ؟ أو بهذين العاملين معا ؟ أو بتوفر المياه اللازمة في بعض السنين ونقصها في بعضها الآخر ؟ كل هذه التساؤلات سنحاول الإجابة عنها فيما يلي :

سمات التطور العمراني لمدينة مكة المكرمة :

يمكن التعرف على ذلك من خلال معرفة زيادة عدد السكان ونمو المدينة .

أ- زيادة عدد سكان مكة المكرمة ومشكلة توفير المياه :

يحدثنا الأزرقي في رواية ينتهي سندها إلى عبد الله بن عباس أنه قال: " لما أخرج الله ماء زمزم لأم اسماعيل مر ركب من جرهم قافلين من الشام في الطريق السفلى ، فرأى الركب الطير على الماء ، فقال بعضهم : ماكان بهذا الوادى من ماء ولا أنيس ... فأرسلوا منهم رجلين حتى أتيا أم اسماعيل فكلماها ، ثم رجعا إلى ركبهما ، فاخبراهم بمكانها ، قال ابن عباس : فرجع الركب كلهم حتى قالوا لها : أتأذنين لنا أن ننزل معك عليه ؟ قالت : نعم ... فنزلوا وبعثوا إلى أهاليهم ، فقدموا إليهم

وسكنوا " (١) . ثم تزوج اسماعيل امرأة جرهمية ، أنجبت له ولدا أطلق المؤرخون على نسله العرب المستعربة (٢) .

ثم وفدت خزاعة إلى مكة بعد سيل العرم ، فنزلوا بظاهرها ، وغلبوا الجرهميين عليها ، وطردوهم عنها ، وكان بعض بني اسماعيل على حياد من الأحداث التي مرت بين اخوالهم الجرهميين وقبيلة خزاعة ، الأمر الذى جعل خزاعة تقبل سكنى أولاد اسماعيل معهم ، ثم ما لبثوا أن اجلوهم عن مكة وظل أولاد اسماعيل متفرقين إلى أن جمعهم قصي بن كلاب وأسكنهم مكة في منتصف القرن الخامس الميلادى تقريبا (٣) .

ويمكن معرفة العلاقة بين كثرة عدد سكان مكة بعد عصر قصي بن كلاب ومشكلة توفير الماء لهم ، من خلال رواية أوردها الأزرقي ينتهي سندها إلى ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: " لما انتشرت قريش بمكة وكثر ساكنها ، قلت عليهم المياه ، واشتدت المؤنة في الماء ، حفرت بمكة آبارا*، منها بئر حفرها مرة بن كعب بن لؤى يقال لها رم بعرفة ، وبئر حفرها كلاب بن مرة يقال لها خم بأسفل مكة ، وبئر العجول ، وبئر بذر ، وبئر سجله (٤) .

ومن ذلك يمكن القول: إنه نتيجة لقلة الماء بمكة المكرمة ، في ذلك الوقت ، فقد حفرت بها قبل الإسلام مجموعة كبيرة من الآبار ، التي يمكن الاستفادة من مياهها ، في سد احتياجات السكان المتزايدة (٥) .

---

(١) أبو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ج ١ ، ص ٥٧ .
(٢) المرجع السابق ، ج ١ ص ٨١ ، احمد السباعي : تاريخ مكة ، ص ١٨-١٩ ، الطبعة السادسة ، ١٤٠٤ هـ : ١٩٨٤م ، مطبوعات نادى مكة الثقافي .
(٣) أبو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٩٠-١٠٧ ، أحمد السباعي : المرجع السابق ، ص ٢١-٢٥ .
(٤) أبو الوليد الازرقي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٤ .
(٥) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٤-٢٢٣ ، ابن هشام : المصدر السابق ، القسم الأول ، ص ١٤٧-١٥١ .

ومما زاد في عدد سكان مكة المشرفة ،سكن الموالي ،والأرقاء،والجاليات الأجنبية ، فطبقة الموالي تضمحلفاء قريش الذين خلعتهم قبائلهم ،وفصلتهم عنها إضافة للعتقاء[1]. ويمكن أن ندرك كثرة عددهم مقارنة بسكان مكة المكرمة فيعصر النبوة ،بالنظر الى اعداد المهاجرينمنهم من الصحابة الى يثرب (المدينة المنورة)،وبالنظر ايضا الى قائمة القتليوالجرحى من المشركين في معركة بدر ، حيث قدر نسبة ماتحمله المشركون من الموالي في هذه المعركة حوالى ٤٠ ٪ من الخسائر[2] .

ولاتقل طبقة الأرقاء أهميةمن حيث العدد عن الموالي في تشكيل سكان مكة،حيثنجد أن معظمهم يشترى من الأسواق ، ويجلب بعضهم من أسرى الحرب [3] .

ومما يدل علىكثرتهم المفرطة أن هندا بنت عبدالمطلب أُعتقت في يوم واحد أربعين عبدا من عبيدها ،كما أعتق سعيد بنالعاص مائة عبدٍ بعد أن اشتراهم[4] .

أما الجاليات الأجنبية التي كانت تشكل نسبةمن عدد السكان بمكة المكرمة،فنستطيع معرفتهم من خلال ماورد عنهم في كتب السير وأسماء الصحابة، حيث كانيسكن مكة المكرمة في زمن بعثة الرسول صلى اللهعليه وسلم

---

(١) السيد أحمد أبوالفضل عوض الله : مكة في عصر ماقبل الإسلام ، ص ١٥٣ - ١٥٥ ، الطبعة الثانية ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م ،مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز ، المملكة العربية السعودية ، د. شوقي ضيف : العصر الجاهلي ، ص٦٧ ،الطبعة الخامسة ١٩٧١م ،دار المعارف بالقاهرة .

(٢) ابن هشام: المرجع السابق،القسم الأول ، ص٧٠٨ - ٧١٥ ،السيد أحمد أبوالفضل عوض الله: المرجع السابق، ص١٥٦.

(٣) المرجع السابق ، ص ١٥٦-١٥٧.

(٤) د. شوقي ضيف: المرجع السابق ،ص ٥١ ، السيد أحمد ابوالفضل عوض الله : المرجع السابق ، ص ١٥٧.

أعداد غير قليلة منهم ، فكان منهم التجار ، وأصحاب الحرف الذين ساكنوا المكيين ، وقد دخل بعضهم في الاسلام [١] .

ويشير السباعي إلى أنه على الرغم من فتح مكة المشرفة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ،فإن أغلب الصحابة الذين هاجروا منها لم يرجعوا للاستيطان بها ، بل بقوا بالمدينة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع هذا فان مكة كانت غاصة بالكثير من سكانها الأصليين ،من بطون القبائل والنازحين إليها من العرب المجاورين ،والعبيد المجلوبين [٢] . ثم زاد عدد سكانها بعد ذلك وظهر بشكل جلي في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه [٣].

وقد لعب المجاورون دورا كبيرا في زيادة عدد سكان مكة المكرمة في مختلف العصور الاسلامية [٤]، ويدعم هذا إشارة ابن بطوطة ، والفاسي ، وابن فهد، لأسماء مجموعة كبيرة من هؤلاء المجاورين حتى نهاية العصر المملوكي [٥] .

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٥٩.

(٢) أحمد السباعي : المرجع السابق ، ص ٦٣-٦٤ .

(٣) أبو الوليد الازرقي : المصدر السابق ،جـ ٢ ص ٦٩.

(٤) د. سليمان عبد الغني مالكي : بلاد الحجاز منذ بداية عهد الاشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد ، ص ١٠٩ ، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز ، الرياض ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م.

(٥) تقي الدين محمد بن احمد الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ،تحقيق فؤاد سيد ،جـ ٤ ص ٢٢٠ ، ٦٥ ، ١٨٩ ، ٣١٦ ، ٣١٧، ٣٤٣ ، ٣١٤ ، ٣١٨ ، ٥٠٣ ، ٨٥ ، ١٨٨ ، ٢٩٩ ، جـ ٣ ص ٢٥ ، ١٣٧ ، ٥٤، ٢٣٧ ، ٢٦١ ، جـ ٢ ص ٤١٢ ، ٣٨٩ ، ٢٣٠ ، ٨١ ، ٥٢ ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ، بيروت ، ابن بطوطة : المرجع السابق ، ص ٥٢-٥٣ . أبو محمد بن عبد العزيز بن فهد (ت ٩٥٤هـ) : حسن القرى في اودية أم القرى ،ورقة ٥ ، مخطوط بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى رقم (١٠٧٠).

أما في العصر العثماني فقد زاد عدد سكان مكة المكرمة ، نتيجة لمجاورة موظفي الأتراك وعائلاتهم ومجاورة موظفي المصريين الذين تخلفوا في مكة بعد رحيل جيش محمد علي منها ، هذا فضلا عن أطماع الأوربيين في أملاك العالم الاسلامي ، ساعدت على الهجرة إلى مكة في هذه الفترة ، خاصة وأن الدولة العثمانية كانت ضعيفة الجانب ، الأمر الذى شجع الدول الغربية على اقتطاع املاكها . فقد شن الروس حروبهم على آسيا الوسطى ، وكذلك فعل الانجليز في الهند وأفريقيا ، والفرنسيون في غرب أفريقيا والهند الصينية ، والهولنديون في أندونيسيا ، وزادت الفتن والحروب وفرّ كثير من سكان هذه البلاد بدينهم ، حاملين معهم ماخف من أموالهم إلى مكة وبقية مدن الحجاز ، لبعد هذه البلاد عن خطر الأوربيين ، وقد بدا أثر ذلك واضحا في مكة، حيث نجد - بالاضافة إلى سكان مكة من الأشراف وآل الشيبي - كثيرا من العائلات - التى تسكنها اليوم - تنحدر من اصول مصرية ، وتركية ، ومغربية ، وشامية ، وصينية ، وهندية ، وأندونيسية ، فقد اتخذ هؤلاء من مكة مناطق خاصة بهم ، سميت بأسمائهم ، حيث نجد من آثار ذلك جبل الترك ، وجبل هندى ، وجبل السليمانية (الأفغان) ، وزقاق المغاربة ، وزقاق البخارية ، وأصبحت مكة تنقسم باعتبار الأجناس إلى مناطق ، كل منطقة تقطنها جالية ، فهناك منطقة للترك ، وثانية يسكنها أهل بنغالة والهند ، وثالثة أهالي غرب أفريقيا ، وأخرى يقطنها الجاويون ، وأهل بخارى ، وأهل الشام ، واليمن ، وحضرموت(1) .

أما بالنسبة لعدد سكان مكة المكرمة في العصر العثماني فقد قدروا في بداية حكمهم لها سنة ٩٢٣ هـ / ١٥١٦/١٥١٧ م ، بنحو (١٢٠٠٠) نسمة ، حيث أورد هذا العدد الأمير مصلح الدين أحد الموظفين الذين بعثهم السلطان سليمان خان ، لاحصاء سكان مكة المكرمة ذكورا واناثا صغارا وكبارا ، كي

---

(١) احمد السباعي : المرجع السابق ، ص ٥٦٧ ، د. محمد محمود السرياني : مكة المكرمة ، دراسة في تطور النمو الحضرى ، ص ٢٢-٢٣ ، جمادى الآخرة ١٤٠٦ هـ / مارس ١٩٨٦م ، اصدار قسم الجغرافيا بجامعة الكويت .

يتمكن من توزيع الصدقات عليهم (١) .

ويبدو أن هناك زيادة بدأت تطرأ على عدد سكان هذه المدينة بعد عام ٩٢٣ هـ ، دفعت السلطان مراد عام ٩٨٨هـ / ١٥٨٠ م إلى توجيه أمير مكة بترحيل حجاج الهند إلى بلادهم ، بعد أداء مناسكهم بالتمام ، وعدم السماح لهم بالبقاء ،حتى لايضيقوا على أهل مكة في أرزاقهم (٢) .

وقد أورد محمد لبيب البتنوني صاحب الرحلة الحجازية احصاءً لسكان مكة المكرمة سنة ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩م، معتمدا فيه على ماجاء لدى موظفي الحكومةومن يثق بأقوالهم ، فذكر : " أهالى مكة يبلغ عددهم نحو ١٥٠ الف شخص منهم خمسون ألفا من الأهالي والباقون من المجاورين ، كما هو موضح في الجدول الآتي :

٥٠٠٠٠	أهالي
٢٥٠٠٠	أعراب غالبهم حجازيون ويمنيون وحضارم (من سكان حضرموت).
٢٠٠٠٠	بخاريون
١٢٠٠٠	هنود
١٥٠٠٠	جاوه
١٠٠٠٠	سليمانيه وأفغان
٥٠٠٠	شوام
٨٠٠٠	أجناس مختلفة .
١٥٠٠٠٠	المجموع (٣) ".

---

(١) محمد أمين المكي : خلفاى عظام عثمانيةحظرتنك حرمين شريفنيدكي اثارمبروره ومشكوره همايونلرندن ،المطبعة العثمانية ،١٣١٨ هـ،ترجمة د.سعد الدين اونال : الاثار المبرورة والمشكورة للخلفاء العثمانيين في الحرمين الشريفين ، ص ٧٥-٧٦ من الترجمة ،علما بان هذه الترجمة لم تنشر إلى الان ١٤٠٩هـ.بإذن من المؤلف.

(٢) وثيقة بدفتر المهمة رقم ٤٣ ص ١٨٤، ارشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول ،كذلك انظر صورة هذه الوثيقة وملخص ترجمتها رقم (٤) بالملحق رقم (١) من هذا البحث .

(٣) محمد لبيب البتنوني : الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس =

وبمقارنة إحصائية سكان مكة المكرمة سنة ٩٢٣ هـ / ١٥١٦ - ١٥١٧ م وإحصائية سنة ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩ م نستنتج أن عدد سكان مكة المكرمة قد زاد (١٣٨٠٠٠) نسمة وهذا يعني أن السكان قد تضاعف عددهم أكثر من اثني عشر مره .

ويؤيد هذا ماسوف نراه من اتساع في عمران مدينة مكة المشرفة (١).

وقبل أن ننهي هذا الحديث عن نمو سكان مكة ، لابد من التنويه الى أن ماسبق توضيحه عن اضطراد نمو سكان مكة هو الوضع الطبيعي، الأمر الذى سنوضح أسبابه فيمابعد(٢) . ولكن حصل شذوذ عن هذه القاعدة في بعض الفترات التاريخية ، حيث أعطى أحد الرحالة الذين زاروا مكة المكرمة في منتصف القرن الخامس الهجرى ، إحصاء لسكانها في ذلك الوقت فذكر "أن سكانها القاطنين بها لايزيدون على ألفين والباقين يقربون من الخمسائة من الغرباء والمجاورين ، وفي ذلك الوقت كان ... قد هاجر منها كثيرون "(٣) . بينما نجد أن عدد من شارك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل مكة في غزوة حنين التي وقعت في العام الثامن من الهجرة قدروا بألفين ، هذا فضلا عن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استعمل في ذلك الوقت ، عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية أميرا على من تخلف عنه من الناس في مكة(٤).

= حلمي باشا الثاني خديو مصر ، ص ٤٠-٤١ ، حاشية رقم ٣ ص ٤٠ ،الطبعة الثانية سنة ١٣٢٩ هـ ،مطبعة الجمالية، مصر.

(١) انظر ص ٤٤ من هذا البحث .

(٢) انظر ص ٥٣ من هذا البحث .

(٣) ناصر خسرو : سفرنامه ، ترجمة د. يحي الخشاب ،ص ١٢٣ ، الطبعة الثانية ١٩٧٠م ،دار الكتاب الجديد ، بيروت .

(٤) ابن هشام: المرجع السابق ، القسم الثاني، ص ٤٤٠.

وعلى ذلك فاذا قدرنا المجاهدين بألفين ، إضافة إلى من تخلف بمكة مع النساء والأطفال ، كان عدد سكان مكة المكرمة في العام الثامن من الهجرة ، أكثر منه في منتصف القرن الخامس الهجرى ٠

فاذا تساءلنا عن أسباب هذا الشذوذ في اضطراد نمو سكان مكة المكرمة ، نجد أن من أهم أسباب ذلك اضطراب الأمن ، وسوء الحالة الصحية ، والاقتصادية في بعض الفترات التاريخية [١] ، حيث عانت المدينة من ذلك كثيرا خاصة في القرنين الرابع والخامس الهجريين [٢] ٠ فقد جاء أبوظاهر القرمطي من الأحساء إلى مكة سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩م واقتلع الحجر الأسود ، وقتل أعدادا كبيرة من المسلمين ،قدر عدد من قتل في المسجد الحرام بنحو (١٧٠٠) نسمة ، وفي رواية اخرى (١٣٠٠٠) نسمة من الرجال والنساء وهم متعلقون بأستار الكعبة ، أما من قتلهم القرمطي وأتباعه من سكان مكة الخرسانيين والمغاربة وغيرهم فقدروا بنحو (٣٠٠٠٠) نسمة ، وسبى مثل ذلك العدد من النساء والصبيان ،ونهب دور مكة ، وأخذ أموال الناس ، وحلي الكعبة ، وقلع بابها ،ولم يكتف بذلك بل هتك أستار الكعبة وقسمها بين أصحابه [٣] ٠

---

(١) عبدالكريم بن محب الدين القطبي ، ت ١٠١٤ هـ : أعلام العلماء الاعلام ببناء المسجد الحرام ، ص ٣٠ ، علق عليه أحمد محمدجمال وعبدالعزيز أحمدالرفاعي ، ود٠ عبدالله الجبورى ، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م ،منشورات دار الرفاعي ، الرياض ٠

(٢) النجم عمر بن محمد بن محمد بن محمد بن فهد(٨١٢-٨٨٥هـ) : اتحاف الورى باخبار أم القرى ،تحقيق فهيم محمد شلتوت ،جـ ٢ ص ٦٢٢-٦٤٦ ، الطبعة الاولى ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣م ، الكتاب العشرون ، مركز البحث العلمي ،جامعة أم القرى ٠

(٣) المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٣٧٤-٣٧٦٠

أما ماعانته مكة من قلة مواردها الاقتصادية، وغلاء الاسعار في هذه الفترة ، فقد ظهر بشكل واضح لفت أنظار المؤرخين ، منها سنة ٣٦٥ هـ / ٩٧٥ م ، ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م ، ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥م التى بلغ فيها ثمن عشرة أرطال الخبز بدينار مغربي ، ثم انعدم وجوده ، فأشرف الناس والحجاج على الهلاك ، فأرسل الله عليهم من الجراد ماملأ الارض فتعوضوا به (١) .

ب - التطور العمراني بمكة المكرمة عبر العصور الإسلامية :

اذا صرفنا النظر عن الاختلافات التي جاءت في روايات الأقدمين، عن سكنى العماليق وغيرهم بمكة المكرمة ، قبل نزول ابراهيم عليه السلام بها ، يمكن أن نتخذ من سكنى اسماعيل وأمه ووفود قبيلة جرهم عليهم، بداية لنشأة مدينة مكة المكرمة وتطورها ، فقد كانت مساكنهم، تمتد من بطن وادى ابراهيم بجوار زمزم إلى قعيقعان في الشمال، وإلى أعلى مكة ، مما يحاذى موقع القشاشية والمسعى الآن في الشمال الشرقي، إضافة لسكناهم بأجياد منحدرين إلى المسفلة (٢) .

ويظهر أن اتساع العمران بمكة المكرمة قد زاد ، بعد أن جمع قصي بن كلاب فريقا من قريش وأسكنهم بها ، حيث بنوا مجموعة من مساكنهم في المواضع المعروفة اليوم بشعب علي ، وشعب عامر ، والمعابدة ، والشامية ، والقرارة ، وأجياد باتجاه المسفلة (٣) . وبظهور الإسلام

---

(١) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤١٣ ، ٤٦٢ ، ٤٦٤ .

(٢) أبو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٨٤-٨٦ ، أحمد السباعي : المرجع السابق ، ص ١٧-٢٠ ، د. محمد محمود السرياني: المرجع السابق ، ص ٩-١٠ .

(٣) ابو الوليد الازرقي : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٠٧ ، ج٢ ص ٢٢٣-٢٩٧ احمد السباعي : المرجع السابق ، ص ٣٠-٣٤ ، محمد محمود السرياني : المرجع السابق ، ص ١١-١٢ .

نجد أن توسعات المسجد الحرام المتعاقبة ، أدت إلى اتساع نطاق عمران المدينة نحو الأطراف ، لأن من يهدم بيته لمصلحة توسعة المسجد الحرام، كان يقوم بالبناء في موضع آخر (١) . وعلى الرغم من ذلك ، فليس بين أيدينا نصوص توضح بدقة مراحل تطور عمران مكة المكرمة منذ فجر الإسلام حتى القرن الثالث الهجرى إلا أننا نستشف مما قام به ولاة أُمر المسلمين ومن ساعدهم تطوعا في إيصال المياه لمكة مايشير إلى زيادة عمران هذه المدينة (٢) .

ويمكن التعرف على وصف اتساع عمران مكة المكرمة في القرن الثالث الهجرى ومنتصف القرن الخامس الهجرى ، من خلال ما أورده لنا الفاكهي ، وناصر خسرو :

فقد أشار الفاكهي (من علماء القرن الثالث الهجرى)، بمايقتضي أن الناس فيما مضى ، كانوا لايتجاوزون في السكن البئر التى عند المسجد الذى عند الردم بأعلى مكة . وإذا أردنا التعرف على اسم البئر والمسجد وموقعهما ، للتعرف على حدود اتصال عمران مكة المكرمة من هذه الجهة ، نجد أن الفاكهي يشير إلى ذلك في ذكر المواضع التي تستحب فيها الصلاة بمكة المكرمة فيقول : " ومنها مسجد بأعلى مكة عند الردم الأعلى عند بئر جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل ، ويقال لها البئر العليا ... كان الناس لايجاوزون في السكن في قديم الدهر هذه البئر ، إنما كان الناس فيما دونها إلى المسجد ومافوق ذلك خال من الناس "(٣) ، كما أورد أيضا نقلا عن "عمر بن ابي ربيعة أو غيره يذكر هذه البئر :

---

(١) أبو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٨-٨١ ، د. محمد محمود السرياني : المرجع السابق ، ص ١٦ .

(٢) انظر ص ٧٤ من هذا البحث .

(٣) ابوعبدالله محمد بن اسحاق الفاكهي : أُخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ، دراسة وتحقيق عبدالملك بن عبدالله بن دهيش ، ج ٤ ، ص ١٩ ، ٢٠ ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م ، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة ، مكة .

أنظر ص من الرسالة .

نزلت بمكة في قبائل نوفل ونزلت خلف البئر أبعد منزل "[1]

وقد علق على ذلك الفاسي بقوله : " المسجد المشار إليه هو المسجد المعروف بمسجد الراية ، والبئر المشار إليها لعلها البئر التي عند هذا المسجد ،وهي معروفة عند الناس ويستقون منها ، ويحتمل أن تكون البئر التي كانت بقرب بئر ابن المره بقرب هذا المسجد من أعلاه ، وهي الآن خافية لأنها طُمت من نحو اثني عشر عاما ،وهي منه أبعد من البئر الموجودة الآن ، والأول أقرب والله أعلم "[2]. وفي موضع آخر قال الفاسي أيضا " كان لمكة سور من أعلاها...قريبا من المسجد المعروف بمسجد الراية ... وأنه (أى السور) من الجبل الذى إلى جهة القرارة ويقال له لعلع إلى الجبل المقابل له الذى إلى جهة السوق أى سوق الليل ، لأن التحصن بهذا السور لايتم إلا بأن يكون هكذا ، وفي الجبلين المشار إليهما آثار بناء تدل على اتصال السور بهما ، ... ويقال الآن لموضع باب السور المشار إليه الدرب الدارس ... ومن موضع باب السور المشار إليه بالأرض ... إلى الجدار القبلي من المسجد المعروف بمسجد الراية مائة ذراع وثلاثة وعشرون ذراعا وربع ذراع بالذراع الحديد، يكون بذراع اليد الآتي تحريره ، مائة وأربعين ذراعا وستة أسباع ذراع ، ومن موضع باب السور الذى أشرنا إليه إلى جدار باب المسجد الحرام المعروف بباب بني شيبة تسعمائة ذراع ... وعشرون ذراعا ونصف ذراع بالحديد ، ويكون ذلك بذراع اليد ألف ذراع واثنين وخمسين ذراعا "[3] .

هذا ماكان عليه حال حدود اتصال عمران مكة المكرمة من جهة المعلاة (الشمالية الشرقية) . أما وصف مكة المشرفة في منتصف

---

(١) المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ١٩ ، ٢٠.

(٢) تقي الدين الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، جـ ١ ص ١٣-١٤.

(٣) المصدر السابق، جـ ١ ، ص ١١-١٢.

القرن الخامس الهجرى ، فيمكن التعرف على بعض معالمه ، من خلال ما أورده لنا ناصر خسرو الذى زار مكة في ذلك الوقت حيث قال " تقع مكة بين جبال عاليه ولاترى من بعيد ، من أى جانب يقصدها السائر ، وأقرب جبل منها هو جبل أبي قبيس ...وتشغل هذه المدينة (أى مكة) الوادى الذى بين الجبال والذى لاتزيد مساحته عن رمية سهمين في مثلها ، والمسجد الحرام وسط هذا الوادى ومن حوله مكة والشوارع والأسواق "(١) .

ولعل هذا الضيق في اتساع المدينة في منتصف القرن الخامس الهجرى ، يرجع إلىماسبق أن أشرنا إليه من قلة عدد سكان مكة ،بسبب ما أصابهم من اضطراب الأمن والقحط (٢) ،هذا فضلا عن انقطاع مياه عين حنين التي اجترت في عهد هارون الرشيد (٣) .

أمامن حيث وصف هذه المدينة واتساعها في القرن التاسع الهجرى ،فنراه فيما ذكره لنا الفاسي ت ٨٣٢ هـ / ١٤٢٨م ، الذى يعتبر أول من حاول ذرع مساحة التجمع العمراني بمكة المكرمة ، معتمدا فيه على ذرع المسافة ، بين باب سور مكة الشمالي، وباب سور مكة الجنوبي ، وبين باب سور مكة الشمالي ،وباب سور مكة الجنوبي الغربي (الشبيكة) ، حيث الإتجاه إلى الجنوب إلى المسجد الحرام أولا ثم الانعطاف إلىالغرب (٤)، فيقول : " مكة المشرفة بلدة مستطيلة كبيرة تسع من الخلائق مالايحصيهم إلا الله عز وجل ، في بطن واد مقدس، والجبال محدقة بها كالسور لها ، ولها مع ذلك ثلاثة أسوار: سور في

---

(١) ناصر خسرو : المرجع السابق ، ص ١٢١.

(٢) انظر ماسبق ص (٣٨-٣٩) من هذا البحث .

(٣) انظر ماسيأتي ص ٨٦-٨٧ منهذا البحث .

(٤) نلحظ انهذاالتحديد لموقع التجمع العمراني ومايحيط به من اسوار لايعني عدموجودسكانخارج هذه الأسوار ،فقد سبقتالاشارة الىأن شعب علي وشعب عامر والمعابدة كانت بها مساكن في العهد الجاهلي ، هذا فضلا عماسوفنراه عن بناء الكثير من المساكن خارج أسوار مكة المكرمة في العصر العثماني .

أعلاها ويعرف بسور باب المعلاه ، وفيه بابان أحدهما لاباب له ويكون في الغالب مسدودا ، وسوران في أسفلها أحدهما يعرف بسور باب الشبيكة وفيه باب كبير وخوخة صغيرة لاباب لها ، والسور الاخر يعرف بسور باب الماجن ،ويعرف أيضا بسور باب اليمن لأنه على طريق البر إلى اليمن ... وطول مكة من باب المعلاه إلى باب الماجن على خط الردم،والمسعى والسوق المعروف بسوق العلافة ومسيل وادى ابراهيم ، اربعة آلاف ذراع ، واربعمائة ذراع واثنان وسبعون ذراعا ... بذراع اليد ... وطول مكة من باب المعلاة إلى باب الشبيكة على خط الردم والمسعى ومسيل وادى ابراهيم إلا أنه ينحرف عنه إلى باب الشبيكة في الزقاق الذى يخرج منه إلى البيت المعروف ببيت ابن عرفه بالشبيكة اربعة الاف ذراع وستمائة ذراع واثنان وتسعون ذراعا ... بذراع اليد المشار إليه ،ومن باب المعلاه إلى باب الشبيكة ايضا على خط الردم يعدل منه من سوق اللبن والحشيش إلى السويقة ثم إلى الشبيكة اربعة الاف ذراع ومائة ذراع واثنان وسبعون ذراعا ... بذراع اليد المشار إليه وماعرفت أن أحدا قبلي اعتبر ذلك "(١) .

نستنتج من ذلك أن هناك تطورا في نمو مدينة مكة المكرمة ، فبينما كان الناس في القرن الثالث الهجرى لاتبعد مبانيهم المتصلة عن جدار باب المسجد الحرام المعروف بباب بني شيبة ، قدر ١٠٥٢ ذراعا إلى جهة المعلاة (٢)، نجدها قد أصبحت تتخطى ذلك المكان في القرن التاسع العجرى، وقد أشار إلى ذلك الفاسي بقوله :" وللناس اليوم منازل كثيرة مسكونة فوق هذا المسجد والبئر (اللذان كان بقربهما سور مكة القديم والذى قدر بعده عن جدار المسجد الحرام بـ ١٠٥٢ ذراعا) المشار

---

(١) تقي الدين الفاسي : المصدر السابق ،ج ١ ص ١٠-١٣ .

(٢) انظر ماسبق ص ٤٠-٤١ من هذا البحث .

إليها من جانبي الوادى "(١) ، ويحيط بهذه المباني سور جديد يسمى بسور باب المعلاه (٢) .

وكذلك نجد أن هناك فرقا كبيرا في اتساع عمران مكة المكرمة بين عهد ناصر خسرو الذى زار مكة في حوالي منتصف القرن الخامس الهجرى وبين عهد الفاسي المتوفي في عام ٨٣٢ هـ / ١٤٢٨ م فبينما وصف ناصر خسرو مساحة عمران مكة المكرمة على أنها لاتزيد على رمية سهمين في مثلها ، نجدها فيعهد الفاسي اتسعت ، واصبح لها ثلاثة أسوار سور في أعلاها وسوران في أسفلها ،وطولها من باب المعلاة إلى باب الماجن ٤٤٧٢ ذراعا بذراع اليد أى مايقارب ٢٢٣٦م.

تطور مكة العمراني في العصر العثماني :

يمكن تلمسهذا بتتبع عمران مكة المكرمة في اربع مراحل:

المرحلة الأولى ـ مكة المشرفة في القرن العاشر الهجرى :

جاء وصف عمران هذه المدينة على لسان مؤرخها قطب الدين الحنفي المتوفى عام ٩٩٠ هـ / ١٥٨٢م مانصه " مكة المشرفة... بلد كبيرة مستطيلة... لها مبدأ ونهايتان ،فمبدؤها المعلاه وهي المقبرة الشريفة ، ومنتهاها من جانب جده موضع يقال له الشبيكة، ومن جانب اليمن قرب مولد سيدنا حمزه،وعرضها من وجه جبل يقال له الان جزل إلى أكثر من نصف جبل أبي قبيس،ويقال لهذين الجبلين الأخشبين "(٣).

---

(١) تقي الدين الفاسي : المصدر السابق ،ج ١ ص ١٤.

(٢) المصدر السابق ،ج ١ ص ١١-١٢.

(٣) قطب الدين الحنفي ت ٩٩٠ هـ : تاريخ القطبي المسمى كتاب الأعلام بأعلام بيت الله الحرام،ص ١٩ ،وضع مقدمته الاستاذ محمد امين كتبي شرح وتعليق الاستاذ محمد طاهر الكردى ، طبع ونشر المكتبة العلمية بمكة المشرفة .

وعلى ذلك كله يمكن القول ، بأن هناك زيادة في بناء المساكن في اطار الحدود التي أوردها القطبي ،وهي البناء على وجه جبل جزل (تعيقعان) ونصف جبل أبي قبيس ، وهذا هو الفرق بين نمو مدينة مكة المكرمة منذ عهد الفاسي إلى عهد القطبي ٠

المرحلة الثانية - اتساع مكة المشرفة في بداية القرن الحادى عشر للهجرة ، من الجهتين الجنوبية والجنوبية الغربية ، وبناء المساكن على أغلب جبل أبي قبيس ونصف جبل جزل :

وقد أوضح ذلك عبدالكريم القطبي ت سنة ١٠١٤ هـ /١٦٠٥م في تعليقه على رواية قطب الدين الحنفي بقوله : " اعلم أن بلد الله الحرام مكة المشرفة بلدة كبيرة مستطيلة ذات شعاب ولها مبدأ ونهايتان فمبدؤها المعلاة وهي المقبرة الشريفة ،ومنتهاها من جانب جدة (الجهة الغربية) موضع يقال له الشبيكة ٠ أقول بل منتهاها في أيام كتابة هذه الحروف تربة الشيخ محمود بن ابراهيم بن أدهم ٠٠٠ ومن جانب اليمن قرب مولد حمزة رضي الله عنه في لصق مجرى العين ينزل إليه بدرج يقال له : بازان ٠ أقول والآن قد زاد البناء والعمران على ذلك بكثير من هذه الجهة ومن الدرب الثاني الذى يمر منه السيل اذا أتى وعرضها من وجه جبل يقال له الآن : جزل إلى أكثر من نصف جبل أبي قبيس ٠٠٠ أقول والآن قد عم البناء غالب جبل أبي قبيس ونحو نصف جزل"(١) .

المرحلة الثالثة - اتساع عمران مكة المكرمة في نهاية القرن الحادى عشر وبداية القرن الثاني عشر للهجرة من الجهة الشمالية الشرقية :

سبقت الإشارة إلى أن حدود عمران مكة المكرمة من جهة المعلاه المقبرة الشريفة ، وهو نفس الموضع الذى أشار إليه الفاسي المتوفى

---

(١) عبدالكريم بن محب الدين القطبي (ت ١٠١٤ هـ) : المصدر السابق ، ص ٢٩٠

سنة ٨٣٢ هـ / ١٤٢٨ م ، وقطب الدين الحنفي المتوفى سنة ٩٩٠هـ / ١٥٨٢ م وعبدالكريم القطبي المتوفى سنة ١٠١٤ هـ / ١٦٠٥ م . لكن نجد أن اتساع عمران مكة المكرمة قد زاد من هذه الجهة في نهاية القرن الحادى عشر الهجرى ، حيث أشار إلى ذلك على الطبرى ت ١٠٧٠ هـ / ١٦٥٩م بقوله " وحَدُّ مكة في زماننا من أعلاها المحل المعروف بالمنحنى "(١) . وأيد ذلك ابن المحب الطبرى في ذكره لحوادث سنة ١١١٥ هـ / ١٧٠٣م ، حيث أشار إلى أن بعض الأعراب نهبوا سكان المعابدة (٢) ، مما يقدم دليلا على وجود مساكن في حي المعابدة في ذلك الوقت ، وهذا الحي يقع بعد المعلاة في اتجاه المنحنى . وأشار على السنجارى ت ١١٢٥ هـ / ١٧١٣م بأن مبدأ مكة في زمانه البستان الكائن بالمنحنى المعروف ببستان المريسى على طريق منى (٣) . وهذا يشير بوضوح إلى مقدار اتساع عمران هذه المدينة في ذلك التاريخ في المنطقة الواقعة في المعلاة إلى المنحنى .

المرحلة الرابعة - اتساع عمران مكة المكرمة في القرن الثالث عشر الهجرى من الجهة الشمالية الشرقية والجهة الغربية :

أشار الصباغ المكي الذى ولد بمكة سنة ١٢٤٣ هـ / ١٨٢٧م وتوفى سنة ١٣٢١ هـ / ١٩٠٣م في تعليقه على ما أورده قطب الدين ت ٩٩٠هـ/١٥٨٢م ، عن اتساع عمران مكة المكرمة مانصه : " ذكر القطب رحمه الله في كتابه

---

(١) على الطبرى ت ١٠٧٠ هـ: المصدر السابق ، ورقة ١٧.
يعرف موقع المنحنى حاليا ، بأنه المكان الذى تشغل جزء من أرضه مبنى امارة مكة المكرمة (قصر الملك فيصل) . البلادى: معجم معالم الحجاز ، جـ ٨ ، ص ٢٨٢ .

(٢) محمد بن على بن فضل الحسيني المعروف بابن المحب الطبرى: المصدر السابق ، جـ ٢ ورقة ١٣٠-١٣٤.

(٣) على بن تاج الدين بن تقي الدين السنجارى الحنفي المكي ت ١١٢٥هـ: منايح الكرم في اخبار مكة وولاة الحرم ، جـ ١ ورقة ٧ مخطوط من ثلاثة اجزاء بمكتبة الحرم المكي الشريف رقم (٣٥٣٥) ، (٣٥٣٦) ، (٣٥٣٧) .

الأعلام لأهل بلد الله الحرام ، ولفظه اعلم أن مكة المشرفة ، بلدة مستطيلة واسعة ولها مبدأ ونهاية ، فمبدؤها المعلاه ومنتهاها من جهة جده الشبيكة . هذا بحسب وقته ، والآن قد اتصل البناء من جهة المعلاه إلى الأبطح ، وهو المحصب ... ماوراء المعابدة...ومن جهة جدة فقد اتصل البناء في زماننا إلى بيرطوى "(١) .

نستطيع أن نخلص مماسبق إلى أن مكة المكرمة قد اتسع عمرانها في هذا الوقت عمامضى ، لأن ماورد في النص يشير إلى أن البناء قد اتصل من الجهة الشمالية الشرقية إلى أن وصل إلى الأبطح الذى هو أبعد عن المسجد الحرام من المنحنى . أما من الجهة الغربية فقد أشار النص إلى أن بناء مساكن مكة المكرمة قد اتصل إلى موقع بئر طوى ،وهو أبعد عن المسجد الحرام من موقع تربة الشيخ محمود .

وقد حدد لنا ابراهيم رفعت الذى حج سنة ١٣٢٥ هـ ،مساحة تقريبية لمكة المكرمة فذكر : " مكة... طولها من الشمال إلى الجنوب ميلان، وعرضها شرقا من جبل أبي قبيس إلى أسفل جبل قيقعان من الغرب ميل واحد ، يقطع الماشي طولها في نحو نصف ساعة ،ومع كون عرضها دون طولها يقطع في زمن أكثر مما يقطع في الطول ، وذلك لوجود أماكن على تلال في كل من جانبيها "(٢).

اضافة إلى ماسبق فقد وجدت لوحة بكتاب التاريخ القويم للكردى ضمنتها رسالتى (لوحة ١٤٠) تشير إلى وجود باب لمكة المكرمة من جهة منطقة البيبان ، وقدعرفنا في الصفحات السابقة أن لمكة باب

---

(١) محمد بن احمد الصباغ المكي (١٢٤٣-١٣٢١هـ) تحصيل المرام في اخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة وولاتها الفخام ،ورقة ١١٨ ، مخطوط بمكتبة الحرم المكي الشريف رقم (٣٤٥٧).

(٢) اللواء ابراهيم رفعت باشا قومندان حرس المحمل في سنة ١٣١٨ هـ / ١٩٠١م وأمير الحج في سنة ١٣٢٠ هـ وسنة ١٣٢١هـ وسنة ١٣٢٥هـ: مرآة الحرمين والرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية ،ج ١ ،ص ٢٧٨.

يقع جهة الشبيكة وأن العمران قد تخطاه إلى موقع بئر طوى ، ووجود هذه اللوحة يجعلنا نرجح أن عمران مكة المكرمة قد امتد إلى أبعد من بئر طوى في نهاية العصر العثماني .

زيادة عدد الحجاج ومشكلة توفير المياه :

بعد أن رفع ابراهيم وابنه القواعد من البيت ، دعا ربه أن يجعل من ذريته أمة مسلمة له وأن يريه مناسكها . واستجاب له ربه فأمره بدعوة الناس إلى الحج إذ قال تعالى : ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ * ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [1] . وعلم جبريل عليه السلام سيدنا ابراهيم مناسك الحج ، وكان أول حج يضم ابراهيم عليه السلام وابنه اسماعيل ومن معه من جرهم الذين كانوا يسكنون الحرم ، ثم أخذ العرب يحجون بعد ذلك [2] .

وقد لحظ القائمون على أمر مكة قبل الاسلام ، تزايد أعداد الحجاج فدفعهم ذلك إلى العناية بتوفير الماء لهم وبلغ بهم الأمر في عهد قصي ابن كلاب إلى تنظيم وظيفة خاصة بذلك سميت (السقاية) ، التي عد المكيون من يتولاها من اصحاب العز والشرف ، وصاروا يتسابقون على تولي منصبها [3] .

---

(١) الآيات من (٢٧-٢٩) سورة الحج .

(٢) أبو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٦٦-٧١ .

(٣) المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١٠٦-١٠٧ ، ص ١٠٩-١١٤ ، السيد احمد ابو الفضل عوض الله : المرجع السابق ، ص ٥٦-٥٧ .

ولما بعث الله نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم كانت دعوته عامة للناس ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيرا ﴾ (١) فدخل في دين الإسلام أمة العرب وغيرهم من أمم الأرض (٢) ، ولكون الحج ركنا هاما من أركان الاسلام (٣) فقد أدى إلى كثرة عدد الحجاج ، الأمر الذى تطلب زيادة بذل جهود المسلمين ، في سبيل تأمين احتياجات الحجاج من الماء (٤) . وقد لحظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أهمية وظيفة السقاية التي كان يقوم بها عمه العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه ، لحجاج بيت الله الحرام ، فأقره عليها يوم فتح مكة في العام الثامن للهجرة النبوية (٥) .

وقد تتابعت جهود المسلمين في عصورهم الإسلامية المختلفة ، في سبيل توفير احتياجات الحجاج من الماء ، تبعا لعددهم الذى كان يزيد وينقص لأمور متعددة منها توفر العيش والأمن (٦) والظروف الصحية (٧) .

---

(١) آية رقم (٢٨) سورة سبأ .

(٢) أحمد أمين : فجر الاسلام ، ص ٨٤-٨٥ ، ص ٩٨ ، ١٩٤ ، الطبعة الحادية عشرة ١٩٧٥م ، مكتبة النهضة المصرية .

(٣) شرف الدين أبو النجا : زاد المستقنع في اختصار المقنع في فقه الامام احمد بن حنبل الشيباني ، ص ٣٠ ، مكتبة الرياض الحديثة .

(٤) انظر جهود المسلمين فيما قبل العصر العثماني نحو توفير المياه لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة ، ص (٦٤) من هذه الرسالة .

(٥) ابن هشام : المصدر السابق ، القسم الاول ص ٤١٢ ، أبو الوليد الازرقي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١١٤ .

(٦) عمر بن محمد بن فهد : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٦٢٠-٦٢٧ .

(٧) انظر ص ٥٣ - ٦٣ من هذا البحث .

ويمكننا أن نستشف من أقوال المؤرخين ، وما نشرته مجلة المنار أن عـــدد الحجاج في العصر العثماني ، قد زاد زيادة كبيرة . فقد قال عبدالكريم القطبي ت سنة ١٠١٤ هـ / ١٦٠٥م : " تسع (مكة) خلقا كثيرا ، خصوصا في أيام الحج ، فإنه يرد إليها قوافل عظيمة ، من مصر والشـــام وبغداد والبصرة والحسا ونجد واليمن وبحر الهند والحبشة والشحـر وحضرموت، وعربان جزيرة العرب وطوائف لايحصيهم إلا الله تعالى فتسعهـم جميعا "(١) . كما أشار عبدالغني النابلسي ت سنة ١١٤٣ هـ / ١٧٣٠م ، إلى أن مكة المشرفة كانت في عهده ، تسع خلقا كثيرا خصوصا في أيـــام الحج ، فإنه يرد إليها قوافل عظيمة من مصر ، والشام ،وحلب ، وبغـداد، والبصرة، والحساءونجد ، واليمن ، ومن بحر الهند، والحبشة ، والشحر، وحضرموت ،وعربان جزيرة العرب (٢) .

كما قال الحضراوى عن كثرة عدد حجاج سنة ١٢١٧ هـ / ١٨٠٢ م" سنـة سبع عشرة ومائتين وألف ٠٠٠ حج من أهل العرب نحو خمسة عشر ألفـــا ٠٠٠ وكثرت الناس بمكة المشرفة ، واشتد الزحام وامتلأت بيوت مكة من العالم، ولم يعلم حج مثله في كثرة المخلوقات "(٣) .

---

(١) عبدالكريم القطبي : المصدر السابق ، ص ٣٠.

(٢) عبدالغني بن اسماعيل النابلسي (ت ١١٤٣ هـ) : الحقيقة والمجـاز في الرحلة الى بلاد الشام ومصر والحجاز ، تقديم واعـــداد د. عبدالمجيد هريدى ، ص ٤٤٧ ، مركز تحقيق التراث ، الهيئـة المصرية العامة للكتاب .

(٣) احمد بن محمد بن احمد الحضراوى ت (١٣٢٦ هـ) : مختصر حسن الصفا والابتهاج في ذكر من ولي امارة الحج ،حوادث سنة ١٢١٧ هـ،مخطـوط مصور على الميكروفيلم بمركز البحث العلمي واحياء التـــراث الاسلامي . رقم (٢٤٢) جامعة أم القرى .

ويقدر عدد حجاج القافلة التي كانت تغادر دمشق في العصر العثماني ب (٤٠٠٠٠) حاج ومعهم (٣٥٠٠٠) جمل ، ولاشك أن هذه الأعداد بحاجة إلى الطعام والشراب (١) .

وقد حاول محمد باشا صادق الذى حج سنة ١٢٩٧ هـ / ١٨٧٩م ، تقدير عدد الحجاج بقوله : " وقد اجتمع بعرفات عالم كثير من الحجاج نحو مائة وخمسين ألف بل أزيد ... ومعهم دوابهم "(٢).

ونشرت مجلة المنار في عددها الصادر سنة ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧م احصاء للحجاج الذين غادروا منى بعد يوم النحر أنه بلغ ٢٠٠٠٠٠ نفس (٣).

كما قدر ابراهيم رفعت عدد حجاج سنة ١٣١٨ هـ / ١٩٠٠م بمائة وخمسين الفا ، وأشار إلى العلاقة بين كثرتهم وقلة المياه بقوله " ومما لاحظته أن هذه الحياض بعرفة دون حاجة الحجيج ودوابهم .فإن الحجاج زادوا على (١٥٠٠٠٠) شخص ، ومعهم من الحيوان مالايقل عن (٣٠٠٠٠) حيوان فترى الناس في زحام شديد على هذه الحياض ، وليس هناك جند يقي بعضهم صدمات بعض أو يقدّمهم إلى الأحواض بنظام ،وبسبب هذا التزاحم تقذر المياه " (٤).

---

(١) د. سعد أبوديه : معان دراسة في الموقع ، ص٨٥، الطبعة الاولى ١٩٨٤م ، مكتبة مصباح الخورى ،معان - الاردن .

(٢) محمد باشا صادق : دليل الحج للوارد الى مكة والمدينة من كل فج ، ص٧٣ ، الطبعة الاولى ، المطبعة الكبرى ، الاميرية ببولاق مصر سنة ١٣١٣هـ.

(٣) مجلة المنار لمنشئها السيد محمد رشيد رضا ، المجلد الاول،الطبعة الثانية ١٣٢٧ هـ ، مطبعة المنار. مصر.

(٤) ابراهيم رفعت : المصدر السابق ،جا ص ٥٣٠ ، ج ١ ص ٢٠٨.

أما محمد لبيب البتنوني الذى حج سنة ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩م فقد أشار إلى كثرة عدد الحجاج بمكة بقوله : ويحتشد فيها (أى مكة) زمن الحج (٢٠٠٠٠٠) نفس على الأقل ، وإذا كان الحج بالجمعة كان الناس أضعاف ذلك "(١).

---

(١) محمد لبيب البتنوني : المصدر السابق ، ص ٣٨.

أهم العوامل المؤثرة في زيادة ونقصان عدد سكان مكة وحجاج بيت الله الحرام

أولاً العامل الديني :

أ- الحج والعمرة :

قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾(١) . وقال تعالى : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾(٢)، فقد أوجب الله سبحانه الحج على المسلم البالغ العاقل القادر ، أما العمرة فقد اختلف في وجوبها ، والمشهور عن مذهب الشافعي وأحمد بن حنبل وجوبها ، أما في مذهب ابي حنيفة ومالك فإنها ليست واجبة ، وقد رجح ابن تيمية .. قول أبي حنيفة ومالك .(٣)

وعلى ذلك فقد دفعت هذه الأحكام الشرعية الكثير من المسلمين التوجه إلى مكة المشرفة، مما أدى إلى زيادة عدد الحجاج والمعتمرين بها(٤) .

ب - فضل مكة :

خص الله سبحانه وتعالى مكة المشرفة ، بالفضل على غيرها من سائر بلاد العالم(٥) مما كان له الأثر الكبير ، في تشوق الكثير من المسلمين

---

(١) من آية (٩٧) سورة آل عمران .
(٢) من آية (١٩٦) سورة البقرة .
(٣) عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدى الحنبلي : مجموع فتاوى شيخ الاسلام أحمد بن تيمية ، ج ١٦ ، ص ٥-٩ ، طبع بأمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود ، اشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين .
(٤) سبق الحديث عن المجاورة بمكة انظر ص ٣٤ من هذا البحث ،عبد الرحمن ابن محمد الحنبلي : المرجع السابق ، ج ٢٧ ص ٢٤.
(٥) محمد بن اسحاق الخوارزمي : اثارة الترغيب والتشويق إلى المساجد الثلاثة وإلى البيت العتيق ، ورقة ٧ - ١١ ، مخطوط بمكتبة الحرم المكي الشريف =

إلى كسب المزيد من الأجر والثواب عند الله سبحانه وتعالى بالمجاورة بها، الأمر الذى أدى إلى زيادة عدد سكانها (١) .

فبالإضافة إلى أن بمكة المشرفة بيت الله الحرام قبلة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، وأنها مهبط الوحي ، فقد خص الله سبحانه وتعالى حرمها بعدة أمور أهمها (٢) :

١- يحرم القتال في حرمها أو الصيد أو قطع شجرها إلا الأذخر .

٢- يمنع دخول مكة المشرفة غير المسلم .

٣- يضاعف أجر الصلاة في المسجد الحرام عن غيره من المساجد . حيث ورد في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال" صلاة في مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام "(٣).

= رقم (٣٤١٨) . مرعي بن يوسف المقدسي : محرك سواكن الغرام الى حج بيت الله الحرام ، ورقة ٤٤٥- ٤٤٨ ، مخطوط بمكتبة الحرم المكي الشريف رقم (٣٤١٨) . محمد عبدالملك البكرى : مثير شوق الانام الى حج بيت الله الحرام وزيارة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ، ورقة ٤-٨ ، مخطوط بمكتبة الحرم المكي الشريف رقم (٣٥٢٨) عبدالرحمن بن محمد الحنبلي : المصدر السابق، ج ٢٧ ص ٣٦ .

(١) عن المجاورين انظر ماسبق ص ٣٤ من هذا البحث .

(٢) محمد طاهر الكردى : المرجع السابق ،ج ٢ ، ص ٣٠٧ ، محمد علوى مالكي : المرجع السابق ص ١٦٧ ، ١٧٠ ، ١٧٤ ، ١٧٩ ، ١٩٩ ، ٢٠٨ ، أحمد ابن محمد الاسدى : المصدر السابق ، ص ١٧٧ - ١٧٨.

(٣) أبوعبدالله محمد بن اسماعيل البخارى : صحيح البخارى، ج ١ ص ٢٠٦ ، الناشر : دار المعارف بيروت ، توزيع دار الباز بمكة . محمد فؤاد عبدالباقي : اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان إماما المحدثين البخارى ومسلم ، ج ٢ ، ص ٨٧ ، دار احياء التراث العربي . بيروت .

ثانيا - ازدهار التجارة بهـا :

استفادت مكة المكرمة من موقعها الجغرافي على طريق القوافل التجارية المارة بها من بلاد الشام إلى اليمن ، أو العكس ، في العمل بالتجارة التي حققت لها أرباحا طائلة ، ساهمت في تنمية موارد البلد الاقتصادية (١) .

وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى اشتغال قريش بالتجارة في قوله تعالى : ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ (٢)

وعلى ذلك يمكن القول ، أنه كان لازدهار التجارة بمكة المشرفة دور كبير في اجتذاب السكان إليها .

ثالثا - النواحي الصحية :

من الحقائق المسلم بها أن خلو اى مجتمع من الأمراض المعدية دليل على توفر عامل من العوامل المساعدة على زيادة عدد سكانه .

لذا فقد ارتبط عدد سكان مكة المكرمة ، وحجاج بيت الله الحرام زيادة ونقصانا بقدر ماتوفر فيها من أمن صحي . ويمكن تلمس بعض المظاهر الصحية بمكة فيما يلي :

ففي القرن الأول للهجرة وبالتحديد عقب دخول سيل وادى ابراهيم المسجد الحرام سنة ٨٤ هـ / ٧٠٣م ، أصاب الناس مرض شديد في أجسادهم وألسنتهم يشبه الخبل (٣) .

---

(١) د. سليمان مالكي : المرجع السابق ، ص ٨٨ ، السيد أحمد أبو الفضل عوض الله : المرجع السابق ، ص ١٣٧.

(٢) سورة قريش .

(٣) أبو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ، ج ٢ ص ١٧٠ ، عمر بن فهد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١١١-١١٢ ، تقي الدين الفاسي: شفاء الغرام ، ج ٢ ص ٢٦٢.

وفي سنة ١٧٤ هـ / ٧٩٠ م ، حصل بمكة وباء ،مما جعل هارون الرشيد يبطىء في دخولها[١] . كما حصلت بمكة أوبئة أخرى منها في سنة ٦٧٠ هـ / ١٢٧١م ، وزادت حدتها في السنة التي بعدها، إلى أن بلغ الأمر بأن وصفها بعض المؤرخين بأنها " فناء عظيم " حيث بلغ عدد الموتى في بعض الأيام من ٢٢ - ٥٠ ميتا [٢] . ومنها في سنة ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م [٣] ، وسنة ٧٩٣ هـ / ١٣٩٠ م ، حيث بلغ عدد الموتى في بعض الأيام نحو ٤٠ ميتا [٤]، وسنة ٨١٧ هـ / ١٤١٤ م ،قدر عدد الموتى في بعض الأيام من سبعة إلى بضع وعشرين ميتا [٥] .

وفي سنة ٩٦٨ هـ / ١٥٦٠م،انتشر مرض الجدري بين غالب سكان مكة والوافدين إليها ،سواء كانوا من الرجال أو النساء أو الأطفال وأخذوا في الاستلقاء على جوانب الطرق والحارات ، وكان يموت في كل يوم من هذه الأجناس أعدادا لاحصر لها ، وبلغ الأمر - من كثرة الموتى - أن كان يحمل كل شخصين أو أكثر في نعش واحد ، كما حصل في سنة ٩٧١ هـ / ١٥٦٣م انتشار الأمراض بين معظم سكان مكة [٦] .

---

(١) أبوجعفر محمد بن جرير الطبرى : تاريخ الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم ، جـ ٨ ص ٢٣٩ ، دار سويدان بيروت - لبنان ، عمر بن فهد : المرجع السابق، جـ ٢ ص ٢٢٦.

(٢) تقي الدين الفاسي : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٧٢ ،عمر بن فهد : المصدر السابق ،جـ ٣ ص ١٠٢.

(٣) تقي الدين الفاسي : المصدر السابق ،جـ ٢ ص ٢٧٣.

(٤) المصدر السابق ، جـ٢ ص ٢٧٣-٢٧٤ ، عمر بن فهد : المصدر السابق جـ ٣ ص ٣٨٠ .

(٥) تقي الدين الفاسي : المصدر السابق ،جـ ٢ ص ٢٧٧.

(٦) عبدالقادر بن محمد بن عبدالقادر بن ابراهيم الأنصارى الجزيرى الحنبلي من أهل القرن العاشر الهجرى : الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، أعده للنشر حمد الجاسر ، جـ ٢ ص ١٠٠٨-١٠٠٩ ، ١١٥٥ ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر - الرياض - المملكة العربية السعودية .

أما وصف حالة مكة المكرمة الصحية في نهاية العصر العثماني فقد أشارت مجلة المنار ، إلى وقوع مرض يشبه الطاعون في حج سنة ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧م ، وانتشر هذا المرض في مكة وجده سنة ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م ، مما حدا بالسلطات المصرية ،إلى أخذ الاحتياطات اللازمة ،لمنع انتقال عدوى هذا المرض من الحجاز إلى مصر ، ثم أخذ مجلس النظار بمصر يبحث أهم السبل لمنع الحجاج المصريين من دخول الأراضي الحجازية ،لأداء فريضة الحج ، واجتمع المجلس بكبار علماء مصر في ذلك الوقت الذين أفتوا بعدم أحقية أى إنسان في منع الحجاج من أداء ركن الحج(١) .

ونتيجة لذلك فإن اشاعة مثل هذه الأخبار بين الناس ،ونشرها عبر وسائل الإعلام آنذاك كفيلة بأن تؤثر على البعض وتجعلهم يؤجلون حجهم إلى وقت آخر يأمنون فيه على أنفسهم من الوقوع في عدوى المرض ومن ذلك يمكن القول بأن إحصائية عدد الحجاج التى ذكرت لعام ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧م (٢) جاءت قليلة نظرا لما ذكر عن وجود مرض معدى بجدة ومكة المكرمة .

ويبدو أن الحالة الصحية قد تحسنت في مكة وجدة سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م، ويوضح ذلك مانشرته مجلة المنار في تلك السنة عن ذلك ،فقد ورد بها مانصه " الاذن بالحج لمسلمي الجزائر ، قرأنا في جريدة المبشر الغراء ، وهي الجريدة الرسمية لولاية الجزائر ، الصادرة في ٢١ رمضان أن والي الجزائر العام ، أصدر إذنه في (١١) يناير لمسلمي الجزائر بالحج بناء على أن الحالة الصحية في النواحي الشرقية تحسنت وأن المحجر الصحي في الطور بلغ درجة مرضية . ولاشك أنه سيتلو هذا

---

(١) مجلة المنار ، عدد شوال سنة ١٣١٦ هـ ، ص ١٦ ، عدد ٦ ذى القعدة سنة ١٣١٦ هـ ، المجلد الثاني ، ص ٣٠-٣١ .

(٢) راجع ماسبق ص ٥١ .

الإذن إذن آخر لمسلميتونس ، لأن العلة في المنع الرسمي واحدة ، وبذلك تدحض حجة الذين يقولون أن فرنسا تمنع رعاياها ، ومن تحت حمايتها من المسلمين من أداء الحج ، بباعث التعصب الديني ، وقصد محو الشعائر الاسلامية "(١) .

أما في سنة ١٣٢٠ هـ / ١٩٠٢م ، فقد زادت حدة وجود الوباء المعدى بمكة المكرمة وجدة، إلى أن بلغ الأمر بحكومة الجزائر وتونس منع حجاجها المسلمين من دخول الأراضي الحجازية ، بينما واجهت ذلك الأمر حكومة مصر ،بإلزام كل حاج يريد الذهاب لأداء مناسك الحج أن يدفع خمسين أو سبعين جنيها للحكومة ، كأمانة يصرف منها لعلاجه ، إذا أصيب بالمرض وترد عليه في حالة خلوه من عدوى المرض، مما أثار ضجة بين شعب مصر، ودفع بعض الكتاب إلى الطلب من الحكومة تخفيف المبلغ المفروض .

ويتضح ذلك مما نشرته مجلة المنار فيعددها الصادر في (١٦) شوال سنة ١٣٢٠ هـ ، تحت عنوان : " الحج هذا العام (١٣٢٠هـ) ، أمرت حكومة تونس وحكومة الجزائر الفرنسية،بمنع الحج في هذا العام ، لئلا يحمل الحجاج من بلاد الحجاز جراثيم الوباء الموهوم إلى بلادهم...وأرادت حكومة مصر ، أن لايحج في هذا العام إلا الأغنياء القادرين على الاحتياطات الصحية اذا نزل البلاء ، ووقع الوباء ، واحتيج إلى النفقة الواسعة، فأمرت بالزام كل من يريد الحج بدفع خمسين أو سبعين جنيها للحكومة تكون أمانة عندها تنفق عليه منها ماتنفقه بقدر الحاجة ،وترد عليه مايبقى بعد عودته إذا عاد وبقي من المال بقية ،وضمنت الحكومة للحجاج القيام بجميع شئونهم في السفر ، وقد استكثر الناس هذا القدر من المال واعتقد الأكثرون أن الغرض منه التنفير من الحج والتمهيد لمنعه، ولذلك

---

(١) مجلة المنار : عدد غرة شوال سنة ١٣١٨ هـ ، المجلد الثالث ، ص ٨٥٥.

طلب مجلس الشورى من الحكومة ،أن تنقص منه فلم تقبل ، والناس في استياء عظيم من جراء ذلك "(١) .

وقد علق على ذلك أحد كتاب مجلة المنار بقوله " أما نحن الذين لايهمنا إلا تسهيل سبيل الحج لأنه عبادة الله تعالى - ونحن دعاة دين لادعاة سياسة - فلم ينقطع أملنا من سموّ الأمير ومن حكومته لأننا نعلم أنهم لم يأمروا بما أمروا به ليصدوا الناس عن سبيل الله ، كيف وحكومة مصر لاتقاس بحكومة إسلامية أخرى كحكومة تونس مثلاً ،لأن أكبر شرف لها عند المسلمين أنها تسير ركبا مخصوصاً للحج ،وتقدم كسوة الكعبة ، فهي مساهمة للدولة العليا في خدمة الحرمين الشريفين ، وهي جارة البلاد المقدسة ، فحكومة عزيز مصر لايسهل عليها أن يخدش هذا الشرف أو ينقصه ،ولكنها أمرت بما أمرت به لتمنع الفقراء عن الحج خوفا عليهم وعلى البلاد في هذا العام ،فاذا لاحظت الآن أن الاغنياء قلما يحجون ، لأنهم مشغولون بتمتعهم وهم أحرص الناس على الحياة ، وأن الخير في جميع الامم إنما يكون غالبا في الطبقة المتوسطة ، وأن أهل هذه الطبقة هم أقرب إلى الصحة من الأغنياء ، لقلة الإسراف وقلة الوهم والوسواس ، ولكن يثقل على الأكثرين منهم أن يعطي أحدهم الحكومة خمسين جنيها أو سبعين غير ما يأخذه معه ومايتركه لأهله وعياله من النفقة - وإذا لاحظت مع هذا أيضا أن الأمة كلها مستاءة من ثقل هذه الفريضة وتشكو منها وتطلب تخفيفها وكل الحكومات العادلة والدستورية تحترم الرأى العام - فلاغرو أن يأمر مولانا أعزه الله ،باجتماع مجلس النظار ، ثم يصدرون أمرا آخر بتخفيف مافرض أولا إلى نصفه مثلاً والنسخ معهود في الشرائع السماوية وفي القوانين الوضعية بالأولى .

---

(١) مجلة المنار : عدد الخميس (١٦) شوال سنة ١٣٢٠ هـ ، المجلد الخامس ، ص ٧٩١-٧٩٢ .

يجب أن يكون الأمير وحكومته محل الرجاء وغاية مانرجو من حضرة المحتلين أن لايعارضوا في مثل هذا الامر الديني وماكانوا معارضين. إذا كان غرض الحكومة أن يكون ركب الحج في هذا العام، مؤلفا من أهل اليسار ، فما كان أجدر الموسرين بالانتظام في هذا السلك الدرّي، الذي لافرق بين درره ولآلئه، ونخص بالذكر المترفين ، الذين يؤخرون الحج لما يكون فيه من الزحام وقلة العناية بالنظافة لصعوبتها ، مع كثرة السواد من الفقراء .

ولو هزت الأريحية الاسلامية، بعض النظار إلى الحج لكان فيمن يحج في هذا العام، أسوة حسنة لكثير من الأغنياء ، ولكان أجره بذلك عند الله مضاعفاً ، ومقامه في نفوس المصريين رفيعاً مشرفاً ، وإذا لم يبادر عدد كبير من الأغنياء إلى الحج لإحياء شعائره، وحفظ شرف مصر الديني فلاسلام على الأغنياء، ولازادهم الغنى إلا تعاسة "[1] .

رابعا: النواحي الأمنية :

ذكر عبدالكريم القطبي المتوفى سنة ١٠١٤ هـ / ١٦٠٥م أن من أسباب زيادة عدد سكان مكة المكرمة ، وحجاج بيت الله الحرام توفر الأمن فيها ، ووصف لنا حالتها الأمنية في عهده بقوله : " وهي الآن بحمد الله تعالى في دولة السلطان الأعظم السلطان مراد خان ومولانا السيد الشريف الحسن بن أبي نمي عامرة ، كثيرة البيوت والمساكن"[2].

ونتيجة لذلك فإن المتتبع لتاريخ مكة المكرمة يلحظ وجود علاقة بين عدد سكانها وما يحدث بها من اضطرابات وفتن كما يلحظ وجود نفس العلاقة بين عدد حجاجها ومايواجهونه في دروبهم، من متاعب وقطاع طرق .

---

(١) المرجع السابق ، المجلد الخامس ص ٧٩٣-٧٩٤.

(٢) عبدالكريم القطبي : المصدر السابق ، ص ٣٠.

فكلما اضطرب الأمن ، سواء في دروب الحجيج أو في مكة المشرفة ، نقص عدد سكانها وحجاجها .

ويمكن معرفة ذلك بذكر الأمثلة التالية :

١- اعتداء بعض الأعراب على قوافل الحجاج :

لاشك أن توفير الحماية لقوافل الحجاج المتجهة إلى مكة المشرفة عبر دروبهم [١] المختلفة ، له دور كبير في زيادة عددهم [٢] ، وعليه فقد اهتم حكام المسلمين بتوفير هذه الحماية عبر عصورهم المختلفة .

إلا أنه كان يحدث في بعض السنين أن تطغى قوة قطاع الطرق من الأعراب على قوة رجال أمن القوافل مما يؤدى إلى نهب الحجاج وقتلهم ، وأخذ نسائهم، وأطفالهم ، ومنعهم من الحج لسنين مختلفة .

ومن ذلك أن أباطاهر القرمطي اعترض قافلة حجاج العراق ، في محرم سنة ٣١٢ هـ / ٩٢٤م ، وهم في طريق عودتهم من مكة إلى العراق ، بأسر أميرهم وقتل أعداد كبيرة من الرجال ونهب الأموال وأخذ النساء والأطفال مما أدى إلى خوف كثير من مسلمي العراق وخراسان وامتناعهم عن الحج لسنين مختلفة [٣] .

٢ - النزاع بين زعماء المسلمين بقصد السيطرة على مكة المكرمة :

نرى صور هذا النزاع في عهود مختلفة ، ففي عهد الخليفة الأموى يزيد بن معاوية بعث بعض جيوشه إلى مكة المشرفة ، للقضاء على منافسه في الخلافة عبد الله بن الزبير ، والسيطرة على المدينة ، وبلغ الأمر في سنة ٦٤ هـ / ٦٨٣م أن نصب قائد جيش يزيد بن معاوية الحصين بن نمير ، المنجنيق على أخشبي مكة المشرفة ، ورماها بالنفط والحجارة ، إلى أن احترقت كسوة الكعبة وتصدعت حيطانها ، وانتهت هذه المعركة بوصول

---

(١) عن وصف دروب الحجيج انظر سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، الطبعة الاولى ١٤٠١ هـ/١٩٨١م ، الناشر تهامة .

(٢) محمد سعيد فارسي : التكوين المعمارى والحضرى لمدن الحج بالمملكة العربية السعودية ، ص ٣٦ ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ/١٩٨٤م ، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع ، جدة ، المملكة العربية السعودية .

(٣) عمر بن محمد بن فهد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٦٩-٣٧٤ .

خبر موت يزيد بن معاوية ، ورجوع الجيش المحاصر مكة إلى الشام [(١)] .

وبعد أن استتب الأمر للأمويين بالعراق والشام ومصر ، سار خليفتهم عبدالملك بن مروان على نهج سياسة يزيد بن معاوية ، فسيّر جيشا إلى مكة المكرمة سنة ٧٢ هـ / ٦٩١ م بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي ، الذى نصب المنجنيق على جبل أبي قبيس سنة ٧٣ هـ / ٦٩٢م، وأخذ يقذف عبدالله بن الزبير ومن تحصن معه بجوار الكعبة بالحجارة والنفط إلى أن قتل عبدالله بن الزبير ، وصار أمر مكة للأمويين [(٢)] .

كذلك سيّر أحمد بن طولون جيشا إلى مكة سنة ٢٦٩ هـ / ٨٨٢م، بقصد القضاء على حكم العباسيين بها ، وبسط سلطانه عليها ، مما أدى إلى مقتل الكثير من أهل مكة [(٣)] .

٣- الحروب والفتن بين الأشراف على تولي منصب أمارة مكة المكرمة :

ففي سنة ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م قام الشريف حسن بن قتادة بن ادريس بقتل عمه وأبيه من أجل تولي منصب أُمارة مكة ، وتلا ذلك وقوع الفتنة بينه وبين أخيه الشريف راجح ، الذى أخذ يقطع طريق الحجاج بين مكة وعرفة ، ولجأ إلى صاحب اليمن المسعود يوسف بن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب ، الذى خرج معه في جيش قاتل به - الشريف حسن بن قتادة ببطن مكة بالمسعى بين الصفا والمروة ، مما أدى إلى هروب

---

(١) أبوجعفر محمد بن جرير الطبرى : المصدر السابق ، ج ٥ ص ٣٤٣-٣٤٥ ، ٤٩٦-٥٠٣ ، عمر بن محمد بن فهد : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٥٨ - ٦٤، ٤٩-٥٣، د. حسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ج ١ ص ٤١٤ ، الطبعة السابعة ١٩٦٤م، الناشر: مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .

(٢) أبوجعفر محمد بن جرير الطبرى : المصدر السابق ، ج ٦ ص ١٧٤-١٧٥ ، ١٨٧ ، عمر بن محمد بن فهد: المصدر السابق ، ج ٢ ص ٨٧-٩٩، د. حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، ج ١ ص ٤١٤ .

(٣) أبوجعفر محمد بن جرير الطبرى : المصدر السابق ، ج ٩ ص ٦٥٢-٦٥٣ ، عمر بن محمد بن فهد: المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٤٣-٣٤٤ ، أحمد السباعي : المرجع السابق ، ص ١٦٦ .

الشريف حسن وانتهاك حرمة بيت الله الحرام ، ونهب سكانه ، إلى أن بلغ بهم الأمر نزع الثياب عن الناس (١) .

وفي ربيع الأول سنة ٦٥٢ هـ / ١٢٥٤ م ، أخرج غانم بن راجح والده من مكة بلا قتال ، وأقام بها إلى شوال ، فجاء الشريفان أبونمي محمد بن أبي سعد حسن بن على بن قتادة ، وعم أبيه إدريس بن قتادة ، وأخذا مكة من غانم بعد قتال ، وتلا ذلك حصول فتن عظيمة بمكة ، انتهت بمقتل الشريف إدريس على يد الشريف أبي نمي (٢). ولقد أدى ذلك الصراع إلى قلة أعداد الحجاج في الأعوام التالية لذلك حيث ذكر ابن فهد في سياقه لحوادث سنة ٦٥٥ هـ / ١٢٥٧م أنه " لم يحج من الآفاق ركب سوى حجاج الحجاز "(٣) .

...

(١) عمر بن محمد بن فهد : المصدر السابق ، ج ٣ ص ٢٦-٣٤.
(٢) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٧٦ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٩٣ - ١٠٠
(٣) المصدر السابق ، ج ٣ ص ٧٩.

٥ - عناية المسلمين بمنشآت المياه فيما قبل العصر العثماني :

اتخذت أساليب المسلمين في العناية بتوفير المياه بمكة المكرمة والمشاعر المقدسة ، صورا مختلفة من المنشآت، كالآبار والعيون وقنواتها والبرك، والأسبلة والحمامات، والمطاهر (الميضآت)، والسدود ومجارى تصريف المياه ، ويمكن التعرف على هذه العناية بدراسة كل نوع من أنواع هذه المنشآت على حده .

أولاً - الآبار :

كانت تغذى مكة المكرمة ، والمشاعر المقدسة ، قبيل الإسلام، مجموعة آبار ، إلى جانب بئر زمزم منها : بئر كرادم ، العجول ، خم ، بذر، شفيه ، السنبلة ، أم حردان ، رمرم ، الغمر ، السيره ، الروا ، ميمون ، السقيا ، الثريا ، النقع ، سجله ، طوى ، الجفر ، ام عجلان ، العلوق، الطوي ، حويطب ، خالصة ، زهير(١) .

ولما تم فتح مكة ، اهتم الرسول صلى الله عليه وسلم بتوفير المياه فيها ، وعلى هذا النهج سار الخلفاء الراشدون ، ومن أتى بعدهم من المسلمين (٢) .

---

(١) أبو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٤-٢٢٤ ، أبو عبد الله محمد بن اسحاق الفاكهي : المصدر السابق، ج ٤ ، ص ٩٦-١١٤ ، كما أشار إلى بعض هذه الآبار تقي الدين الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ج ١ ، ص ٣٤٠-٣٤٦ ، د. سليمان مالكي : المرجع السابق ، ص ١٣٠ -١٣٢ .

(٢) أبو الحسن البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٥٤ ، ٦٢-٦٣ ، مراجعة وتعليق: رضوان محمد رضوان ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ابو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٥٨ ، ٦٠ ، ٢٢٤-٢٢٧ ، د. سليمان مالكي : المرجع السابق ، ص ١٣٢ ، ملك خياط : السيدة زبيدة ودورها السياسي والعمراني ، ص ٢٠٢ ، بحث قدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي بجامعة أم القرى ، عام ١٤٠١-١٤٠٢هـ .

ونظرا لما لبئر زمزم من الأهمية في قلوب المسلمين جميعاً ، وأنها أولبئر بمكة ، فسأبدأ بها الحديث :

أ - بئر زمزم :

سبق لنا معرفة العلاقة بين نشأة مدينة مكة المكرمة ، وظهور ماء زمزم الذى جذب الناس للاستيطان حوله (١) . لكن هذه البئر أخذت تندثر شيئا فشيئا ، إلى أن خفي مكانها على أهل مكة ، نتيجة لتأثير بعض عوامل الطبيعة كالسيول وغيرها عبر العصور. ثم بوّأ الله سبحانه وتعالى لعبدالمطلب بن هاشم ، جد النبي صلى اللهعليه وسلم مكانها ،فحفرها ،وأظهر ماءها (٢) .

ولما جاء الاسلام ، إهتم المسلمون بأمر بئر زمزم ، سيما بعد أن أقر الرسول صلىالله عليه وسلم ، عمه العباس بن عبدالمطلب على سقاية الناس والحاج منها (٣) .

وقد ظهرت صور هذا الاهتمام بتنظيفها ،وإنشاء بناء عليها،يمكن عن طريقه تسهيلالحصول على الماء ، هذا فضلا عن تهيئة المكان الملائم لجلوس المشرف عليها،والعمل علىزيادة حفر البئر وتعميقها (٤) .

---

(١) انظر ص ٣٠ من هذا البحث .

(٢) أبوالوليدالازرقي : المصدر السابق ،ج ٢ ، ص ٤١-٤٦ ،يحيى حمزه كوشك : المرجع السابق ، ص١٨ ، محمدحسين هيكل : حياة محمد ص ١١٦-١١٧ ، الطبعة الخامسةعشرة ، مكتبة النهضة المصرية .

(٣) أبوالوليد الأزرقي : المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٦٧ ، ج ٢ ص ٥٥ - ٥٦ ، ٥٨ ، يحيي حمزه كوشك : المرجع السابق ،ص ٢٢ .

(٤) أبوالوليد الأزرقي : المصدر السابق ،ج ٢ ، ص ٦٠ ، ١٠٠-١٠٤، أبوعبدالله محمد بن اسحاق الفاكهي : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٦٦ ، ٧٠ ، ٧٤ ، ٨٢ .

فقد أشار الفاكهي إلى أول من اهتم بنزح ماء بئر زمزم وتنظيفها في الإسلام بقوله : " إن إنسانا وقع في زمزم ، فمات فأمر ابن عباس رضي الله عنهما ، أن تسد عيونها وأن تنزح "(١) .

هذا وقد كان عبدالله بن عباس رضي الله عنه، يجلس لسقاية الحاج، عند ركن بئر زمزم الذى يلي الصفا ، ثم أقيمت في ذلك الموضع قبة على يد سليمان بن على بن عبدالله بن عباس ، في عهد أمير مكة خالد القسرى وخليفة المسلمين سليمان بن عبدالملك سنة ٩٦ هـ / ٧١٤م (٢) .

وفي عهد خلفاء بني العباس ظهر اهتمامٌ كبيرٌ بهذه البئر، يتجلى فيما يلي :

ففي عهد أبي جعفر المنصور (١٣٦ - ١٥٨هـ / ٧٥٤ - ٧٧٥ م)، فرشت أرض مبنى بئر زمزم بالرخام وعُمِلَ لها شبك وجُدِّدَت قبتها ،وفي عهد أمير المؤمنين المهدى (١٥٨ - ١٦٩ هـ / ٧٧٥ - ٧٨٥ م)، جدد ماعلى بئر زمزم من أبنية وزيد في حفرها (٣) .

كما زيد في تعميق البئر أيضا في عهد خلافة كل من هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣ هـ / ٨٧٦ - ٨٠٩ م)،وابنه محمد الأمين (١٩٣ - ١٩٨ هـ/٨٠٨-٨١٣م)، وجدد ماعلى البئر من أبنية ، في خلافة المعتصم بالله سنة ٢٢٠ هـ/ ٨٣٥م ،وسقفت بخشب الساج المذهب (٤) .

---

(١) المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٦٦.
(٢) أبو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ،جـ ٢ ص ٦٠ ، محمد بن اسحاق الفاكهي : المصدر السابق ،جـ ٢ ،ص ٧٠ ،عمر بن فهد: المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٢٩.
(٣) أبو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ،جـ ٢ ص ٦٠-٦١ ،محمد بن اسحاق الفاكهي : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٧٤-٧٥ ،حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ،جـ ٢ ص ٢٧ ، ٤٠.
(٤) أبو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ،جـ ٢ ،ص ٦٠ - ٦١ ، ١٠١-١٠٢،محمد ابن اسحاق الفاكهي : المصدر السابق،جـ ٢ ص ٧٤-٧٥ ،حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ،جـ ٢ ص ٥٠ ، ٦٣.

ويلاحظ أن مياه بئرزمزم قد قلّت بشكل كبير في سنة ٢٢٣هـ / ٨٣٧ م ، وسنة ٢٢٤ هـ / ٨٣٨م، حيث وصف لنا ذلك الأزرقي بقوله : " ثم كان قد قل ماؤها جداً حتى كانت تجم في سنة ثلاث وعشرين وأربع وعشرين ومائتين ... حتى كان رجل يقال له محمد بن مشير من أهل الطائف يعمل فيها ، فقال: أنا صليت في قعرها " ؛ الأمر الذى دفع محمد بن الضحّاك خليفة عمر بن فرج الرُخّجي الذى كان على بريد مكة، بحفرها تسعة أذرع في دائر أجزاء البئر ، ولكن المياه لم تكثر إلا بعد أن أذن الله سبحانه وتعالى بهطول الأمطار التي أكثرت من مياه السيول سنة ٢٢٥هـ/ ٨٣٩م (١) .

وفي عهد أمير مكة فليتة بن قاسم (٥١٨هـ-٥٢٧هـ / ١١٢٤-١١٣٢م)(٢) ، ورد إلى البلد أحد الأعاجم ذى الملك والثراء ، فرأى فوهة بئر زمزم والبناء الذى كان عليها على صفة لم يرضها ، فعرض على أمير مكة رغبته في بناء دائر فوهة البئر والبناء عليه وتجديد قبته ، وطلب منه أن يعين لذلك العمل رجلا يثق فيه ، ويتحمل جميع نفقات ذلك مدة سير العمل ، ثم بعدها يحصل الأمير على جميع ما أنفق ومثله جزاء لعمله ، وبعد إنجاز البناء وتمامه ، رحل الأعجمي خفية دون أن يدفع شيئا لأمير مكة (٣) .

كما أشار الفاسي (ت ٨٣٢ هـ / ١٤٢٨م) إلى حصول تجديدات في مبنى بئر زمزم قبل عصره ، إلا أنه لم يستطع تحديد تاريخ ذلك ، وذكر لنا تاريخ الإنتهاء من تجديد عمارة مبنى بئر زمزم الذى حدث في عصره سنة

---

(١) أبو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ،ج ٢ ص ٦١ ، محمد بن اسحاق الفاكهي : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٧٤-٧٥.

(٢) عزالدين بن عبدالعزيز بن عمر بن فهد (٨٥٠-٩٢٢هـ) : غاية المرام بأخبار سلطنة بلدالله الحرام ،ج١ ص ٥١٨، ٥٢٠-٥٢١ ، ٥٣٨ ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، الطبعة الاولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ،مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى .

(٣) ابن جبير (٥٣٩هـ - ٦١٤هـ) : رحلة ابن جبير، ص ١٠٤-١٠٥ ، دار بيروت للطباعة والنشر ،بيروت ،١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ،محمد طاهر الكردى: المرجع السابق ، ج ٢ ص ٨٠.

٨٢٢ هـ / ١٤١٩ م (١) .

ب - بقية الآبـــــار :

لم تقتصر عناية المسلمين بالآبار عند حد بئر زمزم فحسب ، وإنمـــــا شملت هذه العناية بقية الآبار في مكة والمشاعر ،وهذا ماسنعرض لــــــه فيما يلي :

حفر أبوبكر الصديق رضي الله عنه في خلافته (١١-١٣ هـ / ٦٣١ - ٦٣٤م) بئر الياقوتة بمنى ، ثم حفر أبوموسى الأشعرى بئرا عند الحجون نسبت إليـــه ، وعمر عبدالله بن الزبير بئر السقيا عند مأزمي عرفات ،وبئرا بقعيقعان (٢).

وقد أشار الأزرقي والفاكهي إلى مجموعة من الآبار الاسلامية منهــــا : بئر شوذب ، محرّش ، البرود ، بكار ، وردان ، الصلاصل ، عمرو ، الشركـــاء ، عكرمة ، الطلوب ، معاوية بن أبي سفيان ، عبدالله بن عامر ، المرتفع (٣).

ويظهر أن المياه بمكة المكرمة ،كانت قليلة سنة ٨٨هـ / ٧٠٦م ،فقـــد أشار إلى ذلك الطبرى بقوله : " وحج بالناس في هذه السنة عمر بـــــن عبدالعزيز ... فلما كان بالتنعيم لقيهم نفر من قريش ... فأخبروه أن مكـــة قليلة الماء وأنهم يخافون على الحاج العطش وذلك أن المطر قل " (٤) .

---

(١) تقي الدين الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ،جـ ١ ،ص ٢٤٩-٢٥٠.

(٢) أبو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ،جـ ٢ ص ١٨٥ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٨٣ ، أبوعبدالله محمد بن اسحاق الفاكهي : المصدر السابـــق ، جـ ٤ ص ١١٤-١١٩.
المأزمان : مثنى مأزم ، وهو الطريق الضيق بين الجبلين ونحـــوه ، وهو طريق يأتي المزدلفة من جهة عرفه ، عاتق بن غيث البلادى : معالـم مكة التاريخية والأثرية ، ص ٢٤١.

(٣) أبو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٢٤-٢٢٧، أبوعبد اللــه محمد بن اسحاق الفاكهي : المصدر السابق ،جـ ٤ ص ١١٤-١١٩.

(٤) أبوجعفر محمد بن جرير الطبرى : المصدر السابق ،جـ ٦ ،ص ٤٣٧-٤٣٨ ، عمر بن فهد : المصدر السابق ،جـ ٢ ص ١١٤.

ونتيجة لذلك حفر الوليد بن عبدالملك ، بئراً بالثنيتين: ثنية الحجون ، وثنية طوى ، وكان ينقل ماؤها فيوضع في حوض من أدم (جلد) إلى جوار زمزم (١) .

كما ينسب لأمير مكة أبي العباس عبدالله في ولايته من سنة (١٣٢ - ١٣٣ هـ / ٧٤٩ - ٧٥٠ م) بناء بئرٍ عليها قبة في التنعيم (٢).

وفي النصف الأول من القرن الثاني للهجرة عمّر سليمان بن مهران بئرين في الشرائع ، كما اتضح ذلك من خلال نقش كتابي قام بدراسته محمد الفعر (٣) .

وأثناء عمل أمير المؤمنين المهدى في توسعة المسجد الحرام سنة ١٦٧ هـ / ٧٨٣ م ، ردمت بئر قصي بن كلاب ، وأدخل موضعها في المسجد ، فحفر عوضاً عنها بئراً بقرب المسجد الحرام (٤) .

وفي سنة ٢١٧ هـ / ٨٣٢ م، أمر أميرمكة جعفر بن محمد بن سليمان بن عبدالله بن علي العباسي بحفر بئر بأجياد الصغير(٥) .

---

(١) أبوجعفر محمد بن جرير الطبرى : المصدر السابق ،ج ٦ ص ٤٤٠،عمر بن فهد: المرجع السابق ،ج ٢ ص ١١٤.

(٢) أبوالوليد الأزرقي: المصدر السابق ،ج ٢ ، ص ٢٠٩ ، تقي الدين الفاسي : المصدر السابق ، ج ٢ ص ١٧٦.

(٣) محمد فهد عبدالله الفعر : تطور الكتابات والنقوش في الحجاز منذ فجر الاسلام حتى منتصف القرن السابع الهجرى ، ص ١٩٧-١٩٨، الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤م ، تهامة ،جدة ، المملكة العربية السعودية .

(٤) عمر بن فهد : المصدر السابق ،ج ٢ ص ٢١٨.

(٥) أبوالوليد الأزرقي : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢٩١ ، تقي الدين الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٣ ص ٤٣١، عمر بن فهد : المصدر السابق ،ج٣ ص ٢٨٩.

وعمل بغا الكبير أبوموسى ، أحد قادة جيوش خلفاء بني العباس في النصف الأول من القرن الثالث الهجرى [١]، على اعادة بناء بئر ابي موسى الأشعرى بعد اندثارها ، وبناها بناءاً محكماء وزاد فيحفرها حتى أنبط ماءها . وحوالي سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م، حفر الوزير على بن عيسى بئرا عظيمة فيالحناطين ، فخرجت عذبة شروبا وسماها الجراحية [٣] .

كما اهتم الخليفة العباسي المقتدر بالله ، ووالدته شغب بعمارة بعض آبار مكة المكرمة [٤]، فعمّرا سنة ٣٠٢ هـ / ٩١٤م بعض آبار الزاهر حيث يتضح ذلك من خلال نقش كتابي قرأه الفاسي وذكر مانصه " ومنها السبيل المعروف بسبيل الجوخي ... ورأيت فيه حجراً ملقى مكتوب فيه إن المقتدر العباسي ووالدته أمر ابعمارة هذه السقاية والآبار التي وراءها وتصدقا بها وفيه : أن ذلك سنة اثنتين وثلاثمائة" [٥] ، اضافة إلى أنه ينسب للمقتدر

---

(١) أبوجعفر محمد بن جرير الطبرى : المصدر السابق ،ج ٩ ، ص ١٤ ، ٢٣ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٤٠ ، ٢٥٨ . اشار الطبرى فيعرضه لحوادث سنة ٢١٠ هـ إلى ذكر بغا الكبير وذكر دوره العظيم في إخماد ثورة الأعراب في المدينة سنة ٢٣٠ هـ وأنه حج في هذه السنة والتى بعدها وتوفي سنة ٢٤٨ هـ ،مما يحتمل معه قيامه باعادة حفر بئر أبي موسى في عامي حجه . المـ السابق ،ج ٨ ص ٦٠٩ ، ج ٩ ص ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٤٠ ، ٢٥٨.

(٢) أبوالوليد الأزرقي : المصدر السابق ،ج ٢ ص ٢٧٢.

(٣) آدممتز : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى أو عصر النهضة في الاسلام ، تعريب محمد عبدالهادى أبوريدة ،ج ٢ ص ٢٧٦، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ، دارالكتاب العربي . ببيروت .
تقع الحناطين عند سوق الحزورة شمال المسجد الحرام . أبوالوليد الأزرقي : المصدر السابق ،ج ٢ ص ٢٩٤.

(٤) تقيالدين الفاسي : شفاء الغرام بأخبارالبلد الحرام ،ج ١ ص ٣٤٥-٣٤٦، عمر بن فهد : المصدر السابق ج ٢ ص ٣٦٣.

(٥) تقي الدين الفاسي : المصدرالسابق ،ج ١ ص ٣٣٩ ، ٣٤٦ .

حفر بئرين من آبار العسيلة [١] كما نسب إلى والدته حفر بعض الآبار .

وفي سنة ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م عمّرت زوجة تقي الدين بن صلاح الدين يوسف بن أيوب بئرا برباط الدمشقية ، ثم تبع ذلك ما قام به المظفر صاحب اربل [٢] بعمارة بعض الآبار بمكة وعرفة ، منها بئر ميمون [٣] سنة ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م وثلاث آبار بعرفه ، منها بئران سنة ٦٠٥هـ / ١٢٠٨م [٤] وبئر في سنة ٦٠٧ هـ / ١٢١٠ م ، كشفت عنها أعمال لجنة عين زبيدة بعرفات سنة ١٣٤٦ هـ / ١٣٢٧ م ، حيث عثرت على آثار بئر قديمة في جبل الرحمة ، فرفع العمال الأتربة والحجارة الموجودة فيه ، فظهر آثار ماء . وكانت هذه البئر منقورة بين الصخور ، قُدّر قطرها بسبعة أمتار ، وعمقها ٢٣ م ، ووجد بين الأتربة حجر منقوش عليه ما نصه :

---

(١) العسيلة المذكورة هنا اسم لموضع في أعلا مكة ، بالقرب من اعلام نجد ، المرجع السابق، ج ١ ص ٣٤٥-٣٤٦، تقي الدين الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج١ ص ١٢٥ .

(٢) هو كوكبرى ابوسعيد بن أبي الحسن على بن بكتكين بن محمد الملقب الملك المعظم ويكنى بمظفر الدين . ولد بالموصل سنة ٥٤٩ هـ، وتولى اربل سنة ٥٦٣ هـ ، ثم عزل عنها لصغر سنه ، ثم رجع لحكمها بموافقة صلاح الدين الايوبي سنة ٥٨٦ هـ .
انظر ابو العباس احمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق احسان عباس ، ج ٣ ص ٢٧٠-٢٧٢ ، دار صادر - بيروت ، هذا ولم يقف دور المظفر على عمارة الآبار بل إهتم أيضا بأمر عيون مكة . انظر ص ٨٨ من هذا البحث .

(٣) لتحديد موقع البئر انظر ص ٣٨٨ من هذا البحث . وخارطة رقم (١٧)

(٤) تقي الدين الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ج ١ ص ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٥ ، تقي الدين الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٧ ص ١٠٠-١٠١ ، عمر بن فهد : المصدر السابق ج ٣ ص ٦ ، ٨ .

" بسم الله الرحمن الرحيم

أدام الله مولانا الامام الناصر لدين الله أمير المؤمنين أمر الأمير الاصفهسلار الكبير مظفر الدين بن زين الدين ، رضي الله عنه ،بابداع هذه البئر في موقف عرفة ومهبط الرحمة ، منهلا لحاج بيت الله الحرام، ومسبلا محبساً على كافة المسلمين عامة ، ابتغاء رضاة [(١)] الله تعالى وطلبا للثواب ، في أيام عدل مولانا الامير الشريف أمير الحرمين عزالدين أبي عزيز بن إدريس بن مطاعن الحسني خلد الله ملكه ، والمتولي علىعمارة البئر العبد الفقير الىالله تعالى عمر بن ابراهيم بن خلكان غفر الله له وعبدالعزيز بن أبي بكر الأربلي وقمر الدين الحلبي في سنة سبعة وستمائة "[(٢)] ٠

وينسب للملك المنصور صاحب اليمن [(٣)] بئر الزاكية جهة التنعيم، ولزوجته بئر أم الحمام التي عمرّتها سنة ٦٤٥ هـ / ١٢٤٧م[(٤)] ٠ وفي سنة ٧٥٨ هـ / ١٣٥٦ م، عمّر الأمير شيخون العمرى الناصرى ، أحد كبار رجال الدولة في مصر،بئرين بمكة هما بئر آدم وبئر النجار المعروفة ببئر المعلم ، التي عمرّها بعده الأمير جركتمر الماردينى ، صاحب الحُجّاب بالقاهرة ، ومقدم العساكر بمكة سنة ٧٦١ هـ / ١٣٥٩م [(٥)] ٠

ومما ينسب لجهود المسلمين في سبيل توفير المياه لأهل مكة ،وحجاج بيت الله الحرام أيضا ، ماقام به الأمير قُطْلُوبك أحد أمراء مصر،

---

(١) وردت هكذا وصحتها (مرضاة) ٠

(٢) محمد طاهر الكردى : المرجع السابق ، جـ ٦ ص٥٨ ، مكتبة النهضة الحديثة بمكة ٠

(٣) عمل الملك المنصور صاحب اليمن علىتولى أمر مكة بنفسه سنة ٦٣٥ هـ ، ٦٣٩هـ ٠ انظر تقي الدين الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلدالحرام ،جـ ٢ ص ٢٠٠-٢٠١٠

(٤) المصدر السابق ،جـ١ ص٣٤٥ ، ٣٤٦٠

(٥) المصدر السابق ،جـ ١ ص ٣٤٣ ،عمر بنفهد : المصدر السابق،جـ ٣ ص ٣٧٢٠

الذى جدّد أحد آبار العسيلة بعد اندثارها سنة ٧٩٢ هـ / ١٣٨٩م [١]، وما عمله الشهاب بركوت بن عبدالله المكين [٢] الذى عمّر بئرا في الموضع المسمى خرابة قريش [٣]، وما عمله العفيف الهبي سفير الملك الأشرف صاحب اليمن الذىعمّر بئراً قرب باب الشبيكة [٤] ، وما عمله القائد زين الدين شكر ، مولى الشريف حسن بن عجلان ، الذى عمّر بئراً بأسفل مكة [٥] .

وفي سنة ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩م ، تم حفر بئر إلى جوار مسجد الخيف بمنى لإيصال مائها إلى السبيل المجاور للمسجد [٦] .

---

(١) تقي الدين الفاسي : المصدر السابق ،ج ١ ص ٣٤٦ ،عمر بن فهد : المصدر السابق ،ج ٣ ص ٣٧٨ .

(٢) الشهاب بركوت المكين كان أحد قواد أمير مكة حسن بن عجلان. انظر عبد الملك بن حسين العصامي (١٠٤٩ -١١١١ هـ): سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ،ج ٤ ص ٣٥ ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، كما ينسب للشهاب بركوت عمارة سبيل سنة ٨٠٨ هـ، وبعض البرك بمكة . انظر ص ٩٥،١٠٦من هذا البحث .

(٣) تقي الدين الفاسي : المصدر السابق ،ج ١ ص ٣٤٢.

(٤) تقي الدين الفاسي :العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ،ج ٤ ص ٩٢ ، ١٠٦ ، تقي الدين الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ج ١ ص ٣٤٢.

(٥) في سنة ٨١٥ هـ بعث الشريف حسن بن عجلان قائده زين الدين شكر في مهمة إلى اليمن ، انظر تقي الدين الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٤ ص ١١٣ ، تقي الدين الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ،ج ١ ص ٣٤٢.

(٦) عمر بن فهد : اتحاف الورى بأخبار أم القرى ج ٤ ،تحقيق عبد الكريم علي عبد الكريم الباز ، ص ٣٨٨ ، ٣٩٦ ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

ثانيا : جلب مياه العيون عبر القنوات وإنشاء البرك :

إذا كان عصرُ الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين قد اقتصر في توفير الماء لأهل مكة وحجاج بيت الله الحرام على العناية بالآبار وتعميرها ، فقد تطور الأمر مع بداية ظهور العصر الأموي إلى إنشاء قنوات خاصة تحمل مياه بعض عيون من حرم مكة إلى بركها . ثم تطور الأمر بعد ذلك في العصر العباسي ، عندما عملت السيدة زبيدة (زوجة هارون الرشيد) على جلب مياه عيون من خارج حرم مكة إلى داخل المدينة وتيسر لها إيصال ماء عين حنين ، عبر قناة تغذيها عيون أخرى إلى داخل البلد ، كما تيسر لها إيصال ماء عين عرفه من وادى نعمان إلى عرفة ، ثم منه إلى منطقة العزيزية ، عند موضع يطلق عليه بئر زبيدة (١) ، التي أوقفت العمل عندها ، لوجود منطقة صخرية حالت دون إيصال ماء هذه العين إلى مكة . وتلا ذلك محاولات لإيصال ماء هذه العين إلى مكة في سنتى ٢٤٦ هـ / ٨٦٠ م ، ٤٦٦ هـ / ١٠٧٣ م ، غير أن هذه المحاولات لم تنجح حتى جاء العصر العثماني الذى تم فيه التغلب على المنطقة الصخرية ، وإيصال ماء عين عرفه من بئر زبيدة إلى داخل مكة المكرمة .

ويتضح من هذا أن السيدة زبيدة قد هدفت من اجراء ماء عين حنين إلى توفير الماء لسكان مكة ، وحجاج بيت الله الحرام بها . أما بالنسبة لماء عين عرفه ، فإنها أرادت بها تحقيق هدفين ، أحدهما : إيصال الماء إلى عرفة ، والآخر: توجيه الماء الفائض من عرفه إلى داخل مكة ، بيد أنها لم تستطع تحقيق هدفها الثاني .

---

(١) تقع بئر زبيدة شمال شرق حديقة الطفل بالعزيزية الآن .

ولإلقاء مزيد من الضوء على أعمال المسلمين لجلب مياه العيون إلى مكة المكرمة والمشاعر المقدسة يمكننا أن نتتبع ذلك على الوجه التالي :-

عمل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في خلافته (٤٠-٦٠ هـ / ٦٦٠ - ٦٨٠ م) [١]، على توفير المياه لمكة ، بأن استفاد من مياه العيون الواقعة في حرمها ، والتي كانت تغذى بعض المزارع في ذلك الحرم، فأجراها لمصلحة عموم المسلمين ، وهذه المزارع هي : حائط الحمام (موقعه الآن بالجعفرية) ، وحائط الصفي (موقعه الآن بالقرب من ثنية اذاخر والخرمانية) ، وحائط عوف (موقعه الآن بالقرب من الحجون) وحائط مورش (موقعه الآن شعب الخواز المشرف على جبل حراء) ، حائط خرمان (موقعه الآن أمام القصر الملكي في الموضع الذى به أمانة العاصمة اليوم) ، حائط مقيصره (يرجح أن موقعها الآن بالقرب من بئر ميمون على طريق منى) ، حائط حراء (يشرف عليه جبل حراء) ، حائط ابن طارق (بالمسفلة الآن)، حائط فخ (الشهداء اليوم)، حائط بلدح (مابين الشهداء والشميسي) [٢] .

كما أشار الأزرقي إلى أنه أضيفت إلى عيون معاوية التى أجراها في حرم مكة ، عيون أخرى ، ذكر منها عينا بحائط ابن العاص وعينا بحائط سفيان ، إلا أنه لم يذكر لنا اسم الشخص الذى عمل ذلك أو تاريخ هذا العمل [٣] .

---

(١) د. حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، ج ٢ ص ٢٧٦.

(٢) أبو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢٧-٢٣٠ ، وتعليق المحقق في حواشي تلك الصفحات ، محمد عبدالله مليبارى: المنتقى في أخبار ، حاشية المحقق رقم (١) ص ٦٠ ، ٦١ ، مطابع الصفا بمكة المكرمة عام ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م .

(٣) أبو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢٣٠.

أما عن أسلوب إيصال مياه هذه العيون إلى مكة، فمن المرجح أن ذلك كان ببناء قنوات ، على غرار ماشاهده معاوية في دمشق ،ونفذه بالمدينة المنورة .(١)

أما من حيث توفير المياه للحجاج بعرفة ، فقد ذكر الفاكهي أن عبدالله بن عامر بن كريز (ت ٥٩ هـ / ٦٧٨ م)،يعتبر أول من اتخذ سبعة حياض بعرفة وأجرى إليها الماء(٢) . أما عن السنة التى تمّ فيها ذلك ، فلم أجد ضمن المصادر التي اطلعت عليها ذكراً لذلك ، بيد أنه بدراسة حياة عبدالله بن عامر ، بن كريز ، نجد أنّه تولّى إمارة البصرة مرتين ، كانت الأولى في خلافة عثمان بنعفان ، رضي الله عنه سنة ٢٩ هـ / ٦٤٩ م ، وكانت الثانية في خلافة معاوية، رضي اللهعنه ،من سنة ٤٠ - ٤٣ هـ / ٦٦٠- ٦٦٣ م ، ثم أقام بالمدينةوومات بعرفه سنة ٥٩ هـ / ٦٧٨ م(٣) ، مما يحتمل معه قيامه بمشروع إيصال الماء،إلى حياضه بعرفه في الفترة من سنة ٤٣-٥٩ هـ / ٦٦٣-٦٧٨م.

ولنا أن نتساءل من أين أتى عبدالله بن عامر بن كريز بالماء وكيف أوصله إلى عرفه ؟

لم تزودنا النصوص التى بين أيدينا بإجابة عن ذلك ، بيد أننا نجد فيإشارات بعض المؤرخين ذكراً لموقع بستان ابنعامر ، على أنه بوادى

---

(١) تقي الدين الفاسي : المصدر السابق ، ج ٢ ملحق رقم (٣)، ص ٤٣٠.

(٢) ابوعبدالله محمد بن اسحاق الفاكهي : المصدر السابق ،ج ٥ ص ٤٢.

(٣) تقيالدين الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ،ج ٥ ص ١٨٦-١٨٧ ، عمر بن فهد : المصدر السابق ،ج ٢ ص ٤٣ ، عبدالحي الكتاني : نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الادارية ، ج ٢ ص ١٠٣ ،خير الدينالزركلي : الأعلام ،ج ٤ ص ٢٢٨، الطبعة الثانية .

عرنه بالقرب من عرفه [1]، مما يحتمل معه إيصال الماء من بستانه هذا عبرقنوات إلىعرفه .

أما من حيث توفير المياه للحجاج في مزدلفة ، فإن عبدالله بن الزبير قد اهتم ببناء برك بها [2] ، ولكن ليس بين أيدينا من النصوص مايجلى الحقيقة عن مصدر ماء هذه البرك أكان من عيون أم من آبار !.

أما توفير المياه لمكة ، فقد سبقت الإشارة إلى أن سكانها ،وحجاج بيت الله الحرام ، واجهوا الكثير من الصعاب ، بسبب قلة المياه سنة ٨٨ هـ / ٧٠٦ م ، مما دفع الوليد بن عبدالملك ، إلىتكليف عامله على مكة بأن يحفر بها بئراً [3]، لكن يبدو أن مشكلةنقص المياه لم تحل بذلك الإجراء ،مما دفع سليمان بن عبدالملك إلى تكليف عامله على مكة ، خالد بن عبدالله القسرى سنة ٩٣ هـ / ٧١١ م ، بإجراء مياه عين الثقبة وإيصالها إلى داخل المسجد الحرام ، بجوار زمزم . وقد نفذ ذلك خالد القسرى ، ببناء بركة بفم الثقبة ، أجرى مياهها عبر قصب من رصاص إلى أن وصلت المياه في فسقية من رخام ، بين بئرزمزم والركن والمقام، ثم وجه الفائض من ماء تلك الفسقية،عبر سرب من رصاص إلى بركة للوضوء، عند باب الصفا [4] .

---

(١) ابوعبدالله محمد بن اسحاق الفاكهي : المصدر السابق ،ج ٥ حاشية رقم(١) ص ٤٢ ، ابوالوليد الأزرقي : المصدرالسابق،ج ٢ حاشية رقم(٤) ص ٢٣٠ ، وحاشية رقم (١) ص ٢٨٠ ، محمد عبدالله مليبارى المرجع السابق ،من كتاب ابن طهير القرشي : الجامع اللطيف ص ١١٥.

(٢) ابوعبدالله محمد بن اسحاق الفاكهي : المصدر السابق ،ج ٤ ص ١٢٠.

(٣) انظر ص ٦٨ من هذا البحث .

(٤) ابوالوليد الأزرقي : المصدر السابق ،ج ٢ ص ١٠٧-١٠٩ ،وحاشية المحقق في تلك الصفحات، تقي الدين الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ،ج ٢ ص ٢٤٢ ،عمر بن فهد : المصدر السابق ،ج ٢ ص ١٢٣-١٢٤.

ولما آلت الخلافة إلى بني العباس ، تأسوا بجدهم العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ، الذى كانت بيده السقاية ، فعملوا على توفير المياه لسكان مكة المكرمة ، وحجاج بيت الله الحرام ، بما يتناسب وعظمة دولتهم في ذلك الوقت ، فجلبوا مياه العيون عبر القنوات ، وأنشأوا لها البرك وتعهدوها بالإصلاح والترميم .

فقد لحظ هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣ هـ / ٨٧٦ - ٨٠٩م) انقطاع عيون معاوية بن أبي سفيان ، رضي الله عنه ، التي أجراها بمكة ، فأمر بإحياء بعضها وصرفها في قناة عين يقال لها الرشا ، ثم أوصل مياه هذه العيون إلى بركة تنسب إليه بالمعلاه ، ثم سير منها الماء إلى بركة عند المسجد الحرام [١] .

لكن يبدو أن ماقام به الرشيد لم يؤد هدفه المنشود ، فقد أشار الأزرقي إلى هذا بقوله : " ثم كان الناس بعد إنقطاع هذه العيون ، في شدة من الماء ، وكان أهل مكة ، والحاج ، يلقون في ذلك المشقة ، حتى أن الراويه لتبلغ في الموسم عشرة دراهم وأكثر وأقل الماء" [٢] .

فلما بلغ هذا الأمر مسامع زبيدة [٣] زوجة هارون الرشيد ، أمرت ببناء بركة بمكة ، وجلبت إليها مياه عين من دخل حرم مكة ، إلا أن ماءها كان قليلاً ، ولم يف باحتياجات السكان ، وحينئذ أمرت زبيدة جماعة من المهندسين ، باجراء مياه عيون الحل إلى مكة ، على الرغم من أن

---

(١) ابو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢٣٠ ، تقي الدين الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ج ١ ص ٣٤٦ .

(٢) ابو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢٣٠-٢٣١ .

(٣) اسمها أمة العزيز بنت جعفر بن المنصور ، زوجة الرشيد وأم ولده الأمين ، كان جدها المنصور يرقصها في طفولتها ويقول يازبيدة أنت زبيدة فغلب ذلك على اسمها ، أنشأت الكثير من البرك والآبار ومنشآت أخرى بطريق الحج العراقي ، حتى سمي الطريق باسمها ، توفيت سنة ٢١٦ هـ . انظر خير الدين الزركلي : المرجع السابق ، ج ٣ ص ٧٣ .

الناس في ذلك الوقت قالوا لها إن مياه الحل لاتدخل الحرم ، لأنها تمر بمرتفعات وجبال تمنعها ، بيد أنها أصرت على عملها ، وبعثت بأموال عظيمة لأجل ذلك الهدف (١) .

ويمكننا القول بأن أعمال زبيدة لتوفير المياه من الحل قد أخذت طريقين،هما : - عين حنين وعين عرفه .

أ- عين حنين : اتجه المهندسون والعمال إلى منطقة حنين التي اشترت زبيدة بساتينها ، فأبطلوها وأنشأوا موضع ذلك سداً ، لاجتماع السيول المغذية بمياهها لتلك المنطقة، ثم جلبوا مياه عيون تلك البساتين ، عبر القنوات إلى مكة ، وغذوا القناة بمجموعة من الروافد منها عين المشاش وعيوناً أخرى داخل حرم مكة ، فضلاً عن اتخاذهم لمجموعة من البرك ، التي تجمع مياه السيول ، وتغذى بها قناة عين حنين (٢) .

ومما تجدر الإشارة إليه أن المهندسين والعمال واجهوا أثناء عملهم جبلاً منعهم من إيصال الماء إلى مكة ، عند ثنية خل الواقعة على حدود حرم مكة بالقرب من أعلام نجد ، لكن إصرار زبيدة على إنجاز مشروعها ،وما بذلته من أموال ، ساعد على تخطى ذلك الأمر الصعب ، وتم لها ما أرادت(٣).

---

(١) أبو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ،ج ٢ ص ٢٣١ ، ملك محمد الخياط : المرجع السابق ، ص ٢٠٤-٢٠٦.

(٢) ابو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ،ج ٢ ص ٢٣١ ،تقي الدين الفاسي: المصدر السابق ،ج ١ ص ٣٤٦ ،عمر بن فهد : المصدر السابق،ج ٢ ص ٢٤٨ - ٢٤٩ ،وكذلك انظر الدراسة العمارية ص[٣٢٤]من هذه الرسالة.

(٣) أبو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ،ج ٢ ص ٢٣١ ،وحاشية المحقق رقم(٢) بنفس الصفحة ،تقي الدين الفاسي : المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٤٧ ،عمر بن فهد : المصدر السابق ،ج ٢ ص ٢٤٩ ، وحاشية المحقق رقم(١) بنفس الصفحة، عاتق بن غيث البلادى : معالم مكة التاريخية والأثرية ،ص ٩٥.

ويصف لنا الأزرقي ذلك بقوله : " فلم تزل تعمل فيها حتى بلغت ثنية خل فاذا الماء لايظهر (لايعلوا) في ذلك الجبل فأمرت بالجبل فضرب فيه (شق الجبل) ،وأنفقت في ذلك من الأموال مالم يكن تطيب به نفس كثير من الناس ، حتى أجراها الله عز وجل لها "(١) .

ويمكن إدراك أهمية أعمال زبيدة في إيصالمياه الحل إلى الحرم بما أثبتته الأبحاث الحديثة من وجود فواصل طبيعية تمنع مياه الحل من دخول الحرم ، عند أعلام حدود مكة من جميع الجهات (٢) . وقد أكدت هذه الأبحاث صحة ماذكره الأزرقي عن معاناة المهندسين والعمال، في شق جبل خل ، لإيصال المياه منخلاله إلى مكة . وقد ذكر المؤرخون أن ماصرفته زبيدة في سبيلإيصال مياه عين حنين إلى مكة ،قدر بألف ألف وسبعمائة ألف دينار ذهبا (٣) .

أما تاريخ السنة التي أُنشئت فيها هذه الأعمال ،فقد حددها لنا الأزرقي بعام ١٩٤ هـ / ٨٠٩م (٤) ، وأكد ذلك الفاكهي بقراءته لنقش كتابى على بركة زبيدة التي بالمعلاه هذا نصه :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وصلى الله على محمد عبده ورسوله بركة من الله مما أمرت به أم جعفر بنت أبي الفضل جعفر ابن أمير المؤمنين المنصور - رضي الله عن أمير المؤمنين - بإجراء هذه العيون سقاية لحجاج بيت الله وأهل حرمه ،

---

(١) ابو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢٣١ .
(٢) معراج نواب مرزا: المرجع السابق ، ص ٨-١٣.
(٣) ابو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى (ت ٣٤٦هـ) : مروج الذهب ومعادن الجوهر ،ج ٤ ص ٣١٧ ،تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، الطبعة الخامسة ١٣٩٣ هـ ، دار الفكر ، تقي الدين الفاسي: المصدر السابق ،ج ١ ص ٣٤٧ ، قطب الدين الحنفي : المرجع السابق ،ص ٢٨١.
(٤) ابو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ،ج ٢ ص ٢٣١.

طلب ثواب الله وقُربة إليه على يدي ياسر خادمها ومولاها سنة - ١٩٤- أربع وتسعين ومائة "(١) .

ب - عين عرفـــه :

أشار المؤرخ قطب الدين الحنفي (ت ٩٩٠هـ) ومن أتى بعده من المؤرخين المعاصرين(٢)، إلى أن من أعمال السيدة زبيدة لخدمة حجاج بيت الله الحرام ، إجراء مياه عين نعمان في قناة إلى جبل الرحمة بعرفة ثم من هناك إلى جبل خلف المأزمين ، ثم منه إلى مزدلفة ،ثم تسير القناة إلى أن تصل إلى جبل خلف منى ،فتصب عند ذلك في بئر عظيمة مطوية تسمى بئر زبيدة (٣) .

وعلى الرغم من أن مصادر تاريخ مكة ، مثل كتاب " أخبار مكة " لأبي الوليد الأزرقي ، وكتاب " أخبار مكة " لأبي عبدالله محمد بن اسحاق الفاكهي ،وكتاب " شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام " لتقي الدين الفاسي ،وكتاب " اتحاف الورى بأخبار أم القرى " لعمر بن فهد، وكتب التاريخ العام مثل كتاب "تاريخ الأمم والملوك " لأبي جعفر محمد بن جرير الطبرى ، وكتاب " مروج الذهب ومعادن الجوهر " للمسعودى لم تشر إلى أن زبيدة أجرت مياه عين عرفه من وادى نعمان إلى بئر زبيدة الواقعة بالعزيزية اليوم ، إلا أنه وردت اشارة في كتاب " العقد الثمين " للفاسي هذا نصها : " زبيدة بنت أبي الفضل جعفر بن أبي جعفر

---

(١) ابوعبدالله محمد بن اسحاق الفاكهي : المصدر السابق ،ج ٣ ص ١٥٥.
(٢) مثل السيد محمد الزواوى : بغية الراغبين وقرة عين اهل البلد الأمين فيما يتعلق بعين الجوهرة السيدة زبيدة ام الأمين ، ص ٦-٧، الطبعة الأولى ١٣٣٠ هـ ، المطبعة الخيرية لصاحبها السيد عمر الخشاب ، عبدالقادر ملا فلندر : الخلاصة المفيدة لأحوال عين زبيدة، ص ٥-٦ ، مطبعة ام القرى مكة ،ملك خياط : المرجع السابق ،ص١٩٨، ٢٠٨-٢١٠.
(٣) قطب الدين الحنفي : المرجع السابق ، ص ٢٨٢-٢٨٣.

المنصور ... عظمت عنايتها بإجراء الماء إلى مكة ... ووجدت بخط بعض المؤرخين أنها اهتمت بحفر الأعين بعرفه ومنى ومكة "(١) . وهذا النص يجعلنا نرجح أن المؤرخ قطب الدين الحنفي ،قد اعتمد في نقل أخبار عناية السيدة زبيدة بإجراء ماء نعمان إلى عرفه ، ومنها إلى بئر زبيدة على مصادر تاريخية ،لم أستطع الوصول إليها .

عناية المسلمين بجلب مياه العيون إلى عرفه ومكة :

وفي سنة ٢١٠ هـ / ٨٢٥ م ، لحظ أمير مكة صالح بن العباس مايعانيه بعض سكان مكة من مشقة في سبيل الحصول على الماء ، من بركة زبيدة التي بالمعلاة ، فكتب إلى أمير المؤمنين المأمون يستأذنه في حل هذه المشكلة ، ببناء بعض البرك في مناطق مختلفة من البلد ، وإيصال ماء بركة زبيدة إليها ، كي يتمكن جميع السكان من الحصول على الماء من المواضع القريبة منهم(٢) .

وعلى ذلك صدر أمر أمير المؤمنين المأمون لعامله بمكة صالح بن العباس ببناء خمس برك في مواضع مختلفة من مكة ، وقد أشار إلى ذلك الأزرقي بقوله : " ثم أمر أمير المؤمنين المأمون صالح بن العباس سنة عشرة ومايتين أن يتخذ له بركاً في السوق خمساً لئلا يتعنى أهل أسفل مكة والثنية وأجيادين والوسط إلى بركة أم جعفر ، فأجرى عينا (قناة) من بركة أم جعفر من فضل مائها في عين تسكب في بركة البطحاء عند شعب إبن يوسف في وجه دار ابن يوسف (يطلق عليه اليوم شعب علي) ، ثم يمضي

---

(١) تقي الدين الفاسي : العقد الثمين في تأريخ البلد الأمين ، ج ٨ ، ص ٢٣٧.

(٢) ابوعبدالله محمد بن اسحاق الفاكهي : المصدر السابق ،ج٣ ص ١٥٥ ، تقي الدين الفاسي : المصدر السابق ، ج ٥ ص ٢٨ ، عمر بن فهد : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢٨٤ ، السيد محمد الزواوي : المرجع السابق ، ص ٨-٩.

إلىبركة عند الحناظين (بجانب باب ابراهيم) ، ثم يمضى إلى بركة بفوهة سكة الثنية دون دار أويس (يحتمل أن يكون موقعها الآن في الموضع المسمى بالسوق الصغير) ، ثم يمضى إلى بركة عند سوق الحطب بأسفل مكة (الهجلة اليوم) ، ثم يمضي في سرب ذلك إلى ماجل أبي صلاية (الموضع الذى يطلق عليه في الوقت الحاضر بركة ماجل بقرب موقف السيارات المتكرر) ، ثم إلى الماجلين اللذين في حايط ابن طارق بأسفل مكة ، وكان صالح بن العباس لما فرغ منها ركب بوجوه الناس إليها ، فوقف عليها حين جرى فيها الماء ونحر عند كل بركة جزوراً وقسم لحمها على الناس" (١) .

ولما بلغ ذلك الأمر زبيدة ، اغتمت نفسها لأنها تمنت أن تكون هي التى عملت ذلك ، وحجت في سنة ٢١١ هـ/ ٨٢٦ م ،وقابلت أمير مكة في ذلك الوقت صالح بن العباس ولامته بقولها " هلاّ كتبت إلي حتى أسأل أمير المؤمنين أن يجعل ذلك إليّ ، فأقوم بالنفقة فيها كما أنفقت في البركة التي عملتها حتى أستتم مانويت في أهل حرم الله " فاعتذر لها صالح من ذلك . ثم عملت بعض الأعمال العمارية في بركتها التي بالمعلاه (٢) .

---

(١) ابو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ،ج ٢ ص ٢٣٢ ، وحواشي المحقق رقم (٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨) في نفس الصفحة ، محمدعبدالله مليبارى : المرجع السابق ، ص ٦٢ ، وحواشي المحقق رقم(١، ٢، ٣) تقي الدين الفاسي : المصدر السابق ،ج ٥ ص ٢٨ ، عمر بن فهد: المصدر السابق ،ج ٢ ص ٢٨٤-٢٨٥.

(٢) أبوعبدالله محمد بن اسحاق الفاكهي : المصدر السابق ،ج٣ ص ١٥٤ ، تقي الدين الفاسي : المصدر السابق ،ج ٥ ، ص ٢٨ ، عمر بن فهد: المصدر السابق ،ج ٢ ص ٢٨ ، السيد محمد الزواوى : المرجع السابق ، ص ٨-٩ .

يظهر مما سبق أن المشروعات التي نفذت ،كان لها أثرها الكبير في توفير المياه لسكان مكة ، وحجاج بيت الله الحرام ،لكن يبدو أن هذه الوفرة في الماء لم تستمر طويلاً ، فقد حصل في سنة ٢٢٨ هـ/ ٨٤٢ م ، نقص كبير في كمية المياه بالمدينة إلى درجة أن بيعت راوية الماء بأربعين درهماً[١] ، إضافة إلى أن السيل الذى اجتاح مكة المكرمة سنة ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م أدى إلى دمار بعض البرك ، وأثر على حياة السكان، مما جعل كلاً من أمير مكة ، وصاحب البريد ، وحجبة بيت الله الحرام يكتبون إلى أمير المؤمنين، المتوكل على الله ، بما أصابهم ،ويحذرون من عاقبة إهمال إصلاح ماخربه السيل ، لسكان بيت الله الحرام،فاستجاب أمير المؤمنين لمطلبهم ،وبعث لهم برجل من صناعه اسمه اسحاق بن أبي سلمة الصايغ ، وهو شيخ له معرفة بالصناعات ، وبعث معه مجموعة من الصناع ، الذين اختارهم الشيخ ، وانتهوا من إعادة بناء البرك في سنة ٢٤١ هـ / ٨٥٥ م[٢]. ولم يكتف اسحاق بن أبي سلمه بذلك بل عمل في نفس السنة أيضا على بناء بركة الحصحاص (بين الشهداء والتنعيم) وصرف إليها ماء فخ ، إلا أن استمرار المائها لم يدم طويلا ، حيث وصفها الفاكهي (من علماء القرن الثالث الهجرى) بأن بناءها قائم في عهده لكن ليس بها ماء[٣] .

---

(١) ابوجعفر محمد بن جرير الطبرى : المصدر السابق ،ج ٩ ص ١٢٤ ، عمر بن فهد : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢٩٨.

(٢) أبو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ج ١ ص ٢٩٨-٣٠٣ ، عمر بن فهد : المصدر السابق ،ج ٢ ص ٣٠٤-٣٠٦ ، ٣١٧.

(٣) أبوعبدالله محمد بن اسحاق الفاكهي : المصدر السابق ،ج ٣ ص ١٥٦، محمد عبدالله مليبارى : المرجع السابق ،ص ٦٣ ،وحاشية المحقق رقم (١) بنفس الصفحة .

وفي سنة ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م أرتفع سعر الماء بمكة على إثر انقطاع مياه عين حنين ، فبعثت أم المتوكل بأموال لإصلاحها [١] . لكن يبدو أن مشكلة نقص المياه كانت لاتزال قائمة في السنة التى بعدها، حيث يلحظ في سنة ٢٤٦ هـ / ٨٦٠م أن أم المتوكل تبرعت بمبلغ مائة الف دينار لاجراء المياه من عرفة إلى مكة [٢] .

ولعل في ضخامة هذا المبلغ مايشير إلى حرص أم المتوكل على جلب المياه من عين عرفة إلى مكة ،ومعرفتها للصعاب التي تعترض وصول هذه المياه إليها ، إلا أن محاولة إيصال هذه المياه إلى مكة باءت بالفشل ولم يتم التغلب على ذلك إلا في العصر العثماني كما سنرى فيما بعد [٣].

كما حدث في سنة ٢٥١ هـ / ٨٦٥م نقص في كمية المياه التي كانت ترد مكة عبر القنوات من عين حنين والعيون المغذية لقناتها،فقد أشار الطبرى في سياق حديثه عن حوادث تلك السنة ،إلى استيلاء أحد الخارجيين على أموال أرسلت لإصلاح عين مكة فقال : " وفيها ظهر إسماعيل بن يوسف ... بمكة وأخذ ماكان حمل لإصلاح العين من المال " [٤] .

وفي سنة ٢٦٨ هـ / ٨٨١ م أثرت الإضطرابات التي وقعت بين أمير مكة من قبل العباسيين هارون بن محمد الهاشمي ، وبين أحد الخارجين عليه في نقص المياه بالمدينة ، فقد قام هذا المتمرد بتدمير عين المشاش وقطع مائها عن مكة [٥].

---

(١) ابوجعفر محمد بن جرير الطبرى : المصدر السابق ،ج ٩ ص ٢١٢-٢١٣ ، عمر بن فهد : المصدر السابق ،ج ٢ ص ٣٢٤.

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٢٥-٣٢٦.

(٣) انظر ص [١٤٧] من هذا البحث .

(٤) ابوجعفر محمد بن جرير الطبرى : المصدر السابق،ج ٩ ص ٣٤٦ ،تقي الدين الفاسي : المصدر السابق ،ج ٣ ص ٣١١-٣١٢ ،تقي الدين الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام،ج ٢ ص ١٨٦ ، عمر بن فهد: المصدر السابق ج ٢ ص ٣٢٩.

(٥) تقي الدين الفاسي : المصدر السابق ،ج ٢ ص ٢٧٠ ،عمر بن فهد: المصدر السابق ، ج ٢ ص ٣٤٢.

وفي سنة ٢٩٥ هـ / ٩٠٧ م ، أصاب الناس أثناء نفرتهم من عرفة عطش شديد لقلة المياه ، مما أدى إلى موت جماعة منهم ، وبلغ الأمر ببعض الحجاج أن أخذ في شرب بوله لندرة الماء (١) . إلا أن هذا لم يستمر طويلاً حيث تطالعنا أخبار والدة أمير المؤمنين المقتدر بالله العباسي ،بأنها عمرت بعض البرك بعرفة ومكة ، وقدذكر الفاسي تاريخ عمارة بعض هذه البرك وهو عام ٣١٥ هـ / ٩٢٧م ، وأيد ذلك بأنه قرأ نقشا كتابيا على أحد برك عرفه ، مضمونه أن والدة المقتدر بالله العباسي أمرت بعمارتها (٢) . وقد نشر محمد الفعر في كتابه " تطور الكتابات والنقوش في الحجاز منذ فجر الإسلام حتى منتصف القرن السابع الهجرى " نقشا كتابيا على أحد الأحجار رجح أنه لوح تأسيسي لعمارة بعض البرك داخل مكة من عمل أمير المؤمنين المقتدر بالله العباسي ووالدته (٣).

وفي النصف الأول من القرن الخامس الهجرى جددت بعض مواضع من قناة عين عرفة ،على يد ابن سلامة أحد أمراء عدن ، ولاحظ ناصر خسرو الذى زار مكة في سنة ٤٥٠ هـ تقريبا ، أن كمية كبيرة من الماء قد انحبست بعرفة نتيجة سوء الحالة العمارية للقناة ،حتى نبتت بها الأشجار وقلت كمية المياه الواردة إلى مناطق قريبة من مكة ، حيث كانت المياه تتجمع في بركة (بئر زبيدة) خارج مكة ، وكان السقاؤون يأخذون منها الماء ،ويذهبون به إلى مكة فيبيعونه (٤) .

---

(١) أبوجعفر محمد بن جرير الطبرى : المصدر السابق ،ج ١٠ ص ١٣٩ ، تقي الدين الفاسي : المصدر السابق ،ج ٢ ص ٢١٨ ،عمر بن فهد : المصدر السابق ج ٢ ص ٣٦٠.

(٢) تقي الدين الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ،ج ١ ص ٣٤٠، ٣٠٣ .

(٣) محمد الفعر : المرجع السابق ، ص ٢٥٦-٢٥٧.

(٤) ناصر خسرو: المصدر السابق ،ص ١٢٣-١٢٤، وحاشية رقم (١)ص ١٢٥.

وفي سنة ٤٦٦ هـ / ١٠٧٣ م ،قدم إلى مكة شخص يدعى ابراهيم بن محمد بن على أبو النصر الفارسي الإسترابادى ، وعمل بمكة الكثير من المآثر الحسنة . كانت من بينها محاولة إجراء الماء من عرفة إلى مكة المشرفة (١) ، لكن محاولته باءت بالفشل لأسباب سوف نعرض لها عند الكلام عن دور العثمانيين في إيصال مياه هذه العين إلى مكة المكرمة (٢).

كما اهتم محمد بن على بن أبي منصور الأصبهاني ، الوزير جمال الدين ابوجعفر المعروف بالجواد (٣)، بجلب الماء إلى عرفة في سنة ٥٥١ هـ / ١١٥٦م أو في السنة التى بعدها (٤) ،حيث أشار الفاسي إلى ذلك بقوله : " وأجرى (الوزير الجواد) الماء إلى عرفات ،وعمل البرك والمصانع ، وأجرى الماء في قنوات ، وكان يعطي أهل مكة كل سنة مالاً عظيما ، ليجروا الماء إلى عرفات "(٥) . وأشار ابن فهد أيضا إلى ذلك بقوله : " وفيها (اى سنة ٥٥١ هـ / ١١٥٦م) أو في التي بعدها جلب الوزير الجواد الماء إلى عرفات ، وقاطع عليه العرب بنى شعبه سكان تلك الناحية المجلوب منها بقطعية من المال كثيرة على ألا يقطعوا الماء عن الحاج "(٦) . فلما توفى الرجل عادوا إلى عادتهم الذميمة في قطع الماء على الحجاج (٧).

---

(١) تقي الدين الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الامين ،ج ٣ ص ٢٦١ ،عمر بن فهد : المصدر السابق ،ج ٢ ص ٤٧٥.

(٢) انظر ص[٤٧] من هذا البحث .

(٣) شغل منصب الوزارة بالموصل وله الكثير من اعمال الخير بمكة والمدينة توفي في رمضان سنة ٥٥٩هـ. انظر ابن جبير: المصدر السابق ص ١٠٢-١٠٤ ،تقي الدين الفاسي : المصدر السابق ،ج ٢ ص ٢١٢-٢١٥ ، وحاشية المحقق رقم(١) ص ٢١٥ ، محمد طاهر الكردى : المرجع السابق ج ٦ ص ٩٨-٩٩.

(٤) عمر بن فهد: المصدر السابق،ج ٢ ص ٥١٨.

(٥) تقي الدين الفاسي : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢١٣.

(٦) عمر بن فهد : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٥١٨.

(٧) ذكر ابن جبير في رحلته ص ١٠٢ أن اسم العرب الذين دفع لهم الوزير الجواد المال كي يحمي الحجاج من شرهم هم العرب " بني شعبة ".

ونتيجة لذلك يمكن القول : بأن تسلط بعض الأعراب على الحجاج في بعض السنين ،لم يقف عند حد قطع الطريق عليهم ونهبهم ، سواء في دروبهم إلى مكة أو في مكة أو في المشاعر ،بل تخطى ذلك إلى التسلط على موارد مياههم في عرفة ، وقطعها عليهم ،بقصد الحصول على المال .

كما قام الخليفة العباسي احمد الناصر لدين الله بعمارة عين عرفة وبركها سنتي ٥٨٣ هـ - ٥٨٤ هـ / ١١٨٧-١١٨٨م ،وسنة ٥٩٤هـ/١١٩٧م ، ويتضح ذلك من خلال ثلاثة نقوش كتابية قراءها ابراهيم رفعت ، ثم تلا ذلك نشر لوحاتها ،ودراستها على يد محمد الفعر(١) ، هذا فضلاً عن اشارة الفاسي وابن فهد إلى عمارة سنة ٥٩٤هـ / ١١٩٧م(٢).

وفي جمادى الآخر سنة ٦١٩ هـ / ١٢٢٢ م ، عمّر نور الدين عمر بن علي بن رسول (المنقع) المعروف ببازان بأمر السلطان صلاح الدين يوسف بن أبي بكر بن ايوب (٣). وعمّر الخليفة العباسي المستنصر بالله عين حنين في سنتي ٦٢٥ هـ / ١٢٢٧م، ٦٣٤ هـ /١٢٣٦ م (٤)، وعين عرفة وبعض بركها في سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م ، وذلك بعد خرابها الذى استمر عشرين سنة(٥) ، وهناك إختلاف بين ابن فهد والفاسي في تحديد السنة التى انجزت فيها

---

(١) ابراهيم رفعت : المصدر السابق ،ج ١ ص ٢١٤-٢١٥ ، محمد الفعر: المرجع السابق ،ص ٣٠٢ - ٣١٨ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠.

(٢) تقي الدين الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ،ج ١ ص ٣٤٠ عمر بن فهد : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٥٦٤.

(٣) المصدر السابق ، ج ٣ ص ٣٧.

(٤) تقي الدين الفاسي : المصدر السابق، ج ١ ص ٣٤٧ ، عمر بن فهد : المصدر السابق ،ج ٣ ص ٤٤ ، ٥٢.

(٥) المصدر السابق ،ج ٣ ص ٥٠ .

أعمال الإصلاح ، فقد ذكر ابن فهد ما نصه : " سنة ثلاثين وستمائة...فيها عمّر الأمير شرف الدين أبو الفضائل والمكارم إقبال بن عبدالله الشرابي المستنصري العباسي [1]... عين عرفة ... وعمّر البرك التي بأرض عرفة بعد تعطيلها وخرابها عشرين سنة ، وكان الفراغ من العمارة وجريان الماء في ذلك في العشر الأخير من ربيع الآخر "[2]

أما الفاسي فقال : "إقبال بن عبدالله المعروف بالشرابي المستنصري العباسي الأمير شرف الدين ... من المآثر التي صنعها بظاهر مكة : عمارة عين عرفة ، والبرك التي بها بعد عطلتها وخرابها عشرين سنة ، وكان انجاز العمارة وجريان الماء في ذلك ، العشر الأخير من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وستمائة . نقلت ماذكرته من عمارته لعين عرفة ، والبرك التي بها ، من حجر رأيته ملقى بعرفه حول جبل الرحمة ، ورأيتُ معنى ذلك مكتوباً في حجر في نصب بركة حول جبل الرحمة ، الآن مدفونة بالتراب "[3] .

مماسبق يلحظ أن هناك اتفاقاً بين ابن فهد والفاسي، في تحديد الشهر الذى أنجزت فيه أعمال العمارة، وهو " العشر الاخير من شهر ربيع الآخر" ، مع الاختلاف في تحديد السنة التي تمّ فيهاذلك ،حيث يفهم من كلام ابن فهد أن العمارة تمّت في سنة ٦٣٠ هـ ، لكن يمكن الأخذ برواية الفاسي الذى أكد ذلك بما رآه مكتوباً على إحدى اللوحات التأسيسية وهو سنة ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م.

---

(١) عمل إقبال الشرابي الكثير من المآثر الحسنة بمكة المكرمة ،وهو من مماليك الخليفة المستنصر العباسي ،وتوفي في سنة ٦٥٣ هـ ، ودفن ببغداد ، تقي الدين الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ،ج ٣ ، ص ٣٢٤ - ٣٢٥.

(٢) عمر بن فهد : المصدر السابق ،ج ٣ ص ٤٩-٥٠.

(٣) تقي الدين الفاسي : المصدر السابق،ج ٣ ص ٣٢٤-٣٢٥.

كما أشار ابن فهد إلى عمارة أخرى جرت لعين عرفة ، في عهد الخليفة المستنصر بالله على يد الأمير شرف الدين إقبال الشرابي الذى وكّل شخصا يدعى الشهاب ريحان لعمارتها في سنة ٦٤١ هـ / ١٢٤٣م [(١)].

وبعد هذه الأعمال العظيمة التي تمت لإجراء المياه إلى مكة المكرمة وعرفة ، في عهد الخليفة المستنصر العباسي ، يمكن التعرف على وصف حال الماء في مكة المكرمة ، كثرة وقلة ، من خلال روايات المؤرخين عن ذلك ، إلى أن أجريت لها عمارة أخرى سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٥م .

ففي سنة ٦٥١ هـ / ١٢٥٣ م بلغت شربة الماء بمكة المكرمة درهما ، ووصفت سنة ٦٩١ هـ / ١٢٩١ م، بأنها قليلة الماء حيث قدر ثمن راوية الماء في هذه السنة بأربعة دنانير وستة عشر مسعوديا [(٢)]، واستمر الحال على ماهو عليه في السنة التي بعدها ، واشتدت الأزمة في شهري شعبان ورمضان سنة ٦٩٣ هـ / ١٢٩٣م ، مما دفع سكان بلد الله الحرام إلى الخروج جهة عرفه والعابدية للاستسقاء منهما ، وظل الحال على ماهو عليه إلى أن حلت بهم رحمة الله سبحانه وتعالى ، بهطول أمطار ملأت بركة السلم ، وبركة سوق الليل [(٣)] . غير أن هذا الحال لم يدم طويلاً أيضاً ، حيث واجه

---

(١) عمر بن فهد : المصدر السابق ، ج ٣ ص ٦٠ .

(٢) الدراهم المسعودية : ينسب ضربها الى الملك المسعود الايوبي بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب ، وكان انتزع مكة من حسن بن قتادة وظل واليا" عليها حتى سنة ٦٢٦ هـ . انظر فهيم محمد شلتوت محقق كتاب عمر بن فهد : المصدر السابق ج ٣ ، حاشية رقم (٢) ص ١٨١ .

(٣) عمر بن فهد : المصدر السابق ، ج ٣ ص ٧٥ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ . تقي الدين أحمد بن علي المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، الجزء ألاول القسم الثالث ص ٨٠٤ ، الطبعة الثانية ١٩٧٠م ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة . بالنسبة لموقع بركتي السلم وسوق الليل أنظر ص [٤١٣ ، ٤١٩ ، ٤٢٠] من هذا البحث .

السكان في سنة ٧٠٧ هـ / ١٣٠٧ م كثير من الصعاب بسبب قلة المياه فقد أخذوا في هذه السنة على حمل الماء إلى مكة من وادى مر ، وقد علل الفاسي سبب ذلك بقلة الأمطار المتساقطة على مكة لسنين متتالية (١) .

ونتيجة لذلك فقد عمل الشيخ دانيال بن على بن سليمان بن محمود اللرستاني أحد كبار شيوخ العجم المجاورين بمكة ، على إجراء ماء عين حنين إليها ، فسافر من أجل هذا الغرض غير مرة إلى بلاد العجم وقابل الأمير جوبان بن تدوان نائب السلطنة بالعراقين (٢)، وحثه على هذا العمل الذى لايقتصر نفعه على سكان مكة وحجاج بيت الله الحرام بصفة عامة، بل سيعود بالنفع أيضاً على حجاج العراق الذين كثرت أعدادهم في هذه السنين ، وشق عليهم قلة الماء بمكة التي بلغت فيها راوية الماء عشرة دراهم مسعودية في الموسم وحوالى ستة إلى سبعة دراهم في غير الموسم . وعلى ذلك فقد أصدر الأمير أمره بإجراء ماء عين حنين إلى مكة ، وتمّ ذلك في سنة ٧٢٦ هـ / ١٣٢٥م على يد بازان رسول الأمير جوبان (٣) .

---

(١) تقي الدين الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ،ج ٢ ص ٢٧٣. وادى مر المقصود هنا هو مر الظهران وادٍ قلما يوجد في أودية الحجاز مثله خصوبة ومياها ،كان فيه ثلاثمائة عين جارية . عاتق بن غيث البلادى: معالم مكة التاريخية والأثرية ، ص ٢٥٨.

(٢) ولي ذلك نيابة عن السلطان ابي سعيد بن خربندا ملك العراقين، ودبر المملكة في ايامه مدة طويلة ، ثم تغير ابوسعيد على جوبان وقتله في سنة ٧٢٨ هـ . انظر تقي الدين الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الامين، ج ٣ ، ص ٤٤٦-٤٤٧ .

(٣) المصدر السابق ، ج٣ ص ٤٤٦-٤٤٧، تقي الدين الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ج١ ص ٣٤٧ ، تقي الدين احمد بن على المقريزى : المصدر السابق ، الجزء الثاني القسم الاول ص ٢٧٤-٢٧٥.

وأشار إلى ذلك ابنفهد بقوله : " فقصد الأمير جوبان عمل خير بمكة، فدله بعض الناس على عين كانت تجرى في القديم ثم تعطلت ،فندب لذلك بعض ثقاته وأعطاه خمسين الف دينار وجهزه في الموسم سنة خمس وعشرين (وسبعمائة)،فلما قضى حجه ... نادى بمكة من أراد العمل في العين فله ثلاثة دراهم في كل يوم ،فهرع إليه العمال ،وخرج بهم إلىالعمل فلم يشق على أحد منهمولا استحثه ، وإنماكانوايعملون باختيارهم، فأتاه جمع كثير من العرب وعمل حتى النساء،إلى أن جرى الماء بمكة بين الصفا والمروة في ثامن عشر جمادىالأولى من هذه السنة (٧٢٦ هـ / ١٣٢٥م) ،وكانت مدة العمل أربعة أشهر ،وكثر النفع بهذه العين وعمّ وعظم ، وصرفه أهل مكة إلى مزارع الخضر ،وكان جملة ماصرف عليها في هذه العمارة مائة الف درهم وخمسين الف درهم"(١).

وقد أشار الفاسي إلى أنه لولا صلاح أكثر من ثلث القناة التي عمّرها الأمير جوبان لتضاعفت المصروفات (٢) .

ولزيادة كمية مياه عين حنين أجرى الملك الناصر محمد بن قلاوون على يد ابن هلال الدولة سنة ٧٢٨ هـ / ١٣٢٧ م،مياه عين جبل ثقبة المقابل لجبل حراء في قناة عين حنين ، بتكلفة قدرت بخمسة آلاف درهم مما أدى إلى وفرة المياه لدرجة أن صرف الزائد منها في أعمال الزراعة بأسفل مكة (٣) .

---

(١) عمر بن فهد : المصدر السابق ،ج ٣ ، ص ١٨١-١٨٢.

(٢) تقي الدين الفاسي : المصدر السابق،ج ١ ص ٣٤٧ ،هذا وينسب للشيخ نجم الدين خليفة بن محمود الكيلاني إمام الحنابلة بالمسجد الحرام مباشرة الكثير من أعمال عمارة العين .انظر تقي الدين الفاسي .العقد الثمين فيتاريخ البلدالأمين ،ج ٤ ص ٢٣٠-٣٢٣،عمر بن فهد: المصدر السابق ،ج ٣ ص ١٨٢-١٨٤.

(٣) تقيالدين الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلدالحرام ،ج ١ ص ٣٤٨-٣٤٩ ،عمر بن فهد المصدر السابق ،ج ٣ ص ١٨٧ ،تقي الدين احمدبن عليالمقريزي : المصدر السابق ، الجزء الثاني القسم الأول ص ٣٠٣، ابراهيم رفعت : المصدر السابق ،ج ١ ص ٢١٦ .

وفي سنة ٧٤٥ هـ / ١٣٤٤م ، عمل الأمير المعروف بآل ملك نائب السلطنة بمصر ، على تجديد عمارة بركة السلم (١) وأجرى إليها ماء عين منى (٢) ، علاوة على تجديد عمارة بركتي المعلاه (٣) .

ونتيجة للسيول التي اجتاحت مكة المشرفة سنة ٧٤٧ هـ / ١٣٤٦م فقد تهدمت بعض مواضع قناة عين حنين التي عُمِّرت سنة ٧٢٦ هـ / ١٣٢٥م وانقطعت مياهها في سنة ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧م (٤) ، فوجّه أولاد الأمير جوبان في شهر ربيع الآخر سنة ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨م شخصا لعمارة ماتهدم من القناة ، بيد أن أمراء مصر لم يوافقوا على ذلك ، وعيّنوا الأمير فارس الدين بن أخت آل ملك لعمارتها ، ورُسم لقاضي القضاة عز الدين بن جماعة جمع الأموال لذلك ، وفي مستهل رجب سنة ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م جمع مبلغ مائتي ألف درهم (٥) ، مما دفع الأمير فارس الدين إلى التوجه صوب مكة المشرفة للقيام بعمارة ماتخرب من القناة ، فنازعه عرب بني شعبة ومنعوه من ذلك في محرم سنة ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩م ، فجمع لهم وقاتلهم ، فقتل منهم جماعة وجرح كثيراً وهزمهم ، وتمكن من إصلاح العين إلى أن جرى ماؤها بقلة (٦) ، فضلاً

---

(١) تقع بركة السلم بطريق منى . انظر الدراسة العمارية ص ٤١٩ ، ٤٢٠ من الرسالة .

(٢) تقي الدين الفاسي : المصدر السابق ، جـ١ ص ٣٤٩ ، عمر بن فهد : المصدر السابق ، جـ٣ ص ٢٢٩ ، الأمير المعروف بآل ملك : كان من أعيان الأمراء بالقاهرة في دولة الناصر محمد بن قلاوون وولي بعده نيابة السلطنة بمصر نحو ستين سنة أو أزيد للملك الصالح اسماعيل . تقي الدين الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، جـ٣ ص ٣٣٠ .

(٣) المصدر السابق ، جـ ٣ ص ٣٣١ .

(٤) عمر بن فهد : المصدر السابق ، جـ ٣ ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

(٥) تقي الدين احمد بن على المقريزى : المصدر السابق ، الجزء الثاني القسم الثالث ، ص ٧٦٦ ، ٧٦٨ .

(٦) عمر بن فهد : المصدر السابق ، جـ٣ ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، تقي الدين احمد بن على المقريزى : المصدر السابق ، الجزء الثاني القسم الثالث ص ٧٩٨ .

عن عمارة بركتي المعلاه [(١)]، ثم سافر إلى مصر وجمع أموالاً من بيت المال، ومن إعانات أودعت لعمارة عين حنين، خصص منها مبلغ عشرة آلاف درهم لعرب بني شعبة برسم أن تكون مقررة لهم في كل سنة كي لا يعتدوا على قنوات المياه، ثم خرج الأمير فارس الدين مع ركب الحاج في شهر شوال سنة ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩م لاستكمال عمارة القناة [(٢)].

وفي سنة ٧٨١ هـ / ١٣٧٩م، بعث الأمير زين الدين بركة العثماني أحد الأمراء لعمارة القنوات المغذية لقناة عين حنين من عين جبل ثقبة [(٣)]، وفي سنة ٧٨٥ هـ / ١٣٨٣ م أُنشئ حوض للسبيل عند باب المعلاه باسم السلطان الظاهر برقوق [(٤)]، وفي سنة ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦م بعث صاحب بنجاله السلطان غياث الدين أعظم شاه إلى أمير مكة الشريف حسن بن عجلان أموالاً لإصلاح عين عرفة [(٥)].

ولم يقف أمر إصلاح عيون مياه مكة المشرفة على السلاطين والأمراء فقد أوصى أحد تجار العبيد حسين أحمد الشترواني في مرض موته سنة ٨١١ هـ / ١٤٠٨م، أن يصرف على عمارة عيون مكة من ماله عشرة آلاف درهم [(٦)].

---

(١) تقي الدين الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ج ١ ص ٣٣٩.

(٢) تقي الدين احمد بن علي المقريزى : المصدر السابق، الجزء الثاني القسم الثالث ص ٨٠٧.

(٣) عمر بن فهد: المصدر السابق، ج ٣ ص ٣٣٤.

(٤) المصدر السابق، ج ٣ ص ٣٤١، ٣٤٤.

(٥) تقي الدين الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج ٤ ص ١٠٣ - ١٠٤، ١٠٨-١٠٩، عبد الملك العصامي : المصدر السابق، ج ٤ ص ٣٥.

(٦) تقي الدين الفاسي : المصدر السابق، ج ٤ ص ١٨٨-١٨٩، قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ص ١٧٧.

كما عمّر في هذه السنة أيضا الشريف حسن بن عجلان عين حنين والعيون المغذية لقناتها ، ودخلت المياه مكة غير أن كمياتها بدأت تتناقص ، مما أدى إلى عمارة القناة مرة أخرى في سنة ٨١٢ هـ / ١٤٠٩ م ،وقد اهتم الشهاب بركوت المكين[١]، بصيانة وإصلاح القناة إبتداء من سنة ٨١٣ هـ / ١٤١٠ م إلى سنة ٨١٧ هـ / ١٤١٤ م ،ثم بعد ذلك قلّ ماؤها ولقي الناس بمكة شدة ، ورفع الأمر إلى الملك المؤيد أبو النصر سلطان الديار المصرية والشامية والحرمين،فتبرع بألفي دينار ذهبا لعمارة هذه العين ،وندب لذلك القائد علاء الدين الذى ابتدأ أعمال العمارة والإصلاح والتنظيف في جمادى الآخر سنة ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م ، وأوقف العمل في شهر شعبان من السنة المذكورة ،وذلك لوصول المياه إلى مكة [٢] .

وفي آخر سنة ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م انقطعت مياه العين عن مكة نتيجة للسيول التى دمرت قناتها ،فبعث القائد علاء الدين عمالاً ومهندسا لإصلاحها ،ووصل الماء إلى مكة في آخر صفر سنة ٨٢٢هـ/١٤١٩م[٣].

ويبدو أن الحال لم يستمر على ذلك طويلاً حيث تطالعنا أخبار عن قلة المياه بمكة بعد ذلك بقليل ،مما حفّز الحكام والأمراء وحتى التجار، إلى العناية بأمر توفير المياه لمكة ، ففي سنة ٨٣١هـ/١٤٢٧ م، عمّر شاهين العثماني[٤] بعض مواضع قنوات عين حنين[٥]، كما اهتم بذلك

---

(١) هو أحد قواد أمير مكة الشريف حسن بن عجلان • انظر ماسبق ص [٧٣] من هذا البحث •

(٢) تقي الدين الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام،ج ١ ص ٣٤٧-٣٤٨•

(٣) المصدر السابق،ج ١ ص ٣٤٧-٣٤٨•

(٤) كان متولى وظيفة شاد ديوان جدة ،انظر عمر بن فهد : المصدر السابق،تحقيق عبد الكريم الباز ، ص ١-٢•

(٥) المصدر السابق ، ص ٣-٤•

أيضاً الملك الأشرف صاحب مصر الذى بعث في ذى القعدة من السنة نفسها مبلغ خمسة آلاف أفلورى (١) مع أمير المحمل المصرى ، إلا أن العمارة والإصلاح بهذه الأموال لم يبدأ العمل بها في نفس الشهر الذى وصلت فيه بل تأخرت إلى أول ربيع الثاني سنة ٨٣٢هـ / ١٤٢٨م (٢) .

وعلى الرغم من أعمال الإصلاح التي عملت في هذه السنة فإن مكة عانت الكثير من قلة المياه في سنة ٨٣٤ هـ / ١٤٣٠م ، فقد تم توفير الماء للحجاج في شهرى شوال وذى القعدة من هذه السنة بملء البرك من مياه الآبار وقُدّر ثمن راوية الماء في موسم حج تلك السنة بأشرفي واحد (٣). مما نتج عنه قيام أحد التجار وهو الخواجا سراج الدين عمر بن محمد المزلق الدمشقي سنة ٨٣٥ هـ / ١٤٣١م باعباء عمارة عين حنين وقنواتها إلى أن دخلت المياه المدينة في شهر رمضان من العام المذكور ،وقد كان تأثير ذلك كبيراً على سكان بلد الله الحرام والوافدين إليه ، حيث عمّ النفع ،وكثر الخير ، لشدة احتياج الناس إلى الماء الذى وصف قبل إيصاله بالندرة (٤) .

---

(١) الأفلورى يقال له الافرنتي : وهي دنانير من ضرب بلاد الفرنجة زنتها تسعة عشر قيراطاً ونصف قيراط مصرى ،ويقال لها المشخصة لأن على احد وجهيها صورة الملك التي ضربت في عهده ، وعلى الوجه الآخر صورتي بطرس وبولس الحواريين ، انظر احمد بن على القلقشندى : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ،ج ٣ ص ٤٣٧ ،د. عبدالرحمن فهمي محمد : النقود العربية ماضيها وحاضرها ، ص ٩٥-٩٦ ، ١٩٦٤م، دار القلم.

(٢) عمر بن فهد : المصدر السابق ، ص ١ ، ٧-٨ ، ١٤ ، ١٧.

(٣) الأشرفي : دينار ينسب للملك الاشرف برسباى ، ضرب على نفس وزن الافرنتي (٣٫٤٥ جرام) ، انظر د. عبدالرحمن فهمي محمد: المرجع السابق ، ص ٩٩ .

(٤) عمر بن فهد : المصدر السابق ،ص ٣٧ ، ٤١ ، ٤٤.

وقد صرف سراج الدين على ذلك خمسمائة دينار فقط ، واستمر في عمله على الرغم من تحذير بعض الناس له في ذلك الوقت، بأن عمله سوف يذهب سدى ، لأن عين حنين مفلسة ليس بها ماء ، لكن تم بعون الله إيصال مائها إلى مكة (١) .

كما عُمِّرت بعض مواضع قنوات العين في السنة التي بعدها (٨٤٦ هـ / ١٤٤٢م) على يد كلٍ من :

١ - بدر الدين حسن بن محمد الطاهر .

٢ - شهاب الدين أحمد بن علي الكواز .

٣ - جمال الدين محمد بن علي الدقوقي .

٤ - جلال الدين عبد الكريم بن محمد بن ديلم البصري (٢) .

وفي سنة ٨٤٨ هـ / ١٤٤٤ م ، عمَّر السيد حسن ناظر الإسكندرية بعض مواضع من قنوات عين حنين وبركها (٣) .

وعمل ناظر المسجد الحرام بيرم خجا على العناية بأمر المياه لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة ، فعمَّر بعض قنوات العيون المغذية لمكة المكرمة في سنتي ٨٥١ هـ / ١٤٤٧م - ٨٥٢هـ /١٤٤٨م وعمل في شهور رجب وشعبان ورمضان وشوال وذى القعدة من سنة ٨٥٣ هـ / ١٤٤٩م، على إعادة بناء مجموعة من البرك بأرض عرفة بعد أن كانت مطمورة بالتراب وساق إليها الماء من آبار عرفة (٤) ، وعمَّر في سنة ٨٥٤ هـ / ١٤٥٠م حوضاً لسقيا الدواب بالمعلاه (٥) .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٤.

(٢) المصدر السابق ، ص ١٣٦ ، ١٥٠.

(٣) المصدر السابق ،ص ١٧٤ ، ١٨٣.

(٤) المصدر السابق ،ص ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٥، ٢١٦ .عبد القادر الجزيري: المصدر السابق ، اعده للنشر حمد الجاسر ،جـ١ ص ٧٣٧ ، محمد طاهر الكردى : المرجع السابق ،جـ ٦ ، ص ٨٧-٨٨.

(٥) عمر بن فهد : المصدر السابق ، ص ٢٢٢ - ٢٢٥.

ونستدل من ذلك على أن مياه عين عرفة كانت مقطوعة في ذلك الوقت، وأن ناظر المسجد الحرام لم يعمل على إصلاحها بل وفّر المياه لبرك عرفه من الآبار القريبة منها ، وقد كان الناس في ذلك الوقت ومابعده يعانون الكثير من قلة الماء بعرفه ، وصار مطلبهم الوحيد هو توفير الماء(١) . مما دفع السلطان قايتباي سنة ٨٧٥ هـ / ١٤٧٠م ، إلى عمارة قنواتها وبركها ، ووصلت المياه إلى عرفه في يوم السبت ثاني عشر رجب من السنة المذكورة (٢) . فضلا عن بنائه صهريجا بمسجد نمرة أوصل الماء إليه من قناة عين عرفة (٣).

وقد أنجز هذا العمل على يد الأمير سنقر الجمالي الذى بدأ عمله في إصلاح القناة من عرفة إلى جهة نعمان ، وأثناء العمل باشر إصلاح مواضع التلف الموجودة في القناة أولا بأول قبل أن يصل إلى منبع العين ، ووجد الماء يسيرا فاكتفى بذلك ولم يواصل التقدم إلى منبع العين (٤) .

وتقدر الفترة التي تمّت فيها هذه الإصلاحات بحوالي أربعة أشهر، فقد بدأ العمل في شهر ربيع الثاني لسنة ٨٧٥هـ / ١٤٧٠م وكان الفراغ

---

(١) نور الدين على بن أحمد السمهودى (ت ٩١١ هـ) : وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، جـ ١-٢ ، ص ٧١٦، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ،دار احياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، توزيع دار الباز مكة .

(٢) عمر بن فهد : المصدر السابق ،تحقيق عبدالكريم الباز ص ٤٠٤،٤٠٦، محمد بن أحمد بن إياس (ت ٩٣٠هـ) : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، جـ ٣ ص ٥٦-٥٧ ،تحقيق وتقديم محمد مصطفى ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣م ، الناشر فرانز شتايز فيسبادن، عبدالقادر الجزيرى : المصدر السابق ،جـ ١ ص ٧٥١.

(٣) نور الدين السمهودى : المصدر السابق ،جـ ١-٢ ص ٧١٦.

(٤) عمر بن فهد : المصدر السابق ، ص ٤٠٤ ، ٤٠٦ ، عبدالقادر الجزيرى : المصدر السابق ،جـ ١ ص ٧٥١ .

منه في ١٢ رجب من نفس السنة (١) .

ومما يؤيد تاريخ هذه العمارة ونسبتها للسلطان قايتباى ، نقشان كتابيان ، نشر قراءة أحدهما ابراهيم رفعت (٢)،ومحمد أنور شكرى الذى ضمن قراءته للنقش دراسة عنه ونشرا للوحته (٣)، ثم قام محمد الفعر بدراسة النقشين ونشر لوحتيهما(٤) . والنقشين متطابقين في المعنى حيث ورد بهما أن السلطان قايتباي أمر الأميرين شاهين الجمالي وشقيقه سنقر الجمالى بعمارة عين عرفة سنة ٨٧٥هـ /١٤٧٠ م كما تم في هذه السنة أيضا عمارة عين حنين (٥) .

وفي سنة ٨٨٩ هـ / ١٤٨٤م توّج السلطانقايتباي هذه الأعمال،بإرسال مبلغ عشرة آلاف دينار ،ومراسيم إلى أمير مكة ، وقاضى قضاة الشافعي ، والمحتسب ، وكبار المسئولين في عمارة قناة عين عرفة سابقا، للعمل علىإجراء مياه هذه العين إلى داخل مكة ، فتوجه مائة عامل إلى موقع العمل ، وأُعطى لكل منهم مبلغ ثلاثة دنانير أشرفيه ،وذلك بناء على أمر السلطان قايتباي ، ونظرا لاختفاء القناة في بعض المواقع ،فقد شكل

---

(١) عمر بن فهد : المصدر السابق، ص ٤٠٤ ، ٤٠٦ ، محمد فهد الفعر: الكتابات والنقوش في الحجاز في العصرينالمملوكي والعثماني، ص ٢٤٠ ، رسالة قدمت لنيل درجة الدكتوراه في الحضارة الإسلامية، جامعة أم القرى ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م.

(٢) ابراهيم رفعت: المصدر السابق ،ج ١ ص ٢١٧.

(٣) محمد أنور شكرى : لوحان اثريان ،ص ٣١-٣٤ ،مطابع دار الثقافة ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦م.

(٤) محمد الفعر : المرجع السابق ، ص ١٩٩ ،٢١٦.

(٥) على الطبرى : المصدر السابق ، ورقة ٣٦.

ذلك صعوبة للعمال في عملهم [1] . غير أنهم لم يتمكنوا من إيصال القناة إلى مكة كما سنشاهد ذلك من خلال أعمال العثمانيين بها.

وأشار عبدالعزيز بن فهد (ت ٩٢٢هـ / ١٥١٦م) إلى جهود المسلمين التي بذلت في عصره نحو العناية بقنوات العيون بمايلي :

ففي شهر رمضان سنة ٨٩٢ هـ / ١٤٨٦م وجه الأمير سنقر المحتسب مُشِدّ العمائر السلطانية العمال إلى الكشف على عين حنين وبعض العيون المغذية لقناتها ، وتم لهم إصلاح بعض العيون ، ووصلت المياه إلى بازان الصفا في يوم السبت ١٧ ذى القعدة من السنة المذكورة ، وقد ساهم هذا العمل في إسعاد الناس ، بعد أن ارتفع سعر الماء بمكة ، وواجه الناس من ذلك شدة عظيمة . إلا أن ذلك الرخاء في أمر الحصول على الماء لم يستمر طويلاً، حيث أجريت محاولة لاصلاح القناة في آخر شهر رمضان سنة ٨٩٣ هـ / ١٤٨٧ م وصلت على إثرها كمية من المياه إلا أنها انقطعت بعد ذلك بقليل [2].

وفي شهر شوال سنة ٩١٢ هـ / ١٥٠٦م ، وجه حسين أمير جده القائد مفتاح البقيرى والعمال ،لإصلاح قناة عين عرفة ، وأخذ الامير حسين يتابع أعمالهم أولاً بأول ، إضافة إلى دعوته لأمير مكة ، والقضاة لأخذ رأيهم

---

(١) عبدالعزيز بن عمر بن فهد : بلوغ القرى في ذيل اتحاف الورى بأخبار ام القرى ،ج ١ ورقة ٥٣ ، ٦٣ ،مخطوط مصور بالميكروفيلم من مكتبة الحرم المكي الشريف رقم (١) ،مركز البحث العلمي واحياء التراث الإسلامي ،جامعة ام القرى رقم (٧١ ، ٧٢).

(٢) المصدر السابق ،ج ١ ورقة ٨٨، ٨٩ ، ٩٨ .
البازان عبارة عن صهريج يبنى في باطن الارض وعليه فتحات (مآخذ) للإستقاء . انظر ابراهيم رفعت : المصدر السابق ،٢١٢ ، ٢٣١ ، الزواوى : المرجع السابق ،ص ٤١ . وكذلك انظر الدراسة العمارية ص[٤١٤] ،وما بعدها من هذا البحث .

في الوصول إلى أفضل السبل في إصلاح العين [١].

واختتم ذكر جهود المسلمين في العناية بأمر جلب مياه العيون إلى مكة قبل العصر العثماني ، بما عمله السلطان قانصوه الغوري آخر سلاطين المماليك بمصر ، الذى أمر المعمار خاير بك بالتوجه إلى مكة المشرفة بصحبة جماعة من البنائين والنجارين والمهندسين [٢] لإصلاح قناة عين حنين سنة ٩١٥ هـ / ١٥٠٩م والبحث في إمكانية جلب مياه عين وادى مرّ والجموم والمضيق ، وقد تمت أعمال العمارة في قناة عين حنين سنة ٩١٦ هـ / ١٥١٠م ،حتى جرت المياه وسعد الناس بذلك [٣].

---

(١) المصدر السابق ،جـ ٢ ورقة ١٢٧ ، ١٣٢ ، ١٣٦ ، ١٥٣.

(٢) محمد بن أحمد بن إياس : المصدر السابق ، جـ ٤ ص ١٦٣.

(٣) عبد العزيز بن فهد : المصدر السابق ، جـ ٢ ورقة ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ٢٠٢ ،عبد الملك العصامي : المصدر السابق ، جـ ٤ ص ٨٤.

ثالثا : الأسبلـــــة :

لابأس أن نبدأ الحديث بذكر سقاية العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ، فقد كان موقعها في المسافة بين بئر زمزم والكعبة ، حيث كانت تبعد عن البناء المقام على بئر زمزم من ناصيته الشمالية الغربية (٣٩) ذراعاً وعن ناصيته الجنوبية الغربية (٤٩) ذراعاً وتسعة أصابع (١).

وقد عُمّرت في عهد الخليفة المهدى (١٥٨ - ١٦٩ هـ / ٧٧٥ - ٧٨٦م) على شكل غرفة مستطيلة طولها أربع وعشرون ذراعاً وعرضها تسعة عشر ذراعاً، وارتفاعها ثمانية أذرع ، ولها بابان أحدهما في اتجاه الكعبة (الغربي) ، وبداخلها ستة أحواض تأخذ مياهها من حجرة زمزم بواسطة قناة من رصاص . وقد أجريت لها تغييرات وإصلاحات على يد حسين بن حسن العلوى سنة ٢٠٠ هـ / ٨١٥م ، ثم على يد مبارك الطبرى ،ثم هدم جميع ذلك وأعيد بناؤه في سنة ٢٢٩ هـ / ٨٤٣ م،في عهد الواثق بالله (٢). وتعوزنا المراجع لتناول ماحدث من تجديدات وترميمات لهذه السقاية عبر خمسة قرون . فإننا لانجد الحديث عنها فيما توفر من مصادر إلا في سنة ٧٠٦ هـ / ١٣٠٦ م ، التي جدد فيها بناء القناة على يد الملك الناصر (٣) محمد بن قلاوون صاحب مصر (٤) ، وقد قدم لنا الفاسي (ت ٨٣٢هـ/١٤٢٨ م)

---

(١) أبو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ،ج ٢ ص ١٠٤-١٠٦.

(٢) المصدر السابق ،ج ٢ ، ص ١٠٤-١٠٦ ، ابوعبدالله محمد بن اسحاق الفاكهي : المصدر السابق ،ج ٢ ص ٧١-٧٢ ، ٨٣-٨٥،حاشية المحقق رقم (٢) ص ٨٣.

(٣) عمر بن فهد : المصدر السابق ،تحقيق فهيم شلتوت ،ج ٣ ص ١٤٤.

(٤) تقي الدين الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ،ج ٢ ص ٢٦٠ ، عمر بن فهد : المصدر السابق ،ج ٣ ص ١٤٤ . وأشار المؤلف في ص ٤٤٣ أن الوزير الجواد (الذى أصلح قناة عين عرفة سنة ٥٥١هـ أوسنة ٥٥٢هـ) كان قد أجرى بعض الإصلاحات في السقاية . لكن بالنظر إلى كتابي الفاسي لايوجد أى إشارة إلى ذلك .

وصفاً لها في عصره مع تحديد السنة التي جددت فيها فقال " صفة هذه السقاية (سقاية العباس) الآن بيت مربع في أعلاه قبة كبيرة ساترة لجميعه والقبة من آجر معقوده بالنورة ، وفي أسفل جدرانها خلا الجنوبي شبابيك من حديد تشرف على المسجد الحرام في كل جهة شباكان من حديد وفي جانبها الشمالي من خارجها حوضان من رخام مفردان ، وباب السقاية بينهما وفي هذا البيت بركة كبيرة تملأمن بئر زمزم بسكب الماء من البئر في خشبة طويلة على صفة الميزاب ، متصلة بالجدار الشرقي من حجرة زمزم ، ويجرى الماء منها إلى الجدار المشار إليه ، ثم إلى قناة تحت الأرض حتى يخرج إلى البركة من فوارة في وسطها ، وأحدث وقت عُمِّرت فيه هذه القبة سنة سبع وثمانمائة ،وسبب عمارتها في هذه السنة أن القبة التي كانت في سقف هذه السقاية أكلت الأرضة (١) بعض الخشب الذى كان فيها فسقطت "(٢) . ونفهم من هذا النص أن القبة التي كانت على السقاية في سنة ٧٠٦ هـ / ١٣٠٦ م خشبية بنيت عوضاً عنها قبة من آجر سنة ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤م .

أما بقية الأسبلة التى أنشئت بمكة المكرمة ، فمنها ماعمله بغا أبوموسى في النصف الأول من القرن الثالث الهجرى بالقرب من بئر أبي موسى،(٣) التي أعاد بناءها وبنى إلى جوار السقاية جنابذ(٤) يسقي فيها الماء(٥) . وقد أشار الفاكهي (من علماء القرن الثالث الهجرى)

---

(١) الأرضة : دويبة صغيرة تأكل الخشب . تقي الدين الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ،ج ١ ص ٢٥٩ .

(٢) المصدر السابق،ج ١ ص ٢٥٩.

(٣) انظر ماسبق ص ٧٠ من هذا البحث .

(٤) الجُنبذة : حوض يأخذ شكلاً دائريا . أبو الفضل جمال الدين بن منظور: المصدر السابق ،ج ٣ ص ٤٨٢.

(٥) أبو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ،ج ٢ ص ٢٧٢ .

إلى أن عدد الأسبلة (السقايات) في عصره قد بلغ نحو مائة سبيل ، موزعة في فجاج مكة وشعابها ، من باب المسجد الحرام إلى منى ونواحيها ومن باب المسجد الحرام أيضاً إلى جهة مسجد التنعيم وذكر عن بعضها: " منها لأبي أحمد الموفق بالله ثلاث سقايات في ظهر جبل العيرة ، ومنها سقايتان لابن أبي الشوارب ، ومنها سقاية للحارث بن عيسى أبي غانم ، ومنها لأبي سهل محمد بن أحمد سقايتان ، ومنها سقاية للسلطان عند الشجرة ، وأخرى عند مسجد عائشة رضي الله عنها بالتنعيم، وسائر ذلك للغرباء ولغيرهم من أهل مكة "(١) .

وفي سنة ٣٠٢ هـ / ٩٣٢ م ، أمر الخليفة المقتدر بالله ووالدته شغب بعمارة سبيل الجوخي (٢) ، وفي سنة ٦٠٥ هـ / ١٢٠٨م ،عمّر الملك مظفر الدين صاحب اربل سبيلاً بجوار المسجد الحرام (٣) ، وفي سنة ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣م ،عمر الزنجيلي سبيلاً نسب إليه (٤)، وفي سنة ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩م أوقف أبو أحمد عطيه بن ظهيرة بن مرزوق المخزومي سبيلين أحدهما بأعلى مكة والثاني بمنى عند الجمرة الوسطى وجعل الصرف عليهما من غلة وقف لهما بمزرعة بالجموم (٥) .

---

(١) ابوعبدالله محمد بن اسحاق الفاكهي : المصدر السابق ،ج ٣ ص ٩٧ ، ج ٤ ص ٢٢٠ ، جـ٥ ، ص ٥٢ ،٥٣٠

(٢) تقي الدين الفاسي : المصدر السابق ،ج ١ ص ٣٣٩ ،عمر بن فهد: المصدر السابق ج ٢ ص ٣٦٣٠

(٣) محمد الفعر : تطور الكتابات والنقوش في الحجاز منذ فجر الاسلام حتى منتصف القرن السابع الهجري ،نقش كتابي ص ٣٢٦-٣٢٧٠

(٤) جدد هذا السبيل في سنة ٧٨٨ هـ وسنة ٨٠٨ هـ • عمر بن فهد : المصدر السابق ج ٣ ص ٦٩ ، وحاشية المحقق رقم(٣) في نفس الصفحة •

(٥) تقي الدين الفاسي : المصدر السابق ،ج ١ ص ٣٣٦-٣٣٩٠

وأنشأ الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر سبيلاً بالقرب من باب إبراهيم (أحد أبواب المسجد الحرام الغربية) سنة ٧٥٩ هـ / ١٣٥٧ م أو سنة ٧٦٠ هـ / ١٣٥٨م [١]، إضافة إلى اهتمام أخته زهراء بنت محمد بن قلاوون بعمارة سبيل بطريق منى يعرف بسبيل الست ويعرف أيضاً بسبيل ابن مزنة [٢].

وفي سنة ٧٦٥ هـ / ١٣٦٣م أنشأت أم الحسين بنت قاضي مكة شهاب الدين الطبرى سبيلاً بالمسعى [٣] .

ومن أعمال الخير التي قام بها أمير مكة عجلان بن رميثة بن أبي نمي المتوفي سنة ٧٧٧ هـ / ١٣٧٥م [٤]، بناء سبيل بالمروة [٥]، تم تجديده في سنة ٨٥٤ هـ / ١٤٥٠م ،على يد الأمير تنم الذى وقف عليه أحد البيوت المجاورة للصرف من غلة كرائه على هذا السبيل [٦] .

---

(١) جمال الدين محمد جارالله بن محمد بن ظهيرة القرشي المخزومي (ت ٩٨٦ هـ) : الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف ،ص ١٢٦ ، الطبعة الرابعة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م ، المكتبة الشعبية بيروت ـ لبنان .

(٢) تقي الدين الفاسي : المصدر السابق ،ج ١ ص ٣٣٨ ،عمر بن فهد : المصدر السابق ج ٣ ص ٢٨٦.

(٣) تقي الدين الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الامين ج ٨ ص ٣٣١ ، تقي الدين الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ج ١، ص ٣٣٨.

(٤) تقي الدين الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الامين، ج ٦ ص ٥٨ ، ٧٠.

(٥) المصدر السابق ،ج ٦ ص ٧٢ ، عبد الملك العصامي : المصدر السابق ، ج ٤ ص ٢٤٥ .

(٦) عمر بن فهد ، تحقيق عبد الكريم الباز : المصدر السابق ، ص ١٥٨ ، ١٦٩.

وبمكة ومنى مجموعة من الأسبلة ينسب إثنان منها لعطية المطير، وباقيها ينسب كل واحد منها إلى : قاسم الزنكى ، ابن بعلجد، القائد سعد الدين جبروة ، ابن صنداد ، المعلم عبد الرحمن بن عقبة المكي ، بنت القاضي عبد الرحمن بن عقبة المكي ، الملك المنصور صاحب اليمن ، العفيف الهبي سفير الملك الأشرف صاحب اليمن (١) .

وفي القرن التاسع الهجرى تم إنشاء وتعمير تسعة عشر سبيلاً هي على النحو التالي :

ينسب لأم سليمان المتصوفة المتوفاة عام ٨٠٢ هـ / ١٣٩٩م سبيل بالمعلاة (٢)، وفي سنة ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م عمر الشهاب بركوت المكين سبيلاً دون سبيل الجوخي وحوضاً للبهائم (٣) ، وعمل أمير مكة الشريف حسن بن عجلان على بناء سبيلين ، بنى أحدهما بمنى سنة ٨١٢ هـ / ١٤٠٩م ،وبنى الآخر برباطه بأعلى مكة (٤)، وفي سنة ٨١٦ هـ / ١٤١٣م أنشأ القاضي زين الدين عبد الباسط ناظر الجيوش المنصورة سبيلاً بالمعلاه (٥) ،وفي

---

(١) تقي الدين الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ج ١ ص ٣٣٧، ٣٣٨ ، ٣٤٢ ،
سبق لنا معرفة اعمال الملك المنصور صاحب اليمن والعفيف الهبي في ذكر جهود المسلمين بأمر آبار مكة . انظر ص (٧٢ ، ٧٣) من هذا البحث .

(٢) تقي الدين الفاسي : المصدر السابق ،جا ص ٣٣٧،تقي الدين الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الامين جـ ٨ ص ٣٤٣.

(٣) عمر بن فهد: تحقيق فهيم شلتوت : المصدر السابق،جـ ٣ ص ٤٤٩ ،كان من أعمال الشهاب بركوت المكين الإهتمام بإصلاح قنوات العيون ، انظر ماسبق ص ٩٥ من هذا البحث .

(٤) تقي الدين الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ،جا ص ٣٣٧ ، ٣٣٨.
توفي حسن بن عجلان سنة ٨٢٩ هـ / ١٤٢٥م انظر تقي الدين الفاسي العقد الثمين في تاريخ البلد الامين ج٤ ص ١٥٣.

(٥) تقي الدين الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ،جـ ١ ص ٣٣٨.

سنة ٨١٧ هـ / ١٤١٤م تم إنشاء سبيل الجوار بئر زمزم نسب للملك المؤيد صاحب مصر (١)، وفي سنة ٨١٩ هـ / ١٤١٦ م، أنشأ الأمير الحجازي سبيلين بالمعلاه ،أحدهما لنفسه والآخر للقاضي عبدالباسط (٢)،وفي سنة ٨٤١ هـ / ١٤٣٧م، أنشأ شهاب الدين أحمد بن على الكواز البصري سبيلابالبستان الذى اشتراه بالأبطح (٣) .

وفي سنة ٨٤٧ هـ / ١٤٤٣م تم بناء ثلاثة أسبلة بمنى ، أحدها لعبدالغني القباني ،وشريكه محمد بن عبدالغني المعروف بابن كرسون ، والثاني للتاجر عبدالكريم بن محمد بن أحمد الجدي ، والثالث لفرج الشرابي ، كما أنشأ شهاب أحمد العاقل سنة ٨٤٩ هـ / ١٤٤٥ م سبيلاً ببيت بناه بسوق الجمال بمنى ، وسبل فيه الماء أيام التشريق ،وعمل لنفس الغرض أيضاً موسى بنعبدالسلام الزمزمي في ذى القعدة من السنة المذكورة سبيلاً بالقرب من سبيل الست ، مما يلي منى، وبناه على أعمدة صهريج قديم وجده هناك (٥) .

---

(١) تقي الدين الفاسي : العقد الثمين فيتاريخ البلد الامين،ج ٣ ص ٣٩٢، عمر بن فهد: المصدر السابق : ج ٣ ص ٥٢١ – ٥٢٢ ،حسين عبدالله باسلامه : المرجع السابق ص ١٧٩.

(٢) عمر بن فهد : المصدر السابق ،ج ٣ ص ٥٣٧.

(٣) عمر بن فهد: المصدر السابق،تحقيق عبدالكريم الباز ،ص ٨٥، ٩٢ . سبق أن عرفنا اهتمام شهاب الدين في اجراء ماء عين حنين إلى مكة . انظر ماسبق ص ٩٧ من هذا البحث .

(٤) عمر بن فهد: المصدر السابق ،ص ١٥٨ ، ١٦٩،شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوى : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ،ج٤ ص ٢٥٧، ٣١٩ ج ٨ ص ٦٥ ،منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت – لبنان.

(٥) عمر بن فهد : المصدر السابق ، ص ١٨٦ ، ١٨٧.

وفي سنة ٨٥٠ هـ / ١٤٤٦م تمّ إنشاء سبيلين بمنى أحدهما في بيت بدر الدين الطاهر ، والثاني ببيت أبي بكر الشجري ، كما عمّر بيرم خجا ناظر المسجد الحرام سنة ٨٥٤ هـ / ١٤٥٠م سبيلا بالمعلاه(١)، وفي عهد السلطان الأشرف قايتباى سنة ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩م بُنيَ سبيل ملاصق لمسجد الخيف بمنى (٢) ، وقد قدم لنا ابن فهد المتوفي سنة ٨٨٥ هـ / ١٤٨٠م ،وصفا لهذا السبيل على أن له واجهة مبنية من الرخام الأصفر المنحوت محكم العمل ، وله طاقات من رخام أيضاً يمكن من خلالها تناول الماء المعد للشرب ، فضلاً عن احتوائه على أربع شبابيك كبار من جهاته الأربع ، وله بابان أحدهما يطل على الشارع الرئيسي والآخر على المسجد ، كما فرشت أرضه بالرخام الأصفر ، وله خزانة لحفظ آلاته ، أما مصدر المياه المغذى لهذا السبيل فهو من بئرٍ كانت تقع بجواره تنتقل منها المياه إلى صهريج تحت السبيل بواسطة قناة مبنية بالنورة ، ولزيادة كمية المياه تم بناء صهريج آخر أمام السبيل. وقد عمل السلطان قايتباى أيضاً على بناء سبيلٍ بالمسعى سنة ٨٨٤هـ/١٤٧٩م وكان أمامه إلى جهة القبلة بالمسعى سبيل قديم للقاضي شهاب الدين الطبرى على يمين الذاهب إلى المروة ، هدمه بمشورة المهندس الذى بنى سبيله بعلة أنه قديم وهدمه يؤدى إلى ظهور عمارة السبيل الجديد (٤) .

---

(١) المصدر السابق ص ١٩٢ ، ٢٠٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥ ،عن اعمال بيرم خجا نحو توفير المياه لمكة المكرمة و المشاعر انظر ماسبق ص ٩٧ من هذه الرسالة .

(٢) المصدر السابق ص ٣٨٨ ، ٣٩٣ ، ٣٩٥-٣٩٦ ، نور الدين السمهودى : المصدر السابق ،جا ص ٧١٦، عبد الملك العصامي : المصدر السابق، ج ٤ ص ٤٣.

(٣) عمر بن فهد: المصدر السابق ، ص ٣٩٥-٣٩٦.

(٤) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ،ص ٢٠٥

رابعًا - الحمامـــــات :

يمكن أن نستدلمن روايات الأزرقي (المتوفيأواخر القرن الثالـث الهجرى) ، أنه كان للحمامات وجودٌ بمكة منذ عهد معاوية ابن أبـي سفيان رضي الله عنه المتوفي سنة ٦٠ هـ / ٦٨٠م إذ قال: " حايـط الحمام ... وهو من حمام معاوية الذى بالمعلاة إلى موضع بركة أم جعفـر ... وانماسمي حايط الحمام لأن الحمام كان في أسفله "(١) .

كما أورد إشارات أخرى تدل على وجود ثلاثة حمامات بمكة(٢) .

كما تحدث الفاكهي (من علماء القرن الثالث الهجرى) عـن الحمامات بمكة فقال : " وعدد الحمامات بمكة ستة عشر حمّاماً ،كـان منها حمام في دار الوادى فخرب وذهب ، وحمام أسفل منه إلى جنب زقـاق الخيبريين شارعاً على الوادى ، وحمام على بن عيسى عند دار الحمـام وفي شعب عامر حمامان : أحدهما لابن أخي أبي خراسان ، وحمام ابن عمران العطار في زقاق جندر ، وحمام أحمد بن سهل في دار عباس ، قبالـة دار السعيديين،وهما الحويطبين عند دارهم في زقاق هنالك ،وحمام معمـر الحرسي ، عند دار السلماني عند سوق الفاكهة ، وحمام ابن جنظلة المخزومي الى جنبه عند دار الطلحيين ، وبأجياد ثلاثة حمامات: حمام عند دار شركاء وحمام عند دار دانق ، وحمام عند السواقين كان لعبدالرحمن بن هـارون، وحمام الحنطي فيزقاق التمارين ، وحمام ابي يحيى المروزى شارعٌ علـى فوهة ردمبني جُمع ،وحمام في سوقالدجاج عند أُصحابالنورة ،ويقال فـي دار ابن داود التي علىالصفا حمام " (٣) .

---

(١) أبوالوليد الأزرقي : المصدر السابق،جـ ٢ ، ص ٢٢٧.
(٢) المصدر السابق ،جـ ٢ ، ص ٢٣٨ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٨٥.
(٣) أبوعبدالله محمد بن اسحاق الفاكهي : المصدر السابـق ، جـ ٣ ص ١٠٠- ١٠١ .

ويرجح أن عدد حمامات مكة المشرفة قد نقص بعد عصر الفاكهي حيث ذكر عن ذلك ابن جبير الذى بدأ رحلته عام ٥٧٨ هـ / ١١٨٢م قائلاً: " ولهذه البلدة المباركة (مكة) حمامان : أحدهما ينسب للفقيه الميانشي أحد الأشياخ المحلقين بالحرم المكرم ، والثاني وهو الأكبر ينسب لجمال الدين... وزير صاحب الموصل (ت ٥٥٩ هـ) "[١]، ويزكي هذا إشارة الفاسي (ت ٨٣٢ هـ) ، إلى أنه لم يبق في عصره من الحمامات التي ذكرها الفاكهي شيء يعرف ، وأن عدد الحمامات الموجودة حمامان أحدهما ينسب لأبي العباس أحمد بن ابراهيم بن مطرف المُرّي بأجياد وقفه على رباطه بالمروة ، والآخر رجح أنه من بناء الوزير الجواد، (ت ٥٥٩ هـ)[٢] .

كما ينسب للسلطان قايتباى[٣] الذى حج عام ٨٨٤ هـ / ١٤٧٩م بناء حمام صغير تحت جدار ربعه بالسوق الكبير[٤] .

ولعل هذا الاختلاف في عدد الحمامات من عصر الفاكهي (في القرن الثالث الهجرى) ، إلى عصر ابن جبير (في القرن السادس الهجرى) ، والفاسي (في القرن التاسع الهجرى)، يدلنا على انتشار الحمامات الخاصة داخل البيوت ، الأمر الذى يقلل الحاجة إلى الحمامات العامة ، إذ لا يعقل أن مدينة كبيرة مثل مكة المكرمة يكفيها حمامان فقط .

---

(١) أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير : رحلة ابن جبير ، ص ١٠٢.
(٢) تقي الدين الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ج ١ ص ٢٠، كذلك انظر أعمال الوزير الجواد في سبيل جلب الماء إلى عرفه (ص ٨٧) من هذا البحث .
(٣) نور الدين السمهودى : المصدر السابق ، ج ١-٢ ص ٧١٠.
(٤) علي الطبرى : المصدر السابق ورقة ٤٥ .

خامسا: المطاهر (الميضآت) :

أنشئت بمكة المكرمة مجموعة ميضآت ، كان من أوائلها حسب ماوصل إلينا الميضأة الملحقة ببئر زمزم ، حيث كان الناس يغترفون من ماء حوض زمزم للشرب والوضوء (١) ، فأخرج عبدالله بن الزبير رضي الله عنه الوضوء إلى جانب المسجد المطل على الوادي (٢) ، ثم عمل بعد ذلك في أحد نواصي بئر زمزم حوضا تعلوه قبه (ميضأة) كانت تستغل في الشرب والوضوء ، ويجرى الماء الفائض في سرب إلى جهة الجنوب الغربي ، حيث يمر مجرى وادى إبراهيم (٣) .

وفي سنة ٩٣ هـ / ٧١١ م عمل خالد القسرى على إيصال الفائض من مياه عين الثقبة التي كانت تصب في فسقية بجوار زمزم ، إلى مكان للوضوء عند باب الصفا أحد أبواب المسجد الحرام ، بواسطة قناة من رصاص (٤) . وأنشأت السيدة زبيدة (٥) مجموعة ميضآت قرب المسجد الحرام (٦) .

وتعوزنا المصادر التي تناولت الحديث عن الميضآت عبر ثلاثة قرون ، حيث لانجد الحديث عنها إلا في سنة ٥٦٤ هـ / ١١٦٨م ، التي وقف فيها الملك العادل نور الدين الشهيد مطهرة الواسطي ، التي جددها القاضي جمال الدين يوسف سنة ٥٨٥ هـ / ١١٨٩م (٧) ، وفي سنة ٦٠٥هـ / ١٢٠٨م بني الملك

---

(١) أبو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ، ج ٢ ص ١٠١ ، محمد بن اسحاق الفاكهي : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٧٢ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٢ ص ٧٢ .

(٣) أبو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ج ٢ ص ١٠١ ، ١٠٤ .

(٤) المصدر السابق ، ج ٢ ص ١٠٧-١٠٨ ، كذلك انظر ماسبق ص ٧٧ من هذا البحث .

(٥) انظر ماسبق عن أعمال السيدة زبيدة في سبيل توفير المياه بمكة ص ٧٨ من هذا البحث .

(٦) أبوعبدالله محمد بن اسحاق الفاكهي : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢٠٧ ، ج ٣ ص ٢٧٩ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦ ، ج ٤ ص ١٠ .

(٧) تقي الدين الفاسي : المصدر السابق ، ج١ ص ٣٥١ ، وحاشية المحقق رقم (٢) في نفس الصفحة .

المظفر صاحب أربل مظهرة عند باب بازان [١] أحد أبواب المسجد الحرام من الجهة الجنوبية [٢].

ويرجح أن الأمير الطنبغا المعروف بالطويل أحد الأمراء المقدمين بالقاهرة ،قام بعمارة مطهرة في العقد الأول من القرن الثامن الهجري وفي سنة ٧٢٨ هـ / ١٣٢٧م أنشأ الملك محمد بن قلاوون صاحب مصر مطهرة قرب المسجد الحرام ، وذلك بعد أن اشترى موضعها من الشريفين عُطيفة ورميثة ابني ابي نمي أميرى مكة بمبلغ (٢٥٠٠٠) درهم [٣] ، فضلاً عن قيامه بتجديد عمارة مجموعة ميضآت على يد ابن هلال الدولة الذى تم على يديه إجراء ماء عين الثقبة [٤] .

ويرجح أن الأمير المعروف بالملك نائب مصر ، عمّر مطهرة في سنة ٧٤٥ هـ / ١٣٤٤م [٥] • وفي سنة ٧٥٩ هـ / ١٣٥٧م عمّر الأمير صرغتمش الناصرى أحد كبار الأمراء في دولة الملك الناصرى محمد بن قلاوون المطهرة المنسوبة إليه [٦]، ثم جددها حسين أحمد الشترواني أحد تجار الشام بمبلغ خمسة آلاف درهم ، وكان ذلك في سنة ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م [٧] .

---

(١) محمد الفعر : تطور الكتابات والنقوش في الحجاز منذ فجر الاسلام حتى منتصف القرن السابع الهجرى ، ص ٣٢٦-٣٢٧ •

(٢) حسين عبدالله باسلامة : المرجع السابق ، ص ١٢٠•

(٣) تقي الدين الفاسي : المصدر السابق ،ج ١ ص ٣٥٠-٣٥١،وحاشية ٢ص ٣٥١•

(٤) تقي الدين أحمد بن على المقريزى : المصدر السابق ، الجزء الثاني القسم الاول ص ٣٠٣•

(٥) تقي الدين الفاسي : المصدر السابق ،ج ١ ص ٣٥٠-٣٥١ وحاشية رقم ٢ ص ٣٥١•

(٦) المصدر السابق ،جا ص ٣٥٠ ،وحاشية المحقق رقم (١) بنفس الصفحة ، عمر بن فهد: المصدر السابق ،تحقيق فهيم شلتوت ،ج ٣ ص ٢٧٣-٢٧٤ •

(٧) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ،ص ١٧٧ • كذلك انظر اعمال أحمد الشترواني في اصلاح عيون مكة ص (٩٤) من هذا البحث •

أو في التي بعدها ، ثم جُدِّدت في سنة ٨١١ هـ / ١٤٠٨م من وصية أوصى بها أحد تجار العجم ، كما جدّد هذه المطهرة الأمير مقبل البديدى سنة ٨٣٣ هـ / ١٤٢٩م ، ووقف عليها أوقافا بالقاهرة (١) .

كما عمل الملك الأشرف شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون على عمارة مطهرة سنة ٧٧٦ هـ / ١٣٦٤م ، ووقف عليها أوقافا بمكة وضواحي القاهرة (٢) . وفي سنة ٧٨١ هـ/ ١٣٧٩م أنشأ الأمير زين الدين بركة العثماني رأس نوبة النواب بالقاهرة مطهرة بمكة ، وفي سنة ٧٩٦ هـ / ١٣٩٣م عمّرت أم سليمان المتصوفة مطهرة خاصة للنساء (٣) ، وفي سنة ٨٦٥هـ / ١٤٦٠م أنشأت زوجة الملك الأشرف إينال مطهرتين (٤) .

---

(١) تقي الدين الفاسي : المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٥٠ وحاشية رقم (١) بنفس الصفحة ، عمر بن فهد : المصدر السابق ، تحقيق عبد الكريم الباز ص ٣٢ ، ٣٥٠ .

(٢) تقي الدين الفاسي : المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٥٠ ، محمد الفعر : المرجع السابق ، ص ٢٤٤ .

(٣) تقي الدين الفاسي : المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٥٠ ، عمر بن فهد : المصدر السابق ، تحقيق فهيم شلتوت ، ج ٣ ص ٣٣٤ ، ٣٩١ .

(٤) تقي الدين الفاسي : المصدر السابق ، حاشية المحقق رقم (٢) ص ٣٥١ .

سادساً : السدود ومجاري تصريف مياه الأمطار :

سبق أن عرفنا - عند الحديث عن جبال مكة وأوديتها - أن مياه السيول المنحدرة عبر أوديتها تقتصر على مياه الأمطار المتساقطة على الجبال والأودية داخل حدود حرم مكة ، وأن مياه الحل لاتدخل الحرم. كمايتميز وادي ابراهيم بأنه أهم أودية مكة لاحتوائه على المسجد الحرام ومركز التجمع السكاني (١) .

وعلى ذلك فإن السيول المنسابة عبر وادي إبراهيم كانت تشكل خطراً يهدد حياة السكان والمسجد الحرام ،خاصة عند تلاقيها مع السيول المنحدرة من جبال أجياد(٢) .

وقد عرض المؤرخون سرداً تاريخيا مسلسلاً لحوادث السيول المنسابة عبر وادي ابراهيم منذ فجر الإسلام إلى العصر السعودي (٣) . فقد ذكر الكردي أن عدد ما أشار إليه المؤرخون منها قد بلغ نحو (٨٧) سيلاً منذ فجر الإسلام إلى سنة ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤م(٤) .

ويهمني أن أعرض لبعض الأمثلة عن أخطار هذه السيول بمكة ثم نتناول بإيجاز أعمال المسلمين لدرء هذه المخاطر .

---

(١) انظر ماسبق من هذه الرسالة ص ١٧

(٢) محمد طاهر الكردي : المرجع السابق ،ج٢ ص ٢٠١-٢٠٢.

(٣) انظر عن ذلك كلاً من : أبو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ،ج ٢ ص ١٦٦-١٧١ ، ابوعبدالله محمد بن اسحاق الفاكهي : المصدر السابق ج ٣ص ١٠٤-١١١ ، تقي الدين الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ،ج ٢ ص ٢٦٠-٢٦٩ ، عمر بن فهد: المصدر السابق ،ج ٢ ص ٧ ، ١٠٨ ، ٢٨٢ ، ٣٠٥ ، ٣١٦ ، ٣٥١ ، ابراهيم رفعت : المصدر السابق ،ج ١ ص ١٩٧ ، محمد طاهر الكردي : المرجع السابق ، ص ١٩٣-٢٠٠.

(٤) المرجع السابق ، ج ٢ ص ١٩٣-٢٠١.

كان أول سيل حدث بمكة في العصر الإسلامي سيل أم نهشل سنة ١٧ هـ / ٦٣٨م في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وسمي بذلك لغرق إمرأة به تسمى أم نهشل بنت عبيد بن سعيد بن العاص ابن أمية بن عبد شمس، وقد انحدر هذا السيل من أعلى وادى إبراهيم تجاه المسجد الحرام حتى اقتلع مقام ابراهيم عليه السلام ورمي به أسفل مكة، ولما علم بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه قدم إلى مكة فزعا ولم يزل بها حتى رد المقام في موضعه (١).

ومن السيول التي أثرت على سكان مكة وحجاج بيت الله الحرام ماوقع سنة ٨٠ هـ / ٦٩٩ م في خلافة عبد الملك بن مروان، وأدى إلى إغراق الكثير من متاع الحجاج، وهدم الدور المطلة على الوادى وقتل من فيها إلى أن بلغ الأمر ببعض الناس أن رقوا الجبال خوفاً من تأثير السيل عليهم، وقد سمي هذا السيل بسيل الجحاف (٢).

وفي سنة ٨٠٢ هـ / ١٣٩٩ هـ، سال وادي إبراهيم واعترضه سيل أجياد فدخلا المسجد الحرام من غالب أبوابه وعمّ الماء صحن المسجد الحرام إلى أن ارتفع قدر ذراع وأكثر من عتبة باب الكعبة، وخرب السيل دوراً كثيرة بمكة، وسقط بعضها على سكانها فماتوا جملة (٣).

---

(١) أبو الوليد الأزرقي : المصدر السابق، ج ٢ ص ١٦٧، أبوعبد الله محمد ابن اسحاق الفاكهي : المصدر السابق ج ١ ص ٤٥٥، ج ٣ ص ١٠٤-١٠٥، عمر بن فهد : المصدر السابق ج٢ ص ٧-٨، محمد طاهر الكردى: المرجع السابق ج ٢ ص ١٩٤.

(٢) أبو الوليد الأزرقي : المصدر السابق، ج ٢ ص ١٦٨، ابوعبد الله محمد ابن اسحاق الفاكهي : المصدر السابق، ج ٣ ص ١٠٥-١٠٦

(٣) تقي الدين الفاسي : المصدر السابق، ج ٢ ص ٢٦٧-٢٦٨.

أما أعمال المسلمين لدرء أخطار هذه السيول ، فتنقسم كما أسلفت إلي نوعين هما :

أ - اقامة السدود :

منها :

١- السد الذى أنشأه عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ١٨هـ / ٦٣٩ م ، في المنطقة التي يطلق عليها حاليا المدعى [١] .

٢- سد عبدالله بن الزبير رضي الله عنه ٦٤-٧٣هـ/٦٨٣-٦٩٢م في سويقه [٢].

٣- سد معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه (٤٠-٦٠هـ /٦٦٠ - ٦٨٠ م) فيما يطلق عليه اليوم السوق الصغير [٣] .

٤- عمل الحجاج بن يوسف الثقفي (٧٣-٧٤هـ / ٦٩٢-٦٩٤م) ثلاثة سدود بمكة [٤] .

٥- عمل عبدالملك بن مروان على بناء بعض السدود بمكة ، وحواجز تحجز الماء عن البيوت الشارعة على وادى ابراهيم ،وكان ذلك نتيجة للسيل الذى اقتحم مكة سنة ٨٠ هـ / ٦٩٩م [٥].

---

(١) ابو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ،ج ٢ ص ١٦٧ ، ابوعبدالله محمد ابن اسحاق الفاكهي : المصدر السابق ،ج ٣ ص ١٠٥ ، ١١٢ ،وحاشية المحقق رقم (٢) ص ١١٢ ، عمر بن فهد: المصدر السابق ،ج ٢ ،ص ٨ ، محمد طاهر الكردى :المرجع السابق ،ج ٢ ص ٢٠٤ .

(٢) ابو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ،ج ٢ ص ٢٨٤ ، محمدطاهر الكردى المرجع السابق ،ج ٢ ص ٢٠٤.

(٣) ابو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ،ج ٢ ص ١٦٩ ،وحاشية المحقق رقم(٦) ص ٢٣٢ ، ابوعبدالله محمد بن اسحاق الفاكهي: المصدر السابق ، ج ٣ ص ١١٤ ، تقي الدين الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ،ج ٢ ص ٢٦٢ ،محمد طاهر الكردى : المرجع السابق ج ٢ ص ٢٠٥.

(٤) أبو الوليد الأزرقي :المصدر السابق ج ٢ ص ٢٨١ ، محمد طاهر الكردى : المرجع السابق ،ج ٢ ص ٢٠٥ .

(٥) أبو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ، ج٢ ص ١٦٩-١٧٠ ، ابوعبدالله محمد بن اسحاق الفاكهي : المصدر السابق ج ٣ ص ١١٣ ،عمر بن فهد : المصدر السابق ،ج ٢ ص ١٠٨-١١٠ ،محمد طاهر الكردى : المرجع السابق ،ج ٢ ص ٢٠٥.

٦ - عمل في عهد أمير المؤمنين هارون الرشيد سنة ١٨٤هـ / ٨٠٠م سد بوادي ابراهيم[١]، فقد ذكر عن ذلك الفاكهي : " وكان سيل في زمن حماد البربري عظيم ، أخذ الناس منه بمكة شبه الخبل فسمي: المخبل • وأصاب الناس في عقبه مرض في أجسادهم وألسنتهم، ودخل المسجد الحرام حتى عزق أمير المؤمنين هارون وادي مكة عامئذٍ " [٢] •

٧ - بني سد بوادي ابراهيم في عهد أمير المؤمنين المأمون سنة ٢٠٨ هـ / ٨٢٣م[٣] •

٨ - في سنة ٢٣٧ هـ / ٨٥١م ، أمرت أم أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله باثني عشر الف دينار لبناء سد وادي ابراهيم[٤] •

٩ - في سنة ٢٤١ هـ / ٨٥٥ م ، أمر أمير المؤمنين المتوكل على الله بعمل سد بمنى ، لحماية دار الإمارة والمسجد بها[٥] •

١٠- في عهد الخليفة المعتضد بالله سنة ٢٨١ هـ / ٨٩٤ م، تم بناء سد وادي ابراهيم[٦] •

---

(١) أبو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ،ج ٢ ص ١٧٠ ، ابوعبدالله محمد بن اسحاق الفاكهي : المصدر السابق ، ج ٣ ص ١٠٨•

(٢) المصدر السابق ، ج ٣ ص ١٠٨•

(٣) أبوعبدالله محمد بن اسحاق الفاكهي : المصدر السابق ، ج ٣ ص ١١٠ ، عمر بن فهد : المصدر السابق ،ج ٣ ص ٢٨٢-٢٨٣•

(٤) أبو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ، ج ٢ ص ١٧٠ ، أبوعبدالله محمد بن اسحاق الفاكهي : المصدر السابق ، ج ٣ ص ١٠٨•

(٥) أبو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ،ج ١ ص ٣٠٣ ، عمر بن فهد : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٣١٦•

(٦) المصدر السابق ، ج ٢ ص ٣٥١•

وهناك سدود خاصة بتجميع مياه العيون المغذية لمكة مثل سد الثقبة الذى أنشأه خالد القسرى سنة ٩٣ هـ / ٧١١م (١) .

ب - تصريف مياه السيول المتجمعة في المسجد الحرام وحوله :

كانت السيول المنسابة عبر وادى ابراهيم تشكل خطراً يهدد عمارة المسجد الحرام ، نظراً لوقوعه في بطن الوادى ،وتزداد حدةخطورة السيول على المسجدالحرام كلما زيد في توسعته وعمارته من جهة مجرى الوادى (جنوبا)(٢) . حيث أن ذلك يؤدى إلى اعتراضه لمجرى السيل .

ويلحظ في عمارة أبي جعفر المنصور للمسجد الحرام التي بدأت سنة ١٣٧ هـ / ٧٥٤ م أنه تجنب توسعة المسجد والزيادة فيه من جهة مجرى الوادى (جنوباً) ، وأحدث سربا (مجرى) لتصريف مياه السيول التي تتجمع داخل صحن المسجد الحرام إلى خارج المسجد غرباً يمر من تحت باب بني جمع الواقع في الجهة الغربية من المسجد الحرام(٣) .

وأثناء توسعة المسجد الحرام في عهد الخليفة المهدى سنة ١٦٤ هـ / ٧٨٠ م ، اضطر أنيتجه في توسعته للمسجد جهة الجنوب ،مما أدى إلى إدخال موضع مجرى السيل ضمن المسجد ، وقد نبّه المهندسون الخليفة بخطورة ذلك ، حيث إن هذا العمل يؤدى إلى حبس مجرى السيل ، لكن الخليفة أصرّ علىعمله ، وعملعوضاً عن المجرى القديم مجرىً آخر نقر له في جبل

---

(١) انظر ماسبق من هذا البحث ص ٧٧.

(٢) عن أثر السيول علىالمسجد الحرام انظر ماسبق ص ١٧ من هذا البحث .

(٣) أبوالوليد الأزرقي : المصدر السابق ،ج ٢ ص ٧٢ ، ٧٧ ، ٩٢ ،وحاشية المحقق رقم (٣) ص ٩٢ ، حسينعبدالله باسلامة : المرجع السابق ص ٢٥ ، ١٢٨.

أبي قبيس ، بعد هدم البيوت التي كانت مقامة في هذا الجزء من الجبل[١]. وفي سنة ٢٨١ هـ / ٨٩٤ م تمّ تنظيف مجرى السيل بالقرب من المسجد الحرام بعد أن ارتفعت أرضه وسهل دخول السيل إلى المسجد الحرام[٢]. وفي سنة ٧٣٨ هـ / ١٣٣٧م دخلت السيول المسجد الحرام وملأته بالأتربة والأوساخ، فاجتمع القاضي شهاب الدين الطبرى مع بعض العلماء للنظر في ذلك ، فوجدوا فمّ مصرف الماء مسدوداً ففتحوه [٣] .

وفي سنة ٩١٥ هـ / ١٥٠٩م أو التي بعدها في عهد دولة الأشرف الغورى ، تم إعادة بناء باب إبراهيم أحد أبواب المسجد الحرام من الجهة الغربية ،على يد الأمير خاير بك المعمار ، وجعل أسفله مجرى لتصريف مياه الأمطار والسيول التي تدخل المسجد الحرام[٤].

...

---

(١) أبو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ،ج ٢ ص ٧٨-٨١ ،حسين عبد الله باسلامة : المرجع السابق ، ص ٣١-٣٣.

(٢) عمر بن فهد : المصدر السابق ،ج ٢ ص ٣٤٩-٣٥١.

(٣) المصدر السابق ،ج ٣ ص ٢١١-٢١٤.

(٤) حسين عبد الله باسلامة : المرجع السابق ، ص ٣٣-٣٤ .

وبعد هذا الاستعراض نستطيع أن نخلص إلى مجموعة من الحقائق هي :

أولا: أن مكة المكرمة بلد حُرم من المياه الجارية على سطح الأرض ،فكان طبيعيا أن يلجأ ساكنوها إلى استنباط حاجتهم من الماء من باطن الأرض بواسطة الآبار . وقد دأب المسئولون من المسلمين على تدبير قدر مناسب من الماء لسد حاجة الناس فيها سواء بانشاء مزيد من الآبار التي تغذى من الجبال المحيطة بها ،والتي تمثل خزانات طبيعية ، أو بجلب المياه من الأماكن القريبة لها ، والواقعة داخل نطاق الحرم عن طريق أنابيب خاصة .

ثانيا: لما ضاقت مياه الآبار والعيون الواقعة في منطقة الحرم عن سد احتياجات المدينة المتنامية لاعتبارات دينية كثيرة ، فكر المسلمون في جلب المياه اللازمة لها من مصادر المياه الخارجة عن منطقة الحرم ، والواقعة في مناطق الحل ،والتى تكثر فيها المياه لاعتبارات عرفناها من دراستنا الجغرافية ، وكان أن وضعت المشروعات ، واعتمدت لها الأموال اللازمة لإنجاز مد القنوات منها إلى مكة ، والمشاعر المقدسة ، وتبين لنا أن المسلمين كانوا يدركون صعوبة تنفيذ هذه المشروعات (لأن الطبيعة الجغرافية تحول دون وصول مياه الحل إلى الحرم) إلا أن المسؤلين أصروا على تنفيذ هذه المشروعات فكان لهم ما أرادوا ،ونجحوا في إيصال المياه من أعلى وادى عُرنه (منطقة حنين) إلى مكة المكرمة . كما أوصلوا مياه وادى نعمان إلى منطقة المشاعر ،ومنها إلى مكان قريب من مكة يعرف ببئر زبيدة حيث ضاقوا ذرعاً بمواصلة العمل لظهور صعوبات فوق طاقتهم آنذاك . ولم يقف جهد المسلمين عند إنشاء القنوات بل أنشأوا الكثير من المشروعات الضرورية لدرء خطر السيول عن مكة المكرمة فأنشأوا السدود كما عملوا مجارى خاصة لتصريف مياه الأمطار الزائدة، فضلاً عن إنشاء البرك والأسبلة والحمامات والميضآت .

ثالثا: على الرغم من هذه الأعمال العظيمة التي قام بها المسلمون فيما قبل العصر العثماني، إلا أن مشكلة نقص المياه استمرت قائمة نظراً لاتساع عمران هذه المدينة في العصر العثماني، وأصبح أمر توفير الماء لها ضرورة حتمية تقتضيها زيادة عدد السكان والحجاج، فضلاً عن أن أغلب منشآت المياه السابقة على هذا العصر احتاجت إلى إصلاح وتجديد. ولذلك اهتم العثمانيون بأمر توفير الماء لسكان مكة وحجاج بيت الله الحرام، عن طريق حفر آبار جديدة في مناطق مختلفة، وإصلاح الآبار السابقة، وإنشاء قنوات لنقل مياه العيون، وإصلاح القنوات السابقة. وباختصار إقامة وإصلاح الكثير من المنشآت المائية لخدمة هذه المدينة الهامة، وهذا ماسنراه تفصيلاً في الفصل التالي.

...

الفصل الثاني

جهود العثمانيين لتوفير المياه لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة

١- الآبار .
٢- العيون وقنواتها .
٣- البرك والصهاريج .
٤- الأسبلة
٥- البازانات .
٦- الحمامات .
٧- الميضآت
٨- السدود ومجارى تصريف المياه .
٩- المنشآت المائية لخدمة الزراعة .
١٠- نشأة لجنة عين زبيدة .
١١- وسائل اللجنة فيتدبير الأموال لتحقيق أهدافها .

سار العثمانيون على نهج من سبقهم في العناية بتوفير المياه لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة عبر الفترة الطويلة لحكمهم لها باستثناء الفترة الأخيرة لحكمهم ، وهي الفترة التي اعتور فيها الدولة شيء من الضعف والوهن لأمور كثيرة ليست محل دراستي هذه جعلت هذه الدولة المترامية الأطراف ، ذات الأيادى البيضاء على مكة والمشاعر المقدسة تقبل أن يعاونها أهل الخير في استمرار هذه الخدمة الجليلة التي يعم نفعها كافة المسلمين .

وباختصار يمكننا أن نقسم الفترة التي ظهرت فيها الدولة العثمانية إلى قسمين رئيسين على ضوء مانرى صداه في أعمالهم بمكة المكرمة والمشاعر المقدسة موضوع بحثنا .

أما الفترة الأولى فهي من سنة ٩٢٣ هـ/ ١٥١٦-١٥١٧م إلى سنة ١٢٩٥ هـ / ١٨٧٨م ، وهي السنة التي ظهرت فيها حاجة الدولة إلى قبول العون من الجهات الإسلامية المختلفة في سائر الأقاليم الإسلامية ، ولعل من أهم هذه الجهات التي قامت بدور نشط في العناية بمرافق المياه في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة هو ما أطلق عليه اسم " لجنة عين زبيدة "، التي سوف نتحدث عن تكوينها ونظام العمل فيها ووسائلها في تدبير الأموال لتحقيق أهدافها ، بعد عرض جهود العثمانيين في العناية بمرافق المياه بمكة المكرمة ومشاعرها المقدسة (١) .

والآن يمكن أن نلقي الضوء على جهود العثمانيين نحو توفير المياه لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة على النحو التالي :

---

(١) انظر ص ٣٠٤ من هذا البحث .

يظهر اهتمام العثمانيين في العناية بأمر توفير المياه لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة ، في صور مختلفة مثل صيانة وتجديد وإنشاء الآبار والعيون وقنواتها والبرك والأسبلة والحمامات والمطاهر (الميضآت) والسدود ومجارى تصريف المياه ، فضلا عن العناية بالمنشآت المائية المتعلقة بخدمة الزراعة ٠

ويمكن التعرف على هذه العناية بدراسة كل نوع من أنواع هذه المنشآت على حدة :

أولاً : الآبار :

سبق أن أشرنا إلى اهتمام المسلمين بالآبار في مكة وماحولها لخدمة سكان بلد الله الحرام والحجيج ،وقد سار العثمانيون على هذا النهج أسوة بمن سبقوهم ، فاعتنوا بالآبار إنشاءً وتجديداً وصيانةً، ولعل في مقدمة الآبار التي اعتنوا بها بئر زمزم ٠

أ - بئر زمزم :

عرفنا أن المسلمين قد أولوا هذه البئر عناية خاصة فيما قبل العصر العثماني[١] ،وجاء دور العثمانيين الذى نراه على الوجه التالي :

إهتم السلطان سليمان القانوني بهذه البئر اهتماماً كبيراً لمكانتها في قلوب المسلمين جميعها وخاصة الحجيج ، فقد تم في عهده سنة ٩٣٣ هـ / ١٥٢٦م تبييض جدران مبنى البئر من الداخل والخارج ،كما عُمل لدائرها طراز كتابي مذهب [٢]،جاء فيه اسم " مولانا السلطان

---

(١) انظر ماسبق ص ٦٥ من هذا البحث ٠

(٢) عبدالقادر بن محمدالجزيرى : الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، أعده للنشر حمد الجاسر ،ج ١ ص١٠٣٠
الطراز: يعني الشريط الكتابي سواء على الأقمشة أو الورق أو =

الملك المظفر سليمان نخبة آل عثمان "(١) . كما كانت هذه البئر موضع العناية المستمرة من السلطان سليمان القانوني ، حيث جدّد مبناها سنة ٩٤٨ هـ / ١٥٤١م ، على يد الأمير خشقلدى (٢)، وذلك بفرش أرضها بالرخام (٣) وتسقيفها بمظلة خشبية على شكل جمالوني مزينة بأشكال زخرفية ، وفي وسط السقف الجمالوني قبة مصفحة بالرصاص (٤)،كما جرى

= العمائر ، واستعمل أيضاً فيمابعد للدلالة على نوع الفنون الإسلامية في كل بلدٍ من البلاد ، كما أطلق على دور صناعة النسيج. د. حسن الباشا: مدخل إلى الآثار الإسلامية، ص ٤٣ ،٣٤٨ ، ١٩٧٩م ، دار النهضة العربية . د. سعاد ماهر محمد : النسيج الإسلامي ، ص ٢٤ ، ١٩٧٧م ، الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية.

(١) إبراهيم رفعت : المصدر السابق،ج ١ ص ٢٥٧ ،حسين عبد الله باسلامة : المرجع السابق ،ص١٨٠ ، يحيى حمزه كوشك : المرجع السابق ، ص ٤٠ ،فوزيه حسين مطر : تاريخ عمارة المسجد الحرام من العصر العباسي الثاني حتى العصر العثماني ، ص ٢٨٧ ،رسالة قدمت لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي ،جامعة أم القرى ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م.

(٢) جمال الدين محمد جار الله بن محمد نور الدين بن ظهيرة القرشي المخزومي : المصدر السابق ،ص ١٣٤ ، إبراهيم رفعت : المصدر السابق ،ج ١ ص ٢٥٧ ، حسين عبد الله باسلامه : المرجع السابق ، ص ١٨٠.

(٣) إبراهيم رفعت : المصدر السابق، ج ١ ، ص ٢٥٧ ، حسين عبد الله باسلامه : المرجع السابق ، ص ١٨٠.

(٤) ابراهيم رفعت : المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٥٧ ،حسين عبد الله باسلامه ، المرجع السابق ، ص ١٨٠ ، فوزيه مطر : المرجع السابق ، ص ٢٨٨.

تنظيفها أيضاً إثر غرق أحد الأشخاص بها [١] .

كذلك اهتم السلطان مراد خان بن سليمان القانوني ، أثناء إتمامه لعمارة المسجد الحرام سنة ٩٨٥ هـ / ١٥٧٧م بإصلاح مبني بئر زمزم [٢] .

وفي عهد السلطان أحمد خان الأول سنة ١٠٢٥ هـ / ١٦١٦م صدر أمره السلطاني إلى حسن باشا المعمار [٣] بعمل شبك (تصبيعات) من نحاس على بئر زمزم ، ليحول دون تلوثها وسقوط الناس فيها . وقد عمل هذا على دائر فوهة البئر بحيث كان منخفضا عن مستوى أعلى الماء فيها قدر ثلثي قامه (متر واحد تقريباً) ، ثم ربط بسلاسل حديدية [٤]، إلا أن هذا الشبك قلع بعد سنتين من تركيبه أى سنة ١٠٢٧ هـ / ١٦١٧م ، على يد الأفندى محمد بن مصطفى القناوى ،حينما قيل له أن ماء زمزم تغير طعمه بسبب صدأ بعض أجزاء الشبك ، وأن الدلو إذا وقع ربما حال الشبك دون صعوده إلى أعلى [٥] .

وفي رمضان سنة ١٠٢٨ هـ / ١٦١٨م ، وقع من بئر زمزم أحجار كثيرة من الجهة الشمالية والغربية ، مما فوق الماء وتحته ،وتغير طعم زمزم بشكل لفت انتباه المسلمين ، وأصبح غير مستساغ الشرب نظراً لزيادة ملوحته . فتصدى لإصلاح هذا الأمر شيخ الحرم المكي الأغا حسين

---

(١) أيوب صبرى : مرآت الحرمين ،ج ٥ - ٧ ص ٩٨٣ ، ١٨٨٤م .
(٢) المرجع السابق ، ج ٥ - ٧ ص ٩٨٣-٩٨٧ .
(٣) حسن باشا المعمار قدم من استانبول سنة ١٠٢٣ هـ لعمارة قناة عين عرفه وعين حنين . انظر ماسيأتي ص ١٦٤ من هذا البحث .
(٤) عبد الملك العصامي : المصدر السابق ، ج ٤ ص ٣٩٨ ، محمد بن علي بن فضل الحسيني ، المعروف بابن المحب الطبرى : المصدر السابق ج ٢ ورقة ١١ ،محمد امين المكي : المرجع السابق ،ص ٢٨ .
(٥) عبد الملك العصامي : المصدر السابق ، ج ٤ ص ٤٠٠ ، محمد طاهر الكردى : المرجع السابق ج ٣ ص ٨٢ .

الحبشي ، وذلك بعد أن عرض هذا الأمر على أميرمكة الشريف ادريس بن الحسن ، فحضر شيخ الحرم يوم الاثنين لأربع خلون من شهر شوال، وأمير البلد ، والمهندسون ، وبدئ فيعمارتها ضحوة نهار ذلك اليوم ، وتم الإنتهاء من ذلك يوم السادس عشر من شهر شوال لنفس العام(١) .

ولعل من المفيد هنا ، الإشارة إلى أثر السيول التي كانت تتوالى على المسجد الحرام ، الحد الذى بلغ بها أن وصلت في بعض الأحيان إلى مستوى باب الكعبة (٢)، مما جعلها تندفع محملةبالطين إلى بئر زمزم ، فتسد الفتحات التي تتدفق منها المياه إلى هذه البئر ، بالإضافة إلى ماكان يصاحب تلك المياه من بعض ذرات الرمال ، عبر الفتحات المغذية للبئر (٣) فتساعد مع طين السيول على ردم البئر ، الأمر الذى يجعل عملية تنظيفها ضرورة حتمية من وقت لآخر .

وفي سنة ١٠٦٨ هـ / ١٦٥٧م قل ماء زمزم في شهرى ذى القعدة وذى الحجة بشكل كبير حتى أصبح لايخرج في الدلو إلا الطين ، فتم إنزال بعض العمال لحفر البئر عدة مرات ، ونظراً لقلة مائها في بعض الأحيان لاسيما في موسم حج هذه السنة كانت تغلق ليلا لتجم شيئاً من الماء للنهار كي يشرب منها الحجاج ، فإذا كان الماء قليلا في النهار نزل إليها العمال ليلا وأزالوا مابها من طين وغيره ، ثم تغلق لفترات متباعدة كي تجم بعض الماء ، ومع ذلك لم ترجع البئر إلىحالتها الطبيعية إلا بعد شهر محرم من عام ١٠٦٩ هـ / ١٦٥٨م (٤).

---

(١) محمد طاهر الكردى : المرجع السابق ،ج ٣ ص ٩٨-٩٩.
(٢) انظر ص ٨٧ من هذا البحث .
(٣) أيوب صبرى : المرجع السابق ،ج ٥-٧ ، ص ٩٨٣.
(٤) محمد طاهر الكردى : المرجع السابق ، ج ٣ ص ٩٨-٩٩ ،يحيى حمزه كوشك : المرجع السابق ، ص ١٣١ .

وفي سنة ١٠٧٢ هـ / ١٦٦١م عمِّرت بئر زمزم والبناء الذى عليها ماعدا الجهة القبلية (الغربية) ، وأدير باب المصعد إلى قبتها نحو الجهة الجنوبية على يد سنجق جده سليمان بك ، وأرخ لذلك قاضي مكة عامئذٍ بأبيات بالتركية آخرها بيت بالعربية وهو :

قلت تاريخه بلفظ حل   قد بني الزمزم محمد خان

وهي أبيات دون العشرة محفورة في حجر على باب زمزم ، وكانت موجودة إلى زمن العصامي المتوفي عام ١١١١هـ / ١٦٩٩م[١] .

وفي سنة ١١١٢هـ / ١٧٠٠م ، عمّر إبراهيم بك سنجق جده بأمرٍ من الدولة العثمانية بئر زمزم ،بعد أن عرض عليها ذلك ،وكانت العمارة بعمل طبقة من الملاط على مبنى البئر من الداخل والخارج ، إضافة إلى تغير الرفوف الخارجة عن البئر مما يلي مقام الحنبلي ،وتجديد أخشابها وتغطيتها بألواح الرصاص ثم زينوها بالدهانات[٢] .

كما تم تنقيل (تلييس) جدران البئر بعد ذلك في عام ١١٢٥ هـ / ١٧١٣م ، وجدد طبطاب أرض مبناه (بفرد الجص على أرضه)، وذلك بدك المنطقة المراد عمل الطبطاب فيها بطول (٩ر) ذراعاً وقد (ارتفاع) ربع ذراع وعرض (٩) أذرع ، ثم عمل بها الطبطاب[٣] .

وفي عام ١١٣٢ هـ / ١٧١٩م خصص أحد أهالي مصر بعض الأحجار المبسوطة أمام مبنى بئر زمزم بالنورة[٤] .

---

(١) عبد الملك العصامي : المصدر السابق ،جـ ٤ ص ٤٧٠ ، الصباغ المكي : المصدر السابق ،ورقة ٦٩.

(٢) محمد بن على المعروف بابن المحب الطبرى : المصدر السابق،جـ ٢ ورقة ١٢٠ ، ١٢٢ ،يحيى حمزه كوشك : المرجع السابق ،ص ٤٠.

(٣) وثيقة رقم ٦١٧٦(MAD). بارشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول.

(٤) محمد بن على المعروف بابن المحب الطبرى : المصدر السابق ، جـ ٣ ورقة ٤٢ .

وأشار بعض المؤرخين إلى أنه حصل في عهد السلطان عبد الحميد الاول عام ١٢٠١ هـ / ١٧٨٦م، بعض الاصلاحات في مبنى بئر زمزم ،ودليلهم على ذلك وجود بعض النقوش الكتابية على مبنى البئر عليها اسم السلطان عبد الحميد سنة ١٢٠١ هـ [١]. لكن أحداً منهم لم يقم بتصوير هذه النقوش أو عرض نصوصها بدقة كما هو واقعها ،مما دفعني للبحث عنها ، وتمّ لي بحمد الله العثور عليها بمتحف آثار الحرم المكي الشريف فصورتها وسوف أقوم بدراستها دراسة حضارية ضمن الدراسة العمارية لمبنى بئر زمزم في الفصل القادم . انظر لوحة (١٧٠).

وحدث في عام ١٢٧٨ هـ / ١٨٦١م ، أن دخل المسجد الحرام سيل عظيم ملأبئر زمزم بمائه [٢] ، مما حتم بذل جهود كبيرة لتنظيف البئر خاصة ونحن نعرف أن السيل إذا دخل المسجد جاء محملا بالطين والأوساخ .

وفي عهد السلطان عبدالعزيز خان سنة ١٢٧٩ هـ / ١٨٦٢ م قام أمير مكة والحاج عزت باشا بتجديد شبابيك مبنى بئر زمزم ،وفرش أرضها بالرخام ، وإصلاح فوهة البئر والدرابزين الذى عليه ،وقد بدأت هذه الأعمال في شهر شعبان من التاريخ المذكور [٣].

وفي الفترة من سنة (١٢٩٥ هـ - ١٢٩٧ هـ/ ١٨٧٨ - ١٨٧٩م) تم إصلاح القناة التي كانت تنقل ماء زمزم إلى خارج المسجد الحرام، على يد الحاج عبدالرحمن سراج ميمني الشهير بوحدانه [٤] ، ثم عمل لها مكاناً

---

(١) حسين عبد الله باسلامه : المرجع السابق ،ص ١٨٥ ،محمد طاهر الكردى، المرجع السابق ،ج ٣ ،ص ٨١-٨٢ ،فوزيه مطر : المرجع السابق ، ص ٢٤٦ ، ٢٥٠ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩.

(٢) محمد بن احمد الصباغ المكي : المصدر السابق ،ورقة ٩٥ ،فوزيه مطر : المرجع السابق ص ٢٥٦.

(٣) محمد بن أحمد الصباغ المكي : المصدر السابق،ورقة ٦٩ ،يحيى حمزه كوشك : المرجع السابق ،ص ٤٠.

(٤) سوف نعرض فيما بعد جهود الحاج وحدانه في الفترة من سنة ١٢٩٥ هـ - ١٢٩٧هـ لعمارة العديد من منشآت المياه بمكة المكرمة والمشاعر المقدسة .انظر ص من هذا البحث .

تتجمع فيه هذه المياه لسقيا الناس ، وقد أنجز هذا العمل في مـــدة تتراوح بين ثلاثة إلى أربعة أشهر ،بمساعدة عمالٍ يعملون يوميــــاً قدّر عددهم مابين مائتين إلى ثلاثمائة عاملٍ[1] .

وفيعصر السلطان عبدالحميد الثاني أعيد بناء مبنى بئر زمـزم والقبة التي فوقه بعد انهيارها سنة ١٢٩٦ هـ / ١٨٧٨م على يد أحمد أفندى مدير شئون المسجد الحرام في ذلك الوقت [2] .

---

(١) أيوب صبرى : المرجع السابق ،ج ٥-٧ ، ص ٧٤٨-٧٤٩.

(٢) أيوب صبرى : المرجع السابق ،ج ٥ - ٧ ، ص ٩٨٣-٩٨٧ . يلاحـظ أنّ فوزية مطر أشارت إلى أن السلطان عبدالحميد الثانـي قام فيالفترة من (١٢٩٣ هـ - ١٣٢٧ هـ) باصلاحات في مبنى بئـر زمزم واعتمدت في ذلك على قراءة نقش كتابي ورد فيه ذكـر السلطان " عبدالحميد " ؛ وبالرجوع إلى قراءة بعض المؤرخين لهذا النقش لم أجد أحداً منهم قال بأنه يؤرخ لعمارة السلطان عبدالحميد الثاني لمبنى بئر زمزم ،وبعد أن يسر اللـه لي العثور علىهذا النقش وجدت أن اسم السلطان الذى ورد بـه هو " عبدالحميد " فقط ؛ ولايوجد على النقش أى تاريـخ أو اشارة تدل على أن اسم السلطان الوارد به عبدالحميـد الثاني ، ومن خلال دراسة هذا النقش من الناحية الفنيـة اتضح أن اسم السلطان الوارد به هو عبدالحميد الأول ، الـذى قام بإصلاح مبنى بئرزمزم سنة ١٢٠١ هـ ،وهذا يجعل اعتمادنـا على هذا النقش في تأريخ أعمال السلطان عبدالحميد الثانـي لمبنى بئر زمزم أمراً غير مقبول . انظر : فوزية حسين مطر : المرجع السابق ، ص ٢٥٨ - ٢٥٩ ، ٢٨٩ ،محمد بن أحمد الصبـاغ المكي : المصدر السابق ،ورقة ٦٥ ، إبراهيم رفعت: المصدر السابق ،ج ٢ ص ٢٥٧ ، حسين عبدالله باسلامة : المرجـع السابق ،ص ١٨٤ ، محمد طاهر الكردى : المرجع السابق ،ج ٣ ، ص ٨١-٨٢ ، وكذلك ص ١٢٩ ،١٣٠، ٥١٣-٥١٤ من هذا البحث .

وفي سنة ١٣٠١ هـ / ١٣٨٣ م جُدّد طلاء نقوش مبنى بئر زمزم[١] بعد أن رفع رئيس الأركان الحربية المهندس صادق بك ملاحظات عنها إلى دار الخلافة [٢] .

وفي سنة ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨م، تم تنظيف البئر، على إثر إلقاء أحد الهنود بنفسه فيها ، اعتقاداً منه بحصول البركة ، مما استوجب استدعاء الغواصين من جدة ، ولم يتم لهم إخراج جثته إلا بعد وقت ليس بالقصير[٣] . ولئلا يتكرر ذلك الحادث اهتمت الدولة العثمانية ، بعمل شبك من حديد وضع فوق البئر سنة ١٣٣٢ هـ / ١٩١٣م [٤].

أهمية بئر زمزم في تزويد السكان والحجيج بالماء :

لبئر زمزم في بعض فترات العصر العثماني أهمية كبيرة في تزويد أهل مكة والحجيج بالمياه لاسيما عند انقطاع مياه العيون. ونرى ذلك واضحاً في حديث الطبرى المتوفي سنة ١٠٧٠ هـ /١٦٥٩م حيث قال: " إن أهل مكة في هذه الأزمان، يلاقون شدة شديدة في بعض أشهر السنة لانقطاع العين عن مكة المكرمة، فطالما شاهدت الحراير

---

(١) محمد أمين المكي : المرجع السابق، ص ٥٣.
(٢) وثيقة رقم ٢/٣ ك - ١٣ بأرشيف دارة الملك عبد العزيز بالرياض .
(٣) محمد لبيب البتنوني : المصدر السابق، ص ١٠١-١٢٨.
(٤) حسين عبد الله باسلامة : المرجع السابق ، ص ١٨١-١٨٣ . في المرحلة الثانية من مشروع توسعة الحرم المكي الشريف، التي بدأت في جمادى الثانية عام ١٣٨١ هـ الى عام ١٣٨٨ هـ، تم توسيع المطاف بهدم البناء العثماني الذي كان فوق بئر زمزم وتخفيض فوهة البئر أسفل المطاف . يحيى حمزه كوشك: المرجع السابق ص ٤٠ ، ٤٦.

المخدرات يخرجن بالليل ، وعلى كتف كل واحدة دورق لجعل الماء فيه إن حصل ، وطالما رأيت الصغار في البيوت يبكون من العطش ، واتفق لي في العام الماضي أني كنت ليلة بعد صلاة العشاء بالمسجد الحرام،وكان الماء إذ ذاك منقطعاً عن البلد لضعف العين ، فرأيت النساء والصغار على باب بئر زمزم بقصد الاستسقاء وقد أغلقت،فحصلت لي حالة عظيمة من التعب والمشقة عليهم،فصحت لبواب البئر ،وقلت له حرام عليك غلقها ،فإن استمريت على ذلك أفتيت بفسقك ،وكان إلى جانبي جماعة من أهل مكة ، فأقاموا الضجيج عليه ففتحها،فدخل الناس واستقوا منها "[1].

كما أشار بورخاردت Burckhardt الذي زار مكة سنة ١٢٣٠ هـ / ١٨١٤م [2] إلى أن بئر زمزم كانت في عصره من أهم مصادر إمداد مكة بالماء [3] .

تنظيم دخول الناس لبئر زمزم وتوفير مائها لهم :

بدأت المحاولة الأولى لتنظيم دخول الناس بئر زمزم ومنعهم في بعض الأوقات ، عندما لحظ الشيخ عبدالسلام بن أبي بكر الزمزمي [4] عام ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م أن الناس كانوا يدخلون بئر زمزم

---

(١) علي الطبري : المصدر السابق ،ورقة ٣٨-٣٩.
(٢) جمال زكريا قاسم : الدوافع السياسية لرحلات الأوربيين إلى نجد والحجاز خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، بحث منشور بكتاب مصادر تاريخ الجزيرة العربية،ج ٢ ص ١٤ ، الطبعة الاولى ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م ،مطابع جامعة الرياض.
(٣) John Lewis Burkckhardt, Op.cit., p. 106.
(٤) ينتهي نسبه إلى عبدالله بن الزبير ، أيوب صبرى : المرجع السابق ،ج ٥ - ٧ ، ص ٩٧٨.

أوقات الصلاة، فيشغلون الإمام والمصلين ، خصوصا أيام الحج بسبب ازدحامهم ورفع أصواتهم أثناء تشاجرهم ، إضافة إلى أن الكلاب والقطط كانت تدخلها ليلاً فتغرق في البئر . لذلك كتب الشيخ عبد السلام عن ذلك كله لخليفة المسلمين في ذلك الوقت وهو المستنصر بالله (٦٢٣ هـ - ٦٤٠ هـ / ١٢٢٦ م - ١٢٤٢م) يطلب منه عمل باب لمبنى البئر حتى يتمكن المسئولون من إغلاقها ليلاً وأوقات الصلاة ، فأجابه الخليفة لطلبه (١).

تلا ذلك محاولة ثانية على يد أحد أحفاد الشيخ عبد السلام بن أبي بكر الزمزمي ، وهو الشيخ عمر بن عبد العزيز الزمزمي، الذى طلب من خليفة المسلمين العباسي داود المعتضد بالله (٨١٧ - ٨٤٥ هـ / ١٤١٤ - ١٤٤١ م) ، أن يمكنه من عمل ضبه ومفتاح لباب بئر زمزم ، كي يتمكن من إغلاق بابها في أوقات الصلاة وفي الليل، وأن يكون المفتاح بيده وبيد ذريته من بعده ، فأجابه الخليفة لطلبه ، وأصدر بذلك مرسوما مؤرخاً في العشرين من شهر شوال سنة ثمانمائة وعشرين ، ولقب من يتولى الإشراف على أمر زمزم فيما بعد بآل ريس (٢) .

ولم تقتصر وظيفة الإشراف على تنظيم دخول الناس بئر زمزم (٣) وخدمتهم ، على فتح باب المبنى وإغلاقه ، بل إننا وجدنا في بداية القرن الرابع عشر الهجرى إشارة إلى وجود موظفين مهمتهم منع الأعراب

---

(١) محمد بن أحمد الصباغ المكي : المصدر السابق ورقة ٦٨-٦٩ ، محمد طاهر الكردى : المرجع السابق جـ ٣ ص ٧٨.

(٢) محمد بن أحمد الصباغ المكي : المصدر السابق ورقة ٦٨-٦٩.

(٣) على الرغم من المبرر الذى وجدت لأجله وظيفة الإشراف على بئر زمزم ، إلا أن إغلاق البئر ليلاً، لم يكن من التصرفات التي ترضي بعض العلماء، كما لحظنا ذلك حينما هدد الشيخ علي الطبرى المتوفى عام ١٠٧٠ هـ، بوّاب البئر بالفتوى بفسقه إذا لم يفتح بابها . انظر ماسبق ص ١٣١ من هذا البحث .

من الضجيج داخل المبنى وتوسيخه (١).

ويمكن اعتبار الإشراف على تنظيم الدخول إلى زمزم ضمن أعمال المحتسب الذى كان أساس عمله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(٢) . إلا أن المحتسب لم يكن يقوم قبل عام ١٢١١ هـ/ ١٧٩٦م ، بتنظيم هذا الأمر ، وأرجح أن عملية التنظيم والإشراف ومنع الأعراب من الضجيج وتوسيخ هذا المكان لم تظهر إلا بعد التاريخ المشار إليه آنفا ويدلنا على ذلك مايلي :

حجّ ابن عبد السلام الدرعي صاحب الرحلة الكبرى والرحلة الصغرى سنة ١١٩٦هـ / ١٧٨١م وسنة ١٢١١ هـ/ ١٧٩٦م(٣)، واستاء مما شاهده في ذلك الوقت داخل مبنى بئر زمزم ، فقال: " تراهم أى (المغتسلين) يغتسلون بمآزرهم يعطي مريد الغسل للسقائين وهم واقفون على التنور ... فيصبون عليه دلواً أو دلوين أو ما أراد على حسب عطائه حتى يشفي غليله ، وهم على ذلك لايراعون لها حرمة ، فيتشاجرون على الماء ، ويأخذ أحدهم الدلو فيصبه على نفسه بثيابه حتى وقعوا في تلويث المكان الشريف (٤)، لاسيما وهي في وسط أفضل المساجد . فيجب تنزيه المسجد عن قاذوراتهم ، ولغطهم ، ورفع أصواتهم ،وخصوماتهم ... وبودى لو أتاح الله محتسباً يذيقهم النكال ،

---

(١) محمد لبيب البتوني : المصدر السابق ، ص ١٢٧-١٢٨.

(٢) عبد الرحمن بن نصر الشيزرى : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق ومراجعة د.السيد الباز العرينى ، ص ٦ ،دار الثقافة بيروت .

(٣) حمد الجاسر : ملخص رحلتي ابن عبد السلام الدرعي المغربي، ٣٧ ، ٤١ ، ٤٢.

(٤) يلحظ أن ماحصل منافياً لتوجيهات العباس بن عبد المطلب ، الذى كان يقول عن مياه زمزم : " لا أحلها لمغتسل وهي لمتوضىء وشارب حل وبل " أبو الوليد الأزرقي : الم السابق ، ج ٢ ص ٥٨.

فإن حرم الله أولى المواضع بالهيبة ، ولزوم السكينة "(١).

كما صور لنا محمد لبيب البتنوني معاملة موظفي البئر للأعراب الخارجين على النظام عام ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩م بقوله " ترى الحجاج من الأعراب يدخلون إلى زمزم جماعات وزرافات ... حتى إذا وصلوا إلى الحوض الذى بجوار البئر نزحوا مافيه على رؤوسهم ، فيسيل الماء على ثيابهم إلى أن تبتل جميعها، ثم يخرجون فرحين مستبشرين تظللهم عصى خدمة العين (البئر) ، التى لاتؤثر فيهم بالمرة دون القيام بهذا الواجب "(٢).

وإلى جانب وظيفة الإشراف على باب مبنى بئر زمزم ،ووظيفة تنظيم دخول الناس ، وسقياهم من زمزم، فقد كانت هناك وظيفة أخرى هي القيام بسحب ماء زمزم بوساطة الدلاء (٣)،وكان للقائمين بهذه الوظائف جميعا رئيس (٤) .

وقدّر عدد الموظفين الذين كانوا يعملون ببئر زمزم عام ١٣٠٣ هـ / ١٨٨٥م بـ ٢٦ موظفاً منهم ١١ موظفاً لجذب الماء من البئر عن طريق الدلاء ، و ١٥ موظفاً يقومون بالوظائف الأخرى التى سبقت الإشارة إليها(٥) . كما وردت إشارة إلى أن هذا العدد من الموظفين

---

(١) حمد الجاسر : المرجع السابق ، ص ١٣٣.

(٢) محمد لبيب البتنوني : المصدر السابق، ص ١٠١ ، ١٢٧ ، ١٢٨.

(٣) المصدر السابق ، ص ١٠١ ، إبراهيم رفعت : المصدر السابق، ج ١ ص ٢٦٠.

(٤) أيوب صبرى : المرجع السابق ، ج ٥-٧ ، ص ٩٧٨ ، محمد أمين المكي: المرجع السابق ، ص ١٨.

(٥) انظر قائمة أسماء هؤلاء الموظفين في : حجاز سلنامة سنة ١٣٠٣ هـ ، ص ٨٢ .

كانوا يعملون في سنة ١٣٢٠ هـ / ١٩٠٢م [١] ، وسنة ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩م [٢].

ب - جهود العثمانيين في العناية ببقية آبار مكة المكرمة والمشاعر المقدسة :

إن مجموعة من الآبار التي أنشئت في هذه المدينة ومشاعرها المقدسة سواء قبل الإسلام أو في عصور الإسلام المختلفة،ظلت تؤدى دورها في العصر العثماني [٣]،مما ترتب عليه تركيز أغلب جهود العثمانيين في العناية بأمر الآبار على الإصلاح والتجديد وزيادة تعميق الآبار ليكثر ماؤها . أما حفر آبار جديدة فإن ماتوصلت إليه من معلومات في هذا المجال قليل نسبياً .

ولإلقاء مزيد من الضوء على هذه الحقيقة نقول: في عصر السلطان سليمان القانوني عانى أهل مكة الكثير من قلة مياه الآبار، فقد وصفت حالة مياه الآبار في سنة ٩٢٦ هـ / ١٥١٩م بأنها قليلة جدا [٤]، كما وصفت سنة ٩٤٠ هـ / ١٥٣٣م ومابعدها بأن مياه الآبار فيها قد جفت [٥]،

---

(١) إبراهيم رفعت: المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٦٠.

(٢) محمد لبيب البتنوني : المصدر السابق ، ص ١٠١.

(٣) على الطبري : ت ١٠٧٠هـ . المصدر السابق ، ورقة ٤٣.

(٤) أيوب صبري : المرجع السابق ، ج ٥-٧ ، ص ٧٣١.

(٥) مؤلف مجهول : سلوك سبيل الرشاد لمولانا السلطان مراد ، ورقة ٣٤ ، مخطوط مصور بالميكروفيلم عن المكتبة الأزهرية برقم (١٠٢٤). مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بمكة رقم (٦٧٥).

مما دفع السلطان سليمان القانوني إلى توجيه إبراهيم دفتردار مصر المعين لعمارة عين عرفة سنة ٩٦٩ هـ / ١٥٦١م أن يكون أول عمل يقوم به بمكة هو تنظيف جميع الآبار التي يستقي منها الناس وذلك بإخراج ترابها ثم زيادة حفرها ليكثر ماؤها [١]، اضافة إلى قيام محمود الخادم المتولي زمام ابنة السلطان سليمان أثناء حجه عام ٩٦٩ هـ / ١٥٦١م ، بالتوجه إلى الزاهر والشبيكة للكشف عن حالة آبارها ودفع من ماله مبلغاً من المال لإبراهيم دفتردار مصر ، للإنفاق منه على حفر بئر في طريق المسفلة وبئر في الزاهر وزيادة حفر وتنظيف الآبار النازحة [٢] .

وفي سنة ٩٧٨ هـ / ١٥٧٠م، حجّ الوزير سنان باشا وذهب إلى التنعيم جهة مسجد عائشة رضي الله عنها ليحرم للعمرة ،فشاهد مايعانيه المسلمون من قلة مياه الوضوء في ذلك المكان ،وحملهم له من أماكن بعيدة ،حيث أنهم لم يتمكنوا من الحصول على الماء من البئر القريبة من مسجد عائشة بسبب انهدامها واندثارها، مما حفز الوزير على إعادة حفرها وبنائها ،بغية كسب الأجر والثواب عند الله [٣] .

وفي سنة ٩٨٢ هـ/ ١٥٧٤م تم تعمير آبار مكة المشرفة [٤]،وحفر مجموعة كبيرة على يد الوزير محمد باشا [٥]، الذى ينسب إليه

---

(١) عبد الملك العصامي : المصدر السابق ، جـ٤ ص ٨٦ ، على الطبرى : المصدر السابق ، ورقة ٣٧ ،عبد الكريم القطبي : المصدر السابق ، ص ١١٢.

(٢) عبد القادر الجزيرى : المصدر السابق، جـ ٢ ص ١٠٦٥.

(٣) أحمد زيني دحلان: المصدر السابق ص ٣٢٢-٣٢٣ ،سنان باشا كان واليا على مصر وأنشأ بها جامعاً سنة ٩٧٩ هـ.انظر: سلوك سبيل الرشاد لمولانا السلطان مراد ورقة ٦١ ،حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية، جـ١ ص ٣٠٣ ، القاهرة مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٦م.

(٤) السيد عبد الله محمد الزواوي : المرجع السابق ص ٢١.

(٥) تولى الوزير محمد باشا منصب الوزارة العظمى في عهد السلطان =

بئر الداوودية [1] . وفي سنة ١١٢٥ هـ / ١٦١٦ م أمر السلطان أحمد خان الأول بإنشاء وتجديد عمارة مجموعة كبيرة من الآبار بمكة المكرمة [2] .

وفي عهد السلطان مصطفى خان الثالث ١١٧١-١١٨٧هـ /١٧٥٧-١٧٧٤م [3] ، تمّ تعمير وتجديد الآبار الواقعة على الطريق بين مكة والمدينة [4] ، مما يجعلنا نرجح أن مجموعة الآبار الموجودة الآن بالزاهر [5] قد تمّ حفر بعضها وتجديد بعضها الآخر في نفس الفترة التي أشار إليها النص ، حيث إن الزاهر يعتبر من أحياء مكة وطريقا يوصلها بالمدينة المنورة .

وعمل السلطان محمود خان الثاني ١٢٢٣ هـ – ١٢٥٥ هـ/١٨٠٨-١٨٣٩ م [6] ،

= سليم الثاني ، قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ، ص ٥٧ – ٥٩ . وينسب للوزير محمد باشا بناء حمام باب العمرة سنة ٩٩٨هـ / ١٥٧٤م . انظر ص ٨١ > (الحمامات) من هذا البحث .

(١) محمد بن أحمد الصباغ المكي : المصدر السابق ، ورقة ١٥٩ . يقع بئر الداوودية ناحية السوق الصغير بمكة . انظر ص ٣٨٨ من هذا البحث .

(٢) وثيقة بدفتر مهمة مصر رقم ١ ص ٦٢ بأرشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول .

(٣) محمد فريد بك المحامي : تاريخ الدولة العثمانية ، تحقيق دكتور إحسان حقي ، ص ٣٤٠ ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، دار النفائس بيروت .

(٤) محمد أمين المكي : المرجع السابق ص ٣٢.

(٥) عن هذه الآبار انظر الدراسة العمارية ص ٣٨٨ من هذا البحث.

(٦) محمد فريد بك المحامي : المرجع السابق ، ص ٣٩٧ ، ٤٥٤.

على إعادة بناء ثلاث آبار لخدمة المعتمرين وسكان بلد الله الحرام أولاها تعرف ببئر الجعرانة ، والثانية تعرف ببئر طوى ،والثالثة بئر بقرب تربة السيدة ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم جهة شمال مكة [(١)] .

وهناك بئر مجاورة لعلمي ،حدود حرم مكة من الجهة الشمالية الغربية ترجع في بنائها لسنة ١٢٦٣ هـ / ١٨٤٦م أشار إليها إبراهيم رفعت بقوله "العلمين ومنهما يبتدىء الحرم من الجهة الغربية ... وبجوار العلم الشمالي (بالنسبة للقادم من جدة إلى مكة) بئر مبنية بالحجر سمك حائطها ١٠ر١ م وقطرها أربعة أمتار وعمقها ١٥ مترا وبجوارها مشرب (سبيل) مبنى بالحجر بناء متيناً ،ومكتوب عليه أبيات باللغة التركية بخط جميل ، وتاريخ بنائه سنة ١٢٦٣هـ"[(٢)]، لوحة (١١٥) .

وفي سنة ١٢٧٩ هـ / ١٨٦٢م حفر أمير مكة الشريف عبدالله باشا بئراً بطريق التنعيم بالقرب من منطقة الشيخ محمود ،كما عُمل أيضا بالقرب منها بئر تنسب لرجلهندى أنشأها سنة ١٢٨٣ هـ/ ١٨٦٦م[(٣)].

وقد أدت مجموعة هذه الآبار دورها في تزويد مكة بالماء إلى جانب مياه العيون الواصلة إليها بواسطة القنوات ،كما اعتمد السكان

---

(١) محمد أمين المكي : المرجع السابق ، ص ٣٥-٣٦ ، عن موقع بئر طوى وأهميتها . انظر الدراسة العمارية ص ٤٠٧ من هذا البحث .

(٢) إبراهيم رفعت: المصدر السابق ،جـ ١ ص ٢٨.

(٣) محمد بن أحمد الصباغ المكي : المصدر السابق ورقة ١٦٠،يوصف أمير مكة الشريف عبدالله باشا بسعة اطلاعه وعلمه وحبه للعلم والعلماء وعمل الخير . السيد أحمدزيني دحلان : المصدر السابق ، ص ٣٢١.

على الآبار وحدها وقت انقطاع مياه العيون مثل ما حدث في سنتي ٩٦٠ هـ / ١٥٥٢ م و ٩٦٨هـ / ١٥٦٠م [١] .

وتحدث محمد لبيب البتنوني الذى زار مكة سنة ١٣٢٧ هـ /١٩٠٩م عن دور الآبار في تزويد سكان مكة بالماء في عصره بقوله : " وأهل مكة يشربون من ماء الآبار التي فيها مثل زمزم أو التي في ضواحيها كالزاهر ، والعسيلان ، والجعرانة ، وغيرها أو من الصهاريج التي تملأ من مياه المطر أو ماء الينابيع أو من عين زبيدة ".[٢]

أما إبراهيم رفعت فقد أشار إلى الدور الكبير الذى قامت به هذه الآبار سنة ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠م بعد أن دمّر السيل ،الذى وقع في ذلك العام ، قنوات مياه العيون ، مما جعل الناس يعتمدون كلية على مياه الآبار [٣] .

(١) انظر ماسيأتي ص ١٤٨ - ١٥٠ من هذا البحث .
(٢) محمد لبيب البتنوني : المصدر السابق ، ص ٦٤.
(٣) إبراهيم رفعت : المصدر السابق ،ج ١ ص ٢٢٣.

ثانيا : العيون وقنواتها :

تتجلى عناية العثمانيين في جلب مياه العيون إلى مكة المكرمة والمشاعر المقدسة ، في أساليبهم التي اتبعوها لصيانة وترميم العيون القديمة ، وانشاء عيون جديدة ، و العمل على صيانة وترميم وإنشاء وتنظيف قنوات المياه الناقلة لمياه هذه العيون .

ولكي ندرك تلك الجهود ، أجد أن من الأفضل عرضها على حسب تسلسلها التاريخي ، منذ بداية العصر العثماني إلى نهايته ،لتميّز هذا العصر بحادث مهم ، وهو تعزيز مياه عين حنين الواصلة إلى مكة بمياه عين عرفة ، عن طريق مدّ قناة جديدة من بئر زبيدة (بحديقة الطفل الواقعة بأول بالعزيزية) إلى البياضية بالأبطح [1] ، لجمع مياه وادى حنين ومياه وادى نعمان في ذلك الموضع ثم توجيه مياههما الى داخل مكة ويمكن تقسيم مراحل جهود العثمانيين في العناية بأمر العيون وقنواتها الى أربع فترات تاريخية :

أ - القرن العاشر الهجرى .

ب - القرن الحادى عشر الهجرى .

ج - القرن الثاني عشر الهجرى .

د - منذ بداية القرن الثالث عشر الهجرى وحتى سقوط الدولة العثمانية .

وسأحاول إلقاء مزيد من الضوء على جهود العثمانيين في العناية بالعيون وقنواتها في هذه الفترات الأربع .

---

(١) انظر ص ١٤٧ - ١٦٠ من هذا البحث .

أولا: جهود العثمانيين في القرن العاشر الهجرى :

عانى سكان مكة المكرمة وحجاج بيت الله الحرام مشقة عظيمة في سبيل الحصول على الماء في أوائل حكم العثمانيين للحجاز ،مما أدى إلى اهتمام السلطان سليمان القانوني سنة ٩٣١ هـ / ١٥٢٤م بإصلاح عين عرفه وعين حنين (١) .

ولكي ندرك أهمية الجهد الذى بذله السلطان سليمان القانوني في هذا العام وماتلاه (٢) ، يجدر بنا استعراض الحالة التى كان عليها سكان مكة وماعانوه من مشقة في سبيل الحصول على الماء قبل الإصلاحات التي قام بها هذا السلطان .

فقد ذكر قطب الدين الحنفي المتوفي عام ٩٩٠هـ / ١٥٨٢م عن ذلك مانصه " في أوائل الدولة العثمانية بهذه الأقطار الحجازية ... بطلت العيون وتهدّمت قنواتها وانقطعت عين حنين عن مكة المشرفة ، وصار أهل البلاد يستقون من الآبار حول مكة ،من أبيار يقال لها العسيلات في علو مكة قريب من المنحنا ، ومن آبار في أسفل مكة من مكان يقال له المواهد ويسمى الآن الجوخي في طريق التنعيم (الزاهر) ،وكان الماء غاليا قليل الوجود ،وكذلك انقطعت عين عرفات وتهدّمت قنواتها ،وكان الحجاج

---

(١) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ،ص ٢٨٤-٢٨٥ ،عبد الكريم القطبي: المصدر السابق ،ص ١٠٩-١١١،عبد الملك العصامي : المصدر السابق ،ج ٤ ص ٨٥ ، محمد بن علي المعروف بابن المحب الطبرى : المصدر السابق ،ج ١ ورقة ١٩٢-١٩٣ .ذكر أيوب صبرى أن السلطان سليمان أمر بإصلاح قناة عين حنين وتنظيفها سنة ٩٢٦ هـ / ١٥١٩م لكن على قدر ماتوفر لي من مصادر لم أجد مايؤكد كلامه .أيوب صبرى: المرجع السابق ،ج ٥ - ٧ ،ص٧٣١ .

(٢) عن أعمال السلطان سليمان القانوني في سبيل الاهتمام باصلاح قنوات العيون انظر ماسيأتي ص ١٤٤ من هذا البحث .

يحملون الماء إلىعرفات من الأمكنة البعيدة ، وصار فقراء الحجاج يوم عرفه لايطلبون شيئا غير الماء لعزته ولايطلبون الزاد ، وربما جلبه بعض الأقوياء من الأماكن البعيدة للبيع ... فارتفع سعر الماء جدا في يوم عرفه ، وكنت يومئذ مراهقاً في خدمة والدى رحمه اللهتعالى وفرغ الماء الذى كنا حملناه من مكة إلىعرفات وعطش أهلنا ، فتطلبت قليلاً من الماء للشرب ، فاشتريت قربة صغيرة جداً يحملها الإنسان بإصبعه بدينار ذهب ، والفقراء يصيحون من العطش ، يطلبون من الماء مايبل حلوقهم في ذلك اليوم الشريف ، فشرب أهلنا بعض تلك القربةوتصدقوا بالباقي على بعض من كان مضطرا من الفقراء وعطشنا عقيبه ،وجاء وقت الوقوف الشريف والناس عطاشى يلهثون ، فأمطرت السماء وسالت السيول من فضل الله تعالى ورحمته والناس واقفون تحت جبل الرحمة ، فصاروا يشربون من السيل من تحت أرجلهم ويسقون دوابهم"(١) .

فإذا أردنا معرفة السنة التي وقع فيها ذلك ، نجد أن قطب الدين الحنفي موءرخ مكة المعاصر لتلك الأحداث ، لم يحددها صراحة بل ذكر أن هذا الحادث جرى في أوائل حكم العثمانيين للحجاز ، وقبل عمارة السلطان سليمان لعين عرفة وعينحنين سنة ٩٣١ هـ / ١٥٢٤م(٢)، علما بأن عبدالملك العصامي المتوفي عام ١١١١ هـ / ١٦٩٩م ،نسب إلى قطب الدين الحنفي أنه قال بأن تلك الأحداث وقعت عام ٩٣٠ هـ/ ١٥٢٣م (٣)،كما تحدث ابن المحب الطبرى المتوفي عام ١١٦٢ هـ / ١٧٤٨م ، عن انقطاع ماء عينعرفه وعين حنين سنة ٩٣٠ هـ / ١٥٢٣ م (٤) .

---

(١) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ،ص ٢٨٤-٢٨٥.
(٢) المـ السابق، ص ٢٨٤-٢٨٥.
(٣) عبدالملك العصامي : المصدر السابق ، جـ ٤ ص ٨٥.
(٤) محمد بنعلي المعروف بابن المحب الطبرى : المصدر السابق ،جـ ١ ورقة ١٩٢-١٩٣.

ونخرج من ذلك بأنه نتيجة لنقص المياه بمكة المكرمة والمشاعر المقدسة ، صدرت أوامر السلطان سليمان القانوني ، بعمارة عين عرفه ، وعين حنين سنة ٩٣١ هـ / ١٥٢٤م وعين للاشراف على ذلك ناظر من المجاورين بمكة ، اسمه مصلح الدين مصطفى . وقد بذل جهدا في سبيل إصلاح قناة عين حنين إلى أن جرى ماؤها بمكة ، وإصلاح قناة عين عرفه إلى أن ملأت مياهها برك عرفات ، ثم اشترى الناظر من أموال السلطنة عبيداً سوداً ،رتب لهم الموارد للإنفاق عليهم ليعملوا على صيانة وتنظيف قنوات العيون[١] .

عمارة السلطان سليمان القانوني لقناة عين منى :

نشر محمد أنور شكرى رحمه الله نقشاً كتابياً عن عمارة بركة السلم وإعادة إصلاح القناة التي تغذيها سنة ٩٣٥ هـ / ١٥٢٨م .وتساءل رحمه الله عن العين التي كانت تغذى بركة السلم ، هل هي عين حنين ، أم عين عرفه[٢] . و أعقب ذلك قام محمد الفعر بإعادة نشر هذا النقش وذهب إلى أنه يؤرخ لعمارة السلطان سليمان لعين حنين سنة ٩٣٥هـ/١٥٢٨م[٣] فأين الحقيقة إذن فيما ذهب إليه كل منهما ؟

---

(١) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ، ص ٢٨٤-٢٨٥ ،عبد الكريم القطبي : المصدر السابق، ص ١٠٩-١١١ ،عبد الملك العصامي: المصدر السابق ، ج ٤ ص ٨٥ ، أيوب صبرى : المرجع السابق، ج ٥ - ٧ ، ص ٧٣٩.

(٢) محمد أنور شكرى : المرجع السابق ،ص ١٦-١٧ ، ٤٧-٤٨.

(٣) محمد الفعر : المرجع السابق ، ص ٣٣٦-٣٣٧ ، ٣٥٠.

الواقع إن عدم تحديدهما لطبغرافية المنطقة المحيطة بموقع بركة السلم ، وعدم مراجعتهما لما كتبه الفاسي عنها ،وعن قناة العين التي تغذيها ، أوقع محمد أنور شكري في الحيرة بين نسبة هذه العمارة لعين حنين ، أو لعين عرفه ، كما لم يوفق محمد الفعر في الخطأ حينما نسبها إلى عين حنين .

والصواب أن هذا النقش يؤرخ لإعادة إصلاح قناة عين منى التي تغذى بركة السلم في ذلك الوقت . وهي بعيدة كل البعد عن عين حنين، وسوف أعرض نص النقش الكتابي ثم أقوم بعرض مايؤكد وجهة نظرى .

يتكون النقش من ١٦ سطراً ، وهامشين هذا نصه [١] :

١- بسم الله الرحمن الرحيم
٢- وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .
٣- متع الله الاسلام والمسلمين ببقاء مولانا
٤- السلطان الأعظم والخاقان المكرم سلطان
٥- العرب والعجم خادم الحرمين الشريفين ملك
٦- الروم والعراقين السلطان بن السلطان
٧- السلطان سليمان خان من آل عثمان عز نصره
٨- أمر باعادة اصلاح عين هذه البركة المعروفة ببركة
٩- السلم بعدما انقطع مأها [٢] وبتجديدبنا(ء)هذ(ه) البركة
١٠- بعدما اندرست اماراتها وانهدمت بطول الزمان

---

(١) سوف أقوم بدراسة هذا النقش دراسة حضارية في الفصل القادم . انظر ص ٤٩٢ من هذا البحث .

(٢) وردت هكذا والصواب(ماؤها) .

١١- عمار اتهاموردا لحجاج بيت الله الحرام ولساير

١٢- الخاص والعام ابتغا(ء) مرضات الله الملك العلام

١٣- وذلك في أيام عدل مولانا السيد الشريف الحسب والنسب

١٤- أمير الحرمين جمال الدين محمد ابونمي ابن بركات الحسني أدام الله أيامه

١٥- وكان ذلك في سنة خمس وثلاثين وتسعماية من الهجر(ة) النبوية

١٦- على صاحبها أفضل الصلوة[1] والسلام

الهامش الأيمن	الهامش الأيسر
١- وذلك على يد الفقير	١- مصطفى ناظر
٢- الى الله تعالى	٢- عين مكة المشرفة
	٣- لطف الله به

انظر لوحة (١٥٦)

نلحظ من خلال قراءة النقش عدم وجود أى كلمة تدل على أنه خاص بعمارة عين حنين ، فكل الذى ورد به أن السلطان سليمان أمر بإعادة إصلاح العين المغذية لبركة السلم ، وتجديد بناء البركة بعد انهدامها، في سنة ٩٣٥ هـ / ١٥٢٨م .

إضافةً إلى هذا النقش الكتابي ، فإن هناك أمرين يؤيدان أن ماورد بالنقش خاص بعمارة عين منى المغذية لبركة السلم، وليس بعين حنين .

الأمر الأول : قول الفاسي : " منها عين أجراها الأمير المعروف بالملك نائب السلطنة في مصر في سنة خمس وأربعين وسبعمائة، من منى إلى بركة السلم بطريق منى"(١).

---

(١) تقي الدين الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ،جـ ١ ص ٣٤٩
ابن فهد : المصدر السابق، جـ٣ ص ٢٩٩.

وقد سبق أن عرضت هذا النص ، عند الحديث عن جهود المسلمين فيما قبل العصر العثماني لتوفير المياه لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة [(١)] ، لكن الذى يهمنا الآن أنه قد وضح لنا من خلاله موقع العين التي كانت تغذى بركة السلم في عام ٧٤٥ هـ / ١٣٤٤ م، فقد ذكر أنها من منى وليس من عين حنين .

الأمر الثاني : من خلال استعراض جميع جهود العثمانيين في توفير المياه لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة لم أقف على أى نص يشير إلى جلب مياه عين حنين إلى هذه البركة [(٢)]، ويؤيد ذلك نتائج الدراسة العمارية التي أقدمها في الفصل الثالث من هذا البحث . فقد تم تحديد موقع بركة السلم من خلال استعراض أقوال المؤرخين ، وأيدت ذلك بوثيقة عثرت عليها ، وقد وقع بها موضع بركة السلم ، مما يكشف لنا أن طبيعة طبغرافية المنطقة المحيطة بها تمنع وصول مياه عين حنين اليها [(٣)] .

ايصال ماء عين عرفة إلى مكة المكرمة :

بعد عمارة السلطان سليمان القانوني لعين عرفة وعين حنين سنة ٩٣١ هـ / ١٥٢٤م وإصلاح عين منى المغذية لبركة السلم عام ٩٣٥ هـ / ١٥٢٨م ، يبدو أن مشكلة نقص المياه بمكة المكرمة والمشاعر المقدسة كانت لاتزال قائمة ، حيث يظهر ذلك من سفر ناظر العين مصلح الدين مصطفى الذى تم

---

(١) انظر ماسبق ص ٩٣ من هذا البحث .
(٢) انظر ماسيأتي ص ١٤٢-٢٣٨ من هذا البحث .
(٣) انظر ماسيأتي ص ٤٢٠ من هذا البحث .

على يديه إنجاز تلك الأعمال - لمقابلة السلطان سليمان ، الذى أجابه إلى جميع مطالبه الهادفة إلى توفير المياه للسكان وحجاج بيت الله الحرام ، لكن إرادة الله اقتضت موته غريقاً ببحر القلزم (الأحمر) عام ٩٣٧ هـ / ١٥٣٠م (١) .

أما عن السنين التي تلت ذلك وظهر بها نقص المياه فقدسجّلها لنا المؤرخون ،منها عام ٩٤٠ هـ / ١٥٣٣ م ، الذى ظهر فيه ارتفاع درجة الحرارة ونقص المياه ،مما تسبب في موت أعداد كبيرة من الناس فجأة (٢) ، كما وصف هذا العام ، بنزوح مياه الآبار (٣) وتعرض سكان بلد الله الحرام للمجاعة (٤) .

ومنها سني ٩٦٠ هـ / ١٥٥٢م (٥) ، ٩٦٣ هـ / ١٥٥٥م (٦)،٩٦٥هـ/١٥٥٧م وما بعدها وصفها قطب الدين الحنفي المتوفي عام ٩٩٠ هـ / ١٥٨٢م بأنها كانت تقارن بسني يوسف شدةً وعجفاً (٧) .

---

(١) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ، ص ٢٨٥-٢٨٦ ، محمد الفعر ، المرجع السابق ، ص ٣٤٩-٣٥٠ .

(٢) احمد الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي امارة الحج ورقة ١٣ ،مخطوط رقم (٢٤٢) بمركز البحث العلمي واحياء التراث الإسلامي ،جامعة أم القرى . مكة المكرمة .

(٣) سلوك سبيل الرشاد لمولانا السلطان مراد،ورقة ٣٤ .

(٤) أيوب صبرى : المرجع السابق ج ٥-٧ ، ص ٧٣٩ .

(٥) عبد الملك العصامي : المصدر السابق ،ج ٤ ص ٨٥ .

(٦) محمد بن علي المعروف بابن المحب الطبرى : المصدر السابق، ج ١ ورقة ٢٣٣-٢٣٦ .

(٧) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ، ص ٢٨٦ ، محمد باشا صادق : المصدر السابق ، ص ٦٢ .

وقد وصف عبد القادر الجزيري الصعاب التي كان يتعرض لها سكان مكة المكرمة ، بسبب نقص المياه في بعض تلك السنين ، اعتماداً على رسائل كانت تصله من مؤرخ مكة المعاصر لتلك الأحداث قطب الدين الحنفي ، وغيره من قضاة مكة المكرمة وأعيانها ، الذين كانت تربطهم صداقة بالجزيري... وصفها بقوله :

" ففي شهر رمضان سنة ٩٦٠ هـ (١٥٥٢م) ومابعده ، ظهر نقص كبير في مياه حنين ،وكان الناس يتهمون ناظر العين أنه ربما لم يسع في تنظيف القناة لتسد ، ويقل الماء ، فيبذل له من ديوان جده مصروفاً لذلك ، فلما بلغ الخبر سماع الأمير اسكندر نائب جده، توجه في اليوم الرابع عشر من شهر شوال سنة ٩٦٠ هـ إلى منبع العين ،وصحب معه بعض أرباب الخبرة ،وتفحصوا القناة فلم يظهر لهم بها خلل ،فحينئذٍ أمر بتركيب السواني على الآبار التي بالمعلاه ، ونقل مياهها في قناة العين لملء بركة الشامي وبركة المصرى بالمعلاه ، كماوجه الناس إلى الإستفادة من مياه الآبار الواقعة بالزاهر ، والعمرة ، والمنحنا ، ثم عرض جميع ذلك على السلطان "(١) .

"وقبل موسم حج سنة ٩٦٨ هـ (١٥٦٠م) قام أمير مكة بتشغيل جماعة من الناس لنقل الماء من الآبار إلى البرك لسقي الحجاج ، ووكّل للإشراف على ذلك الأمر جماعة من ثقاته ، فلما وصل الحجاج نزحوا الماء من البرك في أيام يسيرة ، واحتاجوا إلى الماء، فأخذ أهل البادية بنقل الماء من الآبار إلى مكة وبيعه بأسعار مرتفعة ، مما جعل أهل مكة والحجاج يخصون ذلك الماء لشربهم ولاستعمالاتهم الخاصة ، أما سقي

---

(١) عبد القادر الجزيري : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٩٢٤.

دوابهم فكان أغلبهم يتوجه من أجل ذلك إلى قناة عين عرفه ، وإلى آبار الزاهر ، ومما زاد في شدة احتياج الناس للماء ارتفاع درجة الحرارة نظراً لانتقال الشمس إلى برج الأسد ، حتى ظهر أثر ذلك على أغلب أبدان الحجاج من قروح ودماميل وحساسية "(١) .

وفي سنة ٩٦٩هـ / ١٥٦١م زادت حدة نقص المياه بمكة ، وأثر ذلك على ارتفاع أسعار السلع ،مما دفع بعض الفقراء إلى أكل لحم بغل ،وبلغ الأمر بأحدهم أن أخذ في سلخ جلد هرة ليأكل لحمها(٢) .

ولما عرضت تلك الأحوال على السلطان سليمان القانوني ، أصدر أمره بتدارك ذلك الأمر بأى وجه كان ، وأمر بالبحث عن العيون ،وكيفية إجراء مياهها إلى بلد الله الحرام ،مما أدى إلى اجتماع عدد من أعيان مكة المشرفة مع قاضي البلد عبدالباقي بن على المغربي، والأمير خير الدين خضر سنجق جدة ، لتدارس أمر السلطان (٣) .

وبعد مشاورات اللجنة فيما بينها أجمع رأيهم على الآتي :

١ - إن أغنى العيون الموجودة في ذلك الوقت هي عين عرفة ، وقد تجلى ذلك لهم بعد أن لحظوا قلة مياه عين حنين وانقطاعها في بعض السنين ؛ بسبب قلة مياه الأمطار ،على حين كانت عين عرفه مستمرة في عطائها(٤). وقد أثبتت الدراسة التي قمت بها في الفصل الأول من

---

(١) المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٠٠٧-١٠٠٩.

(٢) المصدر السابق ،جـ ٢ ص ١٠٣٦-١٠٣٧ ، ١٠٦٢-١٠٦٣.

(٣) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ، ص ٢٨٦ ، عبدالملك العصامي : المصدر السابق ، جـ ٤ ص ٨٥ ، محمد بن على المعروف بابن المحب الطبرى : المصدر السابق ، ورقة ٢٣٣-٢٣٦.

(٤) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ، ص ٢٨٦ ، عبدالملك العصامي المصدر السابق ، جـ ٤ ص ٨٥ ، محمد بن على المعروف بابن المحب الطبرى ، المصدر السابق ،ورقة ٢٣٣-٢٣٦ .

هذا البحث صحة هذا الرأي ، حيث ظهر أن كمية مياه الأمطار المتساقطة على المناطق المغذية لعين عرفة أكثر من كمية المياه المتساقطة على المناطق المغذية لعين حنين (١) .

٢ - إن قناة عين عرفة، معروف مسارها من المنبع إلى بئر زبيدة (٢) (تقع الآن في حديقة الطفل الواقعة بأول العزيزية) .

٣ - إن هناك قناة مخفية تحت الأرض، تمتد من بئر زبيدة إلى داخل مكة ، وذلك يحتاج إلى حفر التراب للكشف عنها وإصلاحها (٣) .

٤ - إن تكاليف إصلاح هذا الجزء المختفي تحت الأرض يقدر بثلاثين ألف دينار (٤) .

فلما عرض ذلك على السلطان في أوائل سنة تسع وستين وتسعمائة (٥)، التمست أخته (٦) هانم سلطان منه أن يأذن لها في عمل هذا الخير،

---

(١) انظر ماسبق ص ٢٦ - ٢٩ من هذا البحث .

(٢) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ، ص ٢٨٦-٢٨٧ ، عبد الملك العصامي ، المصدر السابق ج ٤ ص ٨٥ . عن موقع بئر زبيدة . انظر الدراسة العمارية ص من هذا البحث .

(٣) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ، ص ٢٨٦-٢٨٧ ، عبد الملك العصامي المصدر السابق، ج ٤ ص ٨٥ ، محمد بن علي المعروف بابن المحب الطبري : المصدر السابق، ج ١ ورقة ٢٣٣-٢٣٦ ، محمد باشا صادق : المصدر السابق ص ٦٢ ، سوف يتضح فيما بعد خطأ هذا الرأي . انظر ص ١٥٣-١٥٤ من هذا البحث .

(٤) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ، ص ٢٨٦-٢٨٧ ، عبد الكريم القطبي : المصدر السابق ، ص ١١١ ، عبد الملك العصامي : المصدر السابق ، ج ٤ ص ٨٥ .

(٥) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ص ٢٨٧ ، عبد الملك العصامي : المصدر السابق ج ٤ ص ٨٦ .

(٦) ذكر علي الطبري : المصدر السابق ورقة ٣٦ ، أن المرأة التي رغبت في إجراء هذا العمل الخيري هي أخت السلطان سليمان . بينما ورد في المصادر الأخرى أنها كريمة السلطان سليمان . انظر: =

حيث كانت صاحبته الأولى زبيدة أم جعفر العباسية ، فناسب أن تكون هي أيضاً صاحبة هذا الخير ، فأذن لها في ذلك ،فاستشارت الوزراء فيمن يصلح لتولي العمل في هذه الخدمة فاتفقت آراؤهم على أن هذه الخدمة لايقوم بها إلا دفتردار ديوان مصر ، الأمير الكريم إبراهيم بن تغري بردى(١) .

وبعد أن صدرت الأوامر بتعيينه في هذا العمل ،أعطته السلطانة خمسين ألف دينار ، فوصل ميناء جده في يوم الجمعة لثمان بقين من ذى القعدة الحرام سنة تسع وستين وتسعمائة ، ثم توجه منها إلى وادى مر الظهران (وادى فاطمة) ، لعرض الأمر الذى جاء من أجله ،على أمير مكة محمد أبي نمي (٢) الذى قابله بالإمتثال والوعد ببذل الجهد ، لإتمام أمر السلطان ،ثم قابل رئيس الحرمين القاضي حسين الحسني بمكة المكرمة ، وعرض الأمر عليه ، فأشار القاضي على الأمير إبراهيم بما ينبغي عليه عمله وما يجب ملاحظته (٣) .

(=) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ، ص ٢٨٧ ، عبد الكريم القطبي: المصدر السابق، ص ١١١ ، عبد الملك العصامي : المصدر السابق ، جـ ٤ ص ٨٦ • الآن تطلق كلمة كريمة على ابنة الرجل وعلى أخته •

(١) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ، ص٢٨٧ ،محمد بن على المعروف بابن المحب الطبرى : المصدر السابق ورقة ٢٣٣-٢٣٦•

(٢) كان يشارك أمير مكة محمد أبا نمي في حكمها سنة ٩٦٩ هـ ابنه حسن • السيد أحمد زيني دحلان : المصدر السابق ، ص ٥٥•

(٣) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ، ص ٢٨٧ - ٢٨٨،عبد الملك العصامي : المصدر السابق ، جـ ٤ ص ٨٦ ، محمد بن على المعروف بابن المحب الطبرى : المصدر السابق ،جـ ١ ورقة ٢٣٣-٢٣٦•

وبعد ذلك توجه الأمير إبراهيم إلى الكشف على منبع العين وعلى قناتها في أعلى عرفه ، وكثر تردده إليها وبذل جهداً في التعرف على مواطن الخلل بها إلى أن جاء وقت حج عام ٩٦٩ هـ / ١٥٦١م ،فحج ثم واصل أعماله الكشفية ،بعد أن تم له تجهيز العمال الذين قُدِّر عددهم بنحو (٤٠٠) مملوك في غاية اللياقة البدنية ، وعين نحو ألف نفس من العمال ، والبنائين ، والمهندسين ، والحفارين ، وجلب من مصر ، ومن الشام ، وحلب ، واستانبول ، ومن اليمن ، طوائف أخرى من المهندسين ، وخدام العيون ، والحدادين ، والبنائين ،والحجارين ، والقطاعين ، والنجارين ، وغيرهم ممن يحتاج إليهم ، وأتى بآلات العمارة من مصر ، التي كان منها مكاتل ، ومساحي ، ومجاريف ، ومواد البناء التي كان منها الحديد،والنحاس ، والرصاص .(١)

ثم بدأ عمله بتوجيه المماليك إلى العمل على تنظيف القناة من المنبع إلى مزدلفة ، وقسم باقي المواضع على طوائف العمال ، فأعطى كل طائفة قطعة أرض أمرهم بحفرها إلى أن تظهر القناة فينظفونها ، ثم يقومون بأعمال الإصلاح(٢) .

وأثناء أعمال التنظيف والإصلاح ، وجد الأمير إبراهيم عيونا أخرى بوادي نعمان منها عين كانت تسمى " الثما " ، فأضاف جميع مياه هذه العيون إلى مياه عين عرفة (٣)، وكان يظن أنه سوف ينتهي من هذا العمل الذي جاء من أجله فيما دون العام ، لكنه فوجئ حينما وصل بإصلاح

---

(١) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ، ص ٢٨٩ ، عبد الملك العصامي : المصدر السابق ،ج ٤ ص ٨٦-٨٧ ، محمد بن علي المعروف بابن المحب الطبري : المصدر السابق ،ج ١ ورقة ٢٣٣-٢٣٦.

(٢) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ، ص ٢٨٩ ، عبد الملك العصامي: المصدر السابق ،ج ٤ ص ٨٦-٨٧ ،محمد بن علي المعروف بابن المحب الطبري : المصدر السابق ،ج١ ورقة ٢٣٣-٢٣٦.

(٣) عبد القادر الجزيري : المصدر السابق ،ج ٢ ص ١٠٩٧-١٠٩٩.

القناة إلى بئر زبيدة ، أنه لايوجد بعدها قناة أو آثار عمل ،فكان لزاماً عليه لإيصال القناة من ذلك الموضع إلى مكة المشرفة - أن يقطع الأرض الصخرية المعترضة من ذلك الموضع بطول ٢٠٠٠ ذراع بذراع البنائين وبعمق (٥٠) ذراعا كي يتسنى له إيصال قناة عين عرفة بقناة عين حنين ،لتصل المياه إلى مكة المشرفة [١] . فظهر بذلك خطأ لجنة علماء مكة الذين قالوا بوجود قناة من موضع بئر زبيدة إلى مكة ، فأعادوا النظر والبحث في كتب التاريخ ، فلم يجدوا بها أى إشارة تدل على وجود قناة من بئر زبيدة إلى مكة ، ووجدوا أن الحقيقة هي عدم تمكن الأقدمين من إيصال ماء عين عرفة إلى داخل مكة بسبب العوامل الطبيعية المشار إليها [٢] .

وعلىهذا تجلى للأمير ابراهيم حاجة العمل إلى مزيد من العمال ، والصناع ، وموادالبناء ، فبدأ بتوجيه القادرين من أهل مكة ،وعبيد التجار ، والأمراء إلى العمل [٣] ، ثم أخذ بطلب أعداد أخرى من العمال ، والصناع ، وموادالبناء من السلطان سليمان الذى أصدر أمره إلى كل من والىالشام ، ووالي حلب ، ووالي مصر ، بالاهتمام والسرعة في إرسال حجارين إلى مكة المشرفة ، ثم بعث من عنده بخمسة معلمين مختصين في بناء القنوات إلى والى مصر،وأمره بتوجيههم إلىالعمل في بناء قناة عين عرفه بمكة المكرمة ، وتأمين مواد البناء اللازمة لذلك المشروع [٤] .

---

(١) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ٢٨٦-٢٨٧ ، ٢٨٩-٢٩٠،عبدالملك العصامي : المصدر السابق ،ج ٤ ص ٨٦-٨٧ ،محمد بن على المعروف بابن المحب الطبرى : المصدر السابق ج ١ ورقة ٢٣٣-٢٣٦.

(٢) قطب الدينالحنفي : المصدر السابق ص ٢٨٦-٢٨٧،٢٨٩-٢٩٠.

(٣) عبدالقادر الجزيرى : المصدر السابق ،ج ٢ ص ١١٥٩.

(٤) وثائق بارشيف رئاسة الوزراء العثمانيباستانبول رقم : دفتر المهمة رقم ٥ ص ١١٤،دفتر المهمة رقم ٦ ص ٢٠٢ ،دفتر المهمة رقم ٥ ص ٥٤٥ ،وكذلك وثيقة رقم(١) بالملحق الأول من هذا البحث .

ويبدو أن هناك أعداداً من المعلمين قد فروا من موقع العمل إلى مصر ، مما دفع السلطان سليمان سنة ٩٧٣ هـ / ١٥٦٥م إلى أمر والى مصر للعمل على إعادة المعلمين الذين هربوا إلى عرفات (١) ومنح كل عامل اشتغل بقناة عين عرفة درهمين ، تشجيعاً له لبذل المزيد من الجهد ، وذلك بناء على طلب الأمير إبراهيم ، مأمور إجراء قناة عين عرفة (٢) ، كما أصدر السلطان أمره إلى أمير مكة بالاستمرار في تقديم مساعداته إلى الأمير إبراهيم والعمال ، كي يتسنى إتمام أعمال العمارة بقناة عين عرفة (٣) .

وعلى الرغم من صعوبة قطع المنطقة الصخرية ، فإن الأمير ابراهيم لم يجد بداً من حفرها ، لإتمام عمله ، وحفاظاً على ناموس السلطنة ، مما دعاه إلى طلب مالٍ إضافى حتى بلغ ماصرفه أكثر من خمسمائة ألف دينار من الخزائن العامرة السلطانية ، وتم له قطع (١٥٠٠) ذراع من المسافة المقدرة بالفين ذراع إلى أن توفي بمكة في ليلة الإثنين ثاني شهر رجب عام ٩٧٤ هـ / ١٥٦٦ م ، بعد أن قضى في عمله هذا نحو خمس سنوات (٤) .

---

(١) وثيقة بدفتر المهمة رقم ٥ ص ٥٤٥، بارشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول .

(٢) وثيقة بدفتر المهمة رقم ٦ ص ٢٠٩، بارشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول .

(٣) وثيقة بدفتر المهمة رقم ٦ ص ٢١٤، بارشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول .

(٤) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ، ص ٢٩٠-٢٩١ ، عبد الملك العصامي : المصدر السابق ، ج ٤ ص ٨٧-٨٨ ، محمد بن علي المعروف بابن المحب الطبرى : المصدر السابق ، ج ١ ورقة ٢٣٣-٢٣٦ ، السيد عبد الله محمد الزواوى : المرجع السابق، ص ١٨-١٩ .

ثم خلفه في هذه الخدمة سنجق جده الأمير قاسم بك، بتوجيه من أمير مكة المشرفة السيد حسن بن محمد أبي نمي ، وعرض ذلك على مقر السلطنة [١] . وفي هذا العام المذكور انتقلت أمور الحكم بعد وفاة السلطان سليمان إلى ابنه السلطان سليم ، الذى عين لهذه الخدمة دفتر دار مصر يومئذٍ محمد بك أكملجي زاده [٢]، ثم أخذ السلطان سليم بن السلطان سليمان يتابع أعمال العمارة ، وحاجة المشروع إلى مواد البناء ، والعمال ،وأصدر أمره سنة ٩٧٥هـ/١٥٦٧م ، بتجهيز حديد خام ، وحديد صلب من استابنول ، والإسراع في إرسالها على باخرة، أمرت بنقل هذه المواد إلى مصر[٣]، كي يتمكن واليها من نقل هذه المواد إلى مكة المشرفة ، مع خمسمائة قنطار زيت لاستعمالها في الإضاءة داخل القناة ،ومجموعة عمال[٤] .

---

(١) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ، ص ٢٩٠-٢٩١ . يختلف العصامي مع قطب الدين في هذه المعلومة ، حيث يشير العصامي إلى أن تولية الأمير قاسم بك كانت بتوجيه من شيخ الإسلام قاضي مكة حسين الحسني إلى أن يصل من تعيينه السلطنة العليا . عبد الملك العصامي : المصدر السابق ،ج ٤ ص ٨٨.

(٢) عبد الكريم القطبي : المصدر السابق ،ص ١١٢ ، عبد الملك العصامي : المصدر السابق ،ج ٤ ص ٨٨ ، محمد بن علي المعروف بابن المحب الطبري : المصدر السابق ،ج ١ ورقة ٢٥٠-٢٥١.

(٣) وثيقة بدفتر المهمة رقم ٧ ص ٢٤٧،بارشيف رئاسة الوزراء العثماني باستابنول . وكذلك انظر صورة هذه الوثيقة رقم (٢) بالملحق الأول من هذا البحث .

(٤) وثيقة بدفتر المهمة رقم ٧ ص ٣٤٢، بارشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول . وكذلك انظر صورة هذه الوثيقة رقم (٣) بالملحق الأول من هذا البحث .

ومن الملحوظ أن اهتمام السلطان سليم بن سليمان لم يقف عند هذا الحد ، بل أخذ اهتمامه يوجهه للبحث عن أفضل الصناع في بناء القنوات ، حيث بلغه خبر عن وجود معلم بمصر يمتاز بمهارته الهندسية في بناء قنوات المياه على ميزان الماء ، فأصدر السلطان أمره لهذا المعلم بمباشرة العمل فوراً بقناة مياه عين عرفة ،وذلك لحاجة العمل إليه ووعده السلطان بخير الجزاء بعد إتمام العمل(١) .

وتنفيذاً لأمر السلطان سليم القاضي بإتمام عمارة قناة عين عرفة،وإيصالها إلى مكة ، فقد استمر في هذا العمل محمد بك أكملجي زاده المأمور بهذه الخدمة وبذل فيها نفسه وماله ، لكنه لم يستطع إتمام العمل لوفاته في اليوم الرابع من جمادى الأولى سنة ٩٧٦ هـ / ١٥٦٨م ، ثم رجع إلى خدمة العين الأمير قاسم سنجق جدة ، وعرض ذلك الأمر على مقر السلطنة التي أصدرت أوامرها باستقرار قاسم بك في الخدمة أميناً على مصارفها ، وأن يكون مولانا القاضي حسين الحسني ناظراً على جميع الأعمال ، فاستمر قاسم بك مباشراً لهذه الخدمة إلى أن مات في اليوم الأول من شهر رجب عام ٩٧٩هـ/ ١٥٧١م(٢).

ثم توجه شيخ الإسلام القاضي حسين الحسنى ، إلى إتمام ما بقي من الأعمال على مقتضى الأمر السلطاني ،وتم له بحمد الله إنجاز العمل المتبقي فيما دون الخمسة أشهر ، وكان دخول ماء عين عرفة

---

(١) وثيقة بدفتر المهمة رقم ٧ ص ٣٤٣ ،بارشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول .

(٢) عبدالكريم القطبي : المصدر السابق ، ص ١١٢ ،عبدالملك العصامي : المصدر السابق ، ج ٤ ص ٨٨ ، محمد بن علي المعروف بابن المحب الطبرى : المصدر السابق ، ج١ ورقة ٢٥٠-٢٥١.

إلى مكة المشرفة بعد اجتماعها بماء قناة عين حنين ، في العشرين من ذى القعدة سنة ٩٧٩ هـ / ١٥٧١م بعد أن استمر إنجاز هذا العمل مايقرب من عشر سنوات [١] .

أثر وصول ماء عين عرفة على سكان مكة عام ٩٧٩ هـ / ١٥٧١ م :

سبق أن عرفنامالاقاه سكان بلد الله الحرام ، من الشدة في سبيل الحصول على الماء، قبل البدء في مشروع إيصال قناة عين عرفة إلى مكة سنة ٩٦٩ هـ / ١٥٦١م ، فضلاً عن أن مدة العمل بالمشروع استمرت حوالي عشرة أعوام ، لاقى الناس في بعض سنيّها شدة عظيمة ، منها سنة ٩٧٨ هـ / ١٥٧٠م التى اشتد بها الغلاء حتى أُكلت الموتى والدواب [٢] ، مما جعل يوم دخول ماء عين عرفة إلى مكة يوماً سعيداً ، فرح به سكان بلد الله الحرام مثل يوم العيد الأكبر ، لإحساسهم بزوال هم الحصول على الماء [٣] .

وأقام في ذلك اليوم القاضي حسين الحسنى أسمطة عظيمة ببستانه بالأبطح، ونصب به السرادقات ، وذبح أكثر من

---

(١) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ، ص ٢٩٢ ، عبد الكريم القطبي : المصدر السابق،ص ١١٣ ،عبد الملك العصامي : المصدر السابق ص ٨٨ ، محمد بن على المعروف بابن المحب الطبرى : المصدر السابق ، ج ١ ورقة ٢٣٣-٢٣٦ ،السيد عبد الله محمد الزواوى : المرجع السابق ص ١٩-٢٠.

(٢) على السنجارى : المصدر السابق ،ج ٢ ورقة ١١٦.

(٣) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ،ص ٢٩٢ ،عبد الملك العصامي: المصدر السابق ،ج ٤ ص ٨٨ ، السيد عبد الله محمد الزواوى : المرجع السابق ،ص ٢٠.

مائة من الغنم ، ونحر عدة من الإبل ، والنعم ، وقدم للناس أنواع الموائد ، وجمع الأكابر ،والأعيان ،وخلع على أكثر من عشرة من المعلمين ، والبنائين ، والمهندسين خلعاً فاخرة ،وأحسن إلىباقيهم بالإنعامات الوافرة ، وتصدق على الفقراء، والمساكين ، وأنعم علىالكبراء ، والأساطين ؛ شكراً لهذه النعمة الجزيلة ،وحمداً على هذه المنّة الجميلة ، التي أنعم الله بها علىعباده وأحيا وأخصب بها خير بلاده (١) .

وقد كتب في ذلك اليوم العلامة جمال الدين اسماعيل العصامي جد صاحب كتاب " سمط النجوم العوالي " إلىالقاضي حسين بقوله :

" أقضى القضاة الحسين أغنى سكان أم القرى بعينه
وجاء بالعين بعد يأس فشكره واجب لعينه (٢)

ثم جهّز القاضي حسين أخبار هذه البشائر العظمى ، وحصول هذه النعم إلىالسلطان سليم خان وإلى صاحبة الخيرات حضرة هانم سلطان التي أنعمت بصدقاتها وترقياتها على سائرالمباشرين لهذه الخدمة الشريفة ، وعملت علىترقية شيخ الإسلام القاضي حسين ، وأنعمت عليه بالخلع الشريفة الفاخرة ،وخوطب من قبل السلطنة بالخطابات الوفية السامية ، المتضمنة شكره على مابذل من جهد ، وأصبح القاضي حسين من خواص السلطنة المشمولين بنظرها وإنعاماتها (٣) .

---

(١) عبدالكريم القطبي : المصدر السابق ،ص ٢٩٢، عبدالملك العصامي : المصدر السابق ج ٤ ص ٨٨-٨٩ ، السيد عبدالله محمد الزواوى : المرجع السابق ،ص ١٩-٢٠ .

(٢) عبدالملك العصامي : المصدر السابق ،ج ٤ ص ٨٩ ،على السنجارى: المصدر السابق ،ج ٢ ورقة ١١٥.

(٣) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ،ص ٢٩٢-٢٩٣ ، سلوك سبيل الرشاد لمولانا السلطانمراد ،ورقة ٣٥ ،عبدالملك العصامي : المصدر السابق ،ج ٤ ص ٨٩ ، السيد عبدالله محمد الزواوى : المرجع السابق ،ص ١٩-٢٠.

كما بعث السلطان سليم بمجموعة قيّمة من الهدايا إلى أمير مكة ، وإلى القاضي حسين الحسني ،ورقّاه إلى وظيفة شيخ الحرم المكي الشريف ، وأمر له بمبلغ من المال؛للاستمرار في أداء رسالته العلمية (١) .

إنشاء قناة مستقلة بعين عرفة من الأبطح إلى آخر المسفلة :

بعد أن تم إيصال مياه عين عرفة عبر قناة من بئر زبيدة بالعزيزية (الآن) إلى جهة البياضية بالأبطح ،واختلطت مياهها بمياه عين حنين ، التي تصل عبر قناة من ذلك الموضع ، إلى بركة ماجن(٢) بآخر المسفلة ، رأى السلطان سليم بن سليمان أن من الأفضل بناء قناة مستقلة ، لنقل ماء عين عرفة من الأبطح إلى آخر المسفلة ، دون اختلاطها بماء قناة عين حنين ، وإيصال الماء من القناة الجديدة داخل مكة إلى مجموعة من الأسبلة حددها له (٣) ، وأصدر السلطان أمره سنة ٩٧٩ هـ / ١٥٧١ م إلى والي مصر سنان باشا بأن يختار أحد الأمراء المعروفين بالتقوى والصلاح لتولي إنجاز هذا العمل ،فرشح له الأمير اسكندر باشا الجركسي ، الذى كان يشغل منصب والي مصر سابقاً فصدرت الأوامر بتعيينه لهذه المهمة مع مشاركة القاضي حسين الحسني،

(١) وثيقة بدفتر المهمة رقم ١٩ ص ٣٥٢،٣٥٣ ،بارشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول .

(٢) يطلق بعض المؤرخين على هذه البركة اسم بركة ماجل. والماجل في اللغة كل ماءٍ في أصل جبل أو واد . وقد حرفها الناس فقالوا بركة ماجن أوماجد. انظر: إبراهيم رفعت: المرجع السابق ج ١ ص ٢١٨. أحمد السباعي: المرجع السابق،حاشية رقم (٥) ص ١٥٦.

(٣) الوثائق بدفتر المهمة رقم١٦ ص ٢٤ ،ودفتر المهمة رقم ١٩ ص ٣٥٢ ، ٣٥٣ ،بأرشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول.

وسنجق جدة ، وعلى ذلك فقدوصل الأمير إلى مكة في أواخر سنة ٩٧٩ هـ / ١٥٧١م بصحبته المعمار محمد جاويش الديوان العالي ، وتمّ لهم بناء القناة من الأبطح إلى المدّعى ثم إلى سويقة ، ثم عطف بها إلى السوق الصغير ، ثم إلى آخر المسفلة [١].

وبذلك استطاع العثمانيون في القرن العاشر الهجرى إنشاء قناة جديدة، لنقل ماء عين عرفة من بئر زبيدة إلى آخر المسفلة [٢].

وعلى الرغم من هذه الأعمال العظيمة التي قام بها العثمانيون في إصلاح قناة عين عرفة ، وإيصالها إلى آخر المسفلة بمكة المكرمة ، فقد ظهر بعد فترة وجيزة حاجة بعض مواضع من قناة عين عرفة للترميم ، وظهر خطأ المعماريين في بناء بعض مواضع من القناة ؛فقد رفع للسلطان مراد بن سليم رسالة ذكر فيها أن بعضا من أجزاء قناة عين عرفة ، أشرفت على الخراب ، وكي لاتسوء حالة القناة ،ويستفحل الخراب ،وتكثر تكاليف الإصلاح ،يجب إصلاحها بسرعة ،مما دفع السلطان إلى إصدار أمره إلى والي مصر سنة ٩٨٨ هـ / ١٥٨٠م بتقدير قيمة التكاليف والإسراع في إنجاز العمل [٣] .

---

(١) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ، ص ٢٢٤ - ٢٢٦ ، سلوك سبيل الرشاد لمولانا السلطان مراد ، ورقة ٦١ ، على السنجارى: المصدر السابق ، جـ ٢ ورقة ١١٦-١١٧، محمد بن على المعروف بابن المحب الطبرى : المصدر السابق ،جـ ١ ورقة ٢٥١-٢٥٣.

(٢) انظر ص ٣٧٣ من هذا البحث .

(٣) وثيقة بدفتر المهمة رقم ٤٣ ص ٨٣ ، بأرشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول .

كما رفع أيضا في نفس السنة (٩٨٨ هـ / ١٥٨٠م) كتاب من عبدالباقي أفندى قاضي مكة المكرمة ، إلى السلطان ، أشار فيه إلى وجود بعض أجزاء مرتفعة في قناة عين عرفة ، وأنها لم تبن على ميزان الماء ، وأدّى ذلك الأمر إلى رجوع قسم كبير من المياه إلى جهة منبع العين ، وقد أكد ذلك القاضي بعمل رسم لتلك المواضع ، وقدر تكلفة إعادة إصلاحها بألف فلوري [١] ، وعلى هذا فقد أمر السلطان مراد ، والي مصر بدفع مبلغ ٥٠٠٠فلورى من خزينة مصر ، لإصلاح الأماكن المشرفة على الخراب في القناة ، وعلاج الخطأ الذى وقع فيه المعماريون العثمانيون في بناء القناة بشكل مرتفع بعض الشئ عن ميزان الماء ، وتمّ تعيين أحمد بك أحد أمراء مصر لتنفيذ هذا المشروع [٢] .

ولكي يتم تنفيذ هذا المشروع في أقصر وقت ، وعلى وجه الدقة ، فقد وجّه السلطان كتاباً إلى أمير مكة حثّه فيه على الإهتمام بمساعدة القائم بهذه الأعمال ، وإمداده بما ينقصه من الآلات ، والأدوات [٣] ، ثم أمر أحمد بك بالوقوف على مواقع الخراب ، لتحديدها ثم إصلاحها ، وأمر السلطان أحمد بك أيضا أن يعمل بجد ، وسرعة ، وأن يصرف الأموال في محلها اللازم ، وأن لايتلفها [٤] .

---

(١) وثيقة بدفتر المهمة رقم ٤٣ ص ١٨٨ بارشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول . وكذلك انظر صورة هذه الوثيقة رقم (٥) بالملحق الاول من هذا البحث .

(٢) وثيقة بدفتر المهمة رقم٤٣ ص ١٨٤ بارشيف رئاسة الوزراءالعثماني باستانبول .وكذلك انظر صورة هذه الوثيقة رقم(٤) بالملحق الأول من هذا البحث .

(٣) الوثيقة السابقة .

(٤) وثيقة بدفتر المهمة رقم ٤٣ ص ١٨٨ بأرشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول . وكذلك انظر صورة هذه الوثيقة رقم (٥) بالملحق الأول من هذا البحث .

وإذا كنا قد تحدثنا عن قناة عين عرفة ، فيجدر بنا أن نشير إلى عمل هام تم في سنة ٩٩٠ هـ / ١٥٨٢م وهو صدور أمر السلطان مراد بن سليم إلى قاضي مكة المكرمة، بالعمل على ترميم قنوات مياه عين حتين ، ومتابعة قناة عين عرفه بالإشراف والترميم (١).

ب - جهود العثمانيين في العناية بالعيون وقنواتها في القرن الحادى عشر الهجرى :

يبدو أن أمر توفر المياه بمكة المكرمة والمشاعر المقدسة - بعد جهود العثمانيين التى بذلت في القرن العاشر الهجرى من أجل ذلك - لم يستمر طويلاً ، ويتضح ذلك من خلال روايات بعض المؤرخين الذين سيرد ذكرهم في موضعه ، كما يظهر ذلك من النقش الخاص بعين عرفه الذى قام بنشره محمد الفعر (٢) .

فقد أورد لنا علي الطبرى ت ١٠٧٠ هـ/ ١٦٥٩م مانصه : " أما في زماننا فيضرب المثل بالغلاء الواقع في سنة سبع بعد الألف ... ولم يستمر هذا الغلاء إلانحو ثلاثة أشهر وفيه أكل الناس لحوم الكلاب والبسس (القطط) ، وسمعت من شيخنا وسيدنا السيد الوالد رحمه الله

---

(١) وثيقة بدفتر المهمة رقم ٤٨ ص ١٠٣ بارشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول.

(٢) سبق أن نشر قراءة هذا النقش إبراهيم رفعت في كتابه مرآة الحرمين ج ١ ص ٢٢٠-٢٢١ لكن الدكتور محمد الفعر أعاد نشره مع تصحيح بعض الأخطاء التي وقع بها إبراهيم رفعت وإضافة بعض الملحوظات القيّمة . انظر :
محمد الفعر : المرجع السابق ، ص ٤٣١-٤٤١.

تعالى ، أن الفقراء كانوا يأخذون دم الشاة ويجعلونه في إناء على النار ثم يستعملونه . ثم وقع بعد عام تسع (١٠٠٩هـ / ١٦٠٠م) غلاء متعدد في أعوام متعددة "[١].

أما النقش الكتابي فيتكون من ثلاثة سطور السطر الثالث منها عبارة عن خرطوش عن يمينه هامش وعن يساره هامش لوحة (١٦١) هذا نصه :

١- أمر بتعمير عين عرفات فايضة البركات من أول وادى نعمان إلى بلد الله ذى الأمن والأمان مولانا السلطان

٢- الأعظم والخاقان الأفخم خادم الحرمين الشريفين السلطان أحمد خان ابن السلطان محمد خان

٣- بمباشرة الفقير إلى رحمة الله (أيد الله سلطانه إلى آخر الزمان سنة خمس وعشرين بعد الألف) حسن باشا عفى عنه "[٢]

أما إشارات المؤرخين ،عما جاء متصلاً بأعمال الإصلاحات التي قام بها السلطان أحمد خان لعين عرفه ، فنجد أنها تضمنت إصلاحات لها في سنة ١٠١٩ هـ / ١٦١٠ م[٣]، وسنة ١٠٢٠ هـ / ١٦١١م [٤] ،وسنة ١٠٢٣ هـ / ١٦١٤م [٥]، الأمر الذى يجعلنا نرجح أن النقش قد أثبت واحدة من هذه الإصلاحات ، وهي الأخيرة في عهد السلطان المذكور، ولا ينفي

---

(١) علي الطبرى : المصدر السابق ،ورقة ٥٤ .

(٢) سوف أتحدث عن هذا النقش في الدراسة العمارية ص ٥٠٠ من هذا البحث .

(٣) إبراهيم رفعت: المصدر السابق ،ج ١ ص ٢٢٠-٢٢١.

(٤) عبدالملك العصامي : المصدر السابق ،ج ٤ ص ١٠٣-٣٩٧ ، السيد عبدالله محمد الزواوى : المرجع السابق ، ص ٢١.

(٥) على الطبرى : المصدر السابق ، ورقة ٣٧.

هذا ماسبق هذا التاريخ من إصلاحات . ويزكي هذا ماذهب إليه ابراهيم رفعت من أنه حصل لعين عرفة ، وقنواتها تعميرات سنة ١٠١٩ هـ / ١٦١٠م ، سنة ١٠٢٠ هـ / ١٦١١م ،سنة ١٠٢٥ هـ / ١٦١٦م (١) .

كما يؤكد ذلك قول العصامي : " وفي أوائل العشرين من ذي الحجة الحرام من سنة عشرين بعد الألف وصل من الديار الرومية الباش حسن المعمار...وبعد إتمام مناسك ذلك العام وقفول الحجاج إلى بلادهم توجه إلى عمارة العين (عين عرفه) وكان مأموراً بذلك وصحبته أموال من جانب السلطنة فأتم العمل "(٢) . وقول على الطبري : " وفي عام ثلاثة وعشرين بعد الألف وصل الباشا حسن لعمارة العين " (٣) .

ونخلص من ذلك إلى ترجيح القول بأن السلطان أحمد عمّر قناة عين عرفة أكثر من مرة ،وأنه بعث حسن باشا المعمار لعمارتها سنة ١٠٢٣ هـ / ١٦١٤م . وأن الإنتهاء من عمارتها كان في عام ١٠٢٥ هـ / ١٦١٦م وفي عهد مؤرخ مكة على الطبري (ت ١٠٧٠ هـ / ١٦٥٩م) عُمِّرت عيون كثيرة بالقرب من مكة ، إلا أنه لم يحدد الغرض منها ، أكانت مياهها تصل إلى مكة للشرب ، أم كانت تخدم الأغراض الزراعية ،فقد قال : "وفي زماننا بجهات مكة عيون كثيرة بنيت من قرب ، فمنها بالقرب من عين عرفة عين المحمدية وعين العابدية وعين اليونسية ، فالأولى منها منسوبة إلى مولانا السيد محمد بن عبد المطلب بن حسن ، والثانية منسوبة إلى مولانا السيد فضل بن مسعود ، والثالثة منسوبة إلى القايد

---

(١) إبراهيم رفعت: المصدر السابق ،ج ١ ص ٢٢٠-٢٢١.
(٢) عبد الملك العصامي : المصدر السابق ، ج ٤ ص ٣٩٧.
(٣) على الطبري : المصدر السابق ، ورقة ٣٧.

أحمد بن يونس ... ومنها عين الأحمدية وبرود وهما بالقرب من الجعرانة ، الأولى منها منسوبة إلى مولانا السيد أحمد بن عبد المطلب والثانية تنسب إلى مولانا السيد فضل بن مسعود ، ومنها عين الحسينية وهي مما يحاذى آخر مكة ، وهي منسوبة لمولانا السيد حسين بن حسن بن أبي نمي ،وفي حدود الثلاثين بعد الألف ظهرت عين مقابل بستان القاضي حسين المالكي بأرض المعابدة ،فأصلحها القايد ريحان بن سالم وزير مكة وحاكمها ، وكان ماؤها تغلب عليه الملوحة ، واستمرت مدة ويقال أنها ألحقت بعين عرفه وعين حنين "(١) .

ونتيجةً للسيول التي اجتاحت مكة المكرمة عام ١٠٣٩ هـ/١٦٢٩م ، فقد خربت كافة قنوات المياه ، مما دفع دار السلطنة إلى توجيه ابراهيم بك بمبلغ خمسين ألف دينار ، لصرفها على إصلاح قنوات المياه (٢) . وفي سنة ١٠٦٦ هـ / ١٦٥٥م ، انقطعت مياه عين عرفة وتعب الناس من قلة الماء ، وارتفع سعره فعين لعمارتها محمد بك سنجق جدة ،الذى اهتم بتنظيف قنوات العين ، ثم عمّر ماتهدّم منها ، إلى أن وصلت المياه عبر القنوات من عين عرفة إلى مكة وفرح الناس بذلك فرحاً عظيماً(٣) .

ثم أصاب سكان بلد الله الحرام بعد ذلك شدة عظيمة بسبب قلة المياه (٤) ،مما حدا بالدولة إلى إرسال علي أغا الطون باشا

---

(١) على الطبرى: المصدر السابق ،ورقة ٣٧-٣٨.

(٢) محمد أمين المكي : المرجع السابق ص ٣١.

(٣) عبدالله محمد الزواوى : المرجع السابق ، ص ٢١.

(٤) على الطبرى : المصدر السابق، ورقة ٣٦ ، ٣٨-٣٩ . تحدثنا في السابق عما لاقاه الناس من الشدة في سبيل الحصول على الماء في حياة على الطبرى المتوفي ١٠٧٠ هـ . انظر ماسبق ص (١٦٣) من هذا البحث .

لعمارة عين عرفة وقنواتها ، فوصل ضحى يوم السبت الرابع من ذي القعدة سنة ١٠٨٣ هـ / ١٦٧٢م ، وفور وصوله اجتمع مع محمد جاويش وذهبا لتفقد أحوال عين عرفة وقنواتها ، ثم رجعا واجتماع الشريف بركات (١) والشيخ محمد بن سليمان (٢) ، وخرجوا جميعهم إلى عرفه للإشراف على عمارة عين عرفة وقنواتها ، وفي يوم الإثنين الثالث عشر من جمادى الأولى سنة ١٠٨٤ هـ / ١٦٧٣م ، انقطع وصول ماء عين عرفه إلى مكة ، نظراً لأعمال العمارة في قنواتها ، بعد أن تم ملء برك المعلاه وصهاريج البيوت بالماء (٣) .

ويؤكد أخبار هذه العمارة ، قراءة إبراهيم رفعت لنقش كتابي كان قد ثبت على يمين الصاعد إلى جبل الرحمة جاء فيه : " يامحمد بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله حق حمده على أفضاله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله ، أمر حضرة السلطان الأعظم والخاقان الأفخم مولى ملوك العرب والعجم السلطان الغازى محمد خان ابن السلطان ابراهيم خان عز نصره ، أجرى عين عرفات وتعمير أبنيتها واتصاله إلى الحرم المنيف وبفضله تعمرت سنة أربع وثمانين وألف ١٠٨٤ ، من هجرة من له العز والشرف على يد عمدة أعيان الدولة الحاج على أغا بن مصلى قهوجي باشا السلطان كان الله له ووفقه لمرضاة الله ..."(٤) .

---

(١) تولى الشريف بركات إمرة مكة المكرمة من سنة ١٠٨٣ هـ - ١٠٩٤ . السيد أحمد زيني دحلان : المصدر السابق ، ص ٩٠ ، ٩٩ .

(٢) رجع إلى مكة عام ١٠٩١ هـ / ١٦٨٠م . المصدر السابق ، ص ٩٧-٩٨ .

(٣) السيد عبدالله محمد الزواوى : المرجع السابق ، ص ٢١ .

(٤) ابراهيم رفعت : المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٢١ .

وفي يوم الاثنين ثاني عشر ذى القعدة سنة ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨م ، أخبر ناظر العين بأن سيلاً قد داهم الخرز بالأوجر في وادى نعمان مما تسبب في دمار نحو عشر خرزات ودفنها ، فتصدى لهذا العمل الوزير عثمان حميدان [1] ، وصرف من ماله على العمال، وشرعوا من يومها تنظيفاً وعمارة ، وانقطع بذلك وصول مياه هذه العين إلى مكة إلى سادس ذى الحجة لعام ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨م [2] .

كما أثرت السيول بعد ذلك في تخريب قنوات المياه في سنين متعددة ، فتمّ إصلاحها بأمر السلطان محمد بن إبراهيم في عام ١٠٩٠ هـ / ١٦٧٩م [3] وعام ١٠٩٢ هـ / ١٦٨١م [4] . وفي يوم الثلاثاء الرابع من شهر شعبان سنة ١٠٩٣ هـ / ١٦٨٢م ، وصل إلى مكة سليمان أغامير ياخور بمرسوم من السلطان محمد بن إبراهيم إلى الشريف سعيد بن بركات ، مضمونه تسهيل مهمة سليمان ،لتعمير عين عرفة وقنواتها التي تهدمت بسبب السيل الذى داهمها في ذى الحجة عام ١٠٩٢ هـ / ١٦٨١م ، وقد اهتم به أمير مكة وأنزله بدار أحد الوزراء واجتمع مع بعض الناس ، وقرروا مايحتاج إليه الحال في العمارة ، ثم بعد ذلك توجه سليمان إلى وادى نعمان بعد جمع المعلمين ، والمهندسين من المكيين ، والمصريين ، وأخذوا في بناء سد بوادى نعمان ، يمنع سيل الوادى من الوصول إلى قنوات العين وخرزها،

---

(١) تولى وزارة الشريف بركات في حكم مكة سنة ١٠٨٥ هـ / ١٦٧٤م .
السيد أحمد زيني دحلان : المصدر السابق ،ص ٩٥-٩٦.

(٢) السيد عبدالله محمد الزواوى : المرجع السابق ،ص ٢١-٢٢ .

(٣) المرجع السابق ،ص ٢٢.

(٤) السيد أحمد زيني دحلان : المصدر السابق ، ص ٩٨ ، السيد عبدالله محمد الزواوى : المرجع السابق ص ٢٢.

إضافة إلى تعمير عشرين خرزة على القناة بوادى نعمان ، ثم توجّه إلى إصلاح قناة عين حنين . ومما كان سبباً في إنهاء الأعمال في مدة قصيرة ، مابذله سليمان من اجتهاد عظيم ، لدرجة أنه كان يعمل بيده بين عبيده وعماله ، الأمر الذى حفّزهم على زيادة الإنتاج (١).

وفي عام ١٠٩٨ هـ / ١٦٨٦م عمّر سنجق جدة مواضع من قناة عين عرفه بوادى نعمان ، وفي عام ١٠٩٩ هـ / ١٦٨٧م وصل إلى مكة معمار من قبل السلطنة ، لتفقد أحوال عمارة قناة عين عرفه بوادى نعمان ، وذلك بسبب شكوى رفعت من أمير مكة ضد سنجق جدة الذى تمّ على يده إنجاز تلك العمارة في عام ١٠٩٨ هـ / ١٦٨٦م ، وعلى ذلك فقد خرج المعمار بصحبة سنجق جدة وقاضي الشرع في ١٧ ذى الحجة عام ١٠٩٩ هـ / ١٦٨٧م إلى وادى نعمان للإشراف على الأعمال (٢) .

---

(١) المرجع السابق ، ص٢٢ . إبراهيم رفعت : المصدر السابق : ج ١ ، ص ٢٢١ . محمد أمين المكي : المرجع السابق، ص ٣١ . إن ماقام به سليمان أغا من مشاركة العمال في العمل يعتبر من أهم مقومات العمل الناجح ، حيث أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعمل بيده مع الصحابة في الكثير من الأمور والتى منها بناء مسجده صلى الله عليه وسلم بالمدينة . ابن هشام : المصدر السابق ، ج ١-٢ ، ص ٤٩٦ .

(٢) على السنجارى : المصدر السابق ، ج ٣ ورقة ١٤-١٥ ، السيد عبدالله محمد الزواوى : المرجع السابق ، ص ٢٢ .

جـ - جهود العثمانيين في العناية بالعيون وقنواتها في القرن الثاني عشر الهجري :

زودنا مؤرخو مكة المكرمة في القرن الثاني عشر الهجري كالسنجاري (ت ١١٢٥ هـ / ١٧١٣م) ، ومحمد بن علي المعروف بابن المحب الطبري (ت ١١٤٣ هـ / ١٧٣٠م) وغيرهما بمعلومات هامة عن جهود العثمانيين لتوفير المياه لأمّ القرى[1]، كما أسهمت الوثائق المعاصرة أيضاً بإمدادنا بمزيد من هذه المعلومات [2] .

وسوف أقوم بعرض لإصلاحات قناة عين عرفه عام ١١٠٥هـ / ١٦٩٣ م ، ثم أعرض لما أورده علي السنجاري ، وابن المحب الطبري ، عن جهود العثمانيين عام ١١٢٤ هـ - ١١٢٥ هـ / ١٧١٢ ، ١٧١٣ م ، ثمّ أُستكمل الحديث عن ذلك بما توفر لدى من وثائق تؤكد ماذهب إليه المؤرخان ، وتضيف معلومات هامة غفل عن ذكرها المؤرخون .

أشار الزواوي إلى أنه في يوم الاثنين الثالث عشر من شهر ربيع الثاني عام ١١٠٥ هـ / ١٦٩٣م انهدم نحو ثلاثين ذراعاً من قناة عين عرفه ، وفور وصول هذا الخبر لأمير مكة [3]، بعث في حينه بالمهندسين وغيرهم للنظر والتوجيه ، فاقتضي رأيهم صنع قناة من خشب ليمر فيها الماء إلى أن يفرغوا من إصلاح المتهدّم من القناة ، وبعث إلى سنجق جدة

---

(١) علي السنجاري: المصدر السابق ،جـ ٣ ورقة ١١٧-١١٨ ، محمد بن علي المعروف بابن المحب الطبري . المصدر السابق ، جـ ٢ ورقة ٢٠٩ ، أيوب صبري: المرجع السابق ، محمد أمين المكي : المرجع السابق .

(٢) سأشير إليها في حينه .

(٣) كان أمير مكة في هذا العام الشريف سعد بن سعيد بن زيد. انظر السيد أحمد زيني دحلان : المصدر السابق ، ص ١١٩-١٢١.

أحمد أغا ناظر العين فحضر من ليلته ،ووافاهم الوزيرعثمان حميدان[1] بجميع مايحتاجونه من الخشب ، فاجتهد الجميع في ذلك وفرغوا منتركيب القناة الخشبيةوإجراء الماءبها في يوم الجمعة سابع عشر ربيع الثاني عام ١١٠٥ هـ / ١٦٩٣ م ، ثم بعد ذلك توجّهوا إلى العمل في بناء المتهدم من القناة وأجروا فيه الماء ، وانتفع الناس ودعوابالخير لكل من عمل هذا العمل وسعى فيه [٢].

أما ما أوردته لنا المصادر العربية عن جهودالسلطان أحمد خان الأول من أجل توفير المياه لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة فيطالعنا منها خبروصول محمد بيك بن حسين باشا عام ١١٢٣ هـ / ١٧١١ م إلى مكة المكرمة بأمر من السلطان لإصلاح قناة عين عرفة [٣] . وكان وصوله إلى مكة المكرمة يوم الجمعة ٢٣ شوال ١١٢٣ هـ / ١٧١١ م ، بعد أن أحضر في المراكب التى قدم بها إلى جدة ، مايحتاج إليه من مواد بناء كالخشب والحديد وغيرذلك ، ومعلمين أرباب خبرة من الآستانة واستكمل جميع مايحتاج إليه من مصر ، لأنه قدّمها عام ١١٢٢ هـ /١٧١٠م [٤].

وبعد وصولمحمد بيك بن حسين باشا المعمار إلى مكة بأربعة أيام ، أى يوم الثلاثاء ٢٧ شوال عام ١١٢٣ هـ / ١٧١١م، توجّه إلى وادى نعمان ، للكشف عن الخراب الذى أصاب قناة عين عرفة ، وتقدير مايحتاج إليه أمر الإصلاح [٥]، وكان بصحبته أمير مكة الشريف

---

(١) كان للوزير عثمان بن حميدان جهود سابقة لتوفير المياه بمكة انظر ص ١٦٨ من هذا البحث .
(٢) السيد عبدالله محمد الزواوى : المرجع السابق ، ص ٢٢-٢٣،محمد أمين المكي: المرجع السابق ، ص ٣٢
(٣) علي السنجارى : المصدر السابق ،ج ٣ ، ورقة ١١٧ ،محمد بن علي المعروف بابن المحب الطبرى : ج ٢ ورقة ٢٠٩.
(٤) علىالسنجارى : المصدر السابق ،ج ٣ ورقة ١١٧-١١٨.
(٥) المصدر السابق نفسه .

عبدالكريم (١)، والشريف يحيى بن بركات (٢)، وجمع من السادة الأشراف وقاضي مكة ، والمفتون، والعلماء ، وبعض الباشوات منهم إبراهيم باشا (٣) ، وسليمان باشا نيابة عن سنجق جده اسماعيل باشا ، والشيخ محمد الشيبي ، والسيد أحمد أفندى نائب الحرم الشريف والمهندسون ، وأرباب الخبرة (٤) .

وبعد وصولهم إلىعرفة ، وجدوا أميرهم قد هيأ لهم مايحتاجون إليه من الخيام،والطعام ، وفي الصباح قرئ الأمر السلطاني الوارد بصحبة محمد بيك المعمار ، ومضمونه " إننا قد عينا فخر الأماجد والأعيان محمد بيك بنحسين باشا ... لعمارة عين مكة المشرفة (عين عرفة) ، وأصحبناه مائتي كيس منها خمسونكيسا مهمات، ومائة وخمسون كيساً من النقد العين(الذهب)، وأمرناه بعد الكشف بنظركم، ونظر قاضي مكة ، وشيخ الحرم ، ومتولى جده أن يعمر عمارة ماكنة بحيث تبقى زمناً طويلاً ، وإذا احتاجت العمارة إلى مهمات ، ودراهم تعرفونا سرعة نرسل جميع مايحتاج إليه الأمر"(٥) .

---

(١) كانت ولايته الأخيرة على مكة من رابع شهر شعبان عام ١١١٧ هـ ، إلى عشرين ذى القعدة الحرام عام ١١٢٣ هـ . السيد أحمد زيني دحلان : المصدر السابق ، ص ١٦٦.

(٢) كانت ولايته الأولى على أمر مكة عام١١٣٠ هـ . المصدر السابق ص ١٧٠ ،

(٣) كان يشغل منصب سنجق جدة في عام ١١٢٢ هـ . المصدر السابق ص ١٦٣.

(٤) على السنجارى : المصدر السابق ج ٣ ورقة ١١٧-١١٨ ،محمد بن على المعروف بابنالمحب الطبرى : المصدر السابق ،ج ٢ ورقة ٢٠٩-٢١٠.

(٥) علىالسنجارى : المصدر السابق،ج ٣ ورقة ١١٧-١١٨.

وبعد إتمام قراءة الأمر السلطاني، توجه الجميع إلى وادى نعمان وأشرفوا على مواضع الخراب . وأفاد المهندسون بأن الأمر يحتاج إلى إصلاح خمس خرزات ، وإحداث عشرة أخرى ، وإصلاح بقية القناة من وادى نعمان إلى مكة ، فناقش أمير مكة محمد بيك فيما قرره المهندسون ، فأجابه بأني مأمور بتعمير الخراب ، أمّا إحداث شيء فيحتاج إلى رفع الأمر للسلطان. وبعد النقاش اتفق الحاضرون على أن الأمر يحتاج إلى ماطلبه المهندسون بإحداث عشر خرزات بعمارة القناة ، وعرض ذلك على السلطان وبات الجميع ليلة الخميس بنعمان ، وأخذوا في طريق عودتهم يتتبعون أثر القناة ، ويكشفون مابها من خراب ، ودمار ، إلى أن وصلوا إلى المفجر وباتوا فيه ليلة الجمعة ، وفي يوم الجمعة آخر شوال دخلوا مكة ، واتفقوا في الشروع بالعمارة بعد انتهاء الحج ، لأن الوقت قد ضاق وتمّ الأمر على هذا وكتبوا محضر إلى الدولة العلية بجميع الحدس ، والتخمين الذى قدره أهل الخبرة من المهندسين، والحاضرين (١)، بعد أن قدروا أن تكلفة ذلك نحو ١٠٠٢٤٠ أحمرا (٢) .

ويقول محمد بن على المعروف بابن المحب الطبرى المتوفى عام ١١٤٣هـ / ١٧٣٠م " وفي هذه المدة (سنة ١١٢٥هـ) تمت عمارة العين

---

(١) المصدر السابق ، ج ٣ ورقة ١١٧-١١٨ ، محمد بن على المعروف بابن المحب الطبرى : المصدر السابق ، ج ٢ ورقة ٢٠٩-٢١٠ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٢ ورقة ٢١٠ ، والأحمر عملة كانت قيمتها عام ١١٤٠ هـ تعادل قرشين والقرش يعادل ٤٠ ديوانياً ، والريال بقرشين وثمن والمشخص بأربعة قروش . السيد أحمد زيني دحلان : المصدر السابق ، ص ١٨٣ ، وكذلك انظر حاشية رقم (١) ص (٩٦) من هذا البحث .

على أحسن ... بنيان ..بنظر المعمار الأمين محمد بيك بن حسين باشا ، وقد طلب بعد التمام تاريخا من مولانا المفتي عبد القادر ذى الثناء العاطر فأجابه لالتماسه سريعاً وأباحه دراً بديعاً ثم أطلعني عليه فرأيت من الواجب تقريظه للمشار إليه وصورة ماكتبه الحمد لله الذى أنزل من السماء ماءً فسلكه ينابيع في الارض ، وبسطه في بساط البسيطة وأقطارها المحيطة بالطول ، والعرض ، ونحمده على أن جعل من الماء كل شيء حي ، ونشكره وهو الذى بيده ملكوت كل شيء ، ونشهد أن لا اله إلا الله وحده لاشريك له شهادة نتبوأ بها من الجنة ماهو خير مقاماً ، وأحسن مقيلا ، ونرد بها عينا فيها تسمى سلسبيلا ، ونشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله المخصوص بالحوض المورود يوم العطش الأكبر ... وبعد فقد أمر مولانا سلطان الاسلام .. أحمد خان ... بتجديد عمارة عين عرفات منبع الخير ، والفيض ، والبركات ، وأرسل من عنده لمباشرة ذلك ، وتمهيد أسباب هذه المسالك أحد أمناء دولته ، ومملكته ،وكبراء حكومته عظيم الأمانة مستقيم الديانة مشكور الباطن ، والظاهر ،والسيرة والمعتمد عليه في ساير الأمور الخطيرة حضرة مولانا محمد بيك ابن المرحوم حسين باشا ... فبذل في أداء هذه الخدمة الجليلة غاية الوسع ،والاجتهاد وقرن الله سائر حركاته فيها باليمن ، والتوفيق ، والسداد ،فعمر من ابتداء علو مكة جدر بستان الخاسكي ،وأتى في عمله على جميع القناطر بالمفجر ، وبازان ، ووادى المغمس ، وعرفات ،والكسار ،وسائر هذه المناظر ،حتى أنشد الناظر يقول الشاعر كم ترك الأول للآخر ،فجميع ماوجده من ذلك خراباً أو صايراً إليه عمّره ،وجدّده بغاية الإتقان ، والإحكام، وقام عليه إلى سلخ جدار أو ترميم أصلحه ، وأعاده على الوجه المستقيم ، وماهو قائم على أصله لم يتعرض له بفعله ، وجدّد من الخرزات ماهو لازم العمل ، وأزال تنظيف الدبول من أرض نعمان إلى بركة ماجن أسفل مكة مافيها من خلل ، وعمر جميع الموارد ، وشرح بفعله الحسن في كل أحد من سكان هذا المقام صدره ، وهو في كل ذلك متصف بالخدم ،والعمال

موصل إليهم أجورهم بالتمام ، والكمال ، فاستجلب بذلك لمولانا السلطان قراءة الفواتح الشريفة، والتضرع ، والابتهال ، وصالح الدعوات المنيفة ... ولما أن أتم الله هذا العمل ... أرخه لسان الحال :

وأنشد بفصيح المقال فقال: (أبياتا منها) :

فاق سلطان البرايا عربها ثم العجم
بمزايا ليس تحصى وبها جف القلم
خص أهل الله بالنعما وبالحسن وعم
اذ حبا جيران بيت الله ذى الفضل الأعم
ولهم أجرى عيونا غمضت عينا وفم
ثم أضحت جاريات ساهرات لم تنم
قد بنى السلطان أحمد وعمر عين الحرم"(١)

أما الوثائق فقد عثرت على تسع منها أربع تشير إلى عمارة قناة عين عرفة سنة ١١٢٢ هـ / ١٧١٠م ووثيقتين تشيران إلى إصلاح قناة عين عرفه سنة ١١٢٤ هـ / ١٧١٢ م ، وثلاث وثائق تفصل لنا أعمال الإصلاح والعمارة التى قام بها السلطان أحمد خان الأول عام ١١٢٤-١١٢٥ هـ / ١٧١٢/ ١٧١٣م في قناة عين عرفة ، وقناة عين حنين ، هذا فضلاً عما زودتنا به من معلومات عن أعمال السلطان في العديد من منشآت المياه بمكة المكرمة والمشاعر المقدسة سأشير إليها في حينه (٢) .

---

(١) محمد بن علي المعروف بابن المحب الطبرى ، المصدر السابق، ج ٢ ورقة ٢١٥-٢١٧.

(٢) انظر ص ٢٦٧، ٢٦٨ من هذا البحث .

ويمكن تفصيل ذلك على الوجه التالي :

في سنة ١١٢٢ هـ / ١٧١٠م أمر السلطان أحمد خان الأول والي مصر إبراهيم باشا بتأمين جميع ماتحتاجه أعمال عمارة قناة عين عرفة من نقود، ومواد بناء، وإرسالها إلى مكة المكرمة، مع محمد أغا المعين ناظراً على هذه العمارة، ثم وجّه السلطان أمير مكة للبحث عن رجل معتمد عنده ليشارك الناظر محمد أغا في تتبع أعمال العمارة وأمر شيخ الحرم المكي ومتصرف جده بمساعدة محمد أغا لنقل مواد البناء فور وصولها من جده إلى مكة(١) . كما أخذ السلطان في متابعة أخبار ناظر العمارة وسير العمل، حيث أمر شيخ الحرم المكي الشريف ومتصرف جده، وقاضي مكة المكرمة، بالبحث فيما عمله محمد أغا، وإذا ثبت تقصيره في العمل أقصى من منصبه وعين رجلا آخر بدله(٢).

وفي سنة ١١٢٤ هـ / ١٧١٢م أصدر السلطان أمره إلى والي مصر بإرسال مبلغ من المال لإصلاح قناة عين عرفة، ووجه خطابا إلى متصرف جده، وقاضي مكة المكرمة يخبرهما فيه بذلك الإجراء (٣).

أما الوثائق الثلاث التي حوت تفصيل أعمال السلطان أحمد خان الأول في إصلاح وترميم قناتي عين عرفة وعين حنين، فقد تناولت الوثيقة الأولى منها أعمال محمد بيك منذ بدأ العمل إلى أواخر شهر ذى العقدة الحرام سنة ١١٢٤ هـ / ١٧١٢م (٤) ، وتناولت الوثيقة الثانية

---

(١) وثائق بدفتر مهمة مصر رقم ١ ص ٣١أ ، ٣٢أ ، ٣٣ أ.
(٢) وثيقة بدفتر مهمة مصر رقم ١ ص ٢٨ أ.
(٣) وثيقة بدفتر مهمة مصر رقم ١ ص ٥٠ أ، ٥٠ ب.
(٤) وثيقة رقم ٦١٧٦ (MAD) بأرشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول . وكذلك انظر صورة هذه الوثيقة رقم(٧) بالملحق الأول من هذا البحث .

ارسال السلطان أحمد خان الحاج مصطفى أغا قابوجي باشي الشهير بداية زادة ، للكشف عن أعمال محمد بك في عامي ١١٢٤ هـ ، ١١٢٥ هـ / ١٧١٢ ، ١٧١٣ م [١] ، وتناولت الوثيقة الثالثة كشفاً مجملاً لتكاليف المشروع [٢] .

ولإلقاء مزيد من الضوء على محتويات هذه الوثائق وما بها من مصطلحات فنية فقد استعنت بالشريف علي بن شاكر الجودى الذى عمل نحو أربعين عاماً بإدارة عين زبيدة [٣]. وإليكم ثبتاً بهذه المصطلحات وما تعنيه :

١- تجديد بناء: إعادة بناء وإصلاح.
٢- تجديد طبطاب : أى عمل طبقة من الملاط سواء على أرض القناة من الداخل تجرى عليها المياه أو على ظهر القناة من الخارج.
٣- سلخ : يعني كشط طبقة اللياسة القديمة من الجدار .
٤- تنقيل: تعني تبييض أو تلييس أو تغطية الجدار بطبقة من المونة .
٥- الرفوع: بناء القناة مرتفعة الجوانب كي يجرى بها الماء في أمان دون تسرب .
٦- طبقان ودك : الطبقان غطاء القناة (المجاديل) والدك يعني وضع الأحجار الصغيرة المخلوطة بالبطحاء والنورة بين المجاديل لسد فراغاتها .

---

(١) وثيقة رقم ٦١٧٦ (MAD) . بارشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول .
(٢) وثيقة رقم ٦١٧٦ (MAD). بارشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول .
(٣) مقابلة مع الشريف علي بن شاكر الجودى عام ١٤٠٧هـ.

٧ - بناء القناة بالميازيب : إنشاء القناة فوق جدار مع عمل فتحات فوق القناة أو بأسفلها لتصريف مياه السيول والأمطار[(١)]

٨ - سد رؤوس الميازيب : لعل ذلك يعني بناء جدار صغير للتقليل من خطورة مياه السيول المندفعة من الجبال إلى ميازيب التصريف أسفل القناة كما شاهدت ذلك بطريق ضب [(٢)].

ولمزيد من المعلومات عن هذه المصطلحات ،وأسلوب البناء والمواد المستعملة انظر الفصل الثالث الخاص بالدراسة العمارية .

والآن يمكننا تتبع ماجاء في الوثائق عن خبر عمارة السلطان أحمد خان الأول لقناة عين عرفة وقناة عين حنين سنة ١١٢٤هـ ، ١١٢٥ هـ / ١٧١٢ ، ١٧١٣ م تفصيلاً .

<u>الوثيقة الأولى :</u> جاء فيها " الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وبعد فلما ورد الفرمان العالي الواجب الامتثال المقابل بالاعزاز ،والاكرام ،والاجلال ، وفيه الأمر بالكشف عن أحوال العين عرفات كثيرة البركات ،فشددنا حزام الحزم، وشمرنا ذيل العزم ، وتوجهنا إلى أعلى نعمان ،وكشفنا على العين ، ودبلها منه إلى مكة المشرفة ،فالخراب منه مفصل في قائمة غير هذا، والقصد هنا ذكر ماجدّده ، وعمّره ، ونظّفه ، فخر الأكابر المعظمين عمدة الملوك ، والسلاطين الجناب العالي محمد بيك بن حسين باشا ،

---

(١) يأخذ الميزاب أشكالاً مختلفة فمنها مايأخذ شكل جسم اسطواني، أو مربع يطرد بواسطته ماء المطر أو نحوه بعيداً عن الجدار،ومنها على سبيل المثال ميزاب الكعبة ،وقد يكون شكل الميزاب على مانراه في حالتنا هذه وهو يحقق نفس الغرض ،ولكن بدون الجسم الممتد إلى الخارج. ولمزيد من إيضاح انظر الدراسة العمارية ص٣٦٠، ٤٨٩ من هذا البحث .

(٢) انظر ص ٤٨٩ من هذا البحث .

وقد قام سدده الله تعالى في خدمته أحسن قيام ، وأتمه فجدد في دبل العين على التفصيل الآتي طول الفين وستمائة وثمانين ذراعاً ،وعمّر، ورمّم ، ونقل طول ألف وتسعمائة وخمس وعشرين ذراعاً ، والأعمال التي يتم بها التجديد ، والتعمير مفصل في قائمة أخرى ،وماهو الواقع جرى ، وحرر في أواخر ذى القعدة الحرام لسنة أربع وعشرين ومائة وألف من هجرة من له العز والشرف "(١) .

وعلى ذلك يمكن تفصيل أعمال محمد بيك منذ بدأ العمل إلى أواخر ذى القعدة الحرام لعام ١١٢٤ هـ / ١٧١٢م على الوجه التالي :

أعمال التجديد بالميازيب :

لإيضاح ذلك فقد قسمت بالوثيقة المناطق التي تمت بها الأعمال في قناة عين عرفه إلى ١٦ منطقة هي : أم العشر ،عند السدرة ، محل ثور ، أم الأبواب الكبيرة ،أم الدك ، شعبة أم الدك ،أم الركبة ، أم الأبواب الصغيرة ، أم السدرة والنخلة ، رأس الوبر ،شعبة أم الجنابي، شعبة أم السريع ، قنطرة شعبة الغزلان ،غار الضبعة ، رأس المفجر ، بستان المرحومة خاصكي سلطان مقابل المعلاه (٢) .

---

(١) وثيقة رقم (٧) ص (٤) بالملحق رقم (١) من هذا البحث .

(٢) الوثيقة السابق ص ٤ .
بالنسبة لمسميات الأماكن التي تم بها إصلاح قناة عين عرفة وعين حنين ، نجد أن بعضاً من هذه المسميات لازال يطلق على بعض الأماكن وهذا يسهل أمر تحديد المواقع أما بعضه الآخر فقد تغير مما تتطلب الرجوع إلى المعاجم وسؤال بعض الشخصيات . وقد حاولت قدر جهدى تتبع مسميات الأماكن التي أصلحت بها قناة عين عرفة وعين حنين .

وها أنذا أعرض لهذه المناطق تفصيلاً :

أ- أم العشر :

قسمت إلى خمس قطع كي يسهل إجراء الإصلاحات فيها ، القطعة الأولى بطول ٦٦ ذراعاً ، والثانية بطول ٥٠ ذراعاً ،والثالثة بطول ٢٢ ذراعاً ، والرابعة بطول ١٢ ذراعاً ، والخامسة بطول ٢١ ذراعاً ، وفي منطقة أم العشر تم تجديد بناء القناة بطول ١١٣ ذراعاً ،وعرض ذراع واحد "، وقد (ارتفاع) ذراعين ، وجدد طبطاب القناة بطول ١٧١ ذراعاً ،وقد ٣ أذرع ، وعمل لها طبقان ،ودك بطول ١٧١ ذراعاً ، وعرض ذراعين ، وقد نصف ذراع ، كما تمّ تنقيل جانبي القناة بطول ١٧١ ذراعاً ،وارتفاع ٣ أذرع لكل جانب ،وعمل لها ميازيب للماء على طول ١٧١ ذراعاً، وسدت رؤوس الميازيب (١) .

ب - عند السدرة :

قطعة واحدة أُصلح فيها ٢٢ ذراعاً طولاً في القناة ،منها تجديد بناء ١٠ أذرع ،وقد ٣ أذرع ،وجدد طبطابها بطول ٢٢ ذراعاً ، وقد ٣ أذرع ،وعمل لها طبقان ، ودك بطول ٢٢ ذراعاً ،وعرض ذراعين وقد ذراعين ،كما تم تنقيل أحد جدارى القناة بطول ٢٢ ذراعاً ،وقد ٣ أذرع وعمل لبا ميازيب وسدت رؤوس الميازيب (٢) .

جـ - محل ثور :

تمّ إصلاح خمس قطع ، القطعة الأولى بطول ٥٠ ذراعاً ،والثانية بطول ٤٣ ذراعاً ، والثالثة بطول ٢٢ ذراعاً ، والرابعة بطول ٧٠ ذراعاً

---

(١) الوثيقة السابقة ،ص ٤٠

(٢) الوثيقة السابقة ، ص ٤٠

والخامسة بطول ١٧ ذراعاً ، وفي محل ثور تمّ تجديد بناء القناة بطول ١٥٩ ذراعاً بعضها بقد ذراع واحد وبعضها الآخر بقد ثلاثة أذرع ، وجُدِّد طبطابها بطول ٢٠٢ ذراعاً ، وقد ٣ ر ٣ ذراعاً ، وعمل لها طبقان ، ودك بطول ٢٠٢ ذراعاً وعرض ذراعين ، وقد نصف ذراع ، كما تمّ تنقيل وجهي القناة بطول ٩٣ ذراعاً ، وقد ٣ أذرع لكل وجه ، وتنقيل أحد وجهي القناة بطول ١٠٩ ذراعاً وقد ذراع واحد في بعض منه ، وذراعين في بعضها الآخر ، وعمل لها ميازيب ، وسدت رؤوس الميازيب (١) .

د - أم الأبواب الكبيرة :

أُصلح فيها ١٣ قطعة ، القطعة الأولى بطول ٢٠ ذراعاً ، والثانية بطول ٢٩ ذراعاً ، والثالثة بطول ٣٥ ذراعاً ، والرابعة بطول ١٧ ذراعاً ، والخامسة بطول ٣٣ ذراعاً ، والسادسة بطول ٤٥ ذراعاً ، والسابعة بطول ١٩ ذراعاً ، والثامنة بطول ٢٥ ذراعاً ، والتاسعة بطول ٣٦ ذراعاً ، والعاشرة بطول ٣٢ ذراعاً ، والحادية عشرة بطول ٤٠ ذراعاً ، والثانية عشرة بطول ٢٥ ذراعاً ، والثالثة عشرة بطول ٣٠ ذراعاً ، وفي منطقة أم الأبواب الكبيرة تمّ تجديد بناء القناة بطول ٥٤ ذراعاً ، وقد ذراع واحد ، وبطول ٩٦ ذراعاً وقد ٤ أذرع ، وبطول ٤٥ ذراعاً ، وقد ذراعين ، وبطول ١٦٣ ذراعاً وقد ثلاثة أذرع ، وبطول ٣٣ ذراعاً بقد ٣ أذرع في واجهة ، وأربعة أذرع في الواجهة الأخرى ، وتمّ تجديد طبطابها بطول ٣٨٦ ذراعاً ، وقد ثلاثة أذرع ونصف ، كما عمل لها طبقان ودك بطول ٣٨٦ ذراعا وعرض ذراعين ، وقد نصف ذراع ، ونقل جدارا القناة كالآتي :

---

(١) الوثيقة السابقة ، ص ٥ .

أحدهما بطول ٢٨٣ ذراعاً وقد ٤ أذرع ، والآخر بطول ٧٠ ذراعاً وقد ذراعين ، واستكمل تنقيل باقي جدارى القناة بطول ٣٣ ذراعاً وقد ٣ أذرع بأحد الجدارين وقد ٥ أذرع بالجدار الآخر ، وعمل لها ميازيب وسدت رؤوسها (١) .

هـ - أم الدك :

أصلح فيها ٣ قطع ؛ القطعة الاولى بطول ٣٨ ذراعا ، والثانية بطول ٤٠ ذراعا ، والثالثة بطول ١٨ ذراعا ، وفي أم الدك تمّ تجديد بناء القناة بطول ٣٨ ذراعاً وقد ٣ أذرع ، وجدد طبطابها بطول ٩٦ ذراعاً وقد ٣ أذرع ، وعمل لها طبقان ودك بطول ٩٦ ذراعاً وعرض ذراعين وقد نصف ذراع ، كما تم تنقيل جدارى القناة بطول ٧٨ ذراعاً أحدهما بقد ٩ أذرع والآخر بقد ٦ أذرع ، ثم استكمل تنقيل الجدارين بطول ١٨ ذراعاً ، إلا أن القد اختلف عن السابق حيث أصبح في أحدهما ٤ أذرع ، وفي الآخر ذراعاً واحداً فقط ، وعمل لها ميازيب وسدت رؤوسها (٢) .

و - شعبة أم الدك :

أصلح بها ٣ قطع ؛ القطعة الأولى بطول ١١٥ ذراعاً ، والثانية بطول ٤٢ ذراعاً ، والثالثة بطول ٧٢ ذراعاً ، وتمّ بشعبة أم الدك تجديد بناء القناة بطول ١٦٢ ذراعاً وقد ٣ أذرع وجدد طبطابها بطول ٢٢٩ ذراعاً وقد ثلاثة أذرع ونصف ، وعمل لها طبقان ودك بطول ١٦٢ ذراعاً ، وعرض ذراعين وقد نصف ذراع . كما تمّ تنقيل أحد جدارى القناة بطول ١١٥ ذراعاً وقد ٤ أذرع وبطول ١١٤ ذراعاً وقد ٣ أذرع ، وعمل لها ميازيب

---

(١) الوثيقة السابقة ، ص ص ٧٠

(٢) الوثيقة السابقة ، ص ٧٠

وسدت روؤوسها [١] .

ر - أم الركبـــة :

أُصلح بها ٦ قطع ؛ القطعة الأولى بطول ٣٩ ذراعاً ، والثانية بطول ٦١ ذراعاً ،والثالثة بطول ٣٣ ذراعاً ،والرابعة بطول ٤٦ ذراعاً والخامسة بطول ٢٥ ذراعاً ، والسادسة بطول ٦٠ ذراعاً ، وفي منطقة أم الركبة تمّ تجديد بناء القناة بطول ١٢٥ ذراعاً وقد ٣ أذرع ، وجُدّد طبطابها بطول ٢٦٤ ذراعاً وقد ٣ أذرع ، وعمل لها طبقان ودك بطول ٢٦٤ ذراعاً وعرض ذراعين وقد نصف ذراع ،كما تمّ تنقيل جداري القناة بطول١٧٩ ذراعاً وقد ٣ أذرع في أحد الجدارين وفي الآخر ذراعان ، ثم استكمل تنقيل القناة بطول ٨٥ ذراعاً وقد ٣ أذرع ، وعمل لها ميازيب للماء وسدت رؤوس الميازيب [٢].

ز - أم الأبواب الصغيرة :

أُصلح فيها ٧ قطع ؛القطعة الأولى بطول ٥٠ ذراعاً، والثانية بطول ١٧ ذراعاً ، والثالثة بطول ٢٠ ذراعاً ، والرابعة بطول ٢٧ ذراعاً ، والخامسة بطول ٢٣ ذراعاً ، والسادسة بطول ٢٧ ذراعاً ، والسابعة بطول ٥٩ ذراعاً ، وتمّ تجديد بناء القناة في أم الأبواب الصغيرة بطول ١٧٧ ذراعاً وقد يتفاوت من ذراع واحد إلى ثلاثة أذرع ، وجدد طبطابها بطول ٢٢٣ وقد ٣ أذرع ،وعمل لها طبقان ودك بطول ٢٢٣ ذراعاً ،وعرض ذراعين وقد نصف ذراع ،وتمّ تنقيل أحد جدارى القناة بطول ١٠٦ ذراعاً ، وقد ذراعين ،واستكمل تنقيل جدارى القناة بطول٥٠ ذراعاً ،وقد ٣ أذرع لكل واحد من الجدارين ،وبطول ٥٠ ذراعاً وقد ثلاثة أذرع في أحد جدارى القناة وذراعين في الجدار الآخر، وبطول ١٧ ذراعاً وقد ٥ أذرع في أحد جدارى القناة وأربعة أذرع في الجدار الآخر

---

(١) الوثيقة السابقة ، ص ٧-٨ .

(٢) الوثيقة السابقة ، ص ٨.

وعمل لها ميازيب للماء وسدت رؤوس الميازيب [(١)] .

ح - أم السدرة والنخلة :

أُصلح فيها ٨ قطع ؛ القطعة الأولى بطول ٢٠ ذراعاً ،والثانية بطول ٢٢ ذراعاً ، والثالثة بطول ٢٠ ذراعاً ، والرابعة بطول ١٨ ذراعاً والخامسة بطول ٤٥ ذراعاً ، والسادسة بطول ٢١ ذراعاً والسابعة بطول١٢ ذراعاً ،والثامنة بطول ١١ ذراعاً ،وتمّ تجديد بناء القناة فيمنطقة أُم السدرة والنخلة بطول١٣٦ ذراعاً وقد ذراع واحد،وبطول٣١ ذراعاً وقد ذراعين ، وجدد طبطابها بطول ١٦٩ ذراعاً وقد ٣ أذرع ، وعمل لها طبقان ودك بطول ١٦٩ ذراعاً وعرض ذراعين وقد نصف ذراع،كما تمّ تنقيل أُحد جداري القناة بطول ١٥١ ذراعاً وقد ذراعين ، وبطول١٨ ذراعاً وقد ذراع واحد فقط، وعمل لها ميازيب للماء وسدت رؤوس الميازيب [(٢)] .

خ - رأس الوبر :

جُدّد فيها القناة بطول١٢ ذراعاً وقد ذراع واحد ،وجُدّد طبطابها بطول ١٢ ذراعاً وقد ٣ أذرع وعمل لها طبقان ودك بنفس طول القناة السابق وعرض ذراعين وقد نصف ذراع وتمّ تنقيل أحد جداري القناة بقد ٥ أذرع،وعُمل لها ميازيب للماء وسدت رؤوس الميازيب [(٣)] .

---

(١) الوثيقة السابقة ، ص ٩ .
(٢) الوثيقة السابقة ، ص ٩-١٠.
(٣) الوثيقة السابقة ، ص ١١.

ط - شعبة أم الجنابي :

جُدّد فيها القناة بطول ١٢ ذراعاً وقد ٣ أذرع وجدد طبطابها بقد ٣ أذرع ،وعمل لها طبقان ودك بعرض ذراعين ،وقد نصف ذراع ،وتمّ تنقيل أَحد جداري القناة بقد ٣ أُذرع ، وعمل لها ميازيب وسدت رؤوس الميازيب (١) .

ظ - شعبة أم السريع :

أُصلح فيها قطعتان ، القطعة الأولى بطول ٢٥ ذراعاً ،والأخرى بطول ١٧ ذراعاً ، وبشعبة أم السريع تمّ تجديد بناء القناة بطول ٣٧ ذراعاً وقد يتراوح مابين ٣-٤ أذرع ،وجدد طبطابها بقد ٣ أذرع ، وعمل لها طبقان ودك بعرض ذراعين وقد نصف ذراع ،وتمّ تنقيل جداري القناة بطول ٢٥ ذراعاً وقد ٤ أذرع في أحد الجدارين و ٣ أذرع في الجدار الآخر ، ثم استكمل التنقيل في أحد الجدارين بطول ١٧ ذراعاً وقد ٣ أذرع ، وعمل لها ميازيب وسدت رؤوس الميازيب (٢) .

ع - شعبة أم الغزلان :

تمّ فيها تجديد جداري القناة بطول ١٥ ذراعاً وقد ذراعين لكل واحد من الجدارين ،وجُدّد طبطابها بطول ٣٠ ذراعاً وعرض ذراعين وقد نصف ذراع ،وتمّ تنقيل جداري القناة بطول ٣٠ ذراعاً وقد ٧ أذرع لكل واحد من الجدارين ،وعمل لها ميازيب للماء وسدت رؤوس الميازيب (٣) .

---

(١) الوثيقة السابقة ، ص ١١ .
(٢) الوثيقة السابقة ، ص ١١ .
(٣) الوثيقة السابقة ، ص ١١ .

غ - غار الضبعة :

أصلح فيها ٨ قطع ؛ القعة الأولى بطول ٢٥ ذراعاً،والثانية بطول١١٠ ذراعاً ، والثالثة بطول ٢٠ ذراعاً ، والرابعة بطول ٨٦ ذراعاً ، والخامسة بطول١٨٩ ذراعاً ، والسادسة بطول ١٦ ذراعاً ، والسابعة بطول ١٠ أذرع ، والثامنة بطول ٢٥ ذراعاً ، وتمّ في غار الضبعة تجديد بناء القناة بطول ٥١ ذراعاً وقد ذراعين وطول١٣١ذراعاً وقد ٣ أذرع وطول ٢٩٩ ذراعاً وقد ٤ أذرع وجدّد طبطابها بطول ٤٥٦ ذراعاً وقد ٣ أذرع ، وعُمل لها طبقان ودك بنفس طول الطبطاب وعرض ذراعين وقد نصف ذراع ،كما تمّ تنقيل أحد جداري القناة وظهرها بطول ٤٥٦ ذراعاً وقد يتفاوت من ٢-٤ أذرع ،وعملت لها ميازيب للماء وسدت رؤوس الميازيب [1] .

ل - رأس المفجر :

أصلح فيها قطعتان ؛ القطعة الأولى بطول ٣٦ ذراعاً ، والأخرى بطول ٢٦ ذراعاً ،وبرأس المفجر تمّ تجديد القناة بطول٦٢ ذراعاً ، وقد ذراعين ،وجدد طبطاب ذلك بقد ٣ أذرع ،وعمل لها طبقان ودك بنفس الطول السابق وعرض ذراعين وقد نصف ذراع ،كما تمّ تنقيل أحد جداري القناة بقد ذراعين ، هذا فضلاً عن تنقيل ظهر القناة وعُملت لها ميازيب للماء وسُدت رؤوس الميازيب [2] .

---

(١) الوثيقة السابقة ، ص ١١-١٢ .

(٢) الوثيقة السابقة ،ص ١٣.

ى - منطقة في بستان المرحومة خاصكي سلطان مقابل المعلاة:[١]

أصلح فيها قطعتان ؛ القطعة الأولى بطول ١٩٩ ذراعاً، والأخرى بطول ٦٠ ذراعاً . كما تمّ بمنطقة بستان المرحومة خاصكي سلطان بالمعلاة تجديد بناء القناة بطول ٢٥٩ ذراعاً وقد ٤ أذرع ، وجُدد طبطاب ذلك بقد ٢/م ذراعاً، وعُمل لها طبقان ودك بطول ٢٤٢ ذراعاً وعرض ذراعين وقد نصف ذراع، وتمّ تنقيل جدارى القناة من الداخل والخارج بطول ٢٥٩ ذراعاً وقد ٣ و ٤ أذرع ،وعُملت لها ميازيب للماء وسُدت رؤوس الميازيب [٢] .

أعمال الترميم والسلخ والرفوع والتطبيق والدك مما لم يحتج إلى إجراء الماء في الميازيب :[٣]

وقد تمت هذه الإصلاحات في عدة مناطق كانت القناة فيها تحت الأرض في كل من أم الأبواب الكبيرة شعبة أم الدك ، أم الدك، أم الركبة ،أم الأبواب الصغيرة ، أم السدرة والنخلة ، شعبة الجنابي ، شعبة أم الغزلان ، المفجر ، عوض البقر ، المعابدة [٤].
وبيان ذلك على النحو الآتي :

أ- أم الأبواب الكبيرة :

شملت أعمال الإصلاح فيها سلخ ،وتنقيل جدار القناة بطول ٣٩ ذراعاً وقد ٣ أذرع ، وتنقيل خرزة بتلك المنطقة .

---

(١) تحتل موقعه في الوقت الحاضر المنطقة الممتدة من جسر الحجون، إلى مكتبة شعيب تقريباً.
(٢) الوثيقة السابقة ، ص ١٣.
(٣) أى تكون القناة تحت الأرض .
(٤) الوثيقة السابقة ، ص ١٤.

ب - شعبة أم الدك :

جرى فيها إصلاح ١٣ قطعة ؛ القطعة الأولى بطول ١٩ ذراعاً، والثانية بطول ٣٩ ذراعاً ، والثالثة بطول ١٩ ذراعاً ،والرابعة بطول ٣٦ ذراعاً ،والخامسة بطول ١٨ ذراعاً ،والسادسة بطول٥٠ ذراعاً والسابعة بطول ٨٠ ذراعاً ،والثامنة بطول ١٤ ذراعاً ،والتاسعة بطول ٢١ ذراعاً ، والعاشرة بطول ٣٩ ذراعاً ،والحادية عشرة بطول ٨٠ ذراعاً ، والثانية عشرة بطول٢١ ذراعاً ،والثالثة عشرة بطول ١١٧ ذراعاً ،وفي منطقة شعبة أم الدك تمّ سلخ جداري القناة، وتنقيلهما في القطعة الأولى بطول ١٥ ذراعاً وقد ٣ أذرع ،وترميم جدار القناة وتنقيل أحد جداريها في القطع (٢ ، ٣ ، ٦، ٧) بطول ١٥٢ ذراعاً وقد ٣ أذرع ، وفي القطع (٤ ، ٥ ، ١٣) بطول١٧١ ذراعاً وقد ذراعين ، هذا فضلاً عن سلخ أحد جداري القناة وترميمه في القطع (٨ ، ٩، ١١) بطول ١٠٥ أذرع وقد ٣ اذرع،وعُمل في القطعتين العاشرة والثانية عشرة سلخ أحد جداري القناة بطول ٦٠ ذراعاً وقد ذراع واحد في القطعة العاشرة وذراعين في القطعة الثانية عشرة، وتمّ رفع جانبي القناة بطول ٦٠ ذراعاً وقد نصف ذراع ،وعُمل طبطاب ذلك بقد ذراع واحد فقط ،وعُمل لها طبقان ودك بطول ٦٠ ذراعاً وعرض ذراعين وقد نصف ذراع ، وآخر ماعُمل لجدار القناة بالقطعتين العاشرة والثانية عشرة تنقيل أحد جداريهما بطول ٦٠ ذراعاً وقد ذراع واحد فقط (١) .

ت - أم الدك :

أُصلح فيها ٣ قطع ؛ القطعة الأولى بطول ٥٨ ذراعاً ،والثانية بطول ٤٢ ذراعاً ،والثالثة بطول ٢٨ ذراعاً ،وتمّ في القطعتين الأولى والثانية هدم جدار القناة بطول٨٠ ذراعاً وجُدد بناء ٣٢ ذراعاً،

---

(١) الوثيقة السابقة، ص ١٤-١٥.

ورُمم ٨٨ ذراعاً ،وعُمل طبطاب في القطعة الثانية ، وفي القطعة الثالثة تمّ ترميم وتنقيل جدارى القناة بطول ٢٨ ذراعاً وقد ٤ أذرع (١) .

ث - أم الركبة :

أُصلح فيها ٣ قطع ؛ القطعة الأولى بطول ١٧٩ ذراعاً ،والثانية بطول ٢٥ ذراعاً ، والثالثة بطول ٦٠ ذراعاً ، وهُدم من جدار القناة في الثلاث قطع ٢٦٤ ذراعاً ،جُدد منها بناء ١٥٠ ذراعاً ،ورُمم الباقي(٢) .

ج - أم الأبواب الصغيرة :

أُصلح فيها ٣ قطع ؛ القطعة الأولى بطول ٤١ ذراعاً ،والثانية بطول ٢٠ ذراعاً ،والثالثة بطول ١٥ ذراعاً ، ورُمم جدار القناة في القطعة الأولى ،ونقل من الداخل والخارج بطول ٤١ ذراعاً وقد ٦ أذرع ، وسلخ جدار القناة ونقل في القطعة الثانية بطول ٢٠ ذراعاً وقد ٣ أذرع ، وفي القطعة الثالثة تمّ سلخ جدار القناة بطول ١٥ ذراعاً وقد ذراعين ، ثمّ عُمل لذلك رفوع بقد نصف ذراع وتمّ عمل طبطاب ذلك بقدر ذراع واحد ثمّ عُمل لها طبقان ودك بعرض ذراعين وقد نصف ذراع ،كما نقل جدار القناة بقد ذراعين (٣).

ح - أم السدرة والنخلة :

تمّ فيها إصلاح ٥ قطع ؛ القطعة الأولى بطول ١٣٠ ذراعاً ،والثانية بطول ١٦ ذراعاً ،والثالثة بطول ٢٧ ذراعاً ، والرابعة بطول ١٥ ذراعاً ،والخامسة بطول ٥٧ ذراعاً . عُمل في القطعة الأولى سلخ

---

(١) الوثيقة السابقة ، ص ١٤.
(٢) الوثيقة السابقة ص ١٤.
(٣) الوثيقة السابقة ، ص ١٤.

أحد جداري القناة ، وتنقيله بطول ١٣٠ ذراعاً وقد ذراعين ، وفي القطعة الرابعة والخامسة رُمم جدار القناة بطول ٣١ ذراعاً وقد ذراعين للقطعة الرابعة وذراع واحد للقطعة الخامسة ،وتمّ تنقيل ذلك بطول ٩٠ ذراعاً وقد ذراعين في القطعة الرابعة وذراع واحد في القطعة الخامسة ، أما في القطعتين الثانية والثالثة ،فقد تمّ سلخ جدار القناة فيهما بطول ٤٣ ذراعاً وقد ذراع واحد في القطعة الثانية وذراعين في القطعة الثالثة، وعُمل لها رفوع للجانبين وطبطاب لذلك بطول ٤٣ ذراعاً ،وقد نصف ذراع للرفوع وذراع للطبطاب ، كما تمّ بها أيضاً عمل طبقان ودك بعرض ذراعين ، وقد نصف ذراع ، ونقل بها أحد جداري القناة ، بطول ٤٣ ذراعاً، وقد نصف ذراع (١) .

خ ـ شعبة أم الغزلان :

أُصلح فيها ٧ قطع ورُمم بغّال قنطرة (٢) أما القطعة الأولى بطول ١٥ ذراعاً،والثانية بطول ٤٠ ذراعاً ،والثالثة بطول ٣٥ ذراعاً، والرابعة بطول ٦٣ ذراعاً ،والخامسة بطول ٨٠ ذراعاً ، والسادسة بطول ٤٣ ذراعاً ،والسابعة بطول ١٥٠ ذراعاً ،وبشعبة أم الغزلان تمّ تجديد جداري القناة في القطع (١ ، ٣ ، ٤ ، ٦) بطول ٢٣٦ ذراعاً وقد ذراعين في القطعتين (١ ،٦) وقد ٣ أذرع في القطعتين (٣ ، ٤)،وتمّ سلخ جدار القناة وتنقيلها في القطع (٢ ، ٥، ٧) بطول ٢٧٠ ذراعاً وقد ذراع واحد في القطعة الخامسة وذراعين في القطعتين (٢ ،٧) (٣).

---

(١) الوثيقة السابقة ، ص ١٥.
(٢) بغال القنطرة : قواعدها .
(٣) الوثيقة السابقة ، ص ١٥-١٦.

د - مسجد المفجر وحوض البقر :

جُدد بناء قناة فرعية لإيصال الماء إلى الحوض من تحت المسجد بطول ١٠ أذرع ، وجُدد طبطاب ذلك بقد ذراعين،ثمّ عُمل لها طبقان ودك بعرض ذراعين وقد نصف ذراع (١).

ذ - وادى المفجر:

تمّت فيه عدة إصلاحات في قناة عين عرفه ،كان أولها تجديد فتحات متوالية للحجاج ،أيام منى على طول ١٥٩ ذراعاً من القناة (٢) ،وثانيها ترميم ثلاث خرزات ،بُدىء في أولها بترميم دائرها وتنقيله بطول ١٦ ذراعا وقد خمسة أذرع ،ثم رُمم ونُقل درج الخرزة،ودكتها على النحو التالي : الدرج من الوجهين بطول ٤ أذرع وقد ذراعين ،أما الدكة فبطول ٤ أذرع وقد ذراع واحد فقط. أما الخرزة الثانية فرُمم ونُقل دائر جدارها بطول ٢٥ ذراعاً، ثمّ رُمم ونُقل درجها من الوجهين بطول ذراعين وقد ذراع واحد ، كما جُدد ونُقل داخل الخرزة من الأربع جهات بعرض ذراع وقد ٣ أذرع ، أما الخرزة الثالثة فقد رمم دائرها ونقل بطول ١٢ ذراعاً ،وجُدد ونُقل درجها ورُممت ونُقلت من الداخل (٣) .

ر - المعابدة :

جدد بناء قناة عين عرفة بظاهرها بالمعابدة ،وعُمل لها طبقان ودك بطول ٢٢٥ ذراعاً وعرض ذراعين وقد ذراع واحد ، ثمّ نُقل ذلك بعرض ذراعين (٤).

---

(١) الوثيقة السابقة ، ص ١٦.

(٢) في هذه الفترة لم تصل مياه قناة عين عرفه إلى منى ،مما يدفع الحجاج للانتقال إلى المفجر في طلب الماء . انظر ماسيأتي ص (٢٣٦) من هذا البحث .

(٣) الوثيقة السابقة ، ص ١٧.

(٤) الوثيقة السابقة ، ص ١٧.

وأثناء إصلاح محمد بيك بن حسين باشا لقناة عين عرفة، تمّ تجديد فتحات كبار وصغار على القناة لإفادة الناس منها في الاستقاء ، فكان عدد المجدد من أول أم العشر إلى ابتداء شعبة الغزلان ٣٩ فتحة ،ومن أول غار الضبعة إلى مسجد المفجر ١١ فتحة، هذا فضلاً عن تنظيف القناة من وادى نعمان إلى مزدلفة (١) .

الوثيقة الثانية :

وجاء بها " الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات... فلما ورد الفرمان الشريف السلطاني... مولانا السلطان الغازى أحمد ابن المرحوم سلطان محمد خان... صحبة الجناب المكرم المآب المعظم فخر أمناء الدولة العالية ، وأحد خدام السدة السامية الحاج مصطفى أغا قابوجي باشي الشهير بداية زاده ،وقد تضمن الأمر بالكشف على ماعمّره الجناب العالي الحاج محمد بيك ابن حسين باشا في عام أربعة وخمسة وعشرين ومائة وألف فتوجّه جميع من ستكتب أسماؤهم وحُرر كل ذلك بعد الوقوف على حقيقة ماهنالك ، فوجد جميع مارُقم في الكشف العام الماضي مطابقاً لأصله... ثمّ المقصود الآن بيان ماعمله معتمدكم الحاج محمد بيك في عام تاريخه ،فانه قد اجتهد أعظم اجتهاد في إكمال كل مابقي فيها من العمل فجدد بالميازيب طول ألفين وثلاثمائة وثلاثين ذراعاً ، وعُمر ،ورمم ،وسلخ ،ورفع، ونَقّل طول أربعة الاف ومائتي وستة وثلاثين ذراعاً ... وجدد وعمر خرزات وفتحات من الكسار إلى مكة المشرفة على أحسن نظام، وأبدع نسق ، وفاقت هذه العمارة ولله الحمد كل من سبق فاجتمعت عند هذا جميع القلوب ،والألسن في كل الأوقات بالدعاء للدولة العلية في هذه المشاعر المشرفة البهية... وماهو الواقع جرى وحرر في

---

(١) الوثيقة السابقة ،ص ١٧.

في أواخر ذى القعدة الحرام سنة خمس وعشرين ومماية والف هجرية "(١)

أ- المجدد بالميازيب على مافصل في قائمة أُرسلت إلى الأعتاب الشريفة سنة ١١٢٤ هـ في جبل الرحمة بعرفات :

أُصلح فيها ٤ قطع ؛ القطعة الأولى بطول ٢١ ذراعاً ،والثانية بطول ١٣ ذراعاً ،والثالثة بطول ٤٦ ذراعاً ،والرابعة بطول ٣٨ ذراعاً، وفي منطقة جبل الرحمة تمّ تجديد بناء القناة بطول ٨٩ ذراعاً وعرض ذراع واحد وقد ذراع واحد أيضاً ، وجُدد طبطاب القناة بطول ١١٨ ذراعاً وقد من مر٢ إلى مر٣ ذراعاً ،وعُمل لها طبقان ودك بطول ١١٨ ذراعاً وعرض ذراعين وقد نصف ذراع ، وتمّ تنقيل أحد جدارى القناة بطول ٧٢ ذراعا وقد ٣ أذرع ، هذا فضلا عن تنقيل ظهر القناة وعملت لها ميازيب وسدت رؤوس الميازيب (٢) .

ب - أم القبور :

تمّ فيها إصلاح ٤ قطع ؛ القطعة الأولى بطول ٢٠ ذراعاً، والثانية بطول ٥٨ ذراعاً ،والثالثة بطول ٤٠ ذراعاً ،والرابعة بطول ٢٦ ذراعاً ،وتمّ في أم القبور تجديد بناء القناة بطول ١٤٩ ذراعاً وقد مر٣ ذراعاً،وعُمل لها طبقان ودك بنفس الطول السابق للقناة وعرض ذراعين وقد نصف ذراع ، كما تمّ دك أسفل القناة بطول ١٠٩ أذرع وعرض نصف ذراع وقد يتفاوت من نصف ذراع إلى ذراع،وتمّ تنقيل أحد جانبي القناة وظهرها بطول ١١٩ ذراعاً وقد يتفاوت من مر٢ إلى مر٣ ذراعاً،ونُقّل أيضاً أحد جانبي القناة في القطعة الأولى بطول ٢٠ ذراعاً

---

(١) وثيقة رقم ٦١٧٦ (MAD) ،ص ١ بأرشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول .

(٢) الوثيقة السابقة.

وقد ٣ أذرع،وعُمل لها ميازيب وسدت رؤوس الميازيب [1] .

ت - رأس البلاط الكبير :

جرى فيها إصلاح ١١ قطعة ؛ القطعة الأولى بطول ١٦٠ ذراعاً، والثانية بطول ٦٦ ذراعاً ،والثالثة بطول ١١٣ ذراعاً ،والرابعة بطول ٣٧ ذراعاً ، والخامسة بطول ١٤٣ ذراعاً ،والسادسة بطول ٤٤ ذراعاً ،والسابعة بطول ٦٠ ذراعاً ،والثامنة بطول ٥٢ ذراعاً، والتاسعة بطول ١٠ أذرع،والعاشرة بطول ١٣ ذراعاً ،والحادية عشرة بطول ١٨ ذراعاً ،وتمّ في راس البلاط الكبير تجديد بناء القناة في ٦ قطع، كانت القطعة الأولى بطول ١٦٠ ذراعاً وسمك م١ ذراع لكل جانب من جانبي القناة وقد ٣ أذرع؛ أما باقي المجدد من القناة في رأس البلاط الكبير فكان بطول ٣٥٠ ذراعاً وعرض ذراع واحد وقد ذراعين،كما جُدد طبطاب القناة بطول ٧١٦ ذراعاً . وقد يتفاوت من م٣ ذراع إلى ٤ أذرع، وتمّ دك أسفل القناة بطول ٢٢٦ ذراعاً وعرض نصف ذراع وقد ذراع واحد ،حيث إن أصل القناة قبل إعادة بنائها في عهد السلطان سليمان القانوني كان منخفضاً عن ميزان الماء في منطقة رأس البلاط الكبير ، فتمّ رفع جدار القناة ودك أسفلها. ومع طول الزمن تكسّر ذلك ، وغار فيه الماء ، ولم يعلم عنه أحد، إلا أثناء العمارة التي تمت سنة ١١٢٤ هـ.إذ تمّ الكشف عن ذلك وأحكم ودك أسفل القناة على أحسن وجه ،وتمّ عمل طبقان ودك للقناة بطول ٧١٧ ذراعاً وعرض ذراعين وقد نصف ذراع ماعدا القطعة الثالثة والبالغ طولها ١١٣ ذراعاً.فقد كان قدها ذراعاً واحداً ، إضافةً إلى تنقيل جدارى القناة وظهرها في القطع (١ ، ٢، ٤، ٨، ٩ ، ١١) بطول ٣٤٣ ذراعاً وقد من ٥ أذرع إلى

---

(١) الوثيقة السابقة .

إلى ١١ ذراعاً وتنقيل أحد جداري القناةوظهرها في القطع (٣ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ١٠) بطول ٣٧٣ ذراعاً وقد من ٤ أذرع إلى ٦ أذرع [١] .

كما تمّ في رأس البلاط الكبير تجديد بناء وتنقيل بغال كالاتي :

١- تجديد ٩ بغال من الداخل والخارج في القطعة الثانية .
٢- تنقيل جنوب البغال في القطعة الثالثة بطول ١٦ ذراعاً وقد ذراعين .
٣- تنقيل حنوب ١١ من البغال في القطعة الخامسة بقد ٣ أذرع وعرض وعرض ذراع واحد .
٤ - تنقيل ٨ من جنوب البغال في القطعة السادسة بقد ٣ أذرع وعرض ذراع واحد .
٥ - تنقيل ٦ من جنوب البغال في القطعة السابعة .
٦ - تجديد ٥ بغال في القطعة الثامنة بطول ٢ ذراع وعرض ذراعين وقد خمسة أذرع . إضافةً إلى تجديد بناء جدار بين البغال في هذه القطعة بطول ٢٥ ذراعاً وعرض ذراع واحد وقد ٣ أذرع .
٧ - جُدد بناء ٤ بغال في القطعة العاشرة . وعُملت للقناة ميازيب للماء وسدت رؤوس الميازيب [٢] .

ت - <u>أم الأبواب الكبيرة :</u>

أُصلح فيها ٤ قطع ، القعة الأولى بطول ١٩ ذراعاً ، والثانية بطول ٣٢ ذراعاً ، والثالثة بطول ١٤ ذراعاً ، والرابعة بطول ٣٠ ذراعاً ، وفي أم الأبواب الكبيرة تمّ تجديد بناء القناة بطول ١٦ ذراعاً وعرض ذراع واحد وقد ذراعين ، كما جُدد طبطاب القناة بطول ٩٥ ذراعاً

---

(١) الوثيقة السابقة .
(٢) الوثيقة السابقة .

وقد ٣ر ٣ ذراع ، وعمل عليها طبقان ودك بعرض ذراعين وقد نصف ذراع ونُقل أحد جدارى القناة بطول ١٩ ذراعاً وقد ٤ر ٤ ذراعاً ، هذا فضلاً عن تنقيل ظهرها بطول ٣٢ ذراعاً وقد ذراعين ، ثمّ نقل جدارا القناة وظهرها في موضع آخر من أم الابواب الكبيرة ، بطول ٤٤ ذراعاً وقد ٧ أذرع وعُمل لها ميازيب للماء وسدت رؤوس الميازيب (١) .

ج - رأس الوبر :

تمّ الكشف على القناة بهذه المنطقة فوجد أن أسفلها كان مكسراً يغور فيه الماء ، فأحكم دك أسفل القناة ثم بنى فوقه (٢) كما جُدد في رأس الوبر جدار القناة بطول ١٧٠ ذراعاً وعرض ذراعين وقد ٣ أذرع ، إضافة إلى تنقيل ذلك وتجديد طبطابها. وعُملت للقناة ميازيب للماء وسدت رؤوس الميازيب (٣) .

ح - شعبة أم الجنابي :

أُصلح فيها ٩ قطع ، القطعة الأولى بطول ١٠ أذرع ، والثانية بطول ٩ أذرع ، والثالثة بطول ١٣ ذراعاً ، والرابعة بطول ١٨ ذراعاً ، والخامسة بطول ١٢١ ذراعاً ، والسادسة بطول ٢٠ ذراعاً ، والسابعة بطول ١٦ ذراعاً ، والثامنة بطول ١٣٥ ذراعاً ، والتاسعة بطول ٩٥ ذراعاً ، وفي شعبة أم الجنابي تمّ تجديد بناء القناة بطول ٢٥٩ ذراعاً وعرض نصف ذراع وقد ذراع واحد ، وبطول ١٢١ ذراعاً وعرض ذراع واحد وقد ذراعين ، كما تمّ تجديد طبطاب القناة بطول ٦٠ ذراعاً وقد ٣ر ٣ ذراع

---

(١) الوثيقة السابقة .
(٢) الوثيقة السابقة .
(٣) الوثيقة السابقة .

وبطول ٣٨٧ ذراعاً وقد ٤ أذرع ،وعُمل لها طبقان ودك بطول ٤٤٧ ذراعاً وعرض ذراعين وقد نصف ذراع ،كما تمّ تنقيل القناة من الجانبين والظهر بطول ٢٩٠ ذراعاً وقد ٥ أذرع وبطول ١٥٧ ذراعاً وقد ٤ أذرع، وعُمل لها ميازيب للماء وسدت رؤوس الميازيب (١)

خ - قنطرة أم الغزلان :

أُصلح فيها ٨ قطع ؛ القطعة الأولى بطول ٦٨ ذراعاً،والثانية بطول ٢٠ ذراعاً ، والثالثة بطول ٧٤ ذراعاً،والرابعة بطول ٢٣ ذراعاً والخامسة بطول ٢٥ ذراعاً ، والسادسة بطول ٢٨ ذراعاً،والسابعة بطول ٦٠ ذراعاً، والثامنة بطول ٢٦ ذراعاً . وفي قنطرة أم الغزلان جُدّد بناء القناة بطول٢٥٥ ذراعاً وعرض نصف ذراع وقد ٥ر١ ذراع،وبطول ٦٩ ذراعا وعرض نصف ذراع وقد ذراعين ، كما جدد طبطاب القناة بطول ٣٢٤ ذراعا وقد ٤ أذرع وعمل لها طبقان وذلك بنفس الطول السابق وعرض ذراعين وقد نصف ذراع ونقل احد جدارى القناة مع ظهرها بطول ٣٢٤ ذراعا وقد ٤ اذرع وعملت لها ميازيب للماء وسدت رؤوس الميازيب (٢) .

د - غار الضبعة :

جرى فيها أصلاح ٣ قطع ؛ القطعة الأولى بطول ١٥٠ ذراعا،والثانية بطول ٣٣ ذراعاً والثالثة بطول ٢٥ ذراعاً. وتمّ في غار الضبعة تجديد بناء القناة بطول ٢٠٨ ذراعاً.وعرض نصف ذراع،وقد ذراع واحد وجدّد طبطاب ذلك بقد ٤ أذرع وعمل لها طبقان ودك بطول ٢٠٨ ذراعاً وعرض ذراعين،وقد نصف ذراع ونقل أحد جدارى القناة مع ظهرها

---

(١) الوثيقة السابقة.

(٢) الوثيقة السابقة.

بطول ٢٠٨ ذراعاً وقد ٣ أذرع ،وعملت لها ميازيب للماء وسدت رؤوس الميازيب [١].

ذ – رأس المفجر :

تمّ في هذه المنطقة تجديد بناء القناة من جهة الجبل بطول ١٠٣ ذراعاً، وعرض نصف ذراع ،وقد ذراع واحد ،وجدّد طبطابها بقد م٣ ذراع ،وعمل لها طبقان ودك بعرض ذراعين وقد نصف ذراع، ونقّل أحد جداري القناة بقد ذراعين ، وعملت لها ميازيب للماء وسدت رؤوس الميازيب [٢] .

الرفوع والسلخ والترميم والتطبيق والتنقيل وغير ذلك مما لم يعمل بالميازيب :

أ– الكسار أعلا أرض عرفات :

أصلح فيها قطعتان ، القطعة الأولى بطول ١٣٧ ذراعاً ، والثانية بطول ٣٨٠ ذراعاً، وتمّ بأرض الكسار سلخ جدار القناة وتنقيلها بطول١٣٧ ذراعاً وقد ذراعين وطول٣٨٠ ذراعاً وقد م١ ذراع [٣] .

---

(١) الوثيقة السابقة .
(٢) الوثيقة السابقة .
(٣) الوثيقة السابقة .

ب - عرفـات :

أصلح فيها ٥ قطع ، القطعة الأولى بطول١٢٠ ذراعاً،والثانية بطول٩٤ ذراعاً ،والثالثة بطول ٣٢ ذراعاً، والرابعة بطول ٨٠ ذراعاً، والخامسة بطول ١٨٠ ذراعاً • وتمّ إصلاح القناة بأرض عرفات على الوجه التالي :

القطعة الأولى : تمّ سلخ جدار القناة بهاوتنقيله بطول ١٢٠ ذراعاً وقد ذراعين وعمل لها طبقان ودك بعرض ذراعين وقد نصف ذراع •

القطعة الثانية: جدّد فيها عمل الطبقان والدك بطول٩٤ ذراعاً وعرض ذراعين وقد نصف ذراع ثم نقلت بقد ذراعين •

القطعة الثالثة: رمّم فيها جدار القناة ونقل بطولها ٣٢ ذراعاً وقد مرا ذراع •

القطعتان الرابعة والخامسة : تمّ بهما سلخ جدار القناة وتنقيله بطول ٢٤٠ ذراعاً وقد ذراعين (١).

ت - الخُطم : (٢)

أصلح فيها ثلاث قطع نتيجة لانحباس الماء بها ،بسبب انخفاض الطبقات،التى أدت إلى وقوع أضرار كبيرة بالقناة،بمنطقة الخطَم • ولمعالجة ذلك،اقتضى رأى أرباب الخبرة،من الذين يعملون في إصلاح القناة،أن ترفع جانبي القناة كي يتمكنوا من رفع الطبقات حتى يجرى الماء • فعمدوا في القطعة الأولى إلى حفر مكان للقناة بطول ١٧٠ ذراعاً وعرض ٤ أذرع وقد ذراعين ،وتمّ رفع جانبي القناة بنفس الطول السابق وعرض ذراع واحد وقد نصف ذراع ،

---

(١) الوثيقة السابقة ، ص٠٧

(٢) الخطم بمكة خطمان: أحدهما خطم الحجون والآخر يقع شمال عرفه بينهما سيلعرنه يأخذ بعضه حدّ الحرم ،يتصل شمالاً بجبال الشُّعْر جمع شعراء،ثم جبل الطارقي،وتمتد منه إلى الشرق والشمال الشرقي سهول المغمس • عاتق بنغيث البلادى : معالم مكة التأريخية والأثرية ، ص٩٤-٩٥•

ثم عمل لها طبطاب فوق الرفوع ، ثم عمل لها الطبقان والدك. أما القطعة الثانية فقد تمّ فيها رفع جانبي القناة بطول ١٥٠ ذراعاً وعرض ذراع واحد وقد نصف ذراع،ثم عمل لها طبطاب فوق الرفوع ثم عمل لها طبقات ودك . أما القطعة الثالثة فقد احتاج الأمر فيها إلى حفر مكان للقناة بطول ١٦٠ ذراعا وعرض ٣ أذرع وقد ذراعين ثم رفع جانبا القناة بطول ١٩٠ ذراعا وعرض ذراع واحد وقد نصف ذراع،ثم عمل لذلك طبطاب وطبقان ودك .(١)

ث - أم القبور :

أصلح فيها ١٣ قطعة ؛ القطعة الأولى بطول ١٦٩ ذراعاً، والثانية بطول ١٨٨ ذراعاً، والثالثة بطول ٤٥ ذراعاً ،والرابعة بطول ٢٣ ذراعاً ،والخامسة بطول ٧٨ ذراعاً ،والسادسة بطول ٢٦ ذراعاً ،والسابعة بطول ٤٤ ذراعاً ،والثامنة بطول ٧٤ ذراعاً، والتاسعة بطول٢٦ ذراعاً ، والعاشرة بطول ٣٨ ذراعاً،والحادية عشرة بطول ٧٢ ذراعاً ، والثانيةعشرة بطول ٦٧ ذراعاً ،والثالثة عشرة بطول ٣٠ ذراعاً . وفي أم القبور تمّ سلخ جدار القناة،وتنقيله بطول ٢٤٠ ذراعاً وقد ذراع واحد وبطول ٨٨ ذراعاً ،وقد مر٢ ذراع ، وبطول ٦٧ ذراعاً وقد ٣ أذرع وبطول ٦٧ ذراعاً وقد ذراعين ، كما تمّ ترميم جدار القناة وتنقيله بطول ١٠٢ ذراعاً وقد ذراع واحد وبطول ١١٦ ذراعاً وقد ٤ أذرع ، وبطول ٤٩ ذراعاً وقد ٥ أذرع ،ورمّم في جدار القناة في القطعة السابعة طول ٤٤ ذراعاً ،وقد مر٢ ذراع ، ونقل بجدار القناة في القطعة الثانية طول ٧٤ ذراعا،وقد ٤ أذرع، وشملت أعمال الاصلاح أيضا تنقيل جنوب البغال في القطعة الثانية ، وتجديد بناء جدار بين البغال في لقطعة السادسة بطول ١٠ أذرع وقد ذراعين وعرض ذراع واحد هذا فضلا عن تنقيل جنوب البغال ،وفي

---

(١) الوثيقة السابقة .

القطعة التاسعة تمّ تحديد بناء بغلين كبيرين بقد خمسة أذرع وعرض ذراعين وبغلين صغيرين بطول ٣ أذرع وعرض ذراع واحد وقد ذراعين ، وجدّد جدار بين البغال بطول ٣٠٠ ذراع وعرض ذراع واحد وقد ذراعين ، اضافة الى تنقيل جنوب ٦ من البغال الكبار الجديدة والقديمة و ٨ من البغال الصغار الجديدة والقديمة وفي القطعة العاشرة تم تنقيل جنوب ٨ من البغال بعرض ذراع وقد ٣ أذرع (١).

ج - رأس البلاط الكبير :

تمّ فيها إصلاح عشرون قطعة ، القطعة الأولى بطول ١٣٧ ذراعاً، والثانية بطول ٣٧ ذراعاً والثالثة بطول ١٨٥ ذراعاً ،والرابعة بطول ١٨ ذراعاً والخامسة بطول ١٠٣ أذرع ،والسادسة بطول ٣٧ ذراعاً والسابعة بطول ٩٠ ذراعاً ،والثامنة بطول ٢٠ ذراعاً ، والتاسعة بطول ٥١ ذراعاً،والعاشرة بطول ١٩ ذراعاً،والحادية عشرة بطول ١٤ ذراعاً، والثانية عشرة بطول ٧٧ ذراعاً ، والثالثة عشرة بطول ١٤ذراعاً والرابعة عشرة بطول ٨٠ ذراعاً ، والخامسة عشرة بطول ١٤ ذراعاً والسادسة عشرة بطول ١٣ ذراعاً،والسابعة عشرة بطول ١٨ ذراعا والثامنة عشرة بطول ١٩ ذراعاً،والتاسعة عشرة بطول ٢٢ ذراعاًوالعشرون بطول ٣٠ ذراعاً (٢) .

وفي رأس البلاط الكبير تمّ ترميم،وتنقيل جدا رالقناة بطول ٤٢٤ ذراعاً وقد يتفاوت من ٢-٥ أذرع ، في القطعة الثالثة بطول ٤٠ ذراعاً ، وقد ذراعين وعرض ذراع واحد،كما رُمّم في نفس القطعة

---

(١) الوثيقة السابقة .
(٢) الوثيقة السابقة .

جدار آخر للقناة بطول ١٤٥ ذراعاً،وقد ٣م ذراع ، ونقّل جدار القناة من الخارج بطول ١٨٥ ذراعاً وقد ٣م ذراع،ونقّل من الداخل بطول ١٤٠ ذراعاً وقد ذراعين • هذا فضلا عن تنقيل جنوب البغال بهذه القطعة (١) .

وفي القطعة السابعة تمّ تجديد طبقات ودك للسقاية ،وعمل ذلك أيضا في القطعة الثامنة بطول ٩٠ ذراعاً ،وعرض ذراعين وقد نصف ذراع ، إضافةً إلىتنقيل جدار القناة داخلاً وخارجاً ،بطول ٩٠ ذراعاً وقد ٦ أذرع في جداري للقناة،وفي الآخر ٣ أذرع ،كما تمّ تنقيل ٢٠ من البغال • كما عمل في هذه القطعة أيضا رفع جانبي القناة،بطول ٢٠ ذراعاً ،وعرض ذراع واحد،وقد نصف ذراع ،ثم جدّد ماعليها من طبقان ودك وأصلح طبطابها(٢) .

وفي القطعة الحادية عشرة،عمل على تجديد رفع جدار القناة بطول ١٤ ذراعاً،وعرض ذراع واحد ، وقد نصف ذراع ، ثم نقّل جميع ذلك وجدد ماعليها من طبقات ودك • أما القطعة الثانية عشرة فقد تمّ فيها تجديد بغلين كبيرين بطول ٣ أذرع،وعرض ذراعين، وقد ٩ أذرع،وبغلين متوسطين بطول ٣ أذرع ، وعرض ١م ذراع وقد ٥ أذرع،وثلاث بغال صغار ، بطول ذراعين،وعرض ذراع واحد • وفي القطعة الثالثة عشرة ،تمّ تنقيل جدار القناة بطول٧٧ ذراعاً وقد ٧م ذراع ،وتنقيل جنوب ٤ بغال كبار ، و ٤ بغال متوسطين وأربع بغال صغار • وفي القطعة الرابعة عشرة ، تم تجديد بناء خمس بغال بطول ٣م ذراع ، وقد ٧ أذرع ،وعرض ٢م ذراع ، وتجديد جدار بين البغال بطول ٤ أذرع وقد ٦ أذرع،وعرض ذراع واحد ،وتنقيل

---

(١) الوثيقة السابقة •

(٢) الوثيقة السابقة •

جدار القناة من الداخل بطول ٦٠ ذراعا وقد ٣ أذرع ، إضافة الى تنقيل جنوب ١٠ من البغال . وفي القطعة الثامنة عشرة تمّ تجديد بناء رفع جانبي القناة بطول ٩ أذرع، وقد نصف ذراع، وعرض ذراع واحد ،وعملت لها طبقان ودك بطول ٩ أذرع ، وعرض ذراعين، وقد نصف ذراع ، ثم تمّ تنقيل الجزء الذى رفع من القناة . وفي القطعة التاسعة عشرة، تمّ رفع بناء القناة، بطول ٢٢ ذراعاً ،وقد نصف ذراع ، وعرض نصف ذراع ، ثم جدّد ماعليها من طبقان ودك (١).

ج - منطقة قريبة من مزدلفة :

كتب في كشف أحوال القناة عام ١١٢٤ هـ / ١٧١٢م أنه يوجد خراب بالقناة الممتدة تحت الأرض ، بالقرب من بازان العجم بمزدلفة ، وأن الأمر يحتاج إلى إصلاح ١٥٠ ذراعاً من القناة المتخربة ، ولكن أثناء حفر الارض لإصلاح القناة ،وجدوا أن المتخرب منها ٢٥ ذراعاً طولاً ،فأصلحوها وعملوا عليها خرزة كبيرة ،وجرى الماء على أحسن حال .

وقد تمّ الإصلاح بحفر قطعة الأرض التي بها القناة بطول ٢٥ ذراعاً ،وعرض ٦ أذرع، وقد ٨ أذرع ثم عملوا على بناء القناة بطول ٢٥ ذراعاً، وعرض ذراع واحد، وقد ذراعين ثم عمل عليها طبقان ودك . أما الخرزة فقد كان محيط دائرها ٩ أذرع وسمك ذراع واحد، وقد ١٠ أذرع ،وبعد بنائها تمّ تنقيل دائرها بقد ذراعين من الخارج و ١٠ أذرع من الداخل ، ثم عمل طبطاب بأرضها (٢) .

---

(١) الوثيقة السابقة.
(٢) الوثيقة السابقة.

خ - رأس الوبـــــر :

أصلح فيها ٢٥ قطعة ، القطعة الأولى بطول ١٣ ذراعاً ، والقطعة الثانية بطول٥٠ ذراعاً ، والثالثة بطول ٤٩ ذراعاً ،والرابعة بطول ١٩٠ ذراعا ، والخامسة بطول ١٠ أذرع ، والسادسةبطول ١٨ ذراعاً ، والسابعة بطول ١٤ ذراعاً،والثامنة بطول ٢٠ ذراعاً، والتاسعة بطول ١٦ ذراعاً ، والعاشرة بطول٣٤ ذراعاً ،والحادية عشرة بطول ١٤ ذراعاً ، والثانية عشرة بطول ١٠٧ ذراعاً،والثالثة عشرة بطول ١٠٥ ذراعاً ،والرابعة عشرة بطول ٥٥ ذراعاً،والخامسة عشرة بطول ٢٥ ذراعاً ، والسادسة عشرة بطول ٥٨ ذراعاً، والسابعة عشرة بطول ٢٣ ذراعاً ، والثامنة عشرةبطول ١٦ ذراعاً ، والتاسعة عشرة بطول ٥٥ ذراعاً ، والعشرون بطول ١٤ ذراعاً ،والحادية والعشرون بطول ١٥ ذراعاً ،والثانية والعشرون بطول ٥٢ ذراعاً والثالثة والعشرون بطول ١٣ ذراعاً ،والرابعة والعشرون بطول ٢٥ ذراعاًوالخامسة والعشرون بطول ١٣ ذراعاً [١].

وفي رأسالوبر تمّ ترميم جدار القناة،وتنقيله بطول ٤٥٥ذراعاً وقد يتفاوت من ١-٤ أذرع ،ورُمّم من القناة أيضا بطول ٩٩ ذراعاً وقد ٣ أذرع،ثم نقّل ذلك بقد مر٣ ذراع ، ورمّم من القناة طول ٣٤ ذراعاً،وقد مر٢ ذراع،ونقّل ذلك بقد مر٣ ذراع ؛ كما رمّم ونقّل طول ٨٠ ذراعاً بقد يتفاوت من ٣-٤ أذرع ؛ هذا فضلا عن ترميم جدار القناة فيالقطعة السادسة عشرة بطول ٥٨ ذراعاً ،وقد ذراعين ثم نقّل ذلك من الخارج بذات الأبعاد ومنالداخل بطول ٢٠ ذراعا وقد ذراعين [٢] .

---

(١) الوثيقة السابقة .

(٢) الوثيقة السابقة .

وفي القطعة الثانة والعشرين تمّ ترميم جدار القناة بطول ٥٢ ذراعاً ، وقد ٣ أذرع، ثم نقّل وعمل للنقاة طبقان ودك، بطول ١٨ ذراعاً وعرض ذراعين وقد نصف ذراع [١] .

إصلاح قناة عين عرفة قرب قبة المقسم بالمعابدة :

ذكر في الوثيقة عن ذلك مانصه " كتب في كشف أحوال الدبل العام الماضي (١١٢٤ هـ) أن قبل القبة خراب في الدبل محتاج لكشف الأرض إلى الماء ولكن في هذه السنة (١١٢٥هـ) يسر الله سبحانه وتعالى بتوفيقه وعظيم لطفه الوقوف على الموضع الخراب منه وعملت من أسفل الدبل باللاقوت والزيت [٢] وأحكمت أعظم الإحكام ولم يحتج الحال لكشف الأرض "[٣] .

الأعمال العمارية في الخرز على قناة عين عرفة [٤]:

١ - جدّد بناء خرزة في أول الكسار بطول ٦ أذرع، وقد ذراع واحد وعرض ذراع واحد ، ثم نقّل خارجها بذات الأبعاد السابقة وداخلها بطول ٤ أذرع، وقد ذراع واحد، ثم طبطابها بطول ٦ أذرع وعرض ذراع واحد.

---

(١) الوثيقة السابقة .
(٢) انظر أسلوب البناء والمواد المستعملة ص ٤٧٩ من هذا البحث .
(٣) الوثيقة السابقة .
(٤) الوثيقة السابقة .

٢ - جدد بناء خرزة الريحانية بعرفات بطول ٨ أذرع،وعرض ذراع واحد وقد ٍر١ ذراع،ونقل خارجها بذات الأبعاد السابقة وداخلها بطول ٤ أذرع ،وقد ذراع واحد ، وعمل طبطاب في أعلاها مساحته ٦ أذرع مربعة .

٣ - جددت خرزة قرب مطبخ آدم بعرفات بطول ١١ ذراعاً،وقد ذراع واحد وعرض ذراع واحد،ونقل خارجها بنفس الأبعاد السابقة.وداخلها بطول ٤ أذرع وقد ٣ أذرع وعمل طبطاب في أعلاها مساحته ٨ أذرع مربعة .

٤ - رممت خرزة عند مطبخ آدم بطول ٩ أذرع وقد ذراع واحد ، ونقلت بذات الأبعاد السابقة ،وعمل طبطاب في أعلاها مساحته ٦ أذرع مربعة .

٥ - جددت خرزة فقير الذئب أسفل عرفات بطول ٍر٧ ذراع ،ونقلت من الخارج بذات الطول السابق وقد ٍر١ ذراع،ومن الداخل بطول ٦ أذرع ، وقد ذراعين وعمل طبطاب في أعلاها مساحته ٍر٧ ذراع .

٦ - جددت خرزة الحوما بوادي عرنة بطول ١٠ أذرع،وعرض ذراع واحد،وقد ذراع واحد،ونقل خارجها بذات الأبعاد السابقة ماعدا القد فقد أصبح ٍر١ ذراع،ونقل داخلها بطول ٤ أذرع،وقد ٍر١ ذراع،وعمل طبطاب في أعلاها مساحته ١٢ ذراعا .

٧ - جددت خرزة أم الصرحة بوادي المغمس ،بطول ٍر٨ ذراع وعرض نصف ذراع ،وقد ذراع واحد ،ونقلت من الخارج بذات الأبعاد السابقة ومن الداخل بطول ٤ أذرع،وقد نصف ذراع،وعمل طبطاب في أعلاها مساحته ٦ أذرع مربعة .

٨ - جددت مجموعة من الخرز بالخطم على النحو التالي :[1]

(١) الوثيقة السابقة .

أ - رممت خرزة بالخطم محيط دائرها ١٠ أذرع وقد ذراعين ، ثم نقل داخلها وخارجها.

ب - رممت خرزة أخرى بالخطم بطول ٧م ذراع وعرض نصف ذراع ،وقد ٢م ذراعٍ ، ونقل خارجها بطول ٧م ذراع وقد ذراعين ، وداخلها بطول٤ أذرع وقد ١م ذراعٍ وعمل بها طبطاب بطول ٧م ذراعٍ وعرض نصف ذراع .

جـ - جددت ثلاث خرزات،طول كل منها ٧م ذراعٍ وعرض نصف ذراعٍ وقد ١م ذراعٍ،ونقل كل منها من الداخل والخارج،وعمل على كلٍ منها طبطاب مساحته ١٩ ذراعاً مربعاً .

د - جدد بناء خرزة على مصب الحوض ببناء دائرها بقد ذراع واحد وعرض نصف ذراع، ثمّ نقلت من الداخل والخارج،وعمل طبطاب في أعلاها مساحته ٩أذرع مربعة .

هـ - جددت ٣ خرزات طول كلٍ منها ٧م ذراعٍ وعرض نصف ذراع ،وقد ٥ أذرع،ثم نقل كل منها من الداخل والخارج،وعمل طبطاب في أعلى كل خرزة مساحته ٦ أذرع مربعة .

و - رممت خرزة دائر جدارها ٦ أذرع ،وقد جدارها ذراع واحد، ثم نقلت من الداخل والخارج،وعمل طبطاب في أعلاها مساحته ٦ أذرع مربعة .

٩ - جددت خرزة صغيرة في المسيل بمزدلفة ،شمل التجديد بناءها وتنقيلها ، من الداخل والخارج وعمل طبطابها .

١٠- جددت خرزة في مسيل وادى محسر قرب مزدلفة ببنائها بطول ١٣ ذراعاً وعرض ذراعين وقد ذراعين،ثم جدد طبطابها بطول ١٣ ذراعاً،وعرض ذراعين ونقلت من الخارج بطول ١٣ ذراعاً ،وقد نصف ذراع ،ومن الداخل بطول ٤ أذرع،وقد ٧ أذرع،ثم جدد[1]

(١) الوثيقة السابقة .

درجها وعمل لها طبقان ودك .

١١- جددت خرزة أخرى في رأس الوبر ، بطول ١٢ ذراعاً ،وقد ٤ أذرع ، ثم نقلت من الخارج بنفس الأبعاد السابقة ماعدا القد. فقد بلغ ذراعين،كما تم تنقيلها من الداخل بطول ٤ أذرع ، وقد ٤ أذرع ، هذا فضلاً عن تجديد بناء درجتها وتنقيلها،وعمل للخرزة طبطاب بطول ١٢ ذراعاً،وعرض ذراعين .

١٢- تجديد بناء ١٨ خرزة كبيرة وترميم ٣ خرزات أخر.

١٣- خرزة مقسم بركة الشامي بالمعلاة : رمم ونقل دائرها بطول ٧ر ذراع وقد ذراعين،وعمل لها طبطاب بطول ٧ر ذراع وعرض نصف ذراع.(١)

تجديد بناء فتحات للسقاية على القناة من الكسار إلى المفجر :

وتنقسم إلى :

أ - ٥ فتحات كبار .

ب - ١٠١ فتحة متوسطة .

جـ - ١٧ فتحة صغيرة (٢)

أعمال محمد بيك بن حسين باشا سنتي ١١٢٤ -١١٢٥هـ - ١٧١٢ ، ١٧١٣م بقناة عين حنين :

تنوعت أعمال محمد بيك بن حسين باشا في إصلاح قناة عين حنين مابين تعمير وسلخ وتنقيل وتطبيق وعمل طباطاب. ويمكن التعرف على تلك الأعمال،بتتبع المناطق التي تم إصلاح القناة بها ،وهي على الوجه التالي :(٣) :

---

(١) الوثيقة السابقة ، ص١٥ .
(٢) الوثيقة السابقة .
(٣) الوثيقة السابقة .

أ- الشريعة (الشرائع) مكان حائط حنين :

أصلح فيها ٥ قطع ؛ القعة الأولى بطول ٥٠ ذراعاً ،والثانية بطول ١٤٦ ذراعاً ، والثالثة بطول ٢٥ ذراعاً،والرابعة بطول٢٢ ذراعاً والخامسة بطول ١٦ ذراعاً ،شملت أعمال الإصلاح هنا ،تجديد بناء طبقان ودك للقناة بطول ٢٣٤ ذراعاً في الخمس قطع وعرض مر١ ذراع في القطعة الثانية وذراعين في باقي القطع ، كما تمّ تجديد بناء فتحات للسقاية على القناة في القطعتين الأولى والثانية .

ب - تمّ تجديد بناء فتحة على القناة قبل غار الشريف : بلغ دائر محيطها ٦ أذرع ،وعرض ذراع واحد،وقد ذراع واحد ، ثمّ نقلت من الداخل والخارج ، وعُمل لها طبطاب .

ت - غار الشريف عند مصب ماء حنين في قناة البرود :

شملت أعمال الإصلاح قطعة واحدة بطول ١٢٠ ذراعاً ، وتجديد بناء ٣ خرزات . وقد بدأت الأعمال بحفر مكان للقناة الجديدة ، بطول ١٢٠ ذراعاً،وعرض ١٠ أذرع ،وقد ٦ أذرع،ثم بُني جانبا القناة بنفس الطول السابق وعرض مر١ ذراع وقد ١٢ ذراعاً،ودك أسفل القناة بطول ١٠ أذرع ، وعرض نصف ذراع ، وقد نصف ذراع ،ثمّ عُمل طبقان ودك بطول ١٠ أذرع ، وعرض ذراعين ،وقد نصف ذراع ، وأخيراً عُمل طبطاب بطول١٢٠ ذراعاً . أما الخرز فقد جُدد بناء ٣ خرزات بلغ محيط الواحدة منها ٧ أذرع وعرض ذراع واحد ،وقد مره ذراع ،وتمّ تنقيل كلٍ منها وعُمل لها طبطاب .

ث - في حواس :

تمّ تجديد ٤ فتحات للسقاية على القناة ،مع الاهتمام بعمل طبطابها ،وتنقيلها من الداخل والخارج.

ج - قرب حوض البقر :

أُصلح فيها ٣ قطع ؛ القطعة الأولى بطول٩٨ ذراعاً ،والثانية

بطول ١٣٠ ذراعاً ، والثالثة بطول ١٦٣ ذراعاً ،وقد بدأت أعمال إصلاح قناة عين حنين ، قرب حوض البقر ،بسلخ جدار القناة القديم بطول ٣٩١ ذراعاً،ثم نقلت وعمل لها طبقان ودك ، اضافة إلى تجديد ٥ فتحات كبار على القناة للسقاية .

ح - جُددت فتحة سقاية على القناة عند غار الكرش .

خ - مصب عنتر :

هذا الموضع ملتقى مياه القنوات القادمة من عين حنين وعين ميمون وعين البرود وعين الزعفران . وقد لُحظ أن قناة عين الزعفران تنخفض عن قناة عين حنين والبرود بمقدار خمسة أذرع ، وأنه قد عملت برابخ[1] ،ينحدر منها الماء الى قناة عين الزعفران ، لكنها كانت غالبا ماتنسد فينحبس الماء ويلحق بالقناة إضراراً عظيماً . ولتلافي أخطار ذلك فقد أُجمعت آراء أهل الخبرة على بناء قناة جديدة بين قناة عين حنين،وقناة عين/الزعفران ، إضافة إلى بناء خرزة لجمع مياه القناتين . وقد بدأت هذه الأعمال بحفر الأرض ٣٠ ذراعاً طولاً،و ٢٠ ذراعاً عرضاً،وقد ٨ أذرع ،ثم بنيت القناة المشار إليها بطول ٩ أذرع،وعرض ذراع واحد، وقد ذراعين،ثم دك أسفلها وعُمل لها طبطاب ثم غطي جانبا القناة بالطبقان ودكت . أما الخرزة فقد بلغ محيطها ٩ أذرع،وقد ٦ أذرع ، وعمل لها طبطاب،ونقلت من الداخل والخارج .

كما تم لمحمد بيك بن حسين باشا، تنظيف قناة عين حنين من منبعها إلى الأبطح ملتقى قناة عين حنين بقناة عين عرفة [٢] .

---

(١) بربخ : أي ماسورة فخار . إسماعيل بن حماد الجوهري : تاج اللغة وصحاح العربية ،تحقيق أحمد عبدالغفور عطار ،جا ، ص ٤١٩ ، ج ٤ ،ص ١٤٢٤، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م .

(٢) وثيقة رقم ٦١٧٦ (MAD) بأرشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول .

المنصرف على الأعمال العمارية التي قام بها محمد بيك بن حسين باشا في قناتي عين حنين وعين عرفة :

سبق أن عرفنا من خلال إشارة ابن المحب الطبرى أن اللجنة التي اجتمعت عام ١١٢٣ هـ / ١٧١١م مع محمد بيك لمعرفة مواضع الخراب بقناة عين عرفة، قد قدرت تكلفة إصلاح القناة بنحو ١٠٠٢٤٠ أحمراً (١). أما الوثائق فقد زودتنا بتفاصيل نفقات محمد بيك على المشروع على النحو الآتي :

- المنصرف على عمارة عين عرفة وقناتها سنة ١١٢٤ هـ / ١٧١٢م :

١- ٥٨٠١٦ ¼ غرشا (٢) عن المجدد بالميازيب .

٢- مر١٢٠٥٠ غرش عن المعمول بغير الميازيب .

٣- مر١١٧ غرش عن تجديد فتحات مغار .

٤- المنصرف على تجديد بناء القناة بالميازيب سنة ١١٢٥ هـ/١٧١٣ م ٤٨٩٨٠ ¼ غرش .

٥- المنصرف على الترميم والسلخ والرفوع والتطبيق والتنقيل سنة ١١٢٥ هـ / ١٧١٣م ٢٦١٤٤ غرشاً .

٦- ٣٩٥٦ غرشاً عن الأعمال العمارية في الخرزات والفتحات .

٧- المنصرف على عمارة قناة عين عرفة سنة ١١٢٥ هـ ¼ ٨٦٠٦٣ غرش

٨ - المنصرف على عمارة قناة عين حنين سنة ١١٢٥ هـ ١٠٣٦٣ غرشاً .

٩ - المنصرف على تنظيف قناة عين عرفة مر١٢٠٢٤ غرش .

١٠- المنصرف على تنظيف قناة عين حنين مر١١٨٣٣ غرش (٣)

---

(١) انظر ماسبق ص ١٧٣ من هذا البحث .

(٢) " كل غرش بخمسة واربعين ديوانيا ومصارفه الاحمر الزنجرلي بغرشين ونصف وربع غرش ومصرفه بالديوانية مابة وثلاثة وعشرون ديوانيا وهذا بحسب المعاملة الرايجة في الحرمين الشريفين ". الوثيقة السابقة ، ص٣.

(٣) الوثيقة السابقة ، ص ٢-٣.

تنظيمات الدولة في الإشراف على عمارة منشآت المياه بمكة المكرمة والمشاعر المقدسة في عامي ١١٢٤هـ-١١٢٥هـ / ١٧١٢-١٧١٣م :

إن إشراف الدولة العثمانية على تنفيذ مشروعات المياه بمكة المكرمة والمشاعر المقدسة كان يسير وفق نظام غاية في الدقة ، ويتجلى ذلك بالنظر إلى ماسبق عرضه . فبعد أن قرر السلطان أحمد خان الأول تزويد مكة بالماء، بعد انقطاع مياه العيون عنها ، بعث من عنده بمحمد بيك بن حسين باشا ، لتنفيذ ذلك ، وزوده بما يحتاج إليه من الأموال والعمال والمهندسين ومواد البناء ، لكن السلطان أحمد خان الأول لم يترك الأمر لمحمد بيك وحده ، بل زوده بفرمان قرأه على أمير مكة وقاضيها ، وجمع من علماء مكة، وأصحاب النفوذ فيها ، ليأخذ برأيهم وبمشورتهم بما فيه نجاح العمل وتقدير نفقاته [1] .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل وجدنا في الوثيقة الأولى، التي تؤرخ لأعمال العمارة، التي تمت بقناة عين عرفة عام ١١٢٤ هـ / ١٧١٢ م توقيع القاضي سليمان بمكة المكرمة المصادق على صحة ماورد فيها [2] . هذا فضلاً عن أن السلطان بعث عام ١١٢٥ هـ/ ١٧١٣م أحد أمنائه وهو الحاج مصطفى اغا قابوجي باشي الشهير بداية زادة للكشف على أعمال محمد بيك بن حسين باشا . ولمزيد من الدقة في العمل وإعطائه الصفة الشرعية، لجأ الحاج مصطفى إلى تكوين لجنة من كبار علماء مكة، وقضاتها لمشاركته في الإشراف على هذا العمل[3].

---

(١) انظر ماسبق ص ١٧١-١٧٢ من هذا البحث .

(٢) انظر صورة هذه الوثيقة رقم(٧) بالملحق رقم (١) من هذا البحث .

(٣) وثيقة رقم ٦١٧٦ (MAD) ص ١ ، ٢١ ، ٢٢. ووثيقة أخرى تحمل نفس الرقم السابق ص ٣٠ بارشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول .

وقد تم له عمل تقرير بمصروفات الحاج محمد بيك بن حسين باشا،على منشآت المياه بمكة المكرمة والمشاعر المقدسة، صادق على صحة ماورد به كل من عبدالقادر بن أبي بكر الصديقي الحنفي ،مفتي مكة المكرمة [١] ، والحاج خليل شيخ الحرم المكي وسليمان القاضي بمكة المكرمة ،وتوقيع أحد الشخصيات الذى لم أستطع التعرف على اسمه ويحيى بن احمد الطبرى ،الإمام مفتى الشافعية [٢]،ومحمد بن عبدالمعطي الشيبي المسئول عن سدانة بيت الله ، والسيد أحمد بن السيد محمد نائب الحرم الشريف المكي [٣]، ومحمد بن أحمد بن تاج الدين ، مفتي

---

(١) ولد عام ١٠٨٠ هـ / ١٦٦٩ م وتوفي في شهر رجب عام ١١٣٨هـ / ١٧٢٥م. الشيخ عبدالله مرداد أبوالخير : المختصر من كتاب نشر النور والزهور فيتراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر ، اختصار وترتيب محمد سعيد العامودى وأحمد علي،ج ١ ص ٢٢٠-٢٢١ ، مطبوعات نادى الطائف الأدبي. وقد تقلد منصب الفتوى في ذى الحجة سنة ١١٢٣ هـ . محمد بن علي المعروف بابن المحب الطبرى : المصدر السابق ،ج ٢ ورقة ٢١٥.

(٢) توفي في ثالث ذى القعدة عام ١١٣٧ هـ / ١٧٢٤م . محمد بن علي المعروف بابن المحب الطبرى : المصدر السابق ج٣ ورقة ١٥٩ ، ١٧٠ ، عبدالله مرداد أبوالخير : المرجع السابق ج ٢ ص ٤٥٤ .

(٣) كان يعمل على تنفيذ أوامر/ أمير مكة وسنجق جده بشأن بعض العلماء في المسجد الحرام. محمد بن على المعروف بابن المحب الطبرى : المصدر السابق ،ج ٢ ورقة ٢١٥.

المالكية بمكة المكرمة [١] ، وأبوبكر بن أحمد مفتى الحنابلة بمكة المكرمة [٢].

وعلى الرغم من هذه الأعمال العظيمة ، التي تمت لعمارة قناتي عين عرفة وعين حنين عامي ١١٢٤ ، ١١٢٥ هـ / ١٧١٢ ، ١٧١٣م ، فإن استمرار تدفق المياه إلى مكة لم يدم طويلاً، مما حدا بالدولة العثمانية إلى اجراء أعمال عمارية لإصلاح، وترميم قنوات المياه سنة ١١٣٦ هـ / ١٧٢٣م [٣]، ثم ظهر بعد ذلك في الفترة من سنة ١١٣٧ هـ / ١٧٢٤م إلى سنة ١١٤٠ هـ / ١٧٢٧م نقص في كمية المياه الواردة إلى مكة المكرمة من عين عرفة، مما تطلب بذل جهود لإصلاح هذه القناة، وبعض خرزها في هذه الفترة :

ففي ٢٣ ذى القعدة عام ١١٣٧ هـ / ١٧٢٤م خرج باكير باشا سنجق جده، وقاضي مكة ، والشيخ سالم البصرى [٤]، والسيد أحمد بن مساعد نائباً عن أمير مكة ، والأفندى يحيي بن عبد القادر المفتي للإشراف على قناة عين عرفة ، وظهر لهم وجود خراب في ١٤ خرزة

---

(١) توفي عام ١١٣٧ هـ / ١٧٢٤م • محمد بن على المعروف بابن المحب الطبرى : المرجع السابق ، ج ٣ ورقة ١٦٢ ، ١٦٣ ، عبدالله مرداد ابو الخير : المرجع السابق ، ج ٢ ص ٣٥٥.

(٢) توفى سنة ١١٣٨هـ أوسنة ١١٣٩ هـ / ١٧٢٥م ، ١٧٢٦م ، عبدالله مرداد أبوالخير : المرجع السابق ، ج ١ ص ٣٣ • وعن أسماء هؤلاء العلماء وتوقيعاتهم وأختامهم انظر وثيقة رقم ٦١٧٦ (MAD) ص ٢٢. بارشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول •

(٣) وثيقة رقم ٦٣٦٥ • ابن الأمين – أوقاف • بارشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول •

(٤) هو الذى عمر حنفية بالأبطح • انظر ص ٢٨٤ من هذا البحث •

وقدروا تكاليف اصلاحها بمائة وخمسين كيساً واتفقوا على عرض ذلك الأمر على الأبواب العالية [١] . وفي يوم ٧ صفر من عام ١١٣٨هـ/١٧٢٥م خرج باكير باشا للإشراف على قناة العين [٢] .

وفي سنة ١١٤٠ هـ / ١٧٢٧م عانى سكان مكة من قلة الماء ، حيث بلغ ثمن القربة خمسة ديواني وازدحم الناس أثناء ملء دوارقهم من موارد المياه ، مما تسبب في حصول مشاجرة بين بعضهم وقتل رجل . ومن ثم فقد توجه باكير باشا سنجق جدة إلى وادى نعمان في ٢٢ ربيع الأول سنة ١١٤٠ هـ / ١٧٢٧م ، للكشف عما أصاب قناة عين عرفة ، وفي ٢٧ من شهر ربيع الأول لنفس العام رجع إلى مكة بعد أن أمر بإصلاح أحد خرز القناة ، ثم عاد إلى موقع العمل بوادى نعمان في شهر ربيع الثاني للإشراف على الأعمال التى انتهت في اليوم الثامن منه ، وكان من نتيجتها كثرة تدفق المياه عبر قناة عين عرفة إلى مكة [٣] .

لكن استمرار ذلك لم يدم طويلاً أيضاً فقد ظهر في حج ذلك العام أن الماء لايفي باحتياجات الحجاج والسكان ، حيث بيعت القربة منه بثلاثين ديوانياً ، بعد أن قلت مياه الآبار والعيون [٤] ، التي يظهر أن لعبيد العين [٥] دوراً في إحداث خلل في قنواتها ، مما دفع سنجق جدة باكير باشا إلى طلب الناظر عليهم عبد موسى اغا الذى هرب فقبض

---

(١) محمد بن علي المعروف بابن المحب الطبرى : المصدر السابق ، ج٣ ورقة ١٥٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ٢٠٧ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٣ ورقة ١٧٤ ، ١٧٨ .

(٣) المصدر السابق ج٣ ورقة ٢١٣-٢١٤ .

(٤) المصدر السابق ج ٣ ورقة ٢٢٢ .

(٥) سبق أن تحدثنا عن عبيد العين . انظر ص ١٤٤ من هذا البحث .

باكير باشا على شيخ العبيد وضربه ٣٠٠ جلدة، وحبسه ، فلما بلغ عبيد العين ذلك اجتمعوا وتسلحوا، ودخلوا المعلاة، وترامو ا بالطبنجات مع بعض جماعة باكير باشا(١) . وفي يوم الأربعاء ٢٧ من ذى الحجة عام ١١٤٠ هـ أشار أمير مكة الشريف عبدالله بن سعيد (٢)، على أحمد باشا نائب سنجق جدة بأن يدفع كل منهما مائتي كيس ، لأجل إصلاح قناة عين عرفة على أن يستردوا هذه المبالغ حين وصول المعمار المعين من قبل الدولة لإصلاحها ، ووجه جمعاً غفيراً ممن له رأى في أمر عيون مكة للإشراف ، والنظر بصحبة عبيد العين . ثم بعث بعرض ذلك الأمر على الدولة رفق الحج الشامي (٣) .

وفي سنة ١١٤٩ هـ / ١٧٣٦م أمر السلطان محمد خان أحمد باشا متصرف جدة بترميم، وتنظيف قنوات المياه بمكة المكرمة (٤) .

وأشار حسين الورثيلاني ، صاحب الرحلة الورثيلانية ، الذى حج عام ١١٧٩ هـ / ١٧٦٥ م ، إلى انقطاع ماء عين حنين في عهده ، وإلى قلة المياه بقوله " وقد زاد الفساد والظلم والتعدى من الاشراف وغيرهم من أصحابهم (بمكة) فلا يكادون يرجعون عن التعدى بل على أقل شيء يقتلون العبد ، ولقد قتلوا صاحب أخينا في الله سيدى محمد بن قسوم الريفي على شربة ماء "(٥) . ثم ينقل لنا رواية سمعها عن اهتمام

---

(١) محمد بن علي المعروف بابن المحب الطبرى : المصدر السابق ج ٣ ورقة ٢١٢ ، ٢٢٢.

(٢) السيد أحمد زيني دحلان : المصدر السابق ص ١٨٠.

(٣) محمد بن علي المعروف بابن المحب الطبرى : المصدر السابق ، ورقة ٢٢٦.

(٤) وثيقة رقم ٢٨٥٨٥ ، تصنيف جودت - أوقاف . بارشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول .

(٥) سيدى الحسين بن محمد الورثيلاني : نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورثيلانية ، ص ٤٢٠ ، ٤٢١ ، الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م . الناشر : دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان .

سلاطين آل عثمان ، بأمر توفير المياه لمكة في عهده بقوله " قال أبوسالم وقد شاهدنا في بنيان هذه الساقية (القناة) مايدل على فخامة ملكهم وقوة اعتنائهم بأمر الحرمين ...، ووجدنا الفعلة في وقتنا جادين في إصلاح ما وهي من بنائها ... وهيصاعدة مع وادى نعمان "(١) .

ويدعم هذا ماورد بأربع وثائق عن قيام الدولة العثمانية بإصلاح قنوات المياه بمكة المكرمة في سنة ١١٧٣ هـ / ١٧٥٩م(٢)،وسنة ١١٧٦ هـ / ١٧٦٢م (٣)، وسنة ١١٧٨ هـ / ١٧٦٤م (٤) .

أما الوثيقة الرابعة فقد ورد بها أخبار عن اهتمام الدولة العثمانية عام ١١٧٣ هـ / ١٧٥٩م .حيث أرسلوا مهندسين للكشف عن الخراب الذى أصاب قناة عين عرفة . وبعد نظرهم في القناة وخرزها بوادى نعمان ، اتضح لهم وجود مجموعة خرز تحتاج لإصلاح وترميم بوادى نعمان ، فأصلح سعد الدين باشا والى جدة خرزتين منها . وفي عام ١١٧٥ هـ / ١٧٦١م أصلح ميراخور ثاني مصطفى (٥) اغا خمس

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٤٠.

(٢) وثيقة رقم ٦٤٩٤ تصنيف جودت - أوقاف - بارشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول .

(٣) وثيقة رقم ٢٥٨٧ تصنيف جودت - نافعة - بارشيف رسائة الوزراء العثماني باستانبول.

(٤) وثيقة رقم ٦٧٠تصنيف جودت - نافعة - بارشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول .

(٥) مصطفى اغا : كان رئيس بوابين في قصر السلطان عين مأمور التعمير قنوات المياه وتوفي بمكة في شهر جمادى الأولى عام ١١٧٦ هـ. انظر محمد ثريا : سجل عثماني ياخود تذكرة مشاهير عثمانية ، جلد ٤ سهيفة ٤٣٧ ،مطبعة عامرة . استانبول ١٣٠٨-١٣١٥هـ.

خرز بتكلفة بلغت ١٥٠٠٠ قرش لكل خرزة (١).

وفي عهد السلطان مصطفى بن أحمد سنة ١١٨١ هـ /١٧٦٧م أمر بتنظيف وتعمير قناة عين عرفه ، وقناة عين حنين ،وبعث من قبله موظفاً لأجل ذلك ، وهو فيض الله أفندى ، الذى انتهى من العمل سنة ١١٨٤ هـ / ١٧٧٠م بعد أن صرف على ذلك ٨٦٠٠٠ قرش (٢).

وتشير وثيقة مؤرخة بعصر السلطان عبدالحميد الأول سنة ١١٩١ هـ / ١٧٧٧م إلى أن مياه عين عرفة انقطعت عن الوصول إلى برك عرفة ،مما أدى إلى عطش الحجاج وسكان مكة،فرفع ذلك الأمر كل من أميرمكة الشريف سرور بن مساعد ، ووالى جدة عثمان باشا ، إلى السلطان الذى أمر في حينه بالكشف عن مواضع الخراب وتقدير قيمة الإصلاح في أقرب وقت ممكن ،لأنه اعتبر نفسه مسئولاً عن الإنفاق على ذلك الأمر ، وأن هذا من سبل كسب الأجر عند الله . فلما رفع إليه تقرير عن قيمة الإصلاح أمروالي مصر بتسديد قيمة ذلك من خزينة مصر ،ثم وجه أميرمكة الشريف سرور بن مساعد ، وقاضي مكة المكرمة ،وفيض الله أمين المباني بمكة،والمعمار محمد كبير آغا إلى العمل على تنظيف وترميم القناة ومتابعة العمل والجد ،وعدم الإسراف فى الإنفاق (٣).

كما تم في عهد أمير مكة الشريف سرور بن مساعد ١١٨٦ - ١٢٠٢ هـ/ ١٧٦٢-١٧٨٧م (٤) إصلاح قناة عين عرفة ، فقد ذكر ذلك ابن عبدالسلام

---

(١) وثيقة رقم ٧٦١٩ تصنيف جودت - أوقاف . بارشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول وكذلك انظر صورة هذه الوثيقة وملخص ترجمتها رقم (٨) بالملحق الأولمن هذا البحث .

(٢) ايوب صبرى : المرجع السابق ،ج ٥ - ٧ ص ٧٣٩، محمد أمين المكي: المرجع السابق ص ٣٢.

(٣) وثيقة رقم ٤ ٢٠٢٢ تصنيف جودت - اوقاف . بارشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول .

(٤) السيد أحمد زيني دحلان : المرجع السابق ،ص ٢٠٧ ، ٢٣٤.

الدرعي الذى حج في سنتي ١١٩٦ هـ ،١٢١١ هـ / ١٧٨١ ، ١٧٩٦ م في نص جاء فيه " وبمكة عين جارية عذبة أجرتها إليها من عرفة في قنوات زبيدة زوجة الرشيد ثم تعطلت ... ثم أصلحها الأمير سرور في وقتنا هذا فكثر الماء بها جزاه الله خيرا ،ومع ذلك فلابد خصوصا في أيام الموسم من شراء الماء حتى للشرب ، وللوضوء ، والطعام، وغيرها إلا في مواضع قليلة لمن يعرفها"(١) .

---

(١) حمد الجاسر : ملخص رحلتي ابن عبد السلام الدرعي المغربي ، ص ١٢٨.

جهود العثمانيين في العناية بالعيون وقنواتها منذ بداية القرن الثالث عشر الهجرى إلى سقوط الدولة العثمانية :

في بداية القرن الثالث عشر الهجرى رفع أمير مكة الشريف غالب تقريرا إلى السلطان عبدالحميد الأول أفاد فيه عن حاجة قناة عين عرفة إلى ترميم وإصلاح ثلاث خرزات تسمى بالخرز الشامية ، فصدر أمر من ديوان السلطان بالكشف على مواضع الخراب ،وتقدير قمية الإصلاح، والترميم ، ليتسنى التنفيذ ، فتوجه أمين البناء محمد كبير آغا ورئيس المعماريين الحاج أبوبكر عزت إلى موقع المشروع ،ورفعوا كشفاً لقسم المحاسبة بديوان السلطان،قدروا فيه ثمن إصلاح الخرزات بمبلغ ٤٥٠٠٠ قرش ، بواقع ١٥٠٠٠ قرش لكل خرزة ، وعليه أمر السلطان بتكليف محمد كبير آغا بإصلاح الخرزات ، بيد أنه أبطأ في إنجاز المشروع ،وارتفعت أجور العمال ،وأسعار السلع فارتفعت تكاليف الإصلاح إلى ٥٠٠٠٠ قرش بزيادة قدرت بمبلغ ٥٠٠٠ قرش (١).

ونتيجة لذلك أرسل السلطان الحاج إبراهيم أفندى للتحقق من أمر إصلاح الخرزات ، وارتفاع الأسعار فلما وصل إلى مكة رافقه السلحدار حسن أغا ،بيد أنهما لم يصلا بسرعة إلى موقع العمل ؛لوعورة الطريق الذى أثر على الحاج إبراهيم أفندى ، ولم يمكنه من الكشف على جميع مواضع الخلل (٢) .

ويشير كاتب الوثيقة على السلطان بأن زيادة هذا المبلغ أو ضعفه لاتمنع من إصلاح قنوات المياه بمكة المشرفة ، لراحة عموم المسلمين ،

---

(١) وثيقة رقم ٧٦١٩ ، تصنيف جودت - أوقاف بارشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول . وكذلك انظر صورة هذه الوثيقة وملخص ترجمتها رقم (٨) بالملحق الأول من هذا البحث .

(٢) الوثيقة السابقة .

وعلى هذا أصدر السلطان أمره بتنفيذ إتمام المشروع سنة ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م.[1]

وتحدثنا إحدى الوثائق عن أثر السيول في تدمير قنوات المياه داخل مكة المكرمة سنة ١٢٠٨ هـ / ١٧٩٣م، ودور السلطان (سليم الثالث) في إصلاحها بمايلي [2] :

في شعبان سنة ١٢٠٨ هـ داهم مكة المكرمة سيل عظيم ، دمّر قنوات المياه في كل المواضع ، التي وصل إليها السيل بمكة مما تسبب في قطع مياه العيون عن مكة . فقام يوسف باشا، محافظ المدينة المنورة بترميم وإصلاح بعض مواضع في القناة ، فسهل جريان الماء عبر هذه القنوات ، بيد أنه كان قليلا جداً، بسبب تراكم الاتّربة في مجموعة من الخرزات ، ومواضع عديدة من القناة [3] .

وعلى هذا توجه يوسف باشا، وأمير مكة ، وقاضي مكة ، وأمين البناء محمد كبير أغا ، وسائر أرباب المعرفة، إلى المواضع المتخربة في القناة ، وأماكن أخرى داخل مكة دمرها السيل ، للبحث عن إمكانية إصلاحها ، وتقدير مصاريفها ، وكتبوا تقريراً رفع للسلطان عام ١٢١٠ هـ / ١٧٩٥م ، وأفادوا فيه أن مصاريف إصلاح وترميم ماخربه السيل يقدر بمبلغ ٣٤٨٧٠٣ قروش أنقصوا منها مبلغ ٨٥٠٠٠ قرش قيمة أعمال الترميم التى اضطلع بها يوسف باشا ، محافظ المدينة المنورة ، وقدروا مبلغ ٢٦٣٧٠٣ قروش لإصلاح وترميم المباني [4] .

---

(١) الوثيقة السابقة .

(٢) وثيقة رقم ١٠٧١٧ كرتون ٠٤٧/٢٦٦ تصنيف خط الهمايون بأرشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول . وكذلك انظر صورة هذه الوثيقة وملخص ترجمتها رقم (٩) بالملحق الأول من هذا البحث .

(٣) الوثيقة السابقة .

(٤) الوثيقة السابقة . وكذلك انظر وثيقة رقم ١٧٨١٢ - أوقاف - بأرشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول .

ولما كان السلطان قد استكثر هذا المبلغ فقد أمر بإعادة النظر مرة أخرى ، والكشف على المواضع الخربة من أثر السيل ،وكتابة تقرير يحدد مبلغ الإصلاح والترميم ، فأرسلت رسائل إلى كل من والي جدة ، وأمير الحج ، ووالي الشام عبدالله باشا ،وأمير مكة ،وقاضي مكة،ويوسف باشا محافظ المدينة المنورة ، وتوجّه جميع هؤلاء إلى المواضع الخربة بصحبة أرباب المعرفة المعتمدين لدى قاضي مكة المكرمة وظهر بعد الكشف الجديد أن مجموع المصاريف التي يقتضيها التعمير ١٥٥٥٠٠ قرش ، وحرر هذا في تقرير أرسله قاضي مكة ، ووالي الشام عبدالله باشا إلى السلطان (١) .

ويشير كاتب الوثيقة إلى أن الحقيقة قد تجلت،وظهر تفاوت كبير بين التقرير الأول الذى تم بنظر أمير مكة ، والتقرير الثاني الذى وصل مؤخراً لدى قسم المحاسبة بديوان السلطان.وببحث كاتب الوثيقة في أسباب هذا التفاوت الكبير، فيتقدير مبلغ الإصلاح ظهر له بالتجربة أن أمراء مكة اعتادوا على طلب مبالغ أكثر من المطلوب للحصول على المال. وقد عمد كاتب الوثيقة ،لزيادة الإطمئنان والوصول للحقيقة ، إلى إجراء تحريات سرية وعلنية فظهر له أن التقرير الأول من التقارير التي يزاد فيها قيمة الإصلاح ، أما التقرير الثاني فإنه يمثل الحقيقة (٢) .

وبناءً على ذلك فقد أحيل التقرير الأخير إلى الدفتردار للعمل بمقتضاه ، وعهد بأمر الإصلاح ،والتعمير إلى محمد كبير أغا ،

---

(١) وثيقة رقم١٠٧١٧، كرتون٢٦٦/٤٧ ،تصنيف خط الهمايون بأرشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول ، كذلك انظر صورة هذه الوثيقة وملخص ترجمتها رقم (٩) بالملحق الاول من هذا البحث .

(٢) الوثيقة السابقة .

واقترح على السلطان تعيين رجل من ديوانه للإشراف على الإنفاق ، وعدم إحالة أمر الإصلاح لأمير مكة ورجاله، كي لايستولوا على أموال الإصلاح ويبددوها . كما أشير على السلطان بأن يكون الإنفاق على هذا المشروع من خزينة مصر ، على أن يعطى في البداية الشخص المكلف بهذا العمل مبلغ ٢٥٠٠٠ قرش ، ويزوّده بمعماريين ومعلمين متخصصين في بناء القنوات ويرسلوا بحرا إلى جدة ومنها إلى مكة (١)

ثم بعد ذلك يوجه والي مصر بإرسال مبلغ ٢٥٠٠٠ قرش ،كما اقترح على السلطان أن يوجه أمين البناء بالعمل بهذا المبلغ ، ثم يكتب تقريراً عن مقدار المبالغ اللازمة لإتمام هذا العمل،فترسل له من واردات مصر. وهذا سوف يؤدى إلى إنجاز العمل بدقة ويقلل من الإسراف (٢).

وقد خاطب كاتب الوثيقة السلطان بما ترجمته : "فاذا استصوبتم هذا التنظيم سيبادر بتنفيذه ،وقد رفع إليكم أيضا التقريران المخمنان وأوراق أخرى لنظركم ، والأمر بعد ذلك لكم ياسلطاني " . فعلّق السلطان (سليم الثالث) على هذه الوثيقة بما ترجمته : " وزيرى بناء على هذا التقرير يجب عليك تنظيم الأمور لأن خدمة الأماكن المباركة باعث على افتخارى "(٣) .

وفي سنة ١٢١٥ هـ / ١٨٠٠م أمر السلطان (سليم الثالث) الوزير عبد الله باشا والي الشام وأمير الحج بالاستمرار في جمع الأموال من الشام وحمص وحماه ، للإنفاق منها على عمارة قنوات المياه بمكة المكرمة (٤). وقد

---

(١) الوثيقة السابقة .
(٢) الوثيقة السابقة .
(٣) الوثيقة السابقة .
(٤) وثيقة رقم ٣٤١ تصنيف جودت – نافعه – بأرشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول.

استمرت أعمال الإصلاح هذه مدة سنتين ، حيث زودتنا وثيقة يرجع تاريخها إلى عام ١٢١٧ هـ / ١٨٠٢ م ، بأخبار عن وصول رسائل إلى السلطان من أمير مكة الشريف غالب ، ووالى جدة ، ومحافظ المدينة المنورة، بطلب مواد بناء وأموال للانفاق على عمارة قنوات المياه بمكة المكرمة (١) .

وبعد هذه الأعمال يبدو أن تدفق المياه إلى مكة بدأ يتناقص ، حيث أشار بوخاردت Burckhardte إلى ذلك وقت زيارته لمكة عام ١٢٢٩ هـ / ١٨١٤م بما ترجمته : أنه نتيجة لإهمال صيانة قناة عين عرفه، وعدم ترميمها وتنظيفها فإن معظم المياه كانت تتسرب إلى الارض، وتفيض على شكل نهير في مقدمة القناة بعرفة ، مما نتج عنه ارتفاع سعر الماء ، وتزاحم الناس ، وتشاجرهم أثناء الحصول عليه من الأسبلة (٢)، ولذلك فقد اهتم محمدعلي باشا والي مصر بإصلاح قنوات عيون مكة في سنين مختلفة (٣).

ولدينا وثيقتان ، نستدل منهما على اهتمام محمد على باشا بأمور الحرمين الشريفين، وإصلاح قنوات المياه بمكة المشرفة .

- الوثيقة الأولى : يظهر فيها أنه بعد أن تمّ تعيين محمد على باشا والياً على مصر ، وأسند إليه أمر الإشراف على شئون الحرمين عام ١٢٢٠ هـ / ١٨٠٥م ، أخذ يقطع على نفسه الوعود للسلطان بأن يهتم بشئون الحرمين وفقرائهما، ويرعى جميع سكانها ، وأن يعمل على رفاهيتهم وأكد أن تفويض هذا الأمر اليه يعتبر من بواعث فخره واعتزازه (٤).

---

(١) وثيقة رقم ٤٣١٢ كرتون ٣١/٢٩ تصنيف خط الهمايون بأرشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول .

(٢) Burckhardte, op.cit., p.10.

(٣) وثيقة بدارة الملك عبدالعزيز رقم ٥/١-٦٢. أيوب صبرى: المرجع السابق ، جـ ٥-٧ ص ٧٣٩.

(٤) وثيقة بدارة الملك عبدالعزيز رقم ٥/١-٢٤٣.

أما الوثيقة الاخرى فنستدل منها على وجود مرحلتين تم خلالهما إصلاح قنوات عيون مكة المكرمة في عهد محمد على باشا . كانت المرحلة الأولى وقت وجوده بمكة (١٢٢٨-١٢٣٠ / ١٨١٣ - ١٨١٤م)[١]،وقد بلغ الباب العالي نتيجة عمله[٢] . أما المرحلة الأخرى فكانت بدايتها في شهر صفر عام ١٢٣٢ هـ / ١٨١٦م،حينما بعث محمدعلى باشا والي مصر خطاباً إلى دارة السلطنة هذا ملخص ترجمته " صاحب السعادة الأعز الأكرم ورد إليّ كتاب حضرة صاحب العزةحسن باشا محافظ مكة المكرمة[٣]، ومفاده أن مجرى الماء العذب المسمى عين زبيدة (قناة عين عرفه) الجارى إلى مكة المكرمة قد تهدّم بمقدار عشرين ذراعاً ،في المنطقة الواقعة بين جبل عرفات ومزدلفة ، وعلى الرغم من تعميره على الفور إلا أن أهالى مكة المكرمة،والزوار المسلمين قد اضطربوا نتيجةً لقلة الماء ،ولقد أشرف هذا المجرى على الخراب والتعطل بسبب السيول الناجمة عن كثرة مياه الامطار،وقد تبيّن أن عمارته تحتاج إلى مصاريف بالغة ،فإذا أذنّا من طرفنا بهذه المصاريف فسيبدأ مباشرة في التعمير بعد موسم الحج. وقد عُمّرت ورُمّمت بعض مواضع من المجرى أصابها السيل عندما كنت موجوداً بمكة المكرمة فيماسبق وأخطرت الباب العالي بشأنها . ولأن الأمر الوارد بتمويل كافة خصوصيات ماحول الحرمين الشريفية إلى العبد الفقير ،ولماكان تعمير مجرى الماء من أصل تكليفي ومهمتي فضلا عن أن إعطاء حسن باشا

---

(١) السيد أحمدزيني دحلان: المرجع السابق ص ٢٩٦-٣٠١.

(٢) وثيقة بدارة الملكعبدالعزيز رقم ٥/١-٦٢ ،وكذلك انظر صورة هذه الوثيقة رقم(١٠) بالملحق الأول من هذا البحث .

(٣) هو حسن باشا الأرنؤطي عُيّن على وظيفة قائمقام بمكة المشرفة بأمر محمد علي باشا عام ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣م. السيد أحمد زيني دحلان : المرجع السابق ص ٢٩٩-٣٠١.

ترخيصاً بإنجاز العمل يعد من الأمور الحسنة ،فقد كتبت إلى الباشا المذكور بأن يأخذ من الموظف المساعد القائم على خزينة مكة أحمد أغا مايحتاجه وليصرفه ، وأن يكون ذلك بمزيد من الاهتمام والدقة في التعمير والترميم ،فكي يكون ذلك مبرراً للدعوات الخيرية من أهالي مكة والحجاج والزوار للسلطان ." (١)

خاتم

إمضاء

محمد على باشا

" أخبروني بنتيجة أمر هذا الموضوع
في حالة ذكره بمجلس ولي النعم "(٢)

وقد علّق السلطان على ذلك بقوله " قضية الماء ذات أهمية بالغة وفيها خير فيجب ألا تتأخر وكان أمراً صائباً أن عهد إلى حسن باشا بهذه المهمة "(٣) .

كما قام محمد علي باشا عام ١٢٣٥ هـ / ١٨١٩م بتجديد عمارة قناة عين حنين،وبعض قنوات مياه العيون الاخرى ،وأخبر الباب العالي بنتيجة هذه الأعمال (٤) . وفي سنة ١٢٤٢ هـ/ ١٨٢٦م هطلت أمطار غزيرة سالت على إثرها سيول عظيمة خربت قنوات المياه (٥) فانقطع وصول

---

(١) الوثيقة السابقة ،وكذلك انظر صورتها رقم(١٠) بالملحق الأول من هذا البحث .
(٢) الوثيقة السابقة .
(٣) الوثيقة السابقة .
(٤) أيوب صبرى : المرجع السابق،ج ٧ ، ص ٧٣٩ .
(٥) عبدالله محمد الزواوى : المرجع السابق ص ٢٣ ،محمد طاهر الكردى: المرجع السابق ج ٢ ص ١٩٩ .

المياه عن مكة المشرفة ومكث الناس نحو شهر في ضيق عظيم ، فأصدر والي مصر محمد علي باشا أمره بتعميرها ،وصرف عليها مبلغاً وافراً من المال حتى صلحت [١]،كما اهتم في عام ١٢٤٤ هـ/ ١٨٢٨م بتنفيذ بعض الأعمال العمارية بقناة عين عرفة في وادى نعمان [٢].

وبعد هذه الأعمال يقول الزواوى : " ثم بعد ذلك بقيت هذه العين المباركة تارة تقل بقلة الامطار وتارة تزيد بزيادتها إلى سنة ١٢٧٨ هـ ... حدث سيل عظيم تخرب منه بعض الدبول وشح الماء عن مكة أياماً قلائل فعمّر ماتخرب وجرى الماء إلى مكة بأحسن حال"[٣].

وبفضل ماكتبه أيوب صبرى باشا [٤].وماجاء بمجموعة وثائق، تمّ لي بحمد الله العثور عليها [٥]، أمكن الحصول على معلومات إضافية عن الاهتمام بالعيون وقنواتها شملت إنشاء عين الزعفران ،لتغذية قناة عين حنين عام ١٢٦٣ هـ / ١٨٤٦م، وإصلاحات في قنوات مياه العيون في عام ١٢٦٧ هـ / ١٨٥٠م ،وعام ١٢٧٤ هـ / ١٨٥٧م . ويمكن تفصيل ذلك بالآتي :

---

(١) السيد عبدالله محمد الزواوى : المرجع السابق ،ص ٢٣.
(٢) نقلاً عن وثيقة نشرتها فوزية مطر : المرجع السابق ص ٤٤٧.
(٣) السيد عبدالله محمد الزواوى : المرجع السابق ص ٢٣.
(٤) أيوب صبرى باشا : مرآة الحرمين ، ج ٥ - ٧ ، ص ٧٤٨.
(٥) لقد عثرت على مجموعة من هذه الوثائق بمكتبة جامعة استانبول وعثرت على بعضها الآخر في أرشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول،وأرشيف دارة الملك عبدالعزيز بالرياض . وجميع هذه الوثائق مؤرخة حيث يعود تاريخها إلى عام ١٢٧٤ هـ ، ١٢٧٧ هـ ، ١٣٠٠ هـ ، ١٣٠٥ هـ . وسوف أشير إلى مكان حفظ كل وثيقة ورقمها في حينه .

عين الزعفران :

بعد إصلاح محمد علي باشا لقنوات مياه عيون مكة المكرمة ، قام الماس آغا ، أحد زوار مكة من الهند عام ١٢٦٣ هـ/ ١٨٤٦م بحفر بئر بالقرب من عين حنين لتغذية قناة العين بمائها ، وأثناء الحفر ظهر له ماء جار سمّاه بعد اكتشافه له بعين الزعفران ، ثم أوصل مياهها بقناة عين حنين (١) .

أما عن جهود العثمانيين في العناية بأمر العيون وقنواتها عام ١٢٦٧ هـ/ ١٨٥٠م فتحدثنا عنها وثيقة ، ذكر بها حصر للأسباب المؤدية إلى خراب قنوات المياه قبل عام ١٢٦٧ هـ بما يلي (٢) :

١- إن قنوات المياه خارج مكة كانت في كثير من مواقعها مكشوفة لتسهل للبدو المجاورين أخذ مايحتاجونه منها لشربهم ، وسقي مواشيهم ، إلا أنهم كانوا دائما يعمدون إلى تخريب القناة لمجرد جهلهم .

٢- إن الفتحات الموجودة على القناة كانت تسهل وقوع المواشي إلى داخل القناة مما يؤدي إلى انسدادها وفساد الماء .

٣- كانت تنمو مجموعة من الأشجار حول القناة ، مما يؤدي إلى تهدم جدرانها بسبب عروق الأشجار التي تخترقها .

---

(١) أيوب صبري : المرجع السابق ج ٥-٧ ، ص ٧٤٨ ، هذه غير عين الزعفران التي سبق ذكرها .

(٢) وثيقة بمكتبة جامعة استانبول رقم ٤٦٥٩ ص ٩-١٠ ، " عين زبيدة منبع ومجر الرينك تعميراتنه عائدة لائحة وخريطة " وترجمتها " لائحة وخارطة حول منبع ومجاري عين زبيدة " وتتكون هذه الوثيقة من ٥١ صحيفة تقفوها خارطة عن قناة عرفة بأبعاد ٤٥ × ١٧٤ سم . قام بكتابة الوثيقة وعمل الخارطة أركان حرب ميرالاى مهندس محمد صادق بك في ربيع الأول سنة ١٣٠٥ هـ .

٤- تزداد حالة القناة سوءاً إذا تأخر إصلاحها وإهمالها لفترات طويلة .

٥ - إن عبيد العين المعينين لخدمة قنوات مياه العيون كانوا يعمدون في بعض الأوقات إلى تخريب القناة .

٦ - تعتبر السيول من أهم العوامل المؤدية إلى دمار القنوات وسدها بالأتربة .

أما عن إصلاحات قناة عين عرفة عام ١٢٦٧ هـ / ١٨٥٠م فقد بدأت الأعمال بحفر منطقة فوق القناة تبعد عن المنبع بمقدار ستمائة متر، وأثناء هذه الأعمال هطلت أمطار غزيرة تسببت في دخول السيول المحملة بالأتربة إلى داخل القناة، من موقع منطقة الإصلاح ،فنتج عن ذلك انسداد القناة بالأتربة ومنع جريان الماء بها تماما ،ومن هذا التاريخ عادت إلى مكة مشكلة نقص المياه على الرغم من محاولة الحكومة السنية إصلاحها [1].

وقد بذل السلطان عبدالمجيد جهوداً عظيمة لإصلاح قناة عين عرفة [2] إلى أن دخلت مياهها مكة في عام ١٢٧٤ هـ / ١٨٥٧م فرفع سادات مكة وأشرافها وعلماؤها عريضة شكر للسلطان على جهوده التي بذلها في سبيل إصلاح هذه القناة ،وقد ورد ذلك في وثيقة تضمنت اسم ١٦٨ شخصاً وختم ١٦٧ منهم [3]. ويمكن إلقاء بعض الأضواء على عمارة السلطان عبدالمجيد لقناة عين عرفة وإيصال مياهها إلى مكة المكرمة بعرض بعض ماورد في الوثيقة السابقة : " مولانا السلطان الغازى عبدالمجيد خان بن المرحوم

---

(١) الوثيقة السابقة ، ص١٠.
(٢) وثيقة رقم ٢٦٦٧٩ ،تصنيف ارادة داخلية ،بارشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول .
(٣) وثيقة رقم ٦٨٦٩ ،بمكتبة جامعة استانبول .

السلطان الغازي محمود خان ... فإن كافة جيران بيت الله الحرام الخاص منهم والعام ، الحاضر منهم والباد ، والصلحاء والزهاد ينهون إلى الاعتاب العلية والأبواب الخاقانية ... شكرا لما أسديتموه إليهم وتفضلتم به عليهم بصدور ارادتكم السنية بعمارة عين زبيدة الجارية إلى بلد الله المحمية وشمولها بحلول أنظاركم العلية ، فان مدار أهل الحرم عليها وشدة احتياجهم إليها لاسيما حجاج البيت الحرام الواردين إليه في كل عام وكافة الزوار والواردين من جميع الاقطار ، إذ ليس لهم موارد سواها فيردونها وتبلغ النفوس مناها ، وفي بعض الأوقات تنقطع من الجريان لسرعة خرابها من تقادم الزمان ، وتنعدم من البلد الحرام المياه ، ويكاد بمقتضى آية وجعلنا من الماء كل شيء حي أن يفقد كل شيء الحياة ، حتى أنها انقطعت عن مكة المشرفة في شهر ذى الحجة/ختام عام الثالث والسبعين بعد المئتين والألف من هجرة سيد الأنام مع وجود حجاج البيت العتيق الواردين من كل فج عميق ، واشتد الحال على الحجاج والقاطنين ، وخرجوا قبل أوان خروجهم من البلد الحرام فارين لموت بعضهم عطشاً ، حتى وصلت قربة الماء ثلاثين غرشا ، ثم عاد الماء بعد مدة من الزمان باذن الرحيم الرحمان ، غير أنه سريع الإنقطاع قليل الجريان والاندفاع وبينما الناس في كرب من ذلك وشدة من الألم إذ ورد عليهم حضرة الوزير الأعظم والمشير الأفخم والى جدة وشيخ الحرم أفندينا محمد نامق باشا بلغه الله من الخيرات ماشاء ، وبرفقة الخزينة التى لعمارة العين المشار إليها في هذا المنشور ، وبذلك حصل الفرح والسرور والهنا والحبور لأهل البلد الحرام المحمية ، وارتفعت الأصوات الى الله تعالى بصالح الدعوات الخيرية لأعتابكم العلية ، وفي إثره قدم المكرم صالح أفندى المعمرجي بهمة سنية ، فأخذ في أسباب العمارة وأدخل على أهل بلد الله السرور والبشارة ، وفي أقل مدة من الزمن جمع مايحتاجه للعمارة من المؤن ، وشرع في العمارة في أشرف الساعات وأبرك الأوقات

وذلك صبح يوم السبت المبارك المفضل يوم السادس عشر من شهر جماد الأول بحضرة دولتلو سيادتلو أمير مكةحالا ودولتلو شيخ الحرم ومولانا قاضي الإسلام والسادة الأشراف الفخام وكافة المأمورين العظام وخدمة بيت الله الحرام والمفاتي[1] والعلماء والخطباء الكرام وأعيان أهل بلد الله الحرام،وكان يوم فرح وسرور وهناء وحبور وضجت الأصوات بأصناف الدعوات إلى فاطر الأرضين والسموات،ببقاء دولتكم العلية وصولتكم العثمانية ودوام ملك آل عثمان إلى آخر الدوران بالعز الدايم والسعد القائم وقد سلكتم في ذلك مسلك أسلافكم الكرام.وأسبغتم على جيران بيت الله النعم العظام ، وأبذلتم العطايا الوافرة لأهل الحرم ومن أشبه أباه فما ظلم تقبل الله منكم ذلك ، وأوضح لكم طرق الرشاد ... حرر سنة ١٢٧٤ "[2] .

وبعد هذا التاريخ الملحوظ أن الدولة العثمانية استمرت في إشرافها على صيانة وترميم قنوات المياه بمكة المكرمة .ويزكى هذا وثيقة مؤرخة بعام ١٢٧٧ هـ / ١٨٦٠م فقد ورد بها ما ملخص ترجمته :

" حضرة صاحب العطف

لقدتوفي النقيب مهندس صالح أفندى المسئول عن عمارة قنوات المياه وتعمير مدرسة المجيدية بمكة المكرمة ،وصدر توجيه نظارة المالية، بأن يعين بدلاً عنه المهندس قول أغاسي عزيز بك بمرتب شهرى قدره ٢٠٠٠ قرش ،وبدل سفر ١٥٠٠٠ قرش يصرف له مرة واحدة،ونرفع هذا لإجراء أمر السلطان

١٤ ذى القعدة ١٢٧٧ هـ .

بعد النظر في هذا وجب التنفيذ .

١٥ ذى القعدة ١٢٧٧ هـ "[3]

---

(١) وردت هكذا وصحتها المفتون.

(٢) الوثيقة السابقة.

(٣) وثيقة رقم ٣١٤٦٢،تصنيف ارادة داخلية، بارشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول،وكذلك انظر صورة هذه الوثيقة رقم (١١) بالملحق الأول من هذا البحث .

وفي سنة ١٢٩١ هـ / ١٨٧٤ م قلّ ماء عين عرفة عن مكة خاصة في شهر شعبان ، فلما رفع ذلك الخبر إلى الوزير الأعظم محمد شرواني باشا والي الاقطار الحجازية ،أمر بدفع ثلاثين ألف قرش من ماله الخاص لإصلاح القناة، وعيّن جماعة للقيام بهذه المهمة وقال لهم عمّروا ،واصرفوا ولو زاد المصروف مازاد ولو لم تأمر الدولة بذلك فأنا المكلف والمخاطب لكن الأقدار لم تسعفه لإتمام خدماته لبلد الله الحرام، فقد مات بالطائف قبل إتمامه إصلاح قناة عين عرفة (١) .

وبعد موته اجتمع جماعة من علماء مكة المكرمة بتشريف أميرهم في ذلك الوقت الشريف عبدالله باشا ،وعضوية كل من الشيخ عبدالرحمن سراج مفتي مكة ، والشيخ عبدالله الشيبي فاتح بيت الله الحرام، والشيخ عبدالرحمن جمال ، والشيخ عبدالقادر خوقير ،وغيرهم ،واتفقوا على جمع المال من أهل البر والإحسان، لإتمام الأعمال التي بدأها الوزير محمد شرواني باشا فوفق الله سبحانه وتعالى لهم بعض الصلحاء كالشيخ أحمد أفندي المشاط، الذي تبرع بمبلغ مائة جنيه وجمع من تجار الهند بجدة مبلغاً من المال، وصادف في تلك الأثناء وجود أشخاص كرام مثل الحاج عبدالواحد الشهير بالحاج وحدانه الميمني، والحاج عبدالله عرب الميمني فساعدوا على إنجاز هذا العمل الخيري وتمّ (لهم) تعمير ماتيسر لهم من القناة، فجرى الماء إلى مكة وانتعش الناس قليلاً (٢).

وقد خصص السلطان عبدالعزيز خان (١٢٧٧ هـ - ١٢٩٣هـ/١٨٦١ - ١٨٧٦م) (٣) مبلغ ٢٠٠ ليرة عثمانية تدفع سنوياً لصيانة قنوات المياه، هذا فضلاً عن أمره بتعيين مهندس وناظر على فريق من العمال للقيام بصورة دائمة بأمر

---

(١) السيدعبدالله محمد الزواوي : المرجع السابق ص ٢٤-٢٥.

(٢) المرجع السابق ص٢٥ .
لقد أشرت بإيجاز إلى ماذكر أعلاه عند الكلام على نشأة لجنة عين زبيدة انظر ص ٣٠٤ من هذا البحث .

(٣) محمد فريد بك المحامي: المرجع السابق ص ٥٢٩-٥٧٦.

صيانة قنوات المياه [١]. كما عمّر تقي الدين باشا أحد ولاة الحجاز (١٢٩١ - ١٢٩٤ هـ - ١٨٧٤-١٨٧٧م) [٢] ١٣٠ متراً من منبع قناة عين عرفه باتجاه مكة المكرمة، ودفعت مصاريف ذلك على أن تسدد من خزينة الدولة إلا أن عمله هذا لم يؤد إلى إجراء الماء الكافي لبلد الله الحرام نظراً لكثرة الأتربة التي سدّت القناة كما أشرنا من قبل" [٣].

---

(١) محمد أمين المكي : المرجع السابق ص ٤٦-٤٨.

(٢) السيد أحمد زيني دحلان : المرجع السابق ، ص ٣٢٦-٣٢٧.

(٣) وثيقة رقم ٤٦٥٩ ، ص ١٠-١١ بمكتبة جامعة استانبول .

الأعمال العمارية للجنة عين زبيدة في العيون وقنواتها :

سبق أن أشرنا في مطلع هذا الفصل إلى الظروف التى أدت إلى إسهام جهات غير حكومية في أمر تدبير مايكفي مدينة مكة المكرمة والمشاعر المقدسة من مياه ضرورية لسكانها ولزوارها من الحجيج والمعتمرين ، وكان في صدر هذه الجهات غير الحكومية لجنة عين زبيدة التى شكلت عام ١٢٩٥ هـ / ١٨٧٨م[1] واستقدمت من الهند مهندسين وصناع[2] ،وبدأوا أعمالهم العمارية عام ١٢٩٦ هـ / ١٨٧٨م[3]، باستخدام مجموعة من العمال تجاوز عددهم ثلاثة آلاف[4] .

ويمكن إجمال أعمال هذه اللجنة من الناحية العمارية فيما يخص العيون وقنواتها على الوجه التالي :[5]

١- العناية بقناة عين عرفة في المناطق التي تمر بها خارج مكة حتى منطقة التقاء مياهها بمياه عين حنين وإيصال ماء عين عرفه إلى منى .

٢- إصلاح قناة عين حنين ،وبعض العيون التي تغذيها .

٣- العناية بأمر قنوات المياه داخل مكة وإيصال الماء إلى مناطق مختلفة من البلد .

١- العناية بقناة عين عرفة في المناطق التي تمر بها خارج مكة :

تنوعت أعمال لجنة عين زبيدة بقناة عين عرفة في المناطق التي تمر بها خارج مكة ،مابين انشاء ،وتجديد ، وترميم ،وتنظيف في كل من منبعها بوادى نعمان ،وعرفات ،وجبل الرحمة ،والخاصرة ،وقناطر العابدية ،ومزدلفة ،

---

(١) انظر نشأة لجنة عين زبيدة ص ٣٠٤ من هذا البحث .

(٢) السيد عبدالله محمد الزواوى : المرجع السابق ص ٢٥-٢٦ .

(٣) الوثيقة السابقة ص ١٣-١٦ .

(٤) محمد أمين المكي : المرجع السابق ص ٦ .

(٥) الوثيقة السابقة ، ص ١٢-٢٠ .

ودقم الوبر ، والمفجر ، وبئر زبيدة[١] . انظر خارطة رقم (٢ ، ١٧).

وقد بدأت الأعمال من منبع العين بوادى نعمان إلى جهة عرفة ، برفع التراب الذى على القناة حتى ظهرت لهم ثم نظفوها ، وحددوا مواقع الخراب فيها[٢] ، مما يسّر لهم إعادة بناء قناة قديمة كانت تمتد من المنبع إلى الأوجر بطول ٤٠٨ م فأعادوا بناءها بمتانة ، ورصانة بطول ٤١٠ م ، وعرض ٦٠ر٠ م ، وارتفاع ١ م كما اهتموا بإنشاء قناة بعد المنبع بطول ٣٠٠٠م ، وعرض ٣٠ر٠ م ، وارتفاع ٥٠ر٠ م مغطاة بمجاديل حجرية[٣] ، هذا فضلاً عن بناء مجموعة من الخرزات على القناة ، من وادى نعمان إلى عرفات وأغلقوا بعضها ، وأبقوا بعضها مفتوحا لسقيا العربان[٤] .

ومما تجدر الإشارة إليه أن عناية اللجنة أثناء أعمالها العمارية كانت تتجه إلى بناء قناة جديدة إلى جانب القناة القديمة حينما يتعذر إصلاحها نتيجة عظم خرابها[٥] ، كما اهتمت اللجنة بتتبع القناة وتعميرها في كافة المواضع المحتاجة إلى ذلك ، ورمّموا مايحتاج إلى ترميمه واهتموا بتلييس مابداخل القناة بالإسمنت وخارجه باللياسة العادية ، وحتى لاتنقطع المياه عن مكة اهتموا أثناء عملهم هذا بتحويل الماء في خراطيم عملت من قماش غليظ الأنسجة بقطر ٦٠ر٠ م[٦] .

وقد كان يصادف أثناء تجديد بناء القناة على وجه الأرض وجود

---

(١) الوثيقة السابقة ، ص ١٠-١٦ ، أيوب صبرى : مرآة الحرمين ج ٥-٧ ، ص ٧٥٤ ، السيد عبدالله محمد الزواوى : المرجع السابق ص ٢٥-٢٦.

(٢) الوثيقة السابقة ص ١٠-١٦ ، السيد عبدالله محمد الزواوى : المرجع السابق ص ٢٥-٢٦ ،

(٣) الوثيقة السابقة ص ١٠-١٦.

(٤) السيدعبدالله محمدالزواوى : المرجع السابق ص ٢٥-٢٦.

(٥) الوثيقة السابقة ص ١٥-١٧. أيوب صبرى : المرجع السابق ج ٥ -٧ ، ص ٧٥٤.

(٦) الوثيقة السابقة ، ص ١٦.

قطع صخرية تمنعهم من العمل ،فعلموا على فتح نفق فيها بعرض ٢٠ر٠ م وارتفاع ٤٠ر٠ م ونظراً لكثرة كمية المياه في بعض مواضع الانفاق ،فقد شوهد اختناقه بها، وتعطل جريانه، مما يؤدى إلى زيادته في مناطق أخرى من القناة ومن ثَمَّ يؤدى ذلك إلى خرابها .

لذا أُخذ في الاعتبار إنشاء بعض مواضع الأنفاق بشكل كبير يمكن دخول الإنسان وخروجه منه بسهولة . فضلاً عن بناء بعضها بالحجر من الداخل لتأمينها من سقوط بعض الأحجار(١) .

ونتيجة لأعمال التنظيف ، والصيانة ، والعمارة فقد كثر تدفق المياه عبر قناة عين عرفة ، وبدأ القلق يراود أعضاء اللجنة خوفاً على القناة من الدمار ،خاصة حين خرجت كميات من الماء من سطح بعض مواضع القناة، مما جعلهم يكتفون في عمليات النظافة ، والصيانة بالقدر الذى يحفظ القناة من الدمار (٢)، ويعملون على هدم بعض المواضع الضيقة من القناة ، وإعادة بنائها موسعة ولأجل تخفيف ضغط الماء ،وتقليل خطره على القناة ، فقد عملوا بقرب مسجد مزدلفة بركة منخفضة كبيرة تحت الارض لكي تتجمع فيها مياه قناة عين عرفه ومياه عين أخرى ، تم إنشاؤها قريباً من مسجد مزدلفة، ويمكن النزول للبركة بدرج (٣) .

٢- إيصال ماء عين عرفة إلى منى :

بعد أن تم للجنة عين زبيدة إنجاز قسم من أعمالها العمارية في قنوات العيون التى بدأت عام ١٢٩٦ / ١٨٧٨م لحظت مايعانيه الحجاج من مشقة وعسر بسبب الحصول على الماء في منى، وذلك لقلة مياه

---

(١) الوثيقة السابقة ، ص ١٦ .

(٢) الوثيقة السابقة ، ص ١٥-١٧ .

(٣) أيوب صبرى: المرجع السابق ، ج ٥-٧ ، ص ٧٥٥ .

الآبار. وعدم كفاية مياه الصهاريج المسبلة بها، وارتفاع سعره، الذى كان يتحكم فيه مجموعة من الناس قاموا بإنشاء صهاريج يملؤون بعضها بمياه السيول والأمطار، وبعضها الآخر بنقل الماء إليها في القرب هذا فضلاً عن تلوث بعضه، وتسببه في نشر الأوبئة، والأمراض بين الحجاج بسبب تخزينه وعدم العناية به لمدة تزيد على ستة أشهر، مما ألجأ الحجاج إلى حمله في القرب من أماكن بعيدة (١).

ونتيجة لذلك فقد بحث أعضاء لجنة عين زبيدة عام ١٣٠٠ هـ / ١٨٨٢ م، عن الموانع التى حالت دون إيصال ماء عين عرفه إلى منى، على يد من سبقهم في العصور الإسلامية المختلفة. وقد ظهر لهم أن طبيعة أرض منى بما يحيط بها من جبال وارتفاع مستواها عما يحيط بها، إضافةً إلى أن منى مناخ للحجاج - وإجراء الماء إليها بصورة دائمة يجعلها معمورة طبيعيا - كانت من أهم الأسباب المانعة لإيصال قناة عين عرفة إليها (٢).

ولتيسير حصول الحجاج على الماء في منى، رأى أعضاء لجنة عين زبيدة إمدادها به من قناة عين عرفه. أما عن كيفية ذلك فقد كان أمامهم خياران:

الخيار الأول: مدّ مواسير حديدية، قطر ٢٠ سم، من قناة عين عرفه بذيل جبل الرحمة بعرفات، إلى منى، عن طريق الاستفادة من قانون ارتفاع الماء، إلا أنهم وجدوا ذلك يتطلب صرف الكثير من الأموال. وأما الخيار الثاني: فكان يقوم على رفع الماء، من قناة عين عرفة، بمنطقة المفجر بواسطة آلة بخارية تضخه عبر مواسير حديدية إلى جبل ثقبة بارتفاع ٨٠ م، ثم منه إلى منى. وبعد الكشف والتدقيق وجد أن الخيار الثاني

---

(١) الوثيقة السابقة، ص ٢٢-٣٣.
(٢) الوثيقة السابقة، ص ٢٢-٣٣.

أيسر وأصلح وأقل تكلفة ، ومن ثمّ تمّ عرض الأمر على والي الحجاز عثمان نوري باشا الذى استحسنه [١].

وفي الوقت نفسه كان علي خان نائب رانبور ، أحد سلاطين الهند المشهورين بحبهم لعمل الخير، موجودا بمكة لأداء فريضة الحج ، وشاهد جميع المصاعب التي يعانيها سكان مكة ، وحجاج بيت الله الحرام في سبيل الحصول على الماء ، فعرض عليه بعض أعضاء لجنة عين زبيدة الهنود القيام بهذا العمل الخيرى ، فوافق عليه واستحسنه وتعهّد بدفع كافة مصاريف ذلك [٢]، وبهذا تمّ إيصال ماء عين عرفه إلى منى بواسطة آلة بخارية [٣]. الا أن ذلك لم يستمر طويلاً فقد وقف عمل الآلة زمن رحلة إبراهيم رفعت ١٣١٨ هـ -١٣٢٥ هـ / ١٩٠٠-١٩٠٧م ، بسبب اعتداء بعض الناس على الموارد المالية التى أعدت لصيانتها وإدارتها ، مما نتج عنه ارتفاع سعر الماء بمنى سنة ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م حتى بلغ ثمن القربة ٣ قرشا [٤] .

٢- إصلاح قناة عين حنين والعيون التي تغذيها :

اهتمت لجنة عين زبيدة بإصلاح قناة عين حنين وجميع الشحاحيذ المغذية لها [٥]، إضافةً إلى الكشف عن عيون قديمة كانت تغذى القناة [٦]

---

(١) الوثيقة السابقة ، ص ٣٢-٣٣.
(٢) الوثيقة السابقة ص ٣٣.
(٣) السيد عبد الله محمد الزواوى : المرجع السابق ، ص ٢٦ ، إبراهيم رفعت : المصدر السابق ج ١ ص ٣٣٠ . تم صنع هذه الآلة بالترسانة العامرة . محمد أمين المكي : المرجع السابق ، ص ٨.
(٤) إبراهيم رفعت: المصدر السابق ج ١ ص ٣٣٠ .
(٥) السيد عبد الله محمد الزواوى : المرجع السابق ، ص ٢٥-٢٦.
(٦) إبراهيم رفعت : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢٢٤.

وتعمير قناة عين الزعفران [١] .

٣ - العناية بأمر قنوات المياه داخل مكة وإيصال المياه إلى مناطق مختلفة من البلد :

شملت هذه العناية تنظيف جميع القنوات القديمة داخل مكة المكرمة وتعميرها[٢]، ثم العمل على بناء أماكن لتجميع المياه ،ثم تقسيمه على المناطق المجاورة أطلق عليها مسمى (مقسم)[٣] ،وإنشاء قنوات جديدة بني بعضها بالأحجار، وعمل بعضها بالفخار ،واستخدم في بعضها مواسير من الحديد أو الرصاص[٤]، لإيصال الماء إلى مناطق مختلفة من البلد[٥]. خارطة رقم (٨).

ولمزيد من الإيضاح نقول إنهم أنشأوا - بإتقان ومتانة - قناة جديدة بالأسمنت في شارع المسعى بطول ٤٨٦ م.تمتد تحت الأرض من المقسم الذى أنشأوه تحت مقر المحتسب،إلى أن يصل للفرن الأميرى [٦]

كما اهتموا بإيصال المياه عبر قنوات مبنية أو فخارية أو مواسير حديدية أورصاصية إلى بعض البازانات وحمام باب العمرة وحمام القشاشية وغير ذلك من المصالح الجكومية ، منها مطبعة الولاية ، والفرن الأميرى ،ودائرة الحميدية ،ويمكن تتبع سير هذه الأعمال ، في الدراسة العمارية للمواضع ، التي تجرى بها القنوات وتمدها بالماء داخل مكة [٧] . انظر الخرائط رقم (٨ ، ١٢ ، ١٣).

---

(١) أيوب صبرى : المرجع السابق ،ج ٥-٧ ، ص ٧٤٨-٧٤٩ ، ٧٥٣.
(٢) الوثيقة السابقة ، ص ١٢-٢٢ ،السيد عبدالله محمد الزواوى : المرجع السابق ص٢٦ .
(٣) لعله يشبه الحوض أو الخزان.
(٤) الوثيقة السابقة ص ١٢-٢٥.
(٥) الوثيقة السابقة ص ١٢-٢٥، السيد عبدالله محمد الزواوى: المرجع السابق ص ٢٦ ، أيوب صبرى : المرجع السابق ،ج ٥-٧ ،ص ٧٥٧-٧٥٨.
(٦) الوثيقة السابقة ص ٢١ .ووثيقة يعود تاريخها إلى بداية العهد السعودى بمكة رقم(١٥) بالملحق الأول من هذا البحث .
(٧) وثيقة رقم ٤٦٥٩ ، ص٢٣-٢٤ بمكتبة جامعة استانبول.

كما أنشأوا قناة جديدة، تمتد من بازان العمرة إلى بازان الشبيكة بطول ٢٥٠ م، ثم منه إلى بازان حارة الباب، بطول ٢٥٠م[1] . ونظراً لاتساع مكة جهة حي الشيخ محمود (جرول) وكثرة كمية الماء الوارد إلى بلد الله الحرام ، عهدت اللجنة إلى مد القناة من بازان حارة الباب إلى منطقة الشيخ محمود، كي يستفيد منه كل السكان هناك ، وقد تغلب المسؤولون - في سبيل ذلك - على كثير من المصاعب التى كان من أهمها تكسير المنطقة الصخرية ، الواقعة جهة حارة الباب . وبعد أن وصلت المياه إلى منطقة الشيخ مدّت ماسورتان فخاريتان لتغذية السبيل الواقع بالقرب من قبة الشيخ محمود[2]، ومنه إلى بستان لجنة عين زبيدة [3]، ثم وجّه الفائض من الماء إلى بستان امير مكة عون الرفيق [4] .

وبعد هذه الأعمال العظيمة ، قامت لجنة عين زبيدة بإصلاحات منوعة ، في قنوات العيون المغذية لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة ، في سنوات مختلفة . منها عام ١٣٢٢ هـ / ١٩٠٤م ، الذى أمر فيه الشريف عون الرفيق أمير مكة ، بتوجيه مجموعة من العمال جهة وادى نعمان ، لإصلاح ١٤ ذراعاً من القناة هناك بعد أن قلت المياه عن مكة[5]، ومنها عام ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦م ، الذى أمر فيه أمير مكة الشريف علي باشا مجموعة من العمال بالتوجه إلى وادى نعمان ، لتنظيف القناة وتعمير نحو ٧٠ ذراعاً منها ، بعد أن وصلهم من الآستانة مهندسون هم: نشأت بك وتوفيق بك

---

(١) انظر عن هذين البازانين الدراسة العمارية ص ٤٤٨-٤٤٩ من هذا البحث .
(٢) انظر الدراسة العمارية ص ٣٨٤ من هذا البحث .
(٣) انظر ص ٣٠١ - ٣٠٢ من هذا البحث .
(٤) انظر ص ٣٠١ - ٣٠٢ من هذا البحث ، والوثيقة السابقة ص ٢٤-٢٦ . إبراهيم رفعت: المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٢٢.
(٥) السيد عبدالله محمد الزواوى : المرجع السابق ، ص ٢٧ ، عبدالقادر ملا فلندر : المرجع السابق ، ص٩٥.

وغيرهم ، ثم أمرهم بالتوجه إلى مكة لتنظيف جميع قنواتها وتعمير ماتخرب منها،وعمروا قناة الشامية من عند القصر المشنش إلى المقسم الذى عند باب الزيادة ، وأنشأوا خرزة بين منطقة الشامية والقرارة وقد كان العمال أثناء هذه الأعمال يعملون بحماس شديد،حيث كان يخرج كل شهر للعمل من خمسة إلى سبعة رؤساء من المعلمين كل رئيس يرأس جملة من المعلمين والعمال وأتباعهم ، وكانت مصاريف كل رئيس وأتباعه نحو مائتين إلى ثلاثمائة جنيه [١].

وبعد أن تم إعادة تشكيل لجنة عين زبيدة عام ١٣٢٧ هـ/ ١٩٠٩م بدأت أعمالها العمارية بتنظيف قنوات المياه داخل مكة المشرفة ،ثم اتجهت لتنظيف كل من قناتي عين عرفة وعين حنين ، وقد رأى أعضاء اللجنة أنهم كلما تقدموا في تنظيف قناة عين حنين،ظهر آثار ذلك بزيادة كمية الماء وقوة جريانه،مما أتاح لهم أن يتموا من وقت شروع أعمال التنظيف والصيانة إلى ربيع الأول عام ١٣٣٠ هـ / ١٩١١م تنظيف أكثر من ٤٠٠٠ ذراع معمارى في قناة عين حنين ،و ١٠٠٠ ذراع معمارى في قناة عين عرفة ، وأضعاف ذلك داخل مكة المشرفة [٢] .

وفي يوم ٢٣ذى الحجة عام ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م ، اقتحم سيل ،قناة عين عرفة من أعلى عرفات،وسدها بالأتربة إلى قرب منى،فانقطع وصول ماء عين عرفات عن أهل بلد الله الحرام ،إلا أن ذلك لم يؤثر فيهم كثيراً بسبب وجود كميات من المياه في صهاريج مكة وبازاناتها ،إضافة إلى كمية الماء التي كانت تجود بها قناة عين الزعفران • فوجهت لجنة عين زبيدة أعداداً كبيرة من العمال،لتنظيف المواضع التي سدها السيل بالأتربة حتى لم تمض سبعة أيام إلا والماء قد جرى في قنوات عين عرفة إلى أن وصل مكة وانتفع به الناس [٣] .

---

(١) السيد عبدالله محمد الزاووى: المرجع السابق ص ٢٧-٢٨،عبدالقادر ملا فلندر : المرجع السابق ص ٩- ١٠ •

(٢) السيد عبدالله محمد الزواوى : المرجع السابق ص ٢٩-٣٠ ، ٤٦•

(٣) المرجع السابق ، ص ٣١ ، ٣٢•

وفي يومي ٢٣ و ٢٤ من شهر ذي الحجة عام ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠م، اكتشف أعضاء لجنة عين زبيدة ، زيادة كمية الماء الجارية في قنوات المياه، داخل مكة المشرفة، حتى كاد يخشى على القنوات من الخراب، ففتحت له منافذ عديدة لتقليل كميته، وبحثوا عن أسباب ذلك فوجدوا أنهناك سيلاً أتى من وادي رهجان واتحد مع سيول أخرى ودهم قناة عين عرفة بوادي نعمان وانصب ماؤه في القناة واختلط بمائها، مما أدى إلى وصول المياه إلى مكة بقوة، نحو يويمن ، لكنه أدى في النهاية إلى سد القناة بالأتربة وتخريبها وهدم ٣٥ خرزة (١).

فلما بلغ أمير مكة الشريف حسين بن علي ذلك ، ساعد لجنة عين زبيدة في أعمالها، بأن خرج هو وأولاده، وضرب خيامه في وادي نعمان ، وشارك في البحث عن مواضع خراب القناة ، وتقدير ماتحتاجه من أعمال، ومن سوء الحظ كان صندوق لجنة عين زبيدة في ذلك الوقت خالياً من الأموال إلا شيئاً يسيراً لايجوز خلو الصندوق منه ، ولذلك صرح أمير مكة الشريف الحسين بن علي لأعضاء لجنة عين زبيدة، بأن لايهتموا لذلك، وأنه سيتكفل بتدبير الأموال، ووجههم إلى بذل مافي وسعهم من جهد وإخلاص في العمل ، فقاموا بالأمر أحسن قيام ، وأجتهدوا كل الاجتهاد وأخرجوا مجموعات من العمال للتنظيف من كل جهة ، وتبرع الأهالي والمجاورون كل على قدر استطاعته ، وظل أمير مكة مقيماً في وادي نعمان، نحو عشرة أيام من بدء العمل، يحث العمال على بذل الهمة في العمل ، ويشارك اللجنة في توفير الغذاء للعمال . ثم عاد إلى مكة، لتفقد أحوال الناس بعد انقطاع ماء عين عرفه عنهم، فوجد أن الله سبحانه وتعالى لطف بهم باستمرار وصول كميات يسيرة من ماء عين الزعفران إليهم ، فسعى إلى تعويض ماينقصهم من الماء، بأن فتح لهم الصهاريج، ووجه ملاك الماء ببذله بالثمن اللائق

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٤ ، ص ٢-٣ بالملحق ، شرف بن عبد المحسن البركاتي : الرحلة اليمانية ، ص ١٠٣-١٠٤ ، الطبعة الثانية .

وصار باعة الماء يجلبونه من الأماكن البعيدة ، وتمّ توجيه الناس إلى الحصول عليه من آبار مكة[١] .

ثمّ توجه أمير مكة إلى وادى نعمان ، لمتابعة العمل في تنظيف وعمارة قناة عين عرفة ، فلما راى الناس تلك العناية خرجوا أفواجاً للعمل ، وبذل العام منهم والخاص مافي وسعهم من مال ونفس ولم يرجع الأمير إلى مكة حتى جرى الماء إليها . وكان يوم وصول إلى مكة عيداً عظيماً ، ذبحت فيه الذبائح للناس ، وقرىء القرآن العظيم ، وتوجهت ألسنة الأهالى والمجاورين بالدعاء للأمير[٢] .

كما تمّ توجيه الشيخ خليفة بن نبهان بمجموعة من العمال عام ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠م لإصلاح قناة عين حنين وتنظيفها من الأتربة والأوساخ المتراكمة بها ، التى أصلح منها عام ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩ م قناة عين الزعفران بعد ان دهمها السيل عند مدرج الفويرات وملأها بالأتربة[٣]. فأصلح النبهاني قناة المعيصم بعد أن انحبس فيها الماء من أول خرزة ثمّ عمرها حتى اتصلت بقناة عين الزعفران ، عند خرزة تقابل جبل الفويرات ، ثم توجه إلى تنظيف وإصلاح قنوات العيون والشحاحيذ المغذية لقناة عين حنين ، فأصلح قناة الزعفران ، وقناة ثقبة ، ثم توجه ناحية عين حنين ، وكشف عن ٤٠ خرزة في باطن الأرض أعاد بناء سبع منها ، وكتب على أحدها اسم بنهاني ، ثم رمّم وجدّد بناء مجموعة أخرى ، فصار جملة ماجدد بناؤه على يده في قناة عين حنين ١٢ خرزة ظاهرة على وجه الأرض . أما الخرزات التي عمّرها وغطاها بالتراب فإنها تنيف على ١٠٠ خرزة ، كما اهتم بتنظيف وإصلاح القناة من بستان بنونه إلى خرزة بالخريق[٤].

---

(١) السيد عبد الله محمد الزواوى: المرجع السابق ص ٣٥-٣٦.

(٢) المرجع السابق ص ٣٦.

(٣) المرجع السابق ص ٣٦ . وانظر الدراسة العمارية ص ٣٢٥ من هذا البحث .

(٤) السيد عبد الله محمد الزواوى : المرجع للسابق ، ص ٣٨-٣٩. انظر كذلك الدراسة العمارية ص (٣٢٢-٣٢٦) من هذا البحث .

وفي يوم ١٨ من شهر محرم عام ١٣٣٠ هـ / ١٩١١ م حدث مجيء سيل عظيم من وادي نعمان ورهجان، فدهمت المياه بعض الأفرية[(١)] لاسيما فري خرزة سقاية الأشراف العبادلة، سكان الهاوة[(٢)] حيث كانت منخفضة قليلاً، فمكنت لمياه السيل من دخولها، وسد القناة بالأتربة، حتى منع جريان الماء بها تماماً، وحينئذ توجه أمير مكة بخيله ورجاله إلى وادي نعمان للكشف على الخراب، وعلى الرغم من هطول الأمطار وحدوث سيول في طريقه، فإن ذلك لم يضعف شيئاً من عزمه، ثم رجع في اليوم الثاني من وادي نعمان إلى مكة، وأمر لجنة عين زبيدة بإخراج مجموعة كبيرة من العمال لإصلاح ما أفسده السيل، فقاموا بذلك حسب الأمر واجتهدوا كل الاجتهاد فلم تمض عشرة أيام إلا وقد جرى الماء في القنوات، ووصل إلى مكة ففرح الناس به، ولم يزل العمال يقومون بأعمال النظافة والصيانة إلى أن عادت القناة إلى ما كانت عليه قبل أن يدهمها السيل، بعد أن استمرت أعمالهم أكثر من شهر[(٣)].

ثم إن لجنة عين زبيدة لما رأت دوام خراب قناة عين عرفة بسبب دخول السيول إلى القناة من الأفرية في وادي نعمان استحسنت رفع الأمر وإيضاحه لأمير مكة، وطلب رأيه لدفع هذا الضرر، وحرروا له مذكرة في هذا الموضوع، فاهتم بالأمر وفكر ملياً في شأن قنوات العيون فتحقق له أنها لاتزال تحت الخطر على الدوام ما دامت الحفريات الحاصلة من التعميرات القديمة والحديثة باقية لم تسد، كما رأى أن إقامة سد قوي في وادي نعمان يفيد في دفع أضرار السيول عن القناة هناك[(٤)].

---

(١) الفري : هو كومة التراب تحيط بموقع الخرزة أو موقع إصلاح في القناة ليدفع مياه السيول بعيدة عنهما . كذلك انظر الدراسة المعمارية ص ٤٨٤ من هذا البحث . ووثيقة رقم (١٤) بالملحق الأول من هذا البحث .

(٢)

(٣) السيد عبد الله محمد الزاوي : المرجع السابق ص ٣٦-٣٧.

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٧-٣٨ .

وعلى ذلك فقد خرج الأمير مع أولاده وجملة من الأشراف وبعض الأعراب العارفين بأمور العين ورئيس لجنة عين زبيدة وجملة من الأعضاء وبمعيتهم المفتون ومجموعة من كبار الشخصيات والمهندسون والمعلمون إلى وادى نعمان وكشفوا كشفاً دقيقاً وتحققوا أن دفع أضرار السيول عن قناة عين عرفة بوادى نعمان لايتم إلا بسد جميع الحفر ، وعمل سد قوى مانع لأضرار السيول عن قناة عين عرفة ، واستحسنوا العمل فيه بالبقر فاشترى الأمير من ماله الخاص عدداً من البقر، لأعمال السد واحتياجاته ، وساعد في جميع الأعمال من ماله الخاص ،تبرعاً منه لهذا العمل الخيرى العظيم ، مدة خمسة عشر يوماً،حتى يتم لصندوق لجنة عين زبيدة جمع شيء من التبرعات تكفيهم للعمل المذكور(١).

وأشار الأمير على الأهالى بالتبرع لهذا العمل الخيرى ، وأمر بدفع ماكان قد اجتمع عنده إعانة من أهالى البلد الأمين برسم المدرسة الخيرية إلى صندوق لجنة عين زبيدة ، وأمر اللجنة بالشروع فى العمل المذكور مقدمين الأهم فالمهم ،كما أمر بالاستمرار فيتنظيف القنوات بما يرد إليهم من تبرعات أهالى البلد الأمين ،وما يصلهم من أموال من الخارج . ولم يزل باذلاً همته العالية فيترغيب محبى الأعمال الخيرية في مساعدة اللجنة المذكورة حتى اجتمع لها قدر يسير من المال ووصلت بعض إعانات من الخارج ثم كتب إلى الدولة العثمانية بطلب ماكان محصلاً لديها برسم عين زبيدة ،وقد أدى هذا العمل إلى استمرار اللجنة في أعمال دفن الأفربة وتنظيف القناة من الأتربة(٢).

ونتيجة لجهود لجنة عين زبيدة المتتالية ،في تنظيف وإصلاح وإنشاء قنوات العيون، أصبح أهل بلد الله الأمين والحجاج،يعيشون في هناء

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٧-٣٨ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٣٨ .

دائم بما يصلهم من كميات المياه التى وجهوا الفائض عن حاجتهم منها للزراعة (١)

موقف الدولة العثمانية من أعمال لجنة عين زبيدة :

يمكننا القول بصفة عامة أن الدولة العثمانية على الرغم من ظروفها الإقتصادية القاسية كانت تمدّ يد العون للجنة عين زبيدة، كما كانت تشرف عليها وتتابعها أولاً بأول، إيماناً منها بالدور العظيم الذى تضطلع به هذه اللجنة في خدمة أهل مكة وحجيجها.

إذ تشير وثيقة مؤرخة بعصر السلطان عبد الحميد الثاني (١٢٩٣ - ١٣٢٧ هـ / ١٨٧٦ - ١٩٠٩م) (٢) إلى الضائقة المالية التي تمر بها الدولة العثمانية، مما جعلها غير قادرة على إنجاز بعض مشاريع الإصلاح والترميم المهمة، في الحرمين الشريفين، لذلك تطلب الأمر صدور إرادة سنية إلى جميع الولايات، لجمع تبرعات لإصلاح وترميم مايجب إصلاحه في الحرمين الشريفين، كما تبرع السلطان من خزينته الخاصة بثلاثمائة كيس (٣).

أما مايخص إشراف الدولة ومتابعتها المستمرة لأعمال لجنة عين زبيدة، فتحدثنا عنها وثيقة مؤرخة في ٢٧ ذى الحجة عام ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م ورد بها ملخص ترجمته : " سيدى حضرة صاحب الدولة اقدم لكم ملفاً يتضمن مذكرة من نظارة الداخلية الجليلة ، مع المكاتبات المحررة

---

(١) وثيقة رقم ٤٦٥٩، ص١٥-١٧ بمكتبة جامعة استانبول ، أيوب صبرى: المرجع السابق ج ٥-٧ ، ص ٧٥٥.

(٢) محمد فريد بك المحامي : المرجع السابق ص ٥٨٧، ٧١٠.

(٣) وثيقة رقم ٣/٢ ك - ١٤، بارشيف دارة الملك عبد العزيز بالرياض.

الواردة من ولاية الحجاز بخصوص المخالصات المالية المقدمة من صادق بك قائم مقام الاركان الحربية [١]، والتي تضمنت مقدار المبالغ المنصرفة مع مستنداتها للجنة المشكلة لعين زبيدة بمكة المكرمة ، وقد ذيل هذا العرض بجدول يذكر فيه ماتم ترميمه واصلاحه من مجارى مياه العين المذكورة ،كما تضمنت المبالغ التى دفعتها الحكومة ،والاعانات الواردة من جهات اخرى ، كما أفاد أيضا بأن كمية كبيرة من المياه قد وصلت فعلاً إلى مكة المكرمة ،وقد حرر هذا في ٢٧ ذى الحجة سنة ١٣٠٠ هـ " .[٢]

كما قام أركان حرب مهندس محمد صادق بك بعمل تقرير يتكون من ٥١ صحيفة تقفوه خارطة عن منبع وقناة عين عرفة ،ورفعه للدولة في ربيع الأول عام ١٣٠٥ هـ / ١٨٨٧ م[٣] ،مما دفع بالصدر الأعظم كامل باشا في ١٤ رجب ١٣٠٦ هـ / ١٨٨٨م إلى رفع هذا الخبر للسلطان مع طلب منح المهندس صادق بك نيشاناً ،ليعبر عن تقدير الدولة لجهوده في إصلاح قنوات المياه ،ولعمله هذا التقرير[٤] .

وفي أول سنة ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨ م وصل إلى مكة المكرمة مهندس للبحث عن أحوال تعمير قناة عين عرفة ،وتقدير تكلفة إصلاح ذلك مقارنة بالإعانات التي جمعت من مكة وجدة والطائف ، وما وصلهم من إعانات الدولة ،وقد خرج المهندس إلى وادى نعمان للكشف وفي معيته السيد هاشم بن سلطان الداغستاني ،وتم له عمل خريطة

---

(١) كان يشغل منصب رئيس لجنة عين زبيدة . انظر ص ٣٠٦ من هذا البحث .

(٢) وثيقة رقم ٧١٦٣٣ .تصنيف ارادة داخلية. بارشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول .

(٣) وثيقة رقم ٤٦٥٩ .بمكتبة جامعة استانبول وسوف أشير إلى هذه الخارطة في الدراسة العمارية لقنوات المياه ص ٣٣٣ من هذا البحث .

(٤) وثيقة رقم ٨٧٩٥٧ تصنيف ارادة داخلية. بارشيف رئاسة الوزراء العثمانب باستانبول .

مهمة لقناة عين عرفه ، من منبعها إلى مكة المكرمة ، أبقاها لدى لجنة عين زبيدة ، وأخذ صورتها معه إلى الآستانة [١].

وقد بحثت عن هذه الخارطة لدى إدارة مصلحة المياه والمجاري بمكة المكرمة ،وكذلك عن صورتها في استانبول فلم أجد في أي منهما أثراً لذلك مع الأسف الشديد .

وحددت لنا وثيقة مؤرخة بشهر ربيع الأول عام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م أن من وظائف الحكومة السنية: متابعة أعمال لجنة عين زبيدة ،ومنع ذوى النفوس السيئة من أخذ شيء من أموال العين ، بالإضافة إلى متابعة أخبار المياه بمكة المكرمة ، باستخدام عدد من الأشخاص كانوا يقومون بجمع تلك المعلومات يومياً ويخبرون بها الناظر [٢].

تنظيم لجنة عين زبيدة في إدارة أعمالها عام ١٣٠٢ هـ/١٨٨٤م :

كان أمر الإشراف على قنوات العيون بمكة المكرمة قبل عام ١٣٠٢ هـ / ١٨٨٤م يتم باستخدام أشخاص يدعون " عبيد العين"[٣] من مهامهم الاطلاع على منابع العيون والتحقق من الأضرار التي تقع للقنوات خارج مكة . أما في داخلها فكان يقوم بهذه المهمة موظفون أطلق اسم "النظار والقسامون" ، ولم يكونوا تحت أي إدارة ،بل كانوا مستقلين في إجراء مافي ضمائرهم، مما أدى الى سوء أمر المياه بمكة المكرمة [٤].

---

(١) السيد عبدالله محمد الزواوي : المرجع السابق ، ص ٢٨.
(٢) وثيقة رقم ٤٦٥٩ ، ص ٢١ بمكتبة جامعة استانبول .
(٣) أشار الأمير شكيب أرسلان الذي زار مكة عام ١٣٣٩ هـ ، أن عددهم ٣٠٠ رجل . انظر: الأمير شكيب أرسلان : الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج الى اقدس مطاف ، ص ٤٨ ، الناشر: مكتبة المعارف الطائف .
(٤) الوثيقة السابقة ، ص ٢٩.

وقد وصلنا تنظيم لجنة عين زبيدة في إدارة أعمالنا عام ١٣٠٢ هـ / ١٨٨٤ م على الوجه التالي (١):

١- إن المهندس المعين للإشراف على الأمور الهندسية بمكة المكرمة مسئول مسئولية تامة أمام الحكومة في كافة خصوصيات عيون المياه وإن نظارة لجنة عين زبيدة وسائر مستخدميها تحت إدارته، وعليه رفع تقرير مفصل للحكومة عن قنوات المياه حال مايحدث لها أي خراب أو تقصير من العاملين في لجنة عين زبيدة .

٢- يكلف عبيد العين الذين سجلت أسماؤهم في دفتر الجراية (الصدقات) بخزينة مديرية الحرم الشريف، بكشف ومعاينة كافة قنوات المياه من منابعها إلى داخل مكة ، خاصة عقب نزول الأمطار والسيول وإخبار الناظر بنتيجة عملهم .

٣ - يعمل القسامون على تتبع أحوال القناة والبازانات والموارد داخل مكة باستمرار، ومراقبة درجة جريان الماء ومقداره وزيادته أو نقصانه ثم ترفع تلك الأخبار للناظر.

٤ - يخصص لجميع الموظفين أجر شهري، يدفع لهم من واردات لجنة عين زبيدة .

٥ - يوقع على القسامين العقاب المناسب حال حدوث أي تقصير في العمل يؤدي إلى الإضرار بمصالح المياه بمكة المكرمة، وذلك بعد التأكد والتحقق من صحة مانسب إليهم .

٦- يجب أن تكون جميع البازانات طاهرة نظيفة صالحة للشرب .

٧- مراقبة السقائين العاملين في كافة البازانات وإلزامهم بيع الماء بسعر معتدل .

---

(١) الوثيقة السابقة ، ص ٣٠-٣١.

٨ - يعين موظف سرى يلقب " بموظف الخفية لعين زبيدة " ليقوم بمهمة مراقبة القسامين في مباشرة دوام عملهم وانصرافهم وسيرهم في العمل ، ومراقبة السقائين عند بيعهم الماء ، ويعرض تلك الأخبار جميعها يومياً على ناظر عين زبيدة .

...

ثالثاً : جهود العثمانيين في العناية بالبرك والصهاريج :

ظهرت أولى محاولات العثمانيين في العناية بالبرك، على يد مصلح الدين مصطفى ، الذي كان مشرفاً على عمارة قناتي عين عرفه وعين حنين عام ٩٣١ هـ / ١٥٢٤م ، فقد بذل جهوداً عظيمة ، إلى أن تم له تنظيف وتعمير البرك، لخدمة سكان البلد الأمين ، وحجاج بيت الله الحرام . وظهرت نتائج تلك الأعمال العظيمة، حينما تدفقت مياه عين عرفة عبر القنوات إلى برك عرفات (١) .

وفي عام ٩٣٥ هـ / ١٥٢٨م ، أمر السلطان سليمان القانوني مصلح الدين مصطفى المذكور، بتجديد بناء بركة السلم، " بعدما اندرست اماراتها وانهدمت بطول الزمان عماراتها ، مورداً لحجاج بيت الله الحرام ولساير الخاص والعام ، ابتغاء مرضات الله الملك العلام "(٢). انظر لوحة (١١٢).

وأثناء العمارة التي جرت لقناة عين عرفة من الأبطح إلى مكة المكرمة عام ٩٧٩ هـ / ١٥٧١ م تم للمشرفين على تلك الأعمال ، بناء بركة لسقي الدواب بجوار سبيل أنشأوه على يمين الصاعد إلى الأبطح (٣).

وحينما حج الوزير سنان باشا عام ٩٧٨ هـ / ١٥٧٠م وشاهد مايلاقيه المعتمرون من مشقة في سبيل الحصول على ماء الوضوء من التنعيم جهة مسجد السيدة عائشة رضي الله عنها ، عمر بركة بتلك المنطقة، وأمر بحفر الأرض من عدة طرق لعمل مجاري تستقطب مياه الأمطار وتغذى بها البركة (٤).

---

(١) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ، ص ٢٨٤-٢٨٥ ، عبد الكريم القطبي : المصدر السابق، ص ١١٠-١١١ ، عبد الملك العصامي : المصدر السابق، ج ٤ ص ٨٥ ، أيوب صبري : المرجع السابق ، ج ٧ ، ص ٧٣٩، ١١٤١.

(٢) انظر ماسبق ص ١٤٤ من هذا البحث .

(٣) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ، ص ٢٢٦.

(٤) السيد أحمد زيني دحلان : المصدر السابق ، ص ٣٢١-٣٢٢ ، أيوب صبري : المرجع السابق ، ج ٧ ص ١١١٩. وقد سبق أن عرضنا لأعمال سنان باشا في إعادة بناء بئر بالقرب من البركة . انظر ماسبق ص ١٣٧ من هذا البحث .

وأشار على الطبرى ت ١٠٧٠ هـ / ١٦٥٩ م، الى الدور العظيم الذى كانت تضطلع به بركتا المصرى والشامي في عصره نحو تزويد سكان مكة وحجاج بيت الله الحرام بالماء، فقد كانتا تأخذان ماءهما من القناة المارة بقربهما، وغالبا ماكانتا تملآن في شهر رمضان حيث يبدأ قرب وصول الحجاج إلى مكة المشرفة ، وتظهر الحاجة إلى زيادة الطلب على الماء لكثرة الواردين، فضلاً عن وجود الكثير من البرك غير المسبلة والتى كان يباع منها الماء[1] .

وفي عام ١٠٩٣ هـ / ١٦٨٢ م ، أمر السلطان محمد خان الرابع بتنظيف برك المعلاة وزيادة ارتفاعها قدر قامة [2]، وإعادة بناء جميع برك عرفات[3] التي لم تلبث أن نظفت، وأعيد بناؤها في عهد السلطان أحمد خان الثاني [4] (١١٠٢-١١٠٦ هـ / ١٦٩١-١٦٩٥م)[5] .

وأثناء أعمال محمد بيك بن حسين باشا العمارية في قنوات المياه عام ١١٢٤ هـ / ١٧١٢ م، تمّ له تجديد بناء بعض البرك على الوجه التالي:

١- منطقة الخطم: جدد فيها بناء بركة باستخدام الطوب في بنائها ثم نقلت جدرانها وجدد طبطابها[6] .

---

(١) على الطبرى : المصدر السابق ،ورقة ٤٤.
(٢) إبراهيم رفعت: المصدر السابق ج ١ ص ٢٢١ ،كذلك انظر الدراسة العمارية ص ١٠١ من هذا البحث .
(٣) محمد أمين المكي : المرجع السابق، ص ٣١.
(٤) المرجع السابق ، ص ٣٢.
(٥) محمد فريد بك المحامى : المرجع السابق ، ص ٣٠٦-٣٠٧.
(٦) وثيقة رقم ٦١٧٦ (MAD) ص ٥ - بأرشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول .

٢ - رأس الوبر : جدد فيها بناء بركة بطول عشرة أذرع،وعرض نصف ذراع وقد ٣ اذرع،علاوة على تنقيلها بطول١٤ ذراعاً،وقد ٣ أذرع ،وجدد طبطابها وعمل لها دكة بطول ٨ أذرع ، وعرض ذراع واحد ،وقد ذراع واحد(١) .

٣ - رأس البلاط الكبير : تمّ تجديد بناء بركة بطول ١٢ ذراعاً،وعرض نصف ذراع ، وقد مرا ذراع،ودك أسفل جدار البركة بطول ١٠ أذرع ، وعرض ذراع واحد،وقد نصف ذراع،وعمل للبركة طبطاب بلغت مساحته ٥٦ ذراعاً،فضلاً عن تنقيل جدارها بطول ١٥ ذراعا،وقد ذراع واحد(٢).

٤ - بالقرب من مسجد المفجر: جدد بناء طبطاب بركة لشرب الحيوان، بطول ١٨ ذراعا،وقد ذراع واحد(٣) .

وفي عهد السلطان مصطفى خان الثالث (١١٧١-١١٨٧ هـ /١٧٥٧-١٧٧٤م)(٤) جدد بناء البرك الواقعة بين مكة والمدينة (٥) .

ونتيجة للسيول التي اجتاحت مكة المكرمة عام ١٢٠٨ هـ / ١٧٩٣م،فقد انهدمت بركة المصرى ، وبركة الشامي ،فأمر السلطان (سليم الثالث) بإعادة بنائهما مع تنظيف وإصلاح برك عرفه،ومجموعة برك أخرى بمكة المكرمة سنة ١٢١١ هـ / ١٧٩٦م(٦) .

---

(١) الوثيقة السابقة ، ص ٤٠

(٢) الوثيقة السابقة ،ص ٢٠

(٣) انظر صورة هذه الوثيقة رقم (٧) بالملحق الأول من هذا البحث .

(٤) محمد فريد بك المحامى : المرجع السابق ، ص ٣٤٠ .

(٥) محمد أمين المكي : المرجع السابق ، ص ٣٢٠

(٦) وثيقة رقم ١٠٧١٧ كرتون ٤٧/٢٦٦ تصنيف خط الهمايون،بأرشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول ،وكذلك انظر صورة هذه الوثيقة رقم (٩) بالملحق الأول من هذه الرسالة.

وقد كانت الدولة العثمانية مخصصة مبلغ ٣٠٠٠ قرش ،تصرف سنويا لتنظيف وتعمير برك عرفة ، وتأخرت الدولة في دفع ذلك المبلغ عامي ١٢٢٢هـ ، ١٢٢٣ هـ / ١٨٠٧ ، ١٨٠٨ م ، مما أدى بأمير مكة (١) إلى رفع كتاب للسلطان بطلب ٦ آلاف قرش (٢).

وفي عهد السلطان محمود خان الثاني عام ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣ م ،تمّ تعمير بعض برك مكة المكرمة على يد محمد علي باشا والى مصر ،فقد ورد في وثيقة عثمانية مؤرخة في ١١ شوال عام ١٢٢٨ هـ ما نص ترجمته : " من محمد رشدى إلى محمد علي ،وردت افادة صاحب السعادة الشريف غالب أمير مكة الحالي ،تفيد وجوب ترميم بعض أماكن وبرك في مكة المكرمة والمدينة المنورة ؛وقد أرسل بيان بذلك ،ولما عرض هذا الطلب الخطير على مجلس الشورى رأى أنه ربما كان الشريف يطلب ذلك بقصد أن يحدث لنفسه مسألة مخصوصة من طرف الدولة العلية ويجرى مافي ضميره ، أو ربما يقصد من هذا الطلب أن يتخذه وسيلة للحصول على المنافع باظهار مصاريف كثيرة . ولما عرض هذا التقرير على الأعتاب العلية ، صدرت الارادة بتنظيم هذه المسألة بما تشيرون به ، لأن مصلحة الحرمين محالة إلى جنابكم فالمرجو الكشف عن الأماكن والبرك المحتاجة إلى الترميم في البلدتين المكرمتين وإجراء ترميمهما "(٣) .

وبناء على ذلك فقد قام محمد علي باشا بتنفيذ أمر السلطان ،بعد أن جمع أموال الصرف على العمارة من خزينة مصر ،ومن دار سك العملة ،ومن

---

(١) انظر أعماله في كتاب السيد أحمد زيني دحلان : المرجع السابق، ص٢٥٩.

(٢) وثيقة رقم ١/٢-٢٤٤ ،بأرشيف دارة الملك عبدالعزيز بالرياض .

(٣) وثيقة رقم ٢/٢ ك - ١٢٦. بارشيف دارة الملك عبدالعزيز بالرياض .

جهات أخرى، ورفع خبر هذه الأعمال في رسالة للسلطان مؤرخة في ٢٣ ذي الحجة عام ١٢٢٨هـ / ١٨١٣م[١] .

وقد كان من البرك التي اهتم محمدعلي باشا بتنظيفها وعمارتها في هذا العام بركة الشامي وبركة المصرى بالمعلاة ، بالاضافة إلى عمارة برك لسقيا المواشي عام ١٢٣٣ هـ / ١٨١٧ م وصهاريج عام ١٢٤١هـ/١٨٢٥م[٢] .

وفي عهد السلطان عبدالمجيد خان سنة ١٢٦٠ هـ/١٨٤٤م، تم ترميم بركة ماجن وبرك عرفات[٣] .

وأثناء عمل لجنة عين زبيدة العمارية في قنوات مياه العيون التي بدأت عام ١٢٩٦ هـ /١٨٧٨م أصلحت وأنشئت مجموعة من البرك والصهاريج تمثلت في الآتي :

١- تنظيف وتجديد بناء جميع برك عرفات[٤] .

٢- إنشاء برك لسقيا المواشى ، تغذى بالمياه بوساطة قنوات فرعية تأخذ مياهها من القناة الرئيسة ويشرف على ذلك مسئولون ينقلونه إليها من فتحات على القناة[٥].

٣- إنشاء بركة بقرب مسجد مزدلفة ، تتغذى بالمياه من قناة عين عرفة ، ومن عين قريبة منها[٦] .

---

(١) وثيقة رقم ٥/١-١٧٠. بأرشيف دارة الملك عبدالعزيز بالرياض .
(٢) نقلا عن وثيقة نشرتها فوزية حسين مطر : المرجع السابق ، ص ٤٤٧.
(٣) محمد أمين المكي : المرجع السابق ، ص ٤٣.
(٤) المرجع السابق ، ص ٨.
(٥) وثيقة رقم ٤٦٥٩ ، ص ١٦ بمكتبة جامعة استانبول ، أيوب صبري: المرجع السابق ، ج ٥ - ٧ ص ٥٧٤.
(٦) المرجع السابق ، ج ٥-٧ ص ٧٥٥.

٤- إنشاء بركتين بكل منهما نافورة جهة باب الصفا ، أحد أبواب المسجد الحرام من الجهة الجنوبية الشرقية، وتستمدان ماءهما من صهريج ماء في التكية المصرية بواسطة مواسير من رصاص (١).

٥ - إنشاء خمسة عشر صهريجاً داخل مكة المكرمة لتكون مورداً يشرب منه الناس ، كما يحفظون بها الماء للإستفادة منه وقت انقطاع مياه العيون(٢) .

ويشير إبراهيم رفعت في حجته عام ١٣١٨ هـ / ١٩٠٠م، إلى أن ناصر باشا ابن الشريف عبد المطلب ، أمير مكة سابقاً ،طلب منه رفع رسالة إلى خديوى مصر للتبرع لإنشاء صهريج بمنى فقال: " قد صدر الأمر الكريم بإنفاق ٨٠٠٠ جنيه مصرى لتشييد مخزن كبير في منى يملأ بالماء لشرب الحاجين وأبناء السبيل فيرجو إنجاز هذا الأمر الجليل الذى يعد أثراً خالداً لسمو الخديوى ،يستحق به عظيم المثوبة من الله لأن بعد الماء رفع قيمته ، حتى إن القربة التى تسع قدماً مكعباً من الماء يبلغ ثمنها ٢ر٣ قروش ،بل في هذا العام كان ثمنها ٥ قروش ، وإنى أعضده في فكرته هذه فإن ذلك عظيم النفع للحجاج ، خصوصاً الفقراء الذين لا يجدون ماينفقون ،وتضطرهم الفاقة الى جلب المياه من الأماكن النازحة سيراً على أقدامهم ، بل وفرة الماء تقطع دابر الأشرار من الأعراب الذين يتربصون من يبتعدعن منى لإحضار المياه فيسلبونه ماله ولا مغيث فإن المياه تبعد عنها بأكثر من ثلاثة أميال ، أضف إلى ذلك أن كثرة المياه تساعد على نظافة البدن والملبس وذلك أحفظ للصحة وأرعى لها ،فإنجاز هذا المشروع يعود بالخير العميم على الناس وعلى من يقوم به . وقد كلمت

---

(١) المرجع السابق ،ج ٥-٧ ص ٧٥٦-٧٥٨.

(٢) المرجع السابق ج ٥-٧ ، ص ٧٥٦-٧٥٧، وثيقة رقم ٤٦٥٩ بمكتبة جامعة استانبول ص ١٩-٢٢ ، ٢٤-٢٥ . أما عن مواقع هذه الصهاريج داخل مكة ووصفها. انظر الدراسة العمارية ص ١٠٨ من هذا البحث .

سمو الخديوى في هذا الاقتراح فقال: لامانع على أن يتولى الإنفاق على المشروع موظف مصرى ، ولما عرضت ذلك على الشريف عون فيحجتى الثانية (١٣٢٠ هـ / ١٩٠٣م) وافق على المشروع ولكن اشترط أن يتولى هو الإنفاق فكان شرطه هذا داعياً لوقف المشروع إلى أن نفذ في السنين الأخيرة في عهد ملك مصر الأول[1] .

(١) ابراهيم رفعت: المصدر السابق ،ج ١ ص ٣٧.

رابعا: جهود العثمانيين في العناية بالأسبلة :

استكمالاً لما سبق عرضه عن جهود المسلمين فيما قبل العصر العثماني في العناية بالأسبلة ، أجد أنه من الممكن عرض جهود العثمانيين في العناية بالأسبلة بتقسيم الموضوع إلى قسمين هما :

أ- عناية العثمانيين بالأسبلة السابقة لعصرهم : صيانة وتجديداً واعادة بناء .

ب - إنشاء أسبلة جديدة وصيانتها وترميمها .

- عناية العثمانيين بالأسبلة السابقة لعصرهم :

ظلت مجموعة من الأسبلة التي أنشئت فيما قبل العصر العثماني تؤدي دورها في هذا العصر ، فمنها سبيل بجوار باب الباسطية [١] وسبيل الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، بجوار باب إبراهيم ، الذى أعيد بناؤه عام ٩٨٣ هـ / ١٥٧٥ م [٢]، وسبيل كان يقع أمام باب الكعبة ويأخذ ماءه من بئر زمزم، فجدد بناءه السلطان مراد الثالث عام ٩٨٥هـ / ١٥٧٧م [٣]، وسبيل الملك المؤيد الملاصق لبئر زمزم ،وقد تم

---

(١) أحد أبواب المسجد الحرام من الجهة الشمالية . وينسب بناء السبيل إلى عبد الباسط ناظر الجيش في دولة الملك الأشرف برسباى لأنه عمر بجواره مدرسة للفقراء . انظر حسين عبدالله باسلامه : المرجع السابق ،ص ١٢٩-١٣٠.

(٢) المرجع السابق ، ص٦٥.

(٣) لقد جدد مبنى هذا السبيل السلطان مراد الرابع عام ١٠٤٣ هـ ،ثم قام بعمل إصلاحات به . أيوب صبرى : المرجع السابق ، ج ٥ - ٧ ، ص ٩٩١.

تبييضه من الداخل والخارج عام ١٠٤٠ هـ / ١٦٣٠م [١].

وقد اهتم العثمانيون بسقاية العباس [٢]،حيث يتجلى ذلك في ترميمها وإعادة بنائها في سنين مختلفة، فقد قاموا فيما بين عام ١٠٣٨ هـ - ١٠٤٠ هـ / ١٦٢٨ - ١٦٣٠م بإصلاح بابها [٣]،وفي عام ١١١٢هـ/ ١٧٠٠ م اهتم ابراهيم بك سنجق جدة بعرض أحوال هذه السقاية؛وما حدث بها من خراب على دار السلطنة،فصدرت الأوامر بإعادة بنائها فنقضت جميع مبانيها،ثم أعيد بناء قبتها وجدرانها بحجر الشميسى وبيّضت، وجعل لها خزانتان ، وفتحت لها طاقة من جهتها الشرقية ،وجعل لها من باطن الطاقة حوض للسبيل [٤]. وفي عام ١١٢٦ هـ / ١٧١٤م جدد الوزير حسن باشا حال وصوله إلى مكة من اليمن سقاية العباس بالنورة وأحدث فيها دكة [٥] .

---

(١) محمد بن على بن بلال الصديقي : أبناء الجليل المؤيد مراد خان ببناء بيت الوهاب الجواد ،ورقة ٢١ ، ٢٢ مخطوط مصور بالميكروفلم من دار الكتب الظاهرية برقم (١٨٤٢) . مركز البحث العلمي جامعة أم القرى . كذلك انظر عن هذا السبيل ماسبق ص ١٠٧ من هذا البحث .

(٢) يطلق بعض المؤرخين على سقاية العباس كلمة سبيل . انظر محمد بن على بن بلال الصديقي : المرجع السابق ،ورقة ٢١ ، ٢٢ .

(٣) أحمد شلبي : أوضح الاشارات فيمن تولى مصر والقاهرة من الوزراء والباشوات ،ص ١٤٠-١٤٣.

(٤) محمد بن على المعروف بابن المحب الطبرى : المصدر السابق، ج ٢ ورقة ١٢٠ ، ١٢٢ ،يحيى حمزه كوشك : المرجع السابق ،ص ٤٠.

(٥) الصباغ المكي : المصدر السابق ،ورقة ٧٠.

وفي عام ١٢٨٨ هـ / ١٨٧١م،ورد مكتوب من السلطنة إلى أمير مكة عبدالله بن محمد بن عون ، مفاده أنه ورد للدولة خبر عن قبة سقاية العباس بأنها تمنع الناس من مشاهدة الكعبة المشرفة ولابد لأمير مكة أن يهتم بالكشف عن ذلك الأمر فعقد أمير مكة مجلساً في بيته بالغزة،جمع فيه العلماء وشاورهم في أمر هدم قبة سقاية العباس ،وأن يعمل موضعها قبة صغيرة على أربعة أعمدة فيها حوض باسم مولانا السلطان. وفي يوم الجمعة ١٢ صفر عام١٣٠٠ هـ / ١٨٨٢م في عهد السلطان عبدالحميد خان ، بدأ العمل في هدم سقاية العباس بحضور أمير مكة عون الرفيق باشا ، ووالي الحجاز عثمان نورى باشا[1] .

ب ـ عناية العثمانيين في إنشاء أسبلة جديدة وصيانتهاوترميمها:

فيعهد السلطان سليمان القانوني (٩٢٦-٩٧٤هـ/ ١٥٢٠-١٥٦٦م)[2]، تم بناء سبيلين بمكة باسمه ، الأول يقع بجوار سور باب المعلاة ، ويستمد مياهه من قناة عينعرفة وعين حنين ،وقد بناه مصلح الدين مصطفى، الذى قام بإصلاح قناتي عين عرفة ، وعين حنين عام ٩٣١هـ/١٥٢٤م،وأصلح قناة بركة السلم عام ٩٣٥ هـ / ١٥٢٨م[3]، بيد أن هذا السبيل انهدم، ولم يعد له وجود علىعهد الصباغ المكي ١٢٤٣-١٣٢١هـ/ ١٨٢٧-١٩٠٣م)[4] .

---

(١) المصدر السابق ، ورقة ٦٩. يذكر كل من حسين عبدالله باسلامة : المرجع السابق ص١٩٣ ، ١٩٨ ، ومحققا كتاب عبدالكريم القطبي: المصدر السابق ،ص ١٤٤ ،حاشية رقم٢. أن إزالة قبة سقاية العباس كان عام ١٣٠١ هـ / ١٨٨٣م .

(٢) محمد فريد بك المحامي : المرجع السابق،ص ١٩٧ ، ٢٥١.

(٣) قطب الدينالحنفي : المصدر السابق ، ص ٢١. كذلك انظر ماسبق ص ١٤١ من هذا البحث .

(٤) محمد بن أحمدالصباغ المكي : المصدر السابق ،ورقة ١١٩.

والسبيل الثاني يقع بالقرب من المروة ويستمد مياهه من قناة الماء المتجهة الى بركة ماجن . وقد كان له دور كبير في تزويد الناس بالماء عام ١٢٣٠ هـ / ١٨١٤م ،حيث كان الحجاج يتزاحمون حوله طوال الليل والنهار لملء قربهم بالماء[١] .

وأثناء العمارة التي جرت لقناة عين عرفة من الأبطح إلى مكة المكرمة عام ٩٧٩ هـ / ١٥٧١م على يد الأمير أحمد بك ،والمعمار محمد جاويش الديوان العالي؛ تمّ للعثمانيين بناء مجموعة أسبلة ،لخدمة سكان بلد الله الأمين والحجاج هي [٢] :

١- بناء قبة مقسم بالأبطح، ركب في جدرانها بزابيز من نحاس ليشرب منها الناس [٣] .

٢- سبيل في نهاية سوق المعلاة على يسار الخارج منه إلى الأبطح[٤] .

٣- سبيل على يمين الصاعد إلى الأبطح بعد بستان المرحومه خاصكي سلطان[٥] .

وفي عام ٩٧٩ هـ / ١٥٧١م في عهد السلطان سليم الثاني[٦]، قام

---

(١) Burckhardt, op. cit., p. 118.

(٢) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ، ص ٢٢٦ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٢٦ ، محمد بن علي المعروف بابن المحب الطبرى : المصدر السابق ،ج ١ ورقة ٢٥٣ .

(٤) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ص ٢٢٦ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٢٢٦ .

(٦) مؤلف مجهول: سلوك سبيل الرشاد لمولانا السلطان مراد ،ورقة ٤٠ ، ٥٣ .في حين يشير علي السنجاري : المصدر السابق ، ج ٢ ورقة ١١٧ : أن بناء الوزير سنان باشا للسبيل كان عام ٩٨١هـ .

الوزير سنان باشا (١) بإنشاء سبيل بالتنعيم ، أجرى إليه الماء من بئر بعيدة بواسطة قناة مبنية بينهما بالجص والنورة ، وعين خادماً يسقي من البئر ويصب في القناة ، فيصل الماء إلى السبيل ليشرب ويتوضأ منه المعتمرون ، وعين مصاريف ذلك من ريع أوقاف له بمصر (٢).

وتشير وثيقة مؤرخة باليوم الأول من شهر جمادى الأول عام ٩٩١هـ/١٥٨٣م الى قيام والدة ولي العهد محمد ابن السلطان مراد بعمارة سبيل بطريق العمرة، فقد ورد بالوثيقة ماملخص ترجمته : " أمر إلى قاضي مكة المكرمة بالاهتمام والمحافظة على سبيل أنشأته سابقاً بطريق العمرة والدة ولي العهد محمد ابن السلطان ،وتوجيه القائم بخدمة الناس في هذا السبيل إلى عدم منع أي إنسان من الاستقاء لأنه لعموم المسلمين. أول جمادى الأولى ٩٩١هـ" (٣)

ومن خيرات السلطان مراد الثالث أمره لأحد خدمه ،مصطفى جاويش، الذى وصل مكة عام ٩٩٤ هـ / ١٥٨٥م ،بعمارة سبيل على يسار الخارج من باب الصفا ،ليشرب منه الناس ، وتمت العمارة عام ٩٩٥ هـ / ١٥٨٦م ، بعد أن صرف فيها مع بعض عمائر أخرى مبلغ

---

(١) سبق أن عرضنا لأعمال سنان باشا في التنعيم . انظر ماسبق ص ٢٥١ من هذا البحث .

(٢) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، سلوك سبيل الرشاد لمولانا السلطان مراد ، ورقة ٤٠ ، ٥٣ ، علي السنجاري : المصدر السابق، جـ ٢ ، ورقة ١١٧.

(٣) وثيقة بدفتر المهمة رقم ٤٩ ص ٦٦ . بأرشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول . وكذلك انظر صورة هذه الوثيقة رقم (٦) بالملحق الأول من هذا البحث .

عشرين ألف دينار[١] ، ثم عمل مصطفى جاويش على بناء مجموعة من البيوت جعلها أوقافا ، يصرف من ريعها على السبيل ، وعلى موظفين عينوا لكنس مكان أنشىء خارج المسجد مأوى للفقراء[٢].

ويصف لنا ابن المحب الطبرى المتوفى عام ١١٤٣ هـ /١٧٣٠م ،حال سبيل السلطان مراد على عهده ، أنه قد أصبح خرابا وجعل في موقعه مقهى ،وسبب ذلك سوء تدبير النظار[٣]، وهذا يصحح لنا ماوقع فيه محمد الفعر الذى نسب خطأً إلى باسلامه قولاً مفاده أن سبيل السلطان مراد أزيل سنة ١٣١٥ هـ لأن الذين كانوا يتوضؤون منه كانوا يلوثون أبواب المسجد الحرام بمايتراكم من فضلات المياه [٤].

---

(١) عبدالكريم القطبى : المصدر السابق ، ص ١٣٠-١٣١ ، على السنجارى : المصدر السابق ،ج ٢ ورقة ١٢٦ ،حسين عبدالله باسلامه : المرجع السابق ، ص ٩٦-٩٧ ، فوزيه مطر: المرجع السابق ، ص ١٩١ - ١٩٣ ، محمد فهد الفعر : المرجع السابق ، ص ٤٢٠ - ٤٢٢.

(٢) عبدالكريم القطبي : المصدر السابق ، ص ١٣٣ ، هذا وقد أشار محمد الفعر : المرجع السابق، ص ٤٢٥ ، ٤٢٦ إلى أن السلطان مراد أنشأ سبيلاً آخر ملاصقا لجدار مدرسة السلطان قايتباى بالجانب الشرقي من المسجد الحرام ، لكن بالرجوع إلى المصادر التي استقى منها معلوماته ، اتضح أن الذى أنشأه السلطان مراد بذلك الموضع ،حنفية للوضوء وليس سبيلاً ،وهذا ماسوف أشير إليه فيما سيأتي . انظر ص ٢٨٣ من هذا البحث . وكذلك عبدالكريم القطبي : المصدر السابق ، ص ١٣٠ ، حسين عبدالله باسلامة : المرجع السابق ، ص ٩٧ ، أحمد السباعي : المرجع السابق ، ص ٤٧٧.

(٣) محمد بن على المعروف بابن المحب الطبرى : المصدر السابق، ج ١ ورقة ٢٤٣ ، ٢٧١.

(٤) محمد الفعر : المرجع السابق ، ص ٤٢٣ ، ٤٢٦.

والواقع أن ما أورده محمد الفعر خاص بحنفية باب الصفا الواقعة تحت سبيل السلطان مراد ، والتى تخربت في عهد ابن المحب الطبرى المتوفي عام ١١٤٣ هـ ، ثم أعيد بناؤها فيما بعد وأزيلت عام ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧م(١).

ويؤيد ذلك ماقاله باسلامه عن ذلك من أنه : " عمل على يسار الخارج إلى الصفا سبيلا يشرب منه الصادر والوارد وعمل تحته حنفية للوضوء وجعل فيه حنفية أخرى في لصق جدار مدرسة السلطان قايتباى بالقرب من باب السلام ... أما الحنفية التي كانت بالصفا وغيرها من الحنفيات الأخرى التي كانت خلف المدارس على مسيل وادى ابراهيم فقد هدمت وأزيلت سنة ١٣١٥ هـ وذلك بسبب كون الذين كانوا يتوضأون منها يلوثون أبواب المسجد الحرام بالوحل الذى يتراكم من فضلات المياه المتراكمة من الوضوء "(٢) .

وفي عام ١٠٤٦ هـ / ١٦٣٦م ، تمّ إصلاح مجموعة من الأسبلة بمكة المكرمة ، فقد ذكر عن ذلك علي الطبرى المتوفي عام ١٠٧٠هـ/١٦٥٩م مانصه : " وقد وقع في عام تأليف هذا التاريخ أن وصل إلى مكة شيخ الإسلام قاضي قضاة الأنام خطيب المشعر والمواقف العظام مولانا محمد أفندى المعروف ببندر زاده قاضي مكة المشرفة. وكان وصوله إليها في أثناء شهر شعبان من عام ستة وأربعين بعد الألف ، فالتفت بعد وصوله إلى إجراء الماء في غالب هذه السبل فعرض الأمر على مولانا وسيدنا الشريف الظل الوزير آل طه ورس ونخبه حماة هذا البلد الأمين مولانا الشريف

---

(١) انظر أعمال العثمانيين في إنشاء حنفيات الوضوء ص ٢٨٣ من هذا البحث . وكذلك محمد بن علي المعروف بابن المحب الطبرى : المصدر السابق ،ج ١ ورقة ٤٢٣ ، ٤٢٦.

(٢) حسين عبدالله باسلامه : المرجع السابق ، ص ٩٦-٩٧.

زيد بن محسن بن الحسين أدام الله سيادته ، فأعانه على ذلك جزاهما الله خيراً فصمم حينئذ مولانا الافندى على إجراء الماء في هذه السبل فأجرى البعض منها "[1]. كما أنشأ الشريف زيد المذكور عام ١٠٥٣ هـ / ١٦٤٣م سبيلاً بداره [2].

وإضافة إلى ذلك فقد عدد لنا علي الطبرى بعض الأسبلة التى يرجح أنها بنيت في القرن العاشر والحادى عشر الهجرى كما يلي:[3]

سبيل يعرف بسبيل الخاصكية[4] ، بجوار مبنى بئر زمزم في المسجد الحرام ، سبيل الأغوات ، سبيل الخاصكية برباطها ، سبيل الخواجا شمس الدين بن الزمن ، سبيل كاتم السر ، سبيل الأغا بهرام ، سبيل الظهره ، سبيل الشريف أبي نمي ، سبيل على بن احمد بن أبي نمي ، سبيل في الدرويشه الجديدة ، سبيل عند مدفن الشيخ محمود ، سبيل الخاص بالسوق الصغير ، سبيل البلقين ، أسبلة بمنى وطريقها ، سبيلان بطريق التنعيم .

وفي عهد السلطان محمود خان الثاني (١٢٢٣-١٢٥٥ هـ / ١٨٠٨ - ١٨٣٩م)[5] ، أنشىء سبيل إلى جوار بئر في شمال مكة ، بقرب مسجد كان مجاوراً لتربة السيدة ميمونة رضي الله عنها ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم [6] .

---

(١) على الطبرى : المصدر السابق ورقة ٣٥-٣٦.

(٢) محمد بن على المعروف بابن المحب الطبرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ورقة ٣٥.

(٣) علي الطبرى : المصدر السابق ، ورقة ٣٤-٣٥.

(٤) ورد اسم هذا السبيل أيضا باسم " سبيل الخاسكي " . عبدالكريم القطبي : المصدر السابق ، ص ١٤٤.

(٥) محمد فريد بك المحامي : المرجع السابق، ص ٣٩٧ ، ٤٥٤.

(٦) محمد أمين المكي : المرجع السابق ، ص ٣٦.

وقد ظهر من صورة الواجهة القبلية لسبيل منى ، التى صورها لنا إبراهيم رفعت ، أن بها مجموعة من النقوش الكتابية ، وتاريخ إنشاء السبيل عام ١٢٤٠ هـ / ١٨٢٤م . لوحة (١٦٢).

وفي عهد السلطان عبدالمجيد سنة ١٢٦٠ هـ /١٨٤٤م ، تمّ إعادة بناء الأسبلة الواقعة قرب مسجد العمرة ،على حدود حرم مكة من الجهة الشمالية ،وترميم الأسبلة الواقعة بالصفا بمكة المكرمة[١].

وفي عام ١٢٦٣ هـ / ١٨٤٦م ، تمّ إنشاء سبيل على حدود حرم مكة من الجهة الغربية[٢] ، وفي عام ١٢٧٩هـ/١٨٦٢م ، بنى أحد الهنود بطريق التنعيم قريباً من الشهداء ، سبيلاً ، إضافة إلى قيام الشريف عبدالله أمير مكة ببناء سبيل آخر ، وفي سنة ١٢٨٣ هـ / ١٨٦٦م بنى أحد الهنود سبيلاً ، بقرب بئر حفرها ناحية الشيخ محمود[٣] .

كما اهتمت لجنة عين زبيدة ،بعد تأسيسها عام ١٢٩٥ هـ / ١٨٧٨ م ، بإنشاء مجموعة أسبلة ،في كافة أحياء مكة المكرمة ،كان منها سبيل بمدرسة الداوودية[٤] ، وفي عام ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩م ، أنشئ سبيل باسم المرحوم على باشا ، والد أمير مكة المكرمة - في ذلك الوقت - الشريف حسين باشا ،حيث ظهر ذلك من خلال نقش كتابي سأقوم بدراسته من الناحية الحضارية في الفصل القادم[٥] بمشيئة الله . لوحة (١٦٩).

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٣.

(٢) إبراهيم رفعت : المصدر السابق ،ج ١ ص ٢٨ ، سوف أقوم بدراسة هذا السبيل من الناحية العمارية في الفصل القادم . انظر ص ٤٣٤ من هذا البحث .

(٣) محمد بن أحمد الصباغ المكي : المصدر السابق ،ورقة ١٦٠.

(٤) وثيقة رقم ٤٦٥٩ ، ص ٢٤ ، بمكتبة جامعة استانبول ، محمد أمين المكي : المرجع السابق ، ص ٧ ، السيد عبدالله محمد الزواوي: المرجع السابق ، ص ٤٠.

(٥) انظر ص ٥٠٥ من هذا البحث .

كما تم في نهاية العصر العثماني إنشاء سبيل البز الـــــــذى عثرت بفضل الله على نقش كتابي يحلو واجهته ورد فيه أن الملك عبدالعزيز آل سعود أمر بتجديد بناء هذا السبيل عام ١٣٦٣ هـ / ١٩٤٣م ، ممـــــا يجعلنا نرجح أن هذا السبيل قد أنشئ في نهاية العصر العثماني(١).

---

(١) انظر الدراسة العمارية ص ٤٣٨ من هذا البحث .

خامساً: جهود العثمانيين في العناية بالبازانات :

لقد ظهر لي من خلال ماتوفر لدي من مصادر عربية قلة ماورد بها عن أخبار جهود العثمانيين في العناية بالبازانات [1]. مما دفعني الى البحث في مصادر أخرى بغير العربية لعلها تحمل لي مايسد نهم الباحث في الوصول إلى مزيد من المعرفة في هذا النوع من المنشآت الهامة لمدينة يقصدها كل مسلم . وقد وفقت بفضل من الله تعالى الى العثور على عشر وثائق تركية كشفت لنا - ولأول مرة - عن مادة غزيرة تبين الدور العثماني لخدمة مكة المكرمة في أمور كثيرة، و خاصة في ميدان العناية بالبازانات [2] ، وعلى ضوء ذلك يمكنني القول بأننا أمام مرحلتين أنجز فيهما العديد من الأعمال العمارية في البازانات هما :

- المرحلة الأولى : كانت فيما بين عامي ١١٢٤ هـ - ١١٢٥هـ/١٧١٢-١٧١٣ م [3]
- المرحلة الثانية : كانت بعد تأسيس لجنة عين زبيدة عام ١٢٩٥ هـ / ١٨٧٨ م [4] .

أما عن المرحلة الأولى فقد تم خلالها ترميم، وإعادة بناء مجموعة من البازانات والخرزات التي كانت تقوم مقام البازانات . وسأتكلم عن البازانات ، ثم أشفعها بالكلام عن الخرزات التى تأخذ حكمها .

---

(١) انظر على سبيل المثال: قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ، عبد الكريم القطبي : المصدر السابق ،عبد الملك العصامي: المصدر السابق ،علي الطبري : المصدر السابق ،محمد بن علي المعروف بابن المحب الطبري : المصدر السابق ،محمد بن احمد الصباغ المكي : المصدر السابق ، السيد عبدالله محمد الزواوى: المرجع السابق ، ابراهيم رفعت : المصدر السابق .

(٢) سنشير إليها في حينه إن شاء الله .

(٣) سبق أن بينا جهود العثمانيين في هذه الفترة على يد محمد بك بن حسين باشا في الاهتمام بالعيون وقنواتها والبرك. انظر ماسبق ص ١٧٦، ٢٥٢ من هذا البحث .

(٤) سبق أن وضحنا دور لجنة عين زبيدة في العناية بالعيون وقنواتها والبرك . انظر ماسبق ص ٢٣٤ ، ٢٥٥ من هذا البحث .

أولا : الأعمال العمارية التي تمت في البازانات :

١- بازان مزدلفة الكبير قرب المشعر الحرام :

شملت أعمال العمارة به عدة إصلاحات ،من ترميم وإعادة بناء وتنقيل في جوانبه الأربعة وفي ساقيته إضافة إلى عمل طبطاب وهي كالتالي :(١)

أ- في الجانب الشرقي منه تمّ تجديد بناء ٢٠ ذراعاً طولاً ،وذراع واحد عرضا ،وقد ٧ أذرع،وترميم٢٣ ذراعاً طولاً،وقد ٧ أذرع، ثم نقّل جميع ذلك بطول ٤٣ ذراعاً،وقد ٧ أذرع .

ب - في الجانبالغربي : تمّ ترميم وتنقيل ٤٣ ذراعاً طولاً، وذراع واحد عرضاً ،وقد ٧ أذرع .

جـ - في الجانبالجنوبي : تمّ به ترميم وتنقيل ٣٨ ذراعاً طولاً وقد ٨ أذرع .

د - في الجانب الشمالي : تمّ به ترميم وتنقيل ٣٨ ذراعاً طولاً،وقد ٨ أذرع .

أما ساقية البازان فقد شملت أعمال الإصلاح بها تجديد وتنقيل ثلاثة جهات منها بطول ٤٢ ذراعاً،وعرض نصف ذراع ،وقد ذراعين ،وجُدد دك قطعة مربعة بأرضية الساقية ، طول ضلعها مره ذراع ،وقد نصف ذراع ثمّ عُمل لها طبطاب،وجُدد بها ثلاث درجات ، ثمّ نقّلت وعُمل لها طبطاب هذا فضلاً عن تنقيل مايحتاج إليه فيالساقية جميعها .

---

(١) وثيقة رقم ٦١٧٦ (MAD) ص ١ ،١٠ . بارشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول .

٢- بازان مزدلفة الصغير :

رُمّم به جدار بطول ٣٠ ذراعاً ،وقد ٥ أذرع ،هذا فضلاً عن تجديد بناء ثلاث قطع أسفل البازان،بطول ١٠ أذرع،وعرض ذراع واحد، وقد ٤ أذرع ،ثمّ نقّل ذلك كله بطول٤٠ ذراعاً،ورممت به درجة ونقّلت بطول ١٨ ذراعاً وقد ذراعين (١).

٣- بازان الرصف في طريق منى :

يحتوى هذا البازان على ٧٤ درجة ،وشملت أعمال الإصلاح به تجديد وترميم وتنقيل بعض درجه ،وتجديد جدار دكة به ،وتجديد بناء جوانبه من الجهات الأربع التي كان طول دائر محيطها ٦٣ ذراعاً وقد ٣ أذرع ، وعرض ذراع واحد ،ثم نَقّلت جدران البازان من الداخل والخارج ، وجُدّد ونُقّل كبش باب (٢) البازان (٣).

٤ - بازان الصفا :

جُدد بناء جدار في أسفل وأعلى البازان ثم نُقّل من الداخل والخارج وجُددبناء جدار لرد السيل عن البازان بطول ٢٥ ذراعاً، وعرض $\frac{1}{6}$ ١ ذراع ،وقد ٢ ذراع ،ثم نقّل من الجهتين (٤) .

٥- بازان رباط التكارنة :

جُددت له درجة وجدار في أسفله وعمل له طبطاب (٥).

---

(١) الوثيقة السابقة ، ص ١ ،١٠.

(٢) كلمة كبش الباب تطلق محليا على مايعرف بالسكرجه وهي الجزء المحفور في قطعة الحجر أو الخشب التي يبيت فيها طرف محور مصراع الباب من جهة الجدار. انظر : مانويل جوميث مورينو المرجع السابق ص ٤٩٥.

(٣) الوثيقة السابقة ، ص ١٢.

(٤) الوثيقة السابقة ،ص ١٣.

(٥) الوثيقة السابقة ،ص ١٣.

٦ - بازان المسفلة :

شملت أعمال الإصلاح به ،ترميم وتنقيلجوانبه من الداخل والخارج على النحو التالي : الجدار الشرقي بطول ٢٦م ذراع ،وقد ٩ أذرع ، والجدار الغربي بطول ٢٦م ذراع ،وقد ١٢ ذراعاً ، والجدار الشمالي بطول ٥م ذراع ، وقد ١٠ أذرع ، ثمّ جُدد به بناء دكتين طول كل منهما ١٢ ذراعاً ،وعرض نصف ذراع ،وقد نصف ذراع ،ورُمم ونُقّل ٩ دروج داخل البازان و ١١ درجة خارج البازان ،كما تمّ ترميم بناء جدارين على جانبي الدرج (١) .

٧ - بازان الأغوات :

تم في شهر رجب عام ١١٢٤ هـ / ١٧١٢ م، إجراء تعمير وإصلاح في بازان الاغوات ، الذى هو من خيرات السلطان سليمان ،شملت تنقيل البازان ، وتجديد بناء درج خارج بابه ،مما يؤدى إلى ارتفاع مستوى الباب عن مستوى الأرض ،كي يسهل حمايته من عوادى السيول (٢).

٨ - تنظيف بازان بالمسفلة (٣).

٩ - تنظيف بازان اليمن بالمسفلة (٤)

وإضافةً إلى تلك الأعمال فقد قام الحاج محمد بيك بن حسين باشا (٥) بأمر من السلطان أحمد خان،فيما بين عامي ١١٢٤ - ١١٢٥هـ/١٧١٢-١٧١٣م، بتجديد بناء وتعمير جميع البازانات داخل مكة المشرفة وخارجها ،

---

(١) الوثيقة السابقة ، ص ٠١٣

(٢) وثيقة رقم ٦١٧٦ (MAD) ص ٠٣ بارشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول .

(٣) الوثيقة السابقة ، ص ٠٢

(٤) وثيقة رقم (٧) ص ١٤ بالملحق رقم (١) من هذا البحث .

(٥) انظر ص ١٤ من صورة هذه الوثيقة بالملحق رقم (١) من هذا البحث .

مما يحتاجه حجاج المسلمين وعامة المقيمين بهذا البلد الأمين[1].

ثانياً: الأعمال العمارية في الخرزات التي تقوم مقام البازانات:

يطلق عليها كلمة الموارد[2]. وقد تمّ تجديد بناء وتعمير جميع هذه الموارد على يد الحاج محمد بيك بن حسين باشا، فيما بين عامي ١١٢٤- ١١٢٥ هـ / ١٧١٢ - ١٧١٣م [3]، والتي منها:

١- قبة المقسم بالمعابدة:

شملت أعمال الإصلاح بها ترميم جدارها الغربي بطول ٢٣ ذراعاً وعرض ذراع واحد، وقد ٦ أذرع، وعُمل أساس دعامة ساندة عند الباب، والذي يؤدى إلى داخل القبة بطول ٥ر١ ذراع، وقد ٤ أذرع، وعرض ذراع واحد، ثمّ عَملت الدعامة بطول ٥ر١ ذراع، وعرض ذراع واحد، وقد ٦ أذرع، وعُمل للقبة كبشان، الأول وهو الكبير ويقع في شرقي القبة والآخر صغير يقع في جنوب القبة، وجَدد الدرج المؤدى للقبة من الداخل والخارج، وجُدد بناء دكة خلف وأمام الباب المؤدى للقبة، ورُممت دكة ملاصقة للقبة من الجهة الشمالية، بطول ١٧ ذراعاً، وقد ذراعين، ثم نقلت القبة من الداخل والخارج، وماجدد من جدارها مع البترة والدكتين الداخلية والخارجية، وأخيراً تمّ عمل طبطاب للقبة من الداخل والخارج، لمنع مياه الأمطار من التسرب إلى داخل مباني القبة والاضرار بها[4].

---

(١) وثيقة رقم ٦١٧٦ (MAD). بارشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول.
(٢) الوثيقة السابقة، ص ١، ١٢، ١٣.
(٣) الوثيقة السابقة، ص ١.
(٤) الوثيقة السابقة، ص ١٣.

٢- موردة بئر أبي دية :

جُدد بها جدار بطول ٤٢ ذراعاً ، وقد ٤ أذرع ، وعرض ذراع واحد ثمّ نُقلّمن الجانبين احدهما بقد ٤ أذرع،والآخر بقد ٣ أذرع،وجدد بناء دكة خاصة بالموردة بطول ٧ أذرع،وقد م١ ذراع،وعرض نصف ذراع، اضافةً إلى تجديد درجة،وتجديد وترميم خرزة البئر بطول ١٢ ذراعاً ، وقد ذراعين ،وعرض م١ ذراع ،وتنقيل الجدار القديم في الخرزة،وعُمل مجرى لتصريف الأوساخ بطول ٢٠ ذراعاً ، وقد ذراع واحد ،وعرض ذراعين (١) .

٣ - موردة سوق الليل قرب مولد النبي صلى الله عليه وسلم :

جُدد بناء الجانب الغربي منها بطول ١١ ذراعاً ،وقد ذراعين، وعرض م٣ ذراع ،ونُقل الجداران الشمالي والشرقي ،وجُدد بناء حوضين، الأول بطول ٢٢ ذراعاً ،وعرض نصف ذراع ،وقد م٢ ذراع ،والآخر صغير طوله م٥ ذراع ، وعرضه نصف ذراع ،وقده م١ ذراع ،ونقل حوض بطول ١٩ ذراعاً ،وقد م١ ذراع ، ثم نُقل دائر دك الموردة . وعُمل لها طبطاب في جانبها الغربي بطول ١١ ذراعاً ،وعرض م٣ ذراع ،ثمّ لدرجتيها الأولى بطول ١١ ذراعا ،وعرض م١ ذراع قائم ونائم والأخرى بطول م٢ ذراع ، وعرض م٤ ذراع قائم ونائم (يعني سطح الدرجة وارتفاعها)،وفرش داخل الموردة بالبلاط بطول ١٣ ذراعاً، وعرض م٧ ذراع ، وعُمل طبطاب لباطن الآبار (الفتحات التى يستقى منها) الغربية والشرقية ،إضافةً إلى عمل طبطاب في مناطق أخرى دعت الضرورة إلى عملها بالموردة (٢) .

---

(١) الوثيقة السابقة ، ص١٣.
(٢) الوثيقة السابقة ،ص ١٣.

٤ - موردة الشيخ المتوكل مقابل حمام النبي صلى الله عليه وسلم :

تمّ بها تجديد وتنقيل خرزة البئر ودكة شمال البئر ودكة جنوبه مع تنقيلهما (١) .

٥ - خرزة السوق الصغير عند حوش الأغوات :

تمّ تجديد بناء دائر محيط الخرزة بطول ٩ أذرع ، وقد مر٣ ذراع ، وعرض ذراع واحد ، ثم نقلت بقد مر٢ ذراع ، وعُمل لها طبطاب ، وجُدد للخرزة بناء دكة بطول مر٣ ذراع ، وعرض ذراعين ، وقد مر١ ذراع ، ثم نُقّلت (٢) .

المرحلة الثانية : الأعمال العمارية التي تمّت للبازانات في عهد لجنة عين زبيدة :

كان من أهم الحوافز التي حفزت لجنة عين زبيدة ، بعد أن شكلت عام ١٢٩٥ هـ / ١٨٧٨م على العناية بالبازانات والموارد ، ماكان يعانيه الناس من مشقة في سبيل الحصول على الماء ، بسبب تهدم بعض البازانات القديمة ، واستيلاء بعض الناس عليها وعلى بعض الموارد واستغلالها باحتكار الماء إضافةً إلى اتساع مدينة مكة المكرمة . كل ذلك كان دافعاً للجنة على إنشاء بازانات جديدة في مواضع مختلفة من البلد لسد احتياجات السكان (٢) .

ولكي ندرك مقدار الجهد الذى قامت به لجنة عين زبيدة في العناية بأمر البازانات والموارد سأقدم صورة لما كانت عليه الحال ، قبل ابتداء عمل هذه اللجنة مباشرة :

(١) الوثيقة السابقة ، ص ١٣ .
(٢) الوثيقة السابقة ، ص ١٣ .
(٣) وثيقة رقم ٤٦٥٩ ، ص ١٨ ، بمكتبة جامعة استانبول .

لقد حدث نتيجة للتوسع العمراني بمكة المكرمة في القرن الثالث عشر أن أصبحت بعض مواضع من قنوات الماء وخرزاته، تمر من تحت بعض البيوت، كما قل الماء بصفة عامة، فصار المأخذ الوحيد المسبل داخل مكة هو بازان المروة . أما المآخذ الأخرى فقد استولى عليها بعض المحتكرين الذين تغالوا في بيع الماء بأسعار مرتفعة، كما أخذ أصحاب العمائر الذين بنوا بيوتهم فوق بعض الخرزات يؤجرونها للسقائين سنويا، مما شجع السقائين على بيع الماء للناس بأسعار مرتفعة أيضاً (١) .

وأول الأماكن التي كان يباع فيها ماء قناتي عين عرفة وعين حنين هو خزان ماء، واقع في بستان قصر البياضية، إلا أن أشراف آل زيد منعوا ذلك، وسبّلوه، أمّا المواضع الأخرى التي تمّ استغلالها واحتكار الماء بها، فكانت مجموعة من الموارد، في كل من التشمة بالقرب من قصر الشيبي، وشارع المعابدة، والعدل، وفي بستان المفتي، وفي برحة الرشيدى، وفي بستان السيد عثمان نائب الحرم وبالسبع آبار، وفي بئر صابونة، وفي بيت زيني توكل، وفي بيت الحاكم، وفي بيت شبانه، وفي حوش حبحب وفي بيت السنوسي، وفي بيت خاصكي، وفي بيت الشيبي، وفي بازان الشيبي، وفي بيت الشريف مبارك بن شنبر، وفي بيت الشريف منصور، وفي تكية محمد علي باشا، وبالقرب من باب ابراهيم، وفي بيت السيد إسحاق، وفي رباط أبي نمي، وفي بازان الأغوات، وبالقرب من زاوية عبد القادر الجيلاني، وبالقرب من بازان المروة، وبالقرب من باب القطبي، وفي بيت حسين عرب، وفي بيت الفتيني، وبالقرب من بازان العمرة (٢) .

ومما هو جدير بالذكر أن جميع هذه الموارد، كانت سابقاً مسبلة لجميع الناس، ومع مرور الزمن، استولى عليها بعض الناس، وأجروها

---

(١) الوثيقة السابقة ، ص ١٠-١١.
(٢) الوثيقة السابقة ، ص ١١-١٢.

للسقائين ، الذين تغالوا في بيع الماء للناس[1] ، حتى أصبح بيع ٤٠ أوقة من الماء بريال واحد في موسم الحج، وبأربعة أو خمسة قروش في غير الموسم[2] .

ونتيجة لذلك فقد اهتمت لجنة عين زبيدة ، بالعناية بالبازانات القديمة ، وأنشأت مجموعة من البازانات في مناطق مختلفة من البلد، ليسهل على جميع السكان الحصول على الماء بكل يسر وسهولة[3].

ويمكن تفصيل أعمال لجنة عين زبيدة منذ بدئها في العمل عام ١٢٩٦ هـ / ١٨٧٨ م على الوجه التالي :

١- بازان المروة: كان يوجد فوق بازان المروة حوض طوله ٤م ، الا أنه لم يكن يفي باحتياجات السكان ،لازدحام الناس حوله، وتضايقهم خصوصاً في موسم الحج ، لذلك عملت اللجنة ،على إعادة بناء هذا البازان بشكل أكبر مما كان عليه ،وبنت في جهتيه أحواضاً جديدة للمياه[4] .

٢ - هدم بناء بازان العمرة، وإعادة بنائه بصورة مكنت الناس من الاستفادة منه[5] .

٣- أنشأت لجنة عين زبيدة، مجموعة من البازانات الجديدة في طريق عرفة، وبين عرفة ومزدلفة ،في منتصف الطريق ،وفي مزدلفة ،وتتصف هذه البازانات بضخامتها ،وكان يستفيد منها المارون خصوصا حجاج بيت الله الحرام[6] .

---

(١) الاوقة تساوى ١٢٨٠ غراماً .
(٢) الوثيقة السابقة ، ص ١٢.
(٣) الوثيقة السابقة ، ص ١٥ ، ١٧ ، ١٨ ، السيد عبدالله محمد الزواوى : المرجع السابق ص ٢٦.
(٤) الوثيقة السابقة ص ٢١.
(٥) الوثيقة السابقة ،ص ٢٤.
(٦) الوثيقة السابقة ،ص ١٥-١٧.

٤ - أنشأت اللجنة مجموعة من البازانات داخل البلد الأمين هي : بازان شعب عامر ، بازان شعب بني هاشم ، بازان القشاشية ، بازان سوق الليل ، بازان التمارة بسوق المعلاة ، بازان الشامية ، بازان الشبيكة ، بازان حارة الباب ، بازان جرول ، بازان في ميدان أبي بكر الصديق ، بازان أجياد ، بازان العساكر بأجياد(١).

ويمكن من خلال الوثائق التي عثرت عليها ، إلقاء أضواء على الدور الذى قامت به لجنة عين زبيدة في إنشاء بعض هذه البازانات وهي على الوجه التالي :

- بازان شعب عامر :

في عام ١٢٩٩ هـ / ١٨٨١م ، قام السيد على بن حسن العطرجي ، أحد أعضاء لجنة عين زبيدة ، بشراء أرض بمحلة شعب عامر ، من صندوق اللجنة لإنشاء بازان عليها وتحدثنا وثيقة مؤرخة بعام ١٢٩٩ هـ / ١٨٨١م عن تفاصيل ذلك ، حيث ورد ما نصه " هذه حجة شرعية صدرت بمحكمة مكة البهية ... مضمونها حضر إلى المجلس الشرعي الجناب المحترم السيد على بن المرحوم السيد حسن العطرجي وهو ... من أعضاء مجلس القومسيون المخصوص للنظر في أمور عين زبيدة التي منها سقيا أهالي مكة المكرمة ، ومن المتحدثين عليها والمباشرين لأعمالها ومصالحها من عمارة ومرمة وإنشاء مشارع لاستقاء عموم الناس منها وكل مايلزم لذلك ، في شراء المبيع الآتي ذكره من أصل المال المرصد بصندوق تعميرات عين زبيدة بمكة المكرمة ، لأجل إنشاء المبيع الآتي ذكره أدناه مورداً لاستقاء عموم الناس منه وذلك بعد الإذن للسيد على المذكور في شراء البيع الآتي ذكره أدناه ...وحضر لحضوره في البيع الاتي ذكره أدناه وقبض الثمن وتسليم

---

(١) الوثيقة السابقة ، ص ١٩-٢٠ ، ٢٣ - ٢٥ ، السيد عبدالله محمد الزواوى : المرجع السابق ، ص ٢٦ ، إبراهيم رفعت : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٢٢.

المبيع إلى المشترى والمكاتبة والاشهاد ... الشيخ محمد بن المرحوم الشيخ ظافر بن تركي البيشي بوكالته عن موكليه ... اشترى المكرم السيد علي بن المرحوم السيد حسن العطرجي ... من بائعه الحاضر معه بالمجلس الشرعي الوكيل المكرم الشيخ محمد ظافر بن تركي البيشي ... كامل القطعة الأرض البيضاء الخالية عن البناء ... الكائنة هذه الأرض بمكة المكرمة بحارة شعب عامر الآتي تحديدها أدناه ... بثمن قدره وجملته ... مايتان وخمسون ريالاً فرانساً ثمناً حالا ... وماهو الواقع جرى وحرر في اليوم الثالث عشر من رجب الفرد من عام التاسع والتسعين والمايتين والألف "(١)

بازان الشامية :

في ١٠ جمادى الأولى من عام ١٢٩٩ هـ / ١٨٨١ م، قامت لجنة عين زبيدة بشراء أرض بمحلة الشامية، ووقفتها لمصالح عين زبيدة، كي تقيم عليها بازاناً(٢)، وقدرت قيمة الأرض بمبلغ ستة الاف ريال (٣)، وبعد أن تمّ إنشاء البازان قامت اللجنة بإصلاحه عام ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦م (٤).

بازان الشبيكة :

كان سكان حي الشبيكة ومن بعدهم جهة حارة الباب، يجدون صعوبة في الحصول على الماء، ذلك أن المورد الوحيد لهم كان بازان العمرة، فعملت اللجنة على شراء أرض بحي الشبيكة، وأنشأت بها بازاناً (٥).

---

(١) انظر حجة شرعية صدرت بمحكمة مكة المكرمة عدد (٥٨٧) وتاريخ ١٢٩٩/٧/١٣هـ.

(٢) انظر حجة شرعية صادرة من المحكمة الشرعية الكبرى بمكة المكرمة عدد (٣١٣ وتاريخ ١٣٥٥/٨/٤هـ.

(٣) وثيقة رقم ٤٦٥٩، ص ٢٤. بمكتبة جامعة استانبول.

(٤) السيد عبدالله محمد الزواوي. المرجع السابق ص ٢٨.

(٥) الوثيقة السابقة، ص ٢٤-٢٥.

بازان حارة الباب :

تم في عام ١٢٩٩ هـ / ١٨٨١م ،وبتوجيهات من ناظر لجنة عين زبيدة، الشيخ عبدالرحمن سراج ، استبدال الدار العائدة لمصالح عين زبيدة، والآيلة إليها بالشراء الشرعي ، من صندوق لجنة عين زبيدة ، ببايكتين خربتين ،تقعان بمحلة حارة الباب ، للإستفادة من أرضها ، في إنشاء بازان جديد عليها(١) .

بازان العساكر بأجياد :

لم تكتف لجنة عين زبيدة بتوفير المياه لسكان مكة ،وحجاج بيت الله الحرام فقط ،إنما توجه اهتمامها أيضاً الىإنشاء بازان لعساكر الدولة كي تساعدهم فيالحصول على الماء ، مما ييسر السبيل لأداء مهامهم المنوطة بهم . ويتضح ذلك من خلال وثيقتين : الأولى منهما تمثل خطابا رفعه أحد المسئولين عن لجنة عين زبيدة في ٢٥ صفر عام ١٢٩٨ هـ / ١٨٨٠م إلى ولي الأمر بمكة ، بطلب موافقته على منح لجنة عين زبيدة قطعة أرضبأجياد،لإقامة بازان لعساكر الدولة بها ،فقد وردمانصه " المعروض إلى أعتاب الكريمة لإحاطة دولتكم ، أنالقطعة الأرض المطلوب لزوم عمل بازان لأجل سقيا العسكر وخلافهم بأرض جياد ،وهي الأرض المعروفة في ظهر قهوة الذهب مما يلي اليمن ،مربعة طول وعرض في عشرين ذراعاً ، لزوم صدور الأمر الكريم بتقرير في الأرض المذكورة لتكون من الخيرات الجارية لدولتكم في هذه البلدة المطهرة ، هذا مالزم به المعروض، ومع ذلك الأمر والارادة لحضرة من له الأمر أفندم .

ختم . قومسيون تعميران عين زبيدة (٢)".

وعلى ذلك فقد صدر الأمر بقبول ذلك،وإنشاء البازان على قطعة الأرض المشار إليها في غرة ربيع الأول عام ١٢٩٨ هـ /١٨٨٠ م حيث

---

(١) انظر حجة شرعية صدرت بمحكمة مكة المكرمة عدد(٤٨٢) وتاريخ ١٠/٢/١٢٩٩هـ.

(٢) انظر وثيقة رقم٣٧ في دفتر تسجيل صكوك الموارد التابعة لعين زبيدة . مصلحة المياه والمجارى بالمنطقة الغربية.

ورد في الوثيقة الثانية مانصه : " الحمد لله وحده ،قد اطلعنا على ماهو محرر في هذه المذكرة فوقع التذكار عندنا موقع القبول والاستحسان وسمحنا في الأرض المذكورة بناء بازان لأجل سقي العساكر السلطانية وأثبتنا ذلك في دفتر الوقف ... غرة ربيع الاول عام١٢٩٨هـ" (١)

بازان أجياد :

أُنشئ بعد أن تبرع بأرضه أحفاد الشريف غالب ، وأحفاد الشريف عبد المطلب (٢) .

---

(١) انظر وثيقة رقم٣٧ في دفتر تسجيل صكوك الموارد التابعة لعين زبيدة . مصلحة المياه والمجارى بالمنطقة الغربية .

(٢) وثيقة رقم ٤٦٥٩ ،ص١٨-٢٦،بمكتبة جامعة استانبول .

سادسا : جهود العثمانيين في العناية بالحمامات :

سبقت الإشارة إلى أنه كان عدد الحمامات بمكة المشرفة في القـــرن التاسع الهجرى ثلاثة حمامات ، أشار الفاسي المتوفى عام ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨ م إلى حمامين منها بقوله : " حمامين أحدهما لأبي العباس أحمد بن إبراهيم بن مطرف المرى بأجياد وقفه على رباطه بالمروة والآخر لا أعرف مــــن ينسب إليه ،ولعله الحمام الذى بناه الجواد وزير صاحب الموصل"(١).أما الحمام الثالث فينسب للسلطان قايتباى الذى حج عام ٨٨٤هـ/١٤٧٩م(٢).

وفي حدود عام ٩٨٤ هـ / ١٥٧٦ م،أمر الوزير محمد باشا ببنـــاء حمام في وسط البلدة (٣)،ويحدثنا علي الطبرى المتوفي عام١٠٧٠هـ/١٦٥٩م،عن جهود العثمانيين في العناية بالحمامات بقوله " فلم يكن في مكـــــة الآن إلا حمامان ، أحدهما بالقرب من الشبيكة ويعرف بالوزير محمد باشا والثاني بسوق الليل قريباً من البئر المشهورة ببئر الشيخ،وكان إلـــى جانب هذا الحمام حمام معروف بحمام النبي ، ولم يعرف وجه الإضافـــة ، إلا أنه خرب ودمر وكنت أدركته عامراً يدخله الناس ،وكان بسوق الليـــل حمام آخر يعرف بحمام قلبه بفتح القاف واللام خرب ودمر وما أدركتـــه إلا متخربا ، وقد كان عامراً إلى حدود عام عشرة بعد الألف ، ثم إنه صـــار لزوجة زين الدين امبارك بن جلال رأس المباشرين فعمرته بيتاً...،وكـــذا للسلطان قايتباى حمام صغير تحت جدار ربعة بالسوق الكبير إلا أنه لـــم يستعمل في هذه الأزمان القريبة (٤) .

---

(١) تقي الدين الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ،ج ١ ص ٢٠.

(٢) علي الطبرى : المصدر السابق ،ورقة ٤٥. كذلك أنظر ماسبق ص ١١٠ من هذا البحث .

(٣) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ص ٢٦٠.

(٤) على الطبرى : المصدر السابق ،ورقة ٤٥.

وتعد / ستمر كل من حمام سوق الليل وحمام الوزير محمد باشا ، يؤديان دورهما في خدمة مكة المشرفة الى عام ١٣٨١ هـ/ ١٩٦١م ،حيث هدم حمام الوزير محمد باشا ، لصالح مشروع توسعة المسجد الحرام[١] . أما حمام سوق الليل فإن معظم مبانيه لاتزال قائمة إلى الآن .

ونستنتج مما تقدم عن هذا الحمام أنه ربما يرجع تاريخ بنائه إلى نهاية القرن العاشر الهجري، وبداية القرن الحادى عشر الهجري .

ويشير الصباغ المكي (١٢٤٣ هـ - ١٣٢١هـ / ١٨٢٧-١٩٠٣م) إلى هذين الحمامين بقوله : " وأما في زماننا فلم يكن بها إلا حمامين حمام في باب العمرة بناه محمد باشا ... سنة تسعماية وأربعة وثمانين ... والآخر في القشاشية "[٢] .

وبعد أن قامت لجنة عين زبيدة، بأعمالها العمارية في العيون وقنواتها عام ١٢٩٦ هـ / ١٨٧٨م، أوصلت مياه القناة إلى حمام القشاشية مقابل أجر يدفع للجنة عن الماء ،مما أدى إلى تشغيل الحمام بعد تعطله من سنين عديدة [٣]، وسأقوم بدراسة هذا الحمام دراسة عمارية مفصلة فيما بعد [٤] .

---

(١) صرف لمديرية الأوقاف مبلغ ٥٠٠٠٠٠ ريال تعويضاً عن الحمام .انظر صك شرعي صدر بمحكمة مكة المكرمة رقم (٩٧٥) وتاريخ ١٨/٣/١٣٨٢هـ .

(٢) محمد بن احمد الصباغ المكي : المصدر السابق ورقة ١١٩ .

(٣) وثيقة رقم ٤٦٥٩ ، ص ١٩ ، بمكتبة جامعة استانبول .

(٤) انظر ص ٤٥٥ من هذا البحث .

سابعا: جهود العثمانيين في العناية بالميضآت (حنفيات الوضوء) (١)

سار العثمانيون على سياسة من سبقهم ، في العناية بالميضآت فأصلحوا الميضآت القديمة ورتبوا لها البوابين(٢)، وأنشأوا ميضآت جديدة ، لتفي باحتياجات السكان وحجاج بيت الله الحرام المتزايدة .

ففي أول سنة ٩٢٤ هـ/ ١٥١٨م، جدّد الأمير مصلح الدين الرومي ميضأة (٣) وأنشأ السلطان مراد بن سليم ميضأتين بمكة المشرفة ،كانت الأولى عام ٩٩٥ هـ / ١٥٨٦م تحت سبيله ، الواقع على يسار الخارج من باب الصفا ، أحد أبواب المسجد الحرام من الجهة الجنوبية الشرقية، والميضأة الأخرى في لصق جدار مدرسة السلطان قايتباى ، بالقرب من باب السلام ، أحد أبواب المسجد الحرام من الجهة الشرقية (٤) . إلا أن حنفية السلطان مراد بالصفا، قد انمحى أثرها في عهد ابن المحب الطبرى المتوفى عام ١١٤٣ هـ / ١٧٣٠م ، وأعيد بناؤها فيما بعد، وظلت تؤدى دورها إلى عام ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧م . ويظهر ذلك، بالنظر إلى ما أورده لنا كل من ابن المحب الطبرى ، وحسين عبد الله باسلامة .

فقد أشار ابن المحب الطبرى المتوفي عام ١١٤٣ هـ / ١٧٣٠م إلى حال ميضأة الصفا، الواقعة تحت سبيل السلطان مراد، حيث ذكر أنها قد أصبحت خرابا على عهده ، وصار محل السبيل والميضأة مقهى(٥). أما حسين عبد الله باسلامة، فقد قال " أما الحنفية التي كانت بالصفا وغيرها من الحنفيات

---

(١) شاع استخدام هذه الكلمة في العصر العثماني .

(٢) أحمد السباعي : المرجع السابق ص ٥٩٥ .

(٣) عبد القادر الجزيرى : المصدر السابق ج ١ ص ١٠٣ .

(٤) عبد الكريم القطبي : المصدر السابق ، ص ١٣٠ ، علي السنجارى: المصدر السابق ج ٢ ورقة ١٢٦ ، حسين عبد الله باسلامه : المرجع السابق ، ص ٩٦-٩٧ .

(٥) علي الطبرى : المصدر السابق ، ورقة ٤٦ .

الأخرى التي كانت خلف هذه المدارس على مسيل وادى ابراهيم ،فقد هدمت وأزيلت سنة ١٣١٥ هـ ، بسبب كون الذين كانوا يتوضأون منها يلوثون أبواب المسجد الحرام بالوحل الذى يتراكم من فضلات المياه المتراكمة من الوضوء . وأما الحنفية التي كانت بجوار مدرسة السلطان قايتباى فلا تزال آثارها باقية في ذلك الموضع لحد الآن (توفي المؤلف في شهر رجب عام ١٣٥٩هـ) على يمين الداخل إلى المسجد الحرام من باب مدرسة السلطان قايتباى،ولم أقف على تاريخ هدمها ولا اسم الهادم لها"(١)

وفي عام ١٠٥٣ هـ/ ١٦٤٣م ، أنشأ أمير مكة ، الشريف زيد بن محسن بن حسين ، ميضأة تحت دار بأجياد (٢) . هذا وقد استمرت مجموعة من الميضآت التي أنشئت قبل العصر العثماني،تؤدى دورها في هذا العصر، حيث أشار إلى ذلك علي الطبرى المتوفي عام ١٠٧٠ هـ / ١٦٥٩م بقوله " أما المياضي فالموجود الآن خمسة ، ميضأة ... السلطان الناصر محمد بن قلاوون وميضأة ... السلطان الغورى ... وميضأة ... الخواجا شمس الدين ... وميضأة ... السلطان الملك الأشرف أبي النصر قايتباى ... وميضأة ... كاتم السر"(٣).
وفي ذى الحجة عام ١١٣٣ هـ / ١٧٢٠م ، قدم من مصر إلى مكة معمار ، معه أموال، لإنشاء بعض العمائر بمكة ، فأعطى الشيخ سالم بن عبدالله البصرى (٤) مبلغاً من المال ، لعمارة ميضأة بجوار مسجد الإجابة ، فعمل الشيخ سالم البصرى على بناء الميضأة عام ١١٣٤هـ / ١٧٢١م (٥) .

---

(١) حسين عبدالله باسلامة : المرجع السابق ، ص ٩٧.
(٢) محمد بن علي المعروف بابن المحب الطبرى: المصدر السابق ج٢ ورقة ٣٥، محمد بن أحمد الصباغ المكي : المصدر السابق ، ورقة ١٥٨.
(٣) علي الطبرى: المصدر السابق ،ورقة ٤٦.
(٤) كان إماما محدثا في الحرمين الشريفين.توفي عام ١١٦٠ هـ . انظر الشيخ عبدالله مرداد أبو الخير : المرجع السابق ج١ ص ١٦١-١٦٢.
(٥) محمد بن على المعروف بابن المحب الطبرى : المصدر السابق ،ج ٣ ورقة ٦٦ ،٧٦ . أما عن موقع الميضأة فانظر الدراسة العمارية ص ٤٦٣ من هذا البحث .

وفي عام ١٢٦٦ هـ/ ١٨٤٩م ، في عهد السلطان عبدالمجيد خان عمّر حسيب باشا ميضأة[١] ، بالقرب من شارع المسعى[٢] . وفي عام ١٢٨٥ هـ / ١٨٦٨م ، أنشأت أسماء بنت أحمد أفندى الصديقي ميضأة بالنقا إلى جوار مسجد ، ومكتب تعليم أطفال[٣] .

وبعد أن بدأت لجنة عين زبيدة أعمالها العمارية عام ١٢٩٦هـ/١٨٧٨م اهتمت بتجديد عمارة الميضآت القديمة ،وامدادها بماء القناة ،إضافة إلى إنشاء ميضآت جديدة ،في مواقع مختلفة من البلد[٤] . فعملت على ترميم ميضأة ،بالقرب من بازان المروة ،وأمدتها بالماء عبر قناة من البازان المذكور، حيث كان من أهم أسباب هذا العمل ،ما اكتشفه بعض أعضاء اللجنة ، من أن هذه الميضأة كانت من عمل سلاطين آل عثمان الذين أوقفوا عليها بعض الأوقاف ليصرف من ريعها ناظر الوقف على عمارة الميضأة . ومع مرور السنين ،خربت القنوات التى كانت تمدها بالماء ،وأخذ ناظر الوقف يؤجرها سنوياً ، مما أدى بالمستأجر إلى نقل الماء من بازان المروة إلى الميضأة ،بواسطة السقائين ،وبهذا أخذ المستأجر يتقاضي أجراً معلوما ، مقابل الوضوء[٥]. كما لحظ أعضاء اللجنة وجود ميضأة ، بتكية محمد علي باشا ،كان يتم نقل الماء إليها بواسطة السقائين من بعض خرزات القناة ، المارة بقرب ذلك الموضع ، الأمر الذى يؤدى في أغلب الأحيان إلى عدم كفاية الماء ،لذلك عملت اللجنة على إيصال الماء إلى الميضأة عن طريق مواسير فخارية[٦].

---

(١) كان يشغل منصب والي الحجاز من آخر سنة ١٢٦٤ هـ إلى شوال سنة ١٢٦٦هـ انظر السيد أحمد زيني دحلان: المصدر السابق ،ص ٣١٥.

(٢) محمد بن أحمد الصباغ المكي : المصدر السابق ورقة ١٥٨. أما عن موقع هذه الميضأة فانظر الدراسة العمارية ص ٤٦١ من هذا البحث.

(٣) حجة شرعية صدرت بمحكمة مكة المكرمة برقم ٧٩٣/٨٠٢ في ١٣٢٧/١١/٢٩هـ.

(٤) وثيقة رقم ٤٦٥٩، ص ٢١-٢٢، بمكتبة جامعة استانبول ، أيوب صبرى : المرجع السابق ج ٥-٧ ، ص ٧٥٦-٧٥٨ . أما عن مواقع هذه الميضآت فانظر الدراسة العمارية ص ٤٥٨ من هذا البحث.

(٥) الوثيقة السابقة ، ص ٢١.

(٦) الوثيقة السابقة ،ص ٢١-٢٢.

كذلك عملت اللجنة[1] على إيصال ماء القناة إلى كل من ميضأة بمنى الحميدية ، وميضأة في اتصال مكتبة المرحوم الشرواني، وميضأتين بالقرب من باب الوداع[2] .

أما أعمالهم في إنشاء الميضآت، فقد تمّ لهم إنشاء تسع ميضآت في مناطق مختلفة من البلد[3] .

...

---

(١) الوثيقة السابقة ، ص ٢٣-٢٤.

(٢) الوثيقة السابقة، ص ٢١-٢٢.

(٣) الوثيقة السابقة، ص ٢١-٢٣ ، ٢٥ ، أيوب صبري : المرجع السابق ، ج ٥-٧ ، ص ٧٥٦-٧٥٨.

ثامناً : أعمال العثمانيين في العناية بإنشاء السدود ومجارى تصريف المياه :

نهج العثمانيون سياسة من سبقوهم في العناية بتأمين مكة المكرمة من عوادي السيول ، بإنشاء السدود، وإنشاء مجارٍ لتصريف مياه السيول تمتد من شمال غرب المسجد الحرام، إلى خارج مكة جهة الجنوب ،بالإضافة إلى الاستفادة من هذه المجارى، بإنشاء شبكة لتصريف المياه المستعملة وربطها بهذه المجارى .

وكي ندرك أهمية تلك الجهود، فإن من الأفضل عرض أمثلة لأخطار السيول على مكة المشرفة في العصر العثماني ،حتى تتضح الرؤية في أسلوبهم لمعالجة تلك الأخطار.

فقد اجتاحت مكة المشرفة ، سيول في أعوام مختلفة ،سجلها المؤرخون[1] ،وكان من أهمها سيل دهم مكة المشرفة عام ١٠٣٩هـ/١٦٢٩م ، تسبب في موت أعداد كبيرة من الناس ،وهدم الكعبة [2]، وقد وصف لنا أحداثه علي الطبرى المتوفى عام ١٠٧٠ هـ / ١٦٥٩م بقوله " ومنها سيل عظيم مارأت العين مثله منذ زمان ،وقع في آخر يوم الأربعاء تاسع شعبان سنة تسع وثلاثين بعد الألف ،حصلقبله مطر وكان ابتداؤه بعد صلاة ظهر ذلك اليوم ،فدخل المسجد الحرام وقارب رأس القناديل في حاشية المطاف ،ودخل الكعبة المشرفة ، ومات بسببه خلق كثيرون بالمسجد الحرام وخارجه، وخربت بسببه دور عديدة وحمل أمتعة غالب الناس من بيوتهم وأخربها وحمل جماعة كثيرين فماتوا فيه ،ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ولم يزل كذلك من قريب عصر اليوم المذكور إلى قريب العشاء،

---

(١) على الطبرى: المصدر السابق ،ورقة ٥٦-٥٩ ، إبراهيم رفعت: المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٩٩-٢٠٠ ،محمد طاهر الكردى : المرجع السابق جـ ٢ ص ١٩٧-١٩٩ ، أبو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ،ملحق رقم ٣.

(٢) إبراهيم رفعت: المصدر السابق ،جـ١ ص ١٩٩-٢٠٠ ، محمد طاهر الكردى : المرجع السابق جـ ٢ ص ١٩٨ ، أبو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ،ملحق رقم ٣ ص ٣٢١.

وتعطلت الجماعة بالمسجد الحرام مغرباً وعشاء، وصبح ذلك اليوم الذى سيليه مظهره وامتلأ المسجد الحرام من الموتى والأوساخ والطين وذهلت العقول بسببه ...ثم وقع في اليوم الذى يليه سقوط جدران البيت الشريف "(١) .

ومنها سيل حدث عام ١٠٩١ هـ / ١٦٨٠م كان من نتيجته خراب أكثر بيوت مكة خصوصاً ماكان منها بسوق الليل والأطراف المنحدرة ،ودخل المسجد الحرام وبلغ ارتفاع الماء نصف الكعبة (٢).

وفي عام ١٣٢٥ هـ/ ١٩٠٧ م اجتاح مكة سيل عظيم ،يحدثنا عن آثاره إبراهيم رفعت،الذى حجّ في ذلك العام بقوله " وفي يوم السبت ٢١ ذى الحجة من سنة ١٣٢٥ هـ (٢٥ يناير سنة ١٩٠٨م) في حجتي الرابعة نزل مطر شديد وجرى السيل من كل جهات مكة بشكل لم يسبق له مثيل منذ ٣٣ سنة على مابلغني،وكان السيل أشبه بماء النيل المنحدر وكان عرضه وهو ينحدر من جبال جياد نحو ٥٠ متراً ... وقد ملأ الشوارع حتى كان عمقه في شارع وادى ابراهيم مترين تقريبا ،ولذلك دخل المسجد الحرام من أبوابه وانقطع المرور من الطرق إلا بالسباحة،وكنت ترى الشقادف ورحال الإبل سابحة في الماء وتسمع دوياً للماء كأنك أمام القناطر الخيرية وقد فتحت عيونها "(٣).

تنوعت أعمال العثمانيين لدرء أخطار السيول،مابين سدود أنشئت لحماية مكة المشرفة ،وسدود أنشئت لحماية قنوات المياه وخرزاتها ويمكن تفصيل ذلك على الوجه التالي :

---

(١) علي الطبرى : المصدر السابق ،ورقة ٥٧-٥٨.

(٢) إبراهيم رفعت: المصدر السابق ،جـ ١ ص ٢٠٠ ،محمد طاهر الكردى : المرجع السابق جـ ٢ ص ١٩٨ ، أبو الوليد الازرقي : المصدر السابق ملحق رقم ٣ ص ٣٢٣.

(٣) إبراهيم رفعت: المصدر السابق ،جـ ١ ص ٢٠٠.

أولا: انشاء السدود لحماية مكة المشرفة :

أنشئ سد بالأبطح[١] وسد بأجياد ، وأصلح سد عند ملتقي قناة عين عرفه بقناة عين حنين .

ولإلقاء مزيد من الضوء على هذا النوع من السدود نعرض لكل سد من هذه السدود على انفراد :

- سد الأبطح :

جاء أمر السلطان قانصوة الغوري إلى الأمير باش خير الدين بك المعمار، في سادس رمضان سنة ٩١٦ هـ / ١٥١٠ م، بعمل سد ناحية جبل حراء ، حتى لايدخل السيل مكة ،وإن دخلها كان دخوله ضعيفا[٢].

وينسب للأمير خشكلدى سنجق جده من عام ٩٤٥ هـ / ١٥٣٨م إلى عام ٩٥١ هـ / ١٥٤٤م إعادة بناء هذا السد[٣].

وكان للسيول تأثير كبير على بناء هذا السد ،منها سنة ٩٧١ هـ / ١٥٦٣م، حيث جاء عنها " وثلمت (نقضت) السيول خمسة مواضع من سد الأمير خشكلدى رحمه الله تعالى "[٤] ، ومنها سنة ١٠٣٩ هـ / ١٦٣٩م، حيث ورد عنها " أنه في يوم الأربعاء تاسع عشر رمضان من سنة تسع وثلاثين والف ... أقبل السيل من سائر النواحي وثلم السد الذى يلي جبل حراء المسمى جبل النور ثلمة كبيرة وعلا عليه فدخل المسجد"[٥] .

---

(١) سأشير إلى أهمية موقع هذين السدين ، ودراسة سد الابطح من الناحية العمارية . انظر ص ٤٦٥ من هذا البحث .

(٢) محمد طاهر الكردى :المرجع السابق ،ج ٢ ص ٢٠٦.

(٣) عبدالقادر بن أحمد بن فرج ت ١٠١٠ هـ / ١٦٠٢م :السلاح والعدة في تاريخ بندر جده ،٣٩-٤٠ ، تحقيق وترجمة ودراسة أحمد بن عمر الزيلعي وريكس سميث ،محمد طاهر الكردى : المرجع السابق ،ج ٢ ص ٢٠٦.

(٤) عبدالقادر الجزيرى : المصدر السابق، ج ٢ ص ١١٣٨.

(٥) عبدالملك العصامي : المصدر السابق ،ج ٤ ص ٤٢٨.

ونتيجة للسيول التي اجتاحت مكة المكرمة عام ١٢٠٨ هـ / ١٧٩٣ م ، انهدم هذا السد ، فأعاد بناءه السلطان (سليم الثالث) عام ١٢١١ هـ / ١٧٩٦م[1]

سد أجياد :

يقول الكردى الذى طبع كتابه عام ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥م : " يوجد إلى يومنا هذا سدّ قديم بأجياد ، ويسمى سد أجياد ، وهو سد معروف عمل في سفح الجبل ، ليرد السيل النازل منه إلى الشارع العام ، ولولا هذا السد لكان السيل قوياً من هذه الجهة ، ولاندرى متى بني هذا السد ، ونظن أن بناءه يرجع إلى مائة سنة أو مائتين والله تعالى أعلم "[2].

وبالرجوع إلى صاحب مخطوط أنباء الجليل المؤيد مراد خان ، ببناء بيت الوهاب الجواد ، أمكن تحديد العام الذى حفر فيه أساس بناء هذا السد وهو عام ١٠٤٠ هـ/ ١٦٣٠م [3] .

اصلاح سد بالقرب من ملتقى قناة عين عرفة بقناة عين حنين :

تكبد صندوق لجنة عين زبيدة بعد إنشائها عام ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م ، مبالغ طائلة في سبيل إصلاحه[4].

---

(١) وثيقة رقم ١٠٧١٧ كرتون ٤٧/٢٦٦ تصنيف خط الهمايون ارشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول . وكذلك انظر صورة هذه الوثيقة رقم (٩) بالملحق الاول من هذا البحث .

(٢) محمد طاهر الكردى : المرجع السابق ، جـ ٢ ص ٢٠٦ .

(٣) محمد بن على بن بلال الصديقي البكرى : أنباء الجليل المؤيد مراد خان ببناء بيت الوهاب الجواد ، ورقة ٥٣ ، مخطوط مصور بالميكروفيلم من دار الكتب الظاهرية برقم (١٨٤٢) مركز البحث العلمي وإحياء التراث الاسلامي . جامعة ام القرى .

(٤) أيوب صبرى : المرجع السابق ، جـ ٧ ، ص ٧٥٣ .

ثانيا: بناء السدود لحماية قنوات المياه من أخطار السيول :

نظراً لأضرار السيول المتتالية على قناة عين عرفة بوادي نعمان في أعوام ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨م ، ١٠٩٠ هـ/ ١٦٧٩م، ١٠٩٢هـ/١٦٨١م فقد عمل محمد أغا مير ياخور ، السلطان محمد بن إبراهيم عام ١٠٩٣ هـ/ ١٦٨٢ م على بناء سد بوادي نعمان، ليمنع طغيان مياه السيول على القناة وخرزاتها(١).

وأثناء الأعمال العمارية التي تمت لقنوات المياه عام ١١٢٤ هـ / ١١٢٥ هـ / ١٧١٢- ١٧١٣م ،تم إنشاء مجموعة سدود ، في مناطق مختلفة، لحماية القناة وخرزاتها من تأثير السيول على النحو التالي:

١- تمّ دك قطعة أرض في مجرى السيل بوادي المفجر ،بطول ١٢ ذراعاً وعرض ذراعين ،وقد نصف ذراع ،ثم عمل عليها جدار صغير ،لرد السيل بطول ٦ أذرع،وعرض ذراع واحد،وقد ذراع واحد(٢) .

٢- جُدد بناء سد برأس البلاط الكبير، لحماية القناة من تأثير السيول وذلك ببنائه بطول ٣٢ ذراعاً،وعرض نصف ذراع ،وقد ذراع واحد، ثم نقل من الجهتين،وعمل به ٤ فتحات ليجرى عبرها الماء بهدوء من الجهتين (٣) .

٣ - جدد بناء جدر ،لرد السيل عن القناة برأس الوبر بطول ١٥ ذراعاً وعرض نصف ذراع،وقد ذراع واحد(٤) .

---

(١) سبقت الاشارة إلى بناء هذا السد . لكن نظرا لترابط هذه الفكرة مع عنوان المبحث، فإن من الأفضل عرضها هنا. انظر ما سبق ص ١٦٨ من هذا البحث . السيد عبدالله محمد الزواوي : المرجع السابق ، ص ٢١ ، ٢٢ ، إبراهيم رفعت: المرجع السابق ، جـ ١ ص ٢٢١.

(٢) انظر ص ١٤ من صورة وثيقة رقم(٧) بالملحق رقم(١) من هذا البحث .

(٣) وثيقة رقم ٦١٧٦ (MAD) ص ٣ بارشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول.

(٤) الوثيقة السابقة ،ص ٤.

٤ - جدد بناء جدر لرد السيل، عن مقسم بركة المصري بالمعلاة، بطول ٤م ذراع، وقد ذراعين، وعرض نصف ذراع، ثم نقل من الجهتين [١].

٥ - جُدد بناء جدر لرد السيل عن حوض الكسار، بطول ٥م ذراع، وعرض ذراع واحد، وقد نصف ذراع، ونقل جميع ذلك، ثم عُمل على ظهر السد طبطاب [٢].

وقد عمل أمير مكة، الشريف الحسين بن علي، على مساعدة صندوق لجنة عين زبيدة عام ١٣٣٠ هـ / ١٩١١م، في بناء سد بوادي نعمان، ليمنع طغيان السيول على القناة [٣].

انشاء مجار لتصريف المياه وصيانتها :

سبقت الإشارة إلى وقوع المسجد الحرام، في بطن وادي إبراهيم، واعتراضه مجرى السيل، مما دفع خلفاء المسلمين إلى وضع الحلول، لمنع أضرار السيول عن المسجد الحرام، وتمثل ذلك في أمور كثيرة، كان من بينها إنشاء مجار خاصة في شمال غرب المسجد الحرام، لاستدراج مياه السيول ونقلها بعيداً إلى الجنوب حيث يمكن الاستفادة بها في أمور أخرى كالزراعة [٤]. ولنفس الغرض اعتنى العثمانيون بهذه المجاري إنشاء وتجديدا وصيانة، إضافة إلى محاولة تخفيض أرض مجرى السيل حول المسجد الحرام، لمنع دخول الماء من الأبواب، وأنشأوا شبكة لتصريف المياه المستعملة وربطوها بمجاري تصريف مياه الأمطار.

---

(١) الوثيقة السابقة، ص ١ ، ١٣.
(٢) الوثيقة السابقة ص ٥.
(٣) السيد عبد الله محمد الزواوي : المرجع السابق ص ٣٧ ، ٣٨. وقد سبقت الإشارة إلى أعمال أمير مكة الحسين بن علي في بناء هذا السد. انظر ماسبق ص ٢٤٤ من هذا البحث.
(٤) انظر ماسبق ص ١١٨ من هذا البحث. اما عن صفة هذه المجاري فانظر الدراسة العمارية ص ٤٦٧ من هذا البحث.

فقد تمّ على يد الأمير خشكلدى سنجق جدة من عام ٩٤٥ هـ/ ١٥٣٨ م ، الى عام ٩٥١ هـ / ١٥٤٤م، عمل مجرى لتصريف مياه السيول والأمطار(١) .

وفي عهد السلطان مراد الثالث عام ٩٨٣م / ١٥٧٥م، تمّ توجيه السيل في مجراه الطبيعي، بقطع الأتربة المتراكمة فيه ، عبر السنين ، من جهة باب إبراهيم، في الجانب الجنوبي الغربي من السجد الحرام ، ومن جهة باب الزيادة ، في الجانب الشمالي الغربي من المسجد الحرام ، وكان ذلك بسبب دخول السيل إلى المسجد الحرام من أبوابه عام ٩٨٣هـ / ١٥٧٥م، نظرا لارتفاع مستوى أرضية المجرى الطبيعي حتى غطى درج المسجد الحرام ، من الجانب الجنوبي الغربي بالتراب ، إذ لم يبق منها إلا ثلاث درجات بعد أن كانت خمس عشرة درجة ، وكانت تقطع الأرض ، وتحمل جميع مخلفات السيول من هذه الجهة إلى خارج البلد جهة المسفلة كل عشرة أعوام مرة فغفل عن ذلك نحو ثلاثين عاماً إلى أن علت الأرض ودخلت السيول المسجد الحرام .(٢)

وقد قام بهذه الأعمال القاضي حسين المالكي ، وأحمد بك اللذان تمّ على يديهما إيصال قناة عين عرفة إلى مكة عام ٩٧٩ هـ / ١٥٧١م، هذا وتم لهما تخفيض مستوى أرض المجرى ، قدر عشر درجات من الدرج الذى كان يصعد منه إلى المسجد الحرام ، مما أدّى إلى مرور السيل في مجراه الطبيعي وانسيابه إلى المسفلة في يسر وسهولة وعدم دخوله المسجد الحرام(٣).

---

(١) عبد القادر الجزيرى : المصدر السابق، ج ١ ص ١٠٢ .

(٢) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق، ص ٣٤٢-٣٤٣ ، عبد الكريم القطبي: المصدر السابق ، ص ١٢٨-١٢٩ ، مؤلف مجهول: سلوك سبيل الرشاد لمولانا السلطان مراد، ورقة ٠٦٤ حسين عبد الله باسلامة : المرجع السابق، ص ٩٤-٩٥ ، فوزيه حسين مطر: المرجع السابق ص ١٩٠ .

(٣) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ص ٣٤٢-٣٤٣ ، عبد الكريم القطبي : المصدر السابق ، ص ١٢٨-١٢٩ ، على الطبرى: المصدر السابق، ورقة ٥٧ .

كما تمّ عام ٩٨٣ هـ / ١٥٧٥م إعادة بناء سرب العنبة ؛ لاستدراج مياه السيول من الجهة الشمالية الغربية ونقلها الى جهة الجنوب الغربي لحماية المسجد الحرام ثم تسير المياه من هناك في مجرى السيل الطبيعي جهة المسفلة (١) . وفي عام ٩٩٤ هـ / ١٥٨٥ م ورد أمر السلطان مراد الثالث؛ بهدم بيوت ومدارس واقعة في الجهة الجنوبية الغربية من المسجد الحرام؛ لأنها كانت تضيق مجرى السيل، وعمّر عوضا عنها طواجن (٢) وجعلها مأوى للفقراء حتى لا يبيتون في المسجد الحرام (٣) .

ويشير قطب الدين الحنفي المتوفي عام ٩٨٨ هـ/ ١٥٨٠م؛ إلى ضرورة اهتمام ولي أمر المسلمين السلطان بالعمل على قطع أرض مجرى السيل كل عامين مرة، ويكون ذلك قانوناً لجميع ولاة أمور المسلمين؛ في مختلف العصور؛ كي يصان المسجد الحرام من دخول السيول ، ويشمل أمر قطع التراب؛ ونقله إلى خارج البلد؛ فكلما تأخروا في العمل زادت تكاليفه وصعب أمره (٤). غير أن السلاطين لم يأخذوا بهذا الرأى، حيث اتضح ذلك من إشارة عبد الكريم القطبي المتوفي عام ١٠١٤ هـ /١٦٠٥م إلى أن أرض

---

(١) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق، ص ٣٤٢-٣٤٣ ، محمد بن علي المعروف بابن المحب الطبرى : المصدر السابق ج ١ ورقة ٢٥٤.
وسوف أشير إلى مسار هذا السرب في الدراسة العمارية انظر ص ٤٦٨ من هذا البحث .

(٢) يقصد بناء مغطى بقباب ضحلة .

(٣) عبد الكريم القطبي : المصدر السابق، ص ١٣٠ ، علي السنجاري: المصدر السابق، جـ٢ ورقة ١٢٥ ، محمد بن على المعروف بابن المحب الطبرى: المصدر السابق جـ١ ورقة ٢٧١ ، فوزية حسين مطر : المرجع السابق، ص١٩١.

(٤) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق، ص ٣٤٣.

مجرى السيل قد امتلأت من الجانبين المذكورين، وصارت تحتاج إلى القطع والتنظيف (١) .

وفي عام ١٠١٩ هـ/ ١٦١٠ م، عمل سليمان أغا ميرياخور، السلطان محمد خان، على زيادة درج أبواب المسجد الحرام من الخارج، حتى تمنع السيل من الدخول ثم عمل في العام الذى يليه على تنظيف سرب العنبة، بعد أن سده السيل بالأتربة (٢) .

وعلى إثر السيل الذى اقتحم المسجد الحرام عام ١٠٣٩ هـ / ١٦٢٩م، أمر أمير مكة الشريف مسعود بن إدريس بن أبي نمي بفتح سرب باب إبراهيم ليسهل خروج ماء السيل من المسجد الحرام، إلى أن وصلهم من مصر المهندس رضوان بيك، الذى كان أول عمل عمله، تنظيف المسجد الحرام من الأتربة ، وقطع أرض مجرى السيل في الجانبين الجنوبي والغربي، والشمالي الغربي من المسجد الحرام (٣) .

وفي عام ١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م تم تنظيف سرب العنبة وتنظيف وإعادة بناء مخرج سيل المسجد الحرام من جهة باب إبراهيم (٤) .

وعلى إثر السيول التي اقتحمت المسجد الحرام في عامي ١٠٧٣هـ، ١٠٨٠هـ / ١٦٦٢ ، ١٦٦٩م تم تنظيف المسجد الحرام من الأتربة والأوساخ

---

(١) عبد الكريم القطبي : المصدر السابق ، ص ١٢٩ .
(٢) محمد طاهر الكردى : المرجع السابق ج ٢ ص ٢٠٦ .
(٣) على السنجارى : المصدر السابق ج ٣ ورقة ١٨٥ ، فوزية حسين مطر : المرجع السابق ص ٢٠٩ - ٢١٣ .
(٤) محمد بن علي بن بلال الصديقي البكرى : المصدر السابق ، ورقة ٩، ٥١ ، ٥٢ .

الناتجة عن السيل، ونظف سرب باب إبراهيم من الأتربة التي سدته [1]. وفي عام ١٠٩٣ هـ / ١٦٨٢م، أنشئ بأمر السلطان محمد خان مجرى لنقل مياه السيل إلى بركة ماجن [2]. وفي عامي ١١٢٤ ، ١١٢٥ هـ / ١٧١٢-١٧١٣م، عمل محمد بيك بن حسين باشا بأمر من السلطان أحمد خان [3] أعمالاً عمارية متنوعة في مجاري تصريف مياه الأمطار، جاءت على الوجه التالي :

١- في رجب عام ١١٢٤ هـ / ١٧١٢م، تم تنظيف سرب بئر زمزم وتعمير فتحاته ، ليسهل نقل الماء المستعمل والأوساخ إلى خارج المسجد الحرام ومنه إلى المسفلة [4] .

٢- تم تنظيف سرب باب الزيادة الكائن بحافة المسجد الحرام لمجرى السيول إلى آخره بالمسفلة، وذلك بنقل الأوساخ من السرب إلى ظاهره ثم تنقل بعد ذلك إلى المسفلة [5] .

٣ - تم تعمير أبواب المسجد الحرام المشتملة على فتحات لتصريف مياه الأمطار إلى السرب [6] .

٤ - تم تنظيف فتحة سرب باب إبراهيم كي يسهل تصريف المياه إلى خارج المسجد الحرام في مجرى السيل [7].

---

(١) محمد بن علي المعروف بابن المحب الطبري: المصدر السابق ، جـ ٢ ورقة ٣٩ ، ٤٧.

(٢) إبراهيم رفعت: المصدر السابق، جـ ١ ص ٢٠٠ ، ٢٢١ ، محمد طاهر الكردي : المرجع السابق جـ٢ ص ٢٠١.

(٣) قام محمد بيك بن حسين باشا بإنجاز الكثير من الاعمال العمارية في قنوات مياه العيون وفي البازانات والسدود. انظر ماسبق ص (٢١١ ، ٢٥٢ ، ٢٦٨ ، ٢٩١) من هذا البحث .

(٤) وثيقة رقم ٦١٧٦ (MAD) ص ١ ، ٢ . بارشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول .

(٥) الوثيقة السابقة ، ص ١ ، ٢.

(٦) الوثيقة السابقة ، ص ١ ، ٢.

(٧) الوثيقة السابقة ، ص ١ ، ٢.

٥ - تم تعمير فتحات سرب لتصريف المياه بمقام الحنبلي ومقام المالكي وبالمطاف [١] .

٦- تم تنظيف بالوعات المطاف الشريف، وبالوعات المسجد الحرام [٢].

٧ - تمّ تجديد بناء آخر بسرب تصريف مياه الأمطار بالمسفلة ، والذى تهدم بعض أجزائه ، بسبب السيول ، فجدد بناء حلق باب السرب ثم نُقّل من الداخل والخارج [٣] .

٨ - تم تطبيق (أي وضع مجاديل) وتنقيل بناء فتحبات السرب في كل من باب القطبي، وباب الباسطية ، وباب بني عتيق وباب العمرة [٤] .

وفي عام ١١٢٥ هـ / ١٧١٣ م، تمّ إصلاح وتكملة بناء سرب العنبة (سرب باب الزيادة) مجرى السيول ، بحيث يؤمن عدم عودة النجاسات والأوساخ منه إلى المسجد الحرام، والمطاف [٥] وذلك بتقسيم المناطق المراد إصلاحها وإعمارها إلى خمسة أجزاء ، الجزء الأول بطول ١٠٨ أذرع، والثاني بطول ٨٣ ذراعاً ، والثالث بطول ٣٠ ذراعاً ، والرابع بطول ٥٩ ذراعاً والخامس بطول ٣٠ ذراعاً ، وبدأت الأعمال بحفر موضع السرب الجديد، بطول ٢٦٠ ذراعاً ، وعرض ٣٫٥ ذراع ، وعمق ٢٫٥ ذراع ، ثم حفر مكان لتجميع القمائم، وإبعادها عن مجرى السيل. وتمّ تجديد بناء وتنقيل جدار، عند مخرج الماء من السرب ، بطول ٣ أذرع ، وعرض ذراعين ، وقد ذراعين ، ودكت الارض عند مخرج الماء بطول ٣ أذرع ، وعرض ذراعين ، وعمق ذراع واحده

---

(١) الوثيقة السابقة ، ص ١ ، ٢.
(٢) الوثيقة السابقة ، ص ١، ٢.
(٣) الوثيقة السابقة، ص ١ ، ٢.
(٤) الوثيقة السابقة، ص ١ ، ٢.
(٥) وثيقة رقم ٦١٧٦ (MAD) ص ٢١ ، بارشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول .

أما الجزء الاول فقد تم به تجديد بناء جانبي السرب بطول ١٠٨ أذرع ،وعرض ٢م ذراع،وقد ٣ أذرع،وبدأت بدك أسفل السرب ،وانتهت بعمل طبقان ودك على السرب،والجزء الثاني تم به تجديد بناءجانبي السرب بطول ٨٣ ذراعاً،وعرض ٢م ذراع،وقد ٣ أذرع،وبدأ أيضاً بدك أسفل السرب ، ثم نقل جدار السرب بطول ٦٢ ذراعاً ، ثم عمل عليه طبقان ودك بطول ٨٣ ذراعاً وبعد ذلك نقل ظهر السرب بطول ٦٢ ذراعاً . والجزء الثالث تم به تجديد بناء السرب بطول٣٠ ذراعاً،وعرض ٣ أذرع،وقد ٣ أذرع ، بدأ بدك أسفل السرب ثم نقل جدرانه من الداخل وعمل عليه طبقان ودك،ثم نقل ظهر السرب من الخارج. أما الجزء الرابع فقدجدد به بناء جانبي السرب بطول ٥٩ ذراعاً،وعرض ٢م ذراع،وقد ٣ أذرع ، بدأ بدك أسفل السرب وانتهى بعمل طبقان ودك .

أما الجزء الخامس والأخير، فقد أحكم طبطابه ، حيث لحظ أن سرب العنبة بالسوق الصغير ،يقع تحته في هذا الموضع، سقف قناة ماء عين عرفه وعين حنين،وكان يسيل الماء النجس إلى ماء العين الحلو فيفسده فعملوا على تنقيلها وعمل طبطاب للسرب .

وتم أثناء هذه الأعمال ،قطع الأرض وتنظيفها بعد أن علت من كثرة السيول،في الجانب الشمالي الغربي للمسجد الحرام[1] . وقد بلغ المنصرف على تلك الأعمال ، ١٢٠٣٤٧م غرشا[2] . أما شبكة تصريف المياه المستعملة، فقد اهتمت بإنشائها لجنة عين زبيدة ، بعد تأسيسها عام ١٢٩٥ هـ / ١٨٧٨ م . وسوف نشير إلى تفاصيل أعمالها في الدراسة العمارية بالفصل القادم[3] .

---

(١) وثيقة رقم ٦١٧٦ (MAD) ص ١ ، ٢ بارشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول .

(٢) انظر ص ١٤ من صورة هذه الوثيقة رقم(٧) بالملحق رقم(١) من هذا البحث .

(٣) وثيقة رقم ٤٦٥٩ ص ١٩-٢٥ بمكتبة جامعة استانبول .

وعلى إثر دخول سيل إلى المسجد الحرام في ٢٣ ذى الحجة عام ١٣٢٧ هـ/ ١٩٠٩م ، اهتم أمير مكة الشريف الحسين بن على بتنظيف الأتربة والأوساخ التى سدت مجارى التصريف، وذلك بتوجيه الأهالى بما فيهم أنجاله وسائر رجاله ، ودائرة البلدية ولجنة عين زبيدة لهذا العمل، فعملوا على تنظيف مجارى التصريف بغسلها بماء الآبار (١).

ويقول الزواوى الذى طبع كتابه عام ١٣٣٠ هـ/ ١٩١١م " فعسى أن يتوفق أولو الأمر لإصلاح مجارى مياه البلدة المحترمة، ومجارى ماء الحرم الشريف (ماء زمزم) لأن لكل من المائين دبل مخصوص واسع ، معمر قديماً ولكنهما قد تخربا من مدة طويلة ، ولم يلتفت إليهما أحد من أولى الأمر بل متى تراكمت المياه وفاضت في الأسواق يبرحون في دبل مير ياخور (السرب الرئيسي) قليلاً، حتى يمشى الماء ويكتفون بذلك ، لأن العمل في تلك الدبول وتنظيفها وتعميرها تعميراً حقيقياً جيداً، يحتاج إلى زمن طويل ، ومبلغ وافر من النقود ، فعسى الله أن يوفق أولي الأمر ويهيىء لهم من يقوم بالمقصود ، فيعمرون الدبلين معاً العمومي للبلدة والخصوصي للحرم الشريف وتدوم ملاحظتهم له حتى يستمر نفعه ولايخرب على الدوام "(٢) .

---

(١) السيد عبدالله محمد الزواوى : المرجع السابق، ص ٣٢-٣٣.

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٢-٣٣.

تاسعا : المنشآت المائية لخدمة الزراعة :

استفاد العثمانيون من فائض مياه قنوات العيون الواصلة إلى مكة المشرفة ، ومن إنشاء السدود. في إنشاء مناطق للرعي وبساتين زراعية ، يعود إنتاجها لمصلحة سكان هذا البلد الأمين والوافدين إليه من كل فج عميق . هذا فضلاً عن أنه تم في عهدهم إنشاء بساتين اعتمد بعضها على ماء المطر. واعتمد بعضها الآخر - في توفير المياه - على حفر الآبار (١).

وقد وصف لنا بعض الرحالة والمؤرخين مواقع بعض هذه البساتين وطريقة إمدادها بالماء ، إلا أنهم أغفلوا ذكر أسماء بعض الأشخاص الذين قاموا بإنشائها (٢). وعلى ضوء ماوصل إلينا من معلومات ، عن جهود العثمانيين في إنشاء البساتين وما يتصل بها من منشآت مائية يمكن عرض الموضوع على الوجه التالي :

ففي سنة ٩٤٧ هـ/ ١٥٤٠م عمّرت بركة ببستان بأرض حسان، تنسب لأمير مكة محمد بن بركات (٣)، وفي عشر الستين وتسعمائة من هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم، جدّد قاضي مكة محمد بن محمود بن كمال الرومي ، بستان بالمعلاة ، كان ينسب لناظر الحرم بيرم خجا ، وكانت أعمال التجديد باسم الخاصكية والدة السلاطين وعمل لسواقي هذا البستان مصروفاً يؤخذ كل عام من ديوان الذخيرة السلطانية (٤).

---

(١) سوف نتحدث عن مواقع بعض هذه البساتين وطريقة إمداد بعضها بالماء ووصف مافي بعضها من منشآت مائية في الفصل القادم إن شاء الله . انظر ص ٤٧٤ من هذا البحث .

(٢) منهم : عبد الغني النابلسي: المصدر السابق ص ٤٥٧ ، محمد أمين المكي: المرجع السابق ص٧٥ ،
Burckhardt, op. cit., p. 113, 127.
محمد صادق باشا : المصدر السابق ص ٥٩، ٦١ ، إبراهيم رفعت: المصدر السابق ص ١٨٢ ، ٢٠٧ ، ٢١٢ ، محمد طاهر الكردي: المرجع السابق: ج ٢ ص ٤١-٤٣ .

(٣) محمد بن عبد العزيز بن فهد ت ٩٥٤ هـ : حسن القرى في أودية أم القرى ورقة ٢٥ ، مخطوط مصور من معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي جامعة أم القرى ، رقم (١٠٧٠) .

(٤) عبد القادر الجزيري: المصدر السابق ، ج ١ ص ٧٣٧ .

ويحدثنا علي الطبري المتوفى عام ١٠٧٠ هـ/١٦٥٩م عن بساتين مكة المشرفة في عصره بقوله : " أما البساتين فمنها بسوق المعلا على يمين الصاعد بستان معروف ببستان مولانا السلطان سليمان خان وهو من جملة أوقافه وبستان منسوب إلى حسن أفندى شيخ الحرم ... يعرف سابقاً ببستان المدني ... وكان هذا البستان في الأصل لمولانا السيد ثقبة بن أبي نمي ثم انتقل بعد ذلك؛ ومنها بستان معروف ببستان الخاصكية وهو مشهور في هذا الزمن ببستان الصولاق لكونه ناظراً على أوقافها بمكة المشرفة ... وأول من أنشأ هذا البستان رجل ورد إلى مكة من الديار الرومية مستولياً مشيخة الحرم اسمه بيرم خجا وكان وصوله في سنة خمسين وثمانمائة ... ثم صار إلى الأفندى محمد بن محمود قاضي مكة المشرفة فقدمه لخانم سلطان بنت الوزير رستم باشا. وأمها والدة السلاطين خاصكي سلطان ومنها بستان ابن دخان ... ومنها بستان القطبي .. ومنها بستان القاضي حسين .. ال الى القايد احمد بن يونس وزير مكة من قبل الشريف إدريس بن الحسن فعمّره أحسن عمارة وغرس فيه أحسن الأشجار ... ومنها بستان القايد ريحان بن عقبة أحد عبيد مولانا السيد حسن بن أبي نمي ... ومنها بستان ... معروف بالخرمانية ... من أوقاف الأمير جاني بيك ،ومنها بستان قريب من المنحنا معروف أيضا ببستان جاني بيك... ومنها بساتين بأرض المنحنا علي يسار الصاعد إلى منى أحدها معروف ببستان المريسى وثانيها ببستان الظهيرة وثالثها معروف ببستان عمره والمعمّر لهذا البستان وأنشأه الملا نور الدين علي العصامي ثم صار بعد للشريف عمر/ ويمتلك الشريف مسعود بن ادريس فاشتهر بها (1) ابن حسن ، الذى كان أميرا على مكة المشرفة سنة ١٠٣٩ هـ / ١٦٢٩م بستاناً بالمعابدة كان يقيم فيه للراحة عند انحراف صحته (٢) . وينسب للوزير عثمان بن حميدان المتوفي عام ١١٢٣ هـ / ١٧١١ م (٣) بستان في المعابدة (٤)

(١) على الطبري : المصدر السابق ، ورقة ٤٧ ، ٤٩ .

(٢) محمد صالح الشيبي : المصدر السابق ،ص ١٦١ - ١٦٦.

(٣) عمل وزيراً لبعض أمراء مكة المكرمة، انظر السيد أحمد زيني دحلان : المصدر السابق ،ص ١٢٢ ،١٦٦.

(٤) أحمد السباعي: المرجع السابق ،ص ٣٩٧.

أشار عبدالملك العصامي إلى أنه كان موجوداً عام ١٠٩٥هـ/١٦٨٣م[١] .

وقبل إعادة بناء مسجد الجن عام ١١١٢ هـ / ١٧٠٠ م، على يد ابراهيم بك سنجق جده ،كان قد غرس في موضعه بعض الناس أشجاراً من نبق وريحان، وجعلوه بستاناً، بسبب اندراس موضعه من كثرة السيول التي أتت عليه ومن تطاول السنين ، بيد أنه تم في عام ١١١٢ هـ / ١٧٠٠م، كشف أساس بناء المسجد في موضع البستان، وقطع أشجاره لإعادة بناء المسجد[٢].

وينسب لأمير مكة عبدالله بن محمد ١٢٧٥-١٢٩٤هـ / ١٨٥٨-١٨٧٧م[٣]، بستان يقع جنوب المسجد الحرام[٤]، كما ينسب لشيخ سدنة الكعبة محمد صالح بن أحمد الشيبي ١٢٧١هـ -١٣٣٥ هـ/ ١٨٥٤ - ١٩١٦م ، بستان في البياضية [٥] .
ومن أوقاف المفتي علي بن عبدالقادر الصديقي بستان بالخريق [٦].

وقد أنشأ امير مكة عون الرفيق باشا ١٢٩٩ هـ -١٣٢٣/١٨٨١-١٩٠٥م [٧] بستاناً بجرول [٨]. إضافة الى أنه تمّ في عهده انشاء بستان آخر بجرول

---

(١) عبدالملك العصامي : المصدر السابق ج ٤ ص ٥٥٠
(٢) محمد بن علي المعروف بابن المحب الطبرى : المصدر السابق ج ٢ ورقة ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٣٠
(٣) الشريف مساعد بن منصور : المرجع السابق ،ص٤٤٠
(٤) إبراهيم رفعت : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٧٩٠
(٥) محمد صالح بن أحمد الشيبي . المصدر السابق ص ٣٩-٤٢
(٦) صك شرعي من كاتب عدل مكة المكرمة عدد (٣٠٤) وتاريخ ٢٠/ ٨/١٣٧٠ هـ .
(٧) الشريف مساعد بن منصور : المرجع السابق ، ص ٤٥٠
(٨) محمد لبيب البتنوني : المصدر السابق ، ص ٨٠ ، ابراهيم رفعت : المصدر السابق ،ج ١ ص ١٩٥-١٩٦٠

على يد والي الحجاز عثمان نوري باشا ، لينفق من ريعه على مصالح لجنة عين زبيدة ، إلا أنه نتيجة لطمع أمير مكة في الاستيلاء على بعض أموال بغير وجه حق ، حدث خلاف بينه وبين الوالي المذكور ، فادعى أمير مكة أن الوالي أنشأ البستان ، في موقع مقابر المسلمين ، ووشى به لدى الدولة العلية ، مما تسبب في استصدار أمر بعزل الوالي المذكور . ولاغاظته قام أمير مكة يوم رحيل الوالي عنها بقطع أشجار البستان وهدمه [(١)] إلا أنه أعيد إصلاحه على يد أمير مكة الحسين بن على عام ١٣٢٦ هـ/ ١٩٠٨م [(٢)].

وينسب للشيخ السبحي أرض زراعية ، تسقى من بئر باسفل مكة يقال لها السبحية [(٣)] ، ذكرها صاحب الرحلة اليمانية في سياق حوادث سنة ١٣٢٩ هـ/ ١٩١١م بقوله : " كان قيام دولة أمير مكة وجيشه المنصور من مكة المكرمة ، يوم الأحد السادس عشر من شهر ربيع الثاني سنة تسع وعشرين وثلثماية والف من الهجرة ، الساعة التاسعة نهارا ، ولم يزل سائراً حتى وصل بلاد العكيشية في الساعة الأولى من ليلة الإثنين ، وهذه البلاد هي بلاد أسرة المرحوم الشيخ " السبحي " من أهالي مكة " [(٤)] .

ويمكننا التعرف على بعض مزارع مكة التى كانت تعتمد في ريها على مياه الأمطار ، من وثيقة خاصة ببيع مزرعة بوادى المغمس ، ورد بها مانصه " هذه حجة شرعية صادرة من محكمة مكة المكرمة ، مضمونها هو أنه لما توفى الشريف علي الشهير بهندية في العام الثاني والأربعين بعد الثلثمائة والالف وكان من جملة ماهو مشهود به وهو معروف بملكيته بالشراء

---

(١) ابراهيم رفعت : المصدر السابق جـ١ ص ١٩٧ ، محمد عمر رفيع : المرجع السابق ، ص ٦٦ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ .

(٢) المرجع السابق ص٢٥٦ .

(٣) عاتق بن غيث البلادي : معجم معالم الحجاز جـ ٤ ص ١٦٥ .

(٤) شرف بن عبد المحسن البركاتي : المرجع السابق ص ١٤ .

الشرعي ...كامل البلاد والأرض الحرث المزروع العشرى الكائنة بوادى المغمس "[1] .

لجنة عين زبيدة :

- نشأتها :

في سنة ١٢٩٥ هـ / ١٨٧٨م، شكلت بمكة المكرمة لجنة لجمع التبرعات والصرف منها لصالح مشروعات المياه بهذه المدينة، ومشاعرها المقدسة، اطلق عليها اسم " لجنة عين زبيدة "[2] .

كان من أسباب قيامها مالحظه بعض أعيان مكة وحجاج الهند، من عسر في الحصول على الماء بمكة المكرمة والمشاعر المقدسة، وما ينال الحجاج من مشقة في سبيل ذلك، لعدم كفاية الموارد المالية المخصصة من الدولة لعمارة وصيانة منشآت المياه بالبلد الحرام ومشاعره المقدسة. ففي سنة ١٢٩١ هـ /١٨٧٤م، تبرع والي الحجاز في ذلك الوقت بثلاثين ألف قرش من ماله الخاص، لتوصيل المياه الى مكة عبر القنوات، لكنه توفي قبل أن يتم له ما أراد، فأعقب ذلك اجتماع جماعة من علماء مكة المكرمة وأميرها في ذلك الوقت الشريف عبد الله باشا، لجمع التبرعات من أهل البر والإحسان للصرف منها على إصلاح عين عرفة وعين حنين[3] .

---

(١) حجة شرعية صدرت من محكمة مكة المكرمة عدد (٢٤٣) وتاريخ ٢٠/١٠/١٣٤٣هـ.

(٢) السيد عبد الله محمد الزواوى : المرجع السابق ص ٢٤ ، ابراهيم رفعت : المرجع السابق ج١ ص ٢٢٢ ، عبد القادر ملا فلندر العضو الفخرى بهيئة عين زبيدة عام ١٣٤٦ هـ ، الخلاصة المفيدة لأحوال عين زبيدة، ص ٧-٨.

(٣) السيد عبد الله محمد الزواوى: المرجع السابق ص ٢٣-٢٤ ، محمد عمر رفيع : المرجع السابق ، ص٦٥-٦٦ . كان من علماء مكة الذين ساهموا في البدء بهذا الاجتماع الشيخ عبد الرحمن سراج مفتي مكة والشيخ عبد الله الشيبي فاتح بيت الله الحرام، والشيخ عبد الرحمن جمال والشيخ عبد القادر خوقير. انظر السيد عبد الله محمد الزواوى: المرجع السابق ، ص ٢٤.

والى هذا الحد يبدو أن أمر مشاركة الأفراد في سبيل الاهتمام بأمر مرافق المياه في هذه الفترة أمر طبيعي لاغرابة فيه، فقد سبق لنا معرفة الكثير عن أخبار الافراد، الذين اهتموا بأمر توفير المياه لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة في العصور الاسلامية المختلفة (١).

لكن الأمر الجديد الذى يلفت الإنتباه هو ماتنبه له بعض أفراد اللجنة، وعلى رأسهم الحاج عبدالواحد الميمني، الشهير بالحاج وحدانة، والحاج عبدالله عرب الميمني من الهند من أن أمر إصلاح منشآت المياه بهذه البلدة الحرام، ومشاعرها المقدسة، أمر عظيم يحتاج إلى نفقات هائلة، وأن ماتم جمعه في السابق لايحل المشكلة، ولابد من القيام بجمع التبرعات من جميع البلاد الإسلامية، مماحدا بهما إلى التطوع بالقيام بهذا العمل الخيرى. وحتى يكسبا عملهما الطابع الشرعي، فقد لجئا إلى أمير مكة، واستأذناه في مباشرة عملهما، فرحب بهما الأمير، وأعرب لهما عن سروره بذلك العمل، وأخبرهما بأن الدولة قد رتبت سنوياً ألف جنيه عثماني لهذا الغرض، وربما لاتأذن لأحد بالتدخل في هذا العمل، وأن الأمر يحتاج إلى مراجعة والي الولاية فذهبا إليه، واتفق الجميع على عرض الأمر على المسئولين في مقر الخلافة، للتصريح لهما بمباشرة عملهما نحو جمع الأموال من العالم الإسلامي. وقد صدرت الموافقة من المسئولين في مقر الخلافة، على تشكيل لجنة فيها من الأشراف والأهالى وأفاضل المجاورين عين لهم رئيس فخرى هو الشيخ عبدالرحمن سراج مفتى الأحناف، ليحفز المسلمين إلى التبرع لهذا العمل الخيرى، ويرأسهم الحاج وحدانه، للنظر في العمل والإشراف على الصندوق، بشرط أن تكون جميع الأعمال بنظر أعضاء اللجنة ورأيهم وليس للحكومة من سلطة عليهم إلا المساعدة (٢).

---

(١) انظر ماسبق ص ٩٧ من هذا البحث.

(٢) السيد عبدالله محمد الزواوى : المرجع السابق، ص ٢٤-٢٥، كان من بين اعضاء اللجنة الشيخ رحمة الله الهندى صاحب كتاب إظهار الحق. ابراهيم رفعت : المرجع السابق، ج ١ ص ٢٢٢.

ولالقاء الضوء على أسباب موافقة الدولة على قيام هذه اللجنة بهذا العمل الجليل وهو السعي وراء جمع التبرعات لتزويد مكة والمشاعر بكل ما تحتاجه من ماء ، يجدر بنا الإشارة إلى أنه في هذه الفترة كانت الدولة العثمانية تعاني المتاعب الكثيرة، نظراً لانشغالها في الحرب مع روسيا ، مما يحتم عليها تخصيص الأموال الهائلة للوقوف أمام أعدائها ، فضلاً عن سوء حالتها المالية نتيجة الديون المتراكمة عليها(١).

وبعد تأسيس اللجنة سنة ١٢٩٥ هـ/ ١٨٧٨م، مارست عملها بتوجيهات الحاج وحدانه بإخلاص مدة ثلاث سنوات، إلى أن حدث خلاف طفيف بين الحاج وحدانه وأعضاء اللجنة، وتدخلت الحكومة المحلية في أموال صندوق اللجنة، وأخذت منه بعض الأموال لإنشاء بعض العمائر الخاصة بها فبلغ ذلك أسماع المتبرعين الذين أوقفوا إرسال تبرعاتهم لاسيما مسلمي الهند، فاستاء أعضاء اللجنة وأوقفوا نشاطهم واستعفي الرئيس وأكثر الأعضاء (٢).

وبعد ذلك شكلت لجنة جديدة، بتوجيهات والي الحجاز الجديد ، عثمان نوري باشا(٣)، وكان رئيسها العامل فيها مير الاى أركان حرب

---

(١) محمد فريد بك المحامي: تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٦٢٧-٦٢٨؛ السلطان عبد الحميد الثاني : مذكراتي السياسية ١٨٩١-١٩٠٨م، ص ١١-١٢ ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت.

(٢) السيد عبدالله محمد الزواوي : المرجع السابق ، ص ٢٦.

(٣) محمد أمين المكي : المرجع السابق ص ٦ ، محمد رفيع : المرجع السابق ، ص ٢٣٧ ، ولي عثمان نوري الحجاز لأول مرة عام ١٢٩٩ هـ . وصف بالذكاء والشهامة وحب الخير، ينسب له إنشاء الكثير من العمائر بمكة منها مقر للحكومة ودار للبريد إلى غير ذلك كما ينسب إليه إيصال ماء عين إلى جدة سميت بالعين الوزيرية، وقع بينه وبين أمير مكة عون الرفيق خلافات بسبب ظلم الأمير وتعسفه ، وقد وشي به الأمير وحرض عليه جماعة من العلماء إلى أن نقلته الدولة من الولاية . ابراهيم رفعت: المصدر السابق ، ج ١ ص ١٩٧ ، محمد عمر رفيع :المرجع السابق ، ص ٢٣٣ - ٢٣٤ ، ٢٣٧.

مهندس عز تلو محمد صادق بك بن مصطفى الإسلامبولى [(١)] ، كما جعل لها رئيس فخرى هو الشريف حسين بن يحيى [(٢)] .

وقد قسمت وظائف العاملين بلجنة عين زبيدة سنة ١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م ، الى فريقين ، الفريق الاول يختص بوضع سياسة اللجنة ،وجمع التبرعات؛ أما الفريق الآخر فكان يختص بالإشراف على تنفيذ مشروعات اللجنة .

كان الفريق الأول يتكونمن الشخصيات التالية :

١- الرئيس الشريف حسين باشا بن يحيى .

٢- نائب الحرم السيد عثمان آفندى .

٣- الحاج عبدالواحد أفندى بن يونس .

٤- عبداللهعبدالواحد أفندى شيخ مشايخ الجاوة .

٥- ابراهيم عراقي .

٦- شيخ ابراهيم عجيمي

٧- صالح أغا الشربتجي .

٨- الحاج إسماعيل بن إبراهيم .

٩- قائمقامنائب الحرم السيد أحمد آفندى .

١٠- السيد عيدروس .

---

(١) اضافة إلى ذلك كان يشغل منصب رئيس المهندسين بمكة المكرمة سنة ١٣٠٣ هـ .انظر حجتين شرعيتين صدرتا من محكمة مكة المكرمة الأولى عدد (٢٤٥) وتاريخ ١٣٠٣/٧/٧ هـ،والثانية عدد (٢٦٢) وتاريخ ١٣٠٣/٨/٢٢هـ.

(٢) السيد عبدالله الزواوى : المرجع السابق ، ص ٢٧.
كان الشريف حسين بن يحيى سنة ١٣٠٣ هـ يشغل منصب قاضي ضمن أعضاء مجلس إدارة ولاية الحجاز، إضافة إلىعمله رئيساً للجنة الجراية (الصدقات) ولجنة عين زبيدة . حجاز سلنامه سنة ١٣٠٣ هـ ،ص ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٧ ، الطبعة الثانية بالمطبعة الميرية بمكة المحمية .

١١- أفندى سقاف .

١٢- شيخ مشايخ الهنود محمد حسين أفندى .

١٣- الشيخ عبدالله الكردى .

١٤- عبدالله شمس أفندى

١٥- منلا داود أفندى الميمني

١٦- الحاج أباطالب الميمني .

١٧- باش كاتب العين على أفندى [١]

أما الفريق الثاني فيتكون من :

١- الرئيس والمهندس الأول ميرالاى أركان حرب صادق بك .

٢- الحاج عبدالله عرب أفندى .

٣- منلاداود الميمني .

٤- الشيخ إبراهيم عجيمي .

٥- الحاج إسماعيل إبراهيم .

٦- الحاج أباطالب .

٧- كاتب لسان الاردو الشيخ علي ولي .

٨- صراف ومخزنجي الحاج اسحاق .

٩- ناظر العين ظاهر أفندى .

١٠- المعاون حسن كابلي .

١١- قسام العين إسماعيل [٢] .

مع التنويه إلى أنه قد يشترك أحد هذه الشخصيات في نشاط الفريقين . وقدتنوبلت رياسة هذه اللجنة بين شخصيات مختلفة نذكر منها : المعلم على الشقيرى وحبحب والشيخ عبدالقادر خوقير وغيرهم [٣]، وكان

---

(١) حجاز سلنامه سنة ١٣٠٣ هـ ص ٥٧-٥٨ .

(٢) المرجع السابق، ص ٥٨ .

(٣) السيد عبدالله محمد الزواوى : المرجع السابق ، ص ٢٧

رئيساً لها عام ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧م سلطان بن هاشم محمد الداغستاني (١)

ويبدو أن أمر اللجنة قد اضطرب قبل عام ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦م ،فقد أشار الزواوي في أخبار هذه السنة ،إلى أن أمير مكة الشريف علي باشا، قد أمر بتشكيل لجنتين لجمع التبرعات ، الأولى بمكة تحت رئاسته والأخرى بالطائف ، إلا أن أمر استمرارها لم يدم طويلاً ،فقد وجدنا أنه بمجرد وصول الشريف الحسين بن علي إلى مكة أميراً عليها في أواخر سنة ١٣٢٦ هـ ،أمر بتشكيل لجنة جديدة لعين زبيدة ، بعد أن عرض الأمر على والي الولاية في ذلك الوقت دولة كاظم باشا (٢) .

وقد تمّ تحديد الأسس التي تشكل عليها اللجنة ومهامها على الوجه التالي :

أ- الأسس التي تمّ إعادة تشكيل لجنة عين زبيدة عليها :

١- يعتبر أوائل شهر محرم لعام ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩م،بداية تكوين اللجنة وعملها .
٢- العمل على تجنب جميع الأمور التي أدت إلى انحلال اللجنة وتفككها في السابق .
٣- العمل على تكوين اللجنة بحيث تكون قوية مترابطة مثل حالتها الأولى التى نشأت فيها سنة ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م،زمن الحاج وحدانة .
٤- إن إتخاذ أى قرار ،يجب أن يكون بإجماع أغلبية أعضاء اللجنة .
٥- يكون للجنة الحرية التامة في اتخاذ أى قرار يؤدى إلى مصلحة المياه بمكة ، بدون معارضة من الحكومة السنية،بعد نظر والي الولاية إليه .

---

(١) أنظر حجة شرعية صادرة من محكمة مكة المكرمة عدد (٥٧٩) وتاريخ ١٣١٥/١٠/١٢ هـ ، يشير الزواوى إلى أن هذه الشخصية شغلت رياسة اللجنة أيضاً سنة ١٣٢٢ هـ . أنظر السيد عبدالله محمد الزواوى : المرجع السابق ، ص٢٧ .

(٢) المرجع السابق : ص ٢٨-٢٩ .

٦- يجب على الحكومة السنية مساعدتها ومعاضدتها في كل أمر يحتاج إليه .

٧ - يشترط فيمن يرشح لتولي منصب العضوية باللجنة، أن يكون من العلماء أو السادة المجاورين، ممن اشتهر بالعفاف والاستقامة والديانة، وحاز ثقة العموم وعرف بالرأى والبصيرة له معارف بالدول الاسلامية ليحصل على الإعانات[(١)].

وعلى هذه الأسس تم انتخاب أعضائها من العلماء والسادة المجاورين المشهورين في الدول الإسلامية، من الأتراك، والهنود، والجاوة، وأهل بخارى[(٢)]، ولم يكتف الشريف الحسين بن على، أمير مكة بذلك في سبيل الاهتمام بأمر اللجنة، بل بنى لها مقراً فوق بازان المسعى [(٣)]، إضافة إلى توجيهه السيد عبدالله محمد الزواوى رئيس اللجنة، بجمع كل مايتوصل إليه من معلومات، خاصة من كتب التاريخ عن أحوال العيون المغذية لمكة والمشاعر [(٤)]، يستدل بها على تلاقي أخطاء من سبقوه، والسير على الأساليب الصحيحة في معالجة مشكلة نقص المياه بهذه المدينة ومشاعرها المقدسة .

أما مهام لجنة عين زبيدة فقد حددت على الوجه التالي :

١- العمل على زيادة كمية المياه المتدفقة إلى مكة عبر مجارى عين حنين وعين عرفة .

٢- عمارة المجارى .

٣- صيانتها من الخراب .

٤- ملاحظة أعمال العمارة والصيانة وتنظيمها .

٥- تتخصص مجموعة من الأعضاء بالكتابة إلى بعض الجهات لأخذ التبرعات والمساعدة في إتمام عمارة منشآت المياه .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢-٤ ، ٢٩ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٩ .

(٣) محمد عمر رفيع : المرجع السابق، ص ٢٤٢ ، ٢٥٦ .

(٤) السيد عبدالله محمد الزواوى : المرجع السابق ص ٤ .

٦ - تتخصص مجموعة بنشر المقالات في الصحف لإيضاح حالة نقص المياه بمكة .

وفي سنة ١٣٤١ هـ/ ١٩٢٢م، وجه أميرمكة الشريف الحسين بن علي الأهالي والمجاورين، لانتخاب أعضاء جدد باللجنة بدلاً من الأعضاء الذين توفوا أو الذين رحلوا عن مكة، وقد تم له ما أراد[١] .

وعلى الرغم من اهتمام أميرمكة الحسين بن على، برعاية اللجنة وتشدد اللجنة في أمر عدم تدخل الحكومة المحلية في أمرها إلا بالمساعدة فإننا نجد بعض التجاوزات من الوالي التركي فؤاد باشا[٢]، الذى لم ترض أعماله بعض المسلمين في ولاية الحجاز ، وأدت في ذات الوقت إلى وقف الإعانات عن اللجنة فبعد أن تسلم زمام العمل بالولاية صادق بعض ذوى الأغراض، ووضع ضريبة تقدر بريال مجيدى على كل نفر من حجاج جاوة ، وطبع لذلك بطاقات وأشار إلى أنها لصندوق عين زبيدة ، وختمها بختم مجلس إدارة عين زبيدة ، واستمر في عمله هذا إلى أن استولى على صندوق العين ، ووظف به بعض الأشخاص الذين كان منهم الرئيس ، مما أدى إلى شيوع أعماله للمتبرعين ، فأوقفوا الإعانات ووقفت لجنة عين زبيدة أعمالها ، إلى أن سافر الوالي، وبعد ذلك رجع للجنة تجمعها واهتمامها بأمور المياه وقامت بالكثير من الأعمال[٣] .

---

(١) عبدالقادر ملا فلندر : المرجع السابق، ص ١٠ .

(٢) يرجح أنه تولى أمر ولاية الحجاز قبل الثورة العربية التي قادها أميرمكة الحسين بن على ضد الأتراك عام ١٣٣٤ هـ . أحمد السباعي: المرجع السابق ، ص ٦٠٦ .

(٣) عبدالله محمد الزواوى : المرجع السابق ص ٣١ .

وسائل اللجنة في تدبير الأموال لتحقيق أهدافها :

انقسمت مصادر دخل اللجنة إلى قسمين ، أحدهما جمع تبرعات عينية ، والآخر أوقاف وقفها المسلمون للصرف من ريعها لصالح مشروعات المياه بمكة (١)

ويمكن تتبع أعمال اللجنة في جمع التبرعات على الوجه التالي:

بعد أن صدر أمر السلطنة ، بتشكيل لجنة عين زبيدة سنة ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م ، شرع أعضاؤها في جمع التبرعات ، حيث تبرع أمير مكة الشريف حسين باشا بمبلغ (٧٥٠) ريالاً مجيدياً ، وتبرع والي الولاية ناشد باشا ، بمبلغ (٢٥٠) ريالاً مجيدياً ، وتبرع جملة من التجار والأهالي ، كل على قدر استطاعته وكتبوا إلى جميع البلاد الإسلامية خصوصا مصر والهند ، وأعلنوا ذلك في الجرائد بجملة من اللغات ، وسافر بعض أعضاء اللجنة إلى الهند لجمع التبرعات (٢) .

وفي سنة ١٢٩٦ هـ / ١٨٧٨ م ، تبرع الحاج عبدالرحمن سراج بمبلغ (٥٠٠) روبية أي مايعادل (٥٠٠٠) قرش (٣) ، وتبرع حاكم رانبور كلب علي خان (حج سنة ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م) بمبلغ (١٠٠٠٠٠) مائة ألف روبية وتبرعت ملكة بهوبال سيده شاه جهان بيكم بمبلغ عشرين الف روبية وأيضا من مشاهير أصحاب الخيرات عبدالغني بهادر خان ، وابنه محمد إحسان الله خان تبرع كل منهما بمبلغ عشرين الف روبية ، وتبرع السيد عبدالواحد بن يونس المقيم بكلكتة ، بمبلغ (٢٥٠٠) روبية ، وأرسلت هذه

---

(١) انظر حجة شرعية صدرت من محكمة مكة المكرمة عدد ٥٧٩ وتاريخ ١٢/١٠/١٣٠٥ هـ ، وحجة شرعية صدرت من محكمة مكة المكرمة عدد ٦٤٤ وتاريخ ٤/٦/١٣٣١هـ .

(٢) أيوب صبرى : مرآة الحرمين ، ج ٥ ـ ٧ ، ص ٧٥١-٧٥٢ .

(٣) الروبية الواحدة تساوى عشرة قروش في ذلك العهد ، أيوب صبرى : مرآة الحرمين ، ج ٥ ـ ٧ ، ص ٧٥١-٧٥٢ .

الأموال مجمعة من الهند مع الحاج نور محمد زكريا إلى جدة، التى ما أن وصلت حتى لهجت السنة الأهالى والمجاورين بالدعاء للمتبرعين بالخير . وبذلك يكون مجموع المبلغ الوارد من الهند (١٦٢٥٠٠٠) قرش[1].

وعلى إثر التبرعات التي وصلت صندوق لجنة عين زبيدة عام ١٢٩٦هـ/١٨٧٨م، من الهند ، تأثرت الدول الإسلامية ، وبدأت تنشىء هيئات لجمع الإعانات ، لتحقيق أهداف لجنة عين زبيدة، فعملت هيئة في مصر شجعت الناس على مساعدة أهل بلد الله الحرام، عن طريق نظارة المعارف واستطاعت في أقصر وقت، أن تجمع من مصر (١٥١٦٧) جنيه وتبعثها الى مكة، وقد تم جمع المبلغ كالآتي :

(٤٢٠٠) ليرة[2] من الغربية ، و (١٦٠٠) ليرة من المنوفية ، (١٢٢٦) ليرة من القليوبية ، و (٦٠٠) ليرة من قنا ، و (٧٨) ليرة من مديرية الجيزة ، والباقي من خديوى مصر والمأمورين في الدوائر الحكومية، وأرباب الحمية من مصر[3] .

في سنة ١٢٩٧ هـ / ١٨٧٩م، تبرع غني أفندى من نواب الهند بمبلغ (٤٠٠٠) ليرة عثمانية[4]، وأرسل من مصر إمداد خمسة وعشرون الف جنيه مصرى مع أحد معاوني الداخلية، وبرفقته أحد المهندسين المشهورين لمشاهدة العمارة الجارية في منشآت المياه[5].

---

(١) المرجع السابق ، جـ ٧ ، ص ٧٥١-٧٥٢.

(٢) الريال يساوى (٢٨) قرشاً والليرة تساوى ١٥٤ قرشاً . انظر أيوب صبرى : المرجع السابق ، جـ ٧ ، ص ٧٥٣.

(٣) المرجع السابق ، جـ ٧ ، ص ٧٥١-٧٥٢.

(٤) المرجع السابق ، جـ ٧ ، ص ٧٤٨-٧٤٩.

(٥) محمد باشا صادق : المصدر السابق، ص ٦٤ ، ابراهيم رفعت : المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢٢٣.

وقد كتبت في المطبوعات المصرية ، أن المحصل من مديرية الغربية سيصل إلى خمسة الاف ليرة ،وسيرسلمايتحصل عليه من التبرعات من المديريات التي لم تصل إعانتهمبعد ، وفي ٢٦ ذى الحجة سنة ١٢٩٧هـ/ ١٨٧٩م ، نشر في جريدة (الوقت) انه قد جمع من مسلمي الهند حتى الآن ستمائة ألف روبية (١) .

كمانقلت جريدة الحوادث ،من جريدة الوطن المصرية عدد (٤٤٨٩) وعدد (٤٥٠٣)،أنه قد بلغت إعانة الهند لصندوقلجنة عين زبيدة (٦٧) ألف جنيه مصرى ، وأرسل رئيس جمعية الهند عبداللطيف خان ابنه إلى السويس،لعقد اجتماع مع جمعية مصر الخيرية،وتم إرسال احمد ناشد بك من مصر،لمراقبة صرف الأموال باللجنة (٢) .

ونتيجة لحسن نية الأمر العظيم،الذىتقوم به لجنة عين زبيدة، لخدمة بلد الله الحرام ،وحسن نية المأمورين والقائمين عليها صار لها تبرعات منشتى بقاع العالم الإسلامي (٣).

وقد حددت واردات لجنة عين زبيدة من تاريخ ٥ ذى الحجة سنة ١٢٩٦ / ١٨٧٨م،حتى تاريخ ١١ شوال سنة ١٣٠٢ هـ / ١٨٨٤م،ومصروفاتها على النحو التالي (٤):

---

(١) أيوب صبرى: المرجع السابق ،ج ٥-٧ ،ص٥٧٢٠

(٢) المرجع السابق ،ج ٥-٧ ، ص ٥٧٢٠

(٣) عبدالله محمد الزواوى: المرجع السابق ،ص ٣-٤٠

(٤) وثيقة رقم ٤٦٥٩ ص ٣٢ بمكتبة جامعة استانبول ٠

غـــــروش		بيان الواردات
١٥	٧٩٥٠٨٨	مبلغ مخصص سنوياً من طرف خزينة ولاية الحجـــاز لمصالح المياه بمكة .
٢٢	٥٣٢٨٢٦٧	إعانات الممالك المصرية
٢٥	٤٩٤٣٤١٣	إعانات الهند
٠٠	٦٣٥١٦٤	إعانات تجار مكة المكرمة وغيرهم
١٥	٩٨٨٢٣	إعانات ولاية سورية
٢٠	١٠٦٤٩٣	مبلغ تمّ استرداده من المعلمين والعمال أثناء العمل وسجل كإيرادات
١٠	٥٢١١٤	إجارات اوقاف عين زبيدة
٠٥	٩٨٦٣	مبلغ يرسل سنوياً من أطيان ناحية أوفو بالممالك المصرية
١٥	١٠١٧٠	واردات غاز خانة الخاصة بعين زبيدة
٧ــ	١١٩٧٩٣٩٨ قرش	المجموع الكلي

وقد بلغت مصاريف لجنة عين زبيدة على أعمالها من تاريخ ٥ ذى الحجة عام ١٢٩٦ هـ/ إلى ١١ شوال عام ١٣٠٢ هـ/١٨٨٤م، مبلغ ٣٥ر١١٧٣٢٤٠٩ غروش .

وفي سنة ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦م، أمر أمير مكة الشريف علي باشا بجمـــع إعانات جبرية من سكان مكة ، وجدة ، والطائف ، ووجه أعضاء اللجنة بالكتابة إلى الآستانة العلية ، بقصد جمع تبرعات من جميع الولايات لمساعدة صندوق لجنة عين زبيدة في تحقيق أهدافه . وتمّ له جمع نحو عشرة آلاف جنيه من مكـــة ، ونحو ٤٦ ألف جنيه من الآستانة (١) .

وبعد أن تمّ إعادة تشكيل لجنة عين زبيدة سنة ١٣٢٧ هـ/ ١٩٠٩م، علــى يد أمير مكة الحسين بن علي ، أخذ أعضاء اللجنة في تحرير الكتب إلى بعض

---

(١) السيد عبدالله محمد الزواوى : المرجع السابق، ص ٢٧-٢٨.

الدول الاسلامية) لاستنهاض أصحاب الثروة والخير ،في تقديم المساعدات لصالح صندوق لجنة عين زبيدة ، ونشروا لذلك أيضاً المقالات في الصحف مما أدّى إلى تدفق الإعانات خصوصاً من مصر والهند وجاوة (١) .

وقد أشار الزواوى في ختام كتابه (بغية الراغبين وقرة عين أهل البلد الأمين فيما يتعلق بعين الجوهرة السيدة زبيدة أم الأمين) الذى طبع سنة ١٣٣٠ هـ/ ١٩١١م) إلى دعوة المسلمين في كافة الأرض بتقديم المساعدة لإقامة منشآت المياه بمكة المكرمة والمشاعر المقدسة ،فقال: " فكلمن يدعي من المسلمين في سائر الأقطار محبة هذه البلدة المحرمة ومحبة البيت المعظم وجيرانه ،ويعلم احتياج الجميع إلى الماء،فإن كانت محبته صادقة لايرضى لنفسه أن يقيم في بلده مرفه الحال مطمئن البال منعماً بأنواع النعم وأهل بلد الله الحرام محتاجون إلى بل حلوقهم وازدراد ريقهم ،وله قدرة على مساعدتهم ومعاونتهم ولو بفلس واحد ،ولايعينهم بذلك فهو كاذب وفعله ينافي المحبة الصحيحة الصادقة ... فكيف نصدق دعوى محبة هذا البيت المعظم وجيرانه من الذين يضعون الآلاف في سبيل السرف ... ولايرسلون للإنفاق فيمصالحه شيئاً ... والمأمول من جميع المسلمين في أقطار الدنيا أن يتذكروا ... أن المساعدة ...في سبيل إجراء الماء في بلد الله رحمة " (٢)

...

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٠.

(٢) المرجع السابق ،ص ٤٢-٤٥.

الفصل الثالث

دراسة عمارية لمنشآت المياه في العصر العثماني

١ ـ العيون وقنواتها

٢ ـ الآبار

٣ ـ البرك

٤ ـ الأسبلة

٥ ـ البازانات

٦ ـ الحمامات

٧ ـ الميضآت

٨ ـ السدود

٩ ـ مجاري تصريف مياه السيول والمياه المستعملة .

١٠ ـ المنشآت المائية لخدمة الزراعة .

١١ ـ المنشآت المائية ـ مواد وأساليب بنائها والأدوات المستعملة فيها .

١٢ ـ النقوش الكتابية والعناصر الزخرفية الواردة على عمائر المياه بمكة في العصر العثماني .

دراسة عمارية لمنشآت المياه :

على ضوء ما تم عرضه عن جهود العثمانيين في العناية بمنشآت المياه ، لخدمة مكة المكرمة والمشاعر المقدسة ، يمكن القول إن مجموعة عيون وشحاحيذ كانت تغذى هذه المدينة [1]. تمّ نقل مياهها إلى المدينة، عن طريق شبكة من القنوات بنيت بدقة بالغة ، إضافة إلى الاستفادة من مياه الآبار . كما كانت تغطي مكة المشرفة ،شبكة مائية أخرى ،تمثلت في مجارى تصريف مياه الأمطار ، والمياه المستعملة ،إضافة إلى سدود بنيت لدرء أخطار السيول عنها ، أو عن قنوات مياه العيون .

كما اعتنى العثمانيون بمجموعة منشآت ، أدت خدمات مختلفة لهذه المدينة ، كالبرك ، والأسبلة ، والبازانات ، والحمامات ،والمطاهر (الميضآت ـ حنفيات الوضوء) ، ومنشآت مائية خاصة بتطوير الزراعة .

ومما هو جدير بالذكر أن العمائر المتبقية منها حتى الآن تمثل الحالة العمارية ، لهذه المباني خلال العصر العثماني ؛ نتيجة لأعمال الإنشاء والتجديد والإصلاح المستمرة التى عرفنا أخبارها في الفصل الثاني من هذا البحث .

---

(١) الشحاحيذ مناطق تبنى في ذيول الجبال التي تكون مواقعها مظنة لاجتماع مياه الأمطار والسيول . انظر : قطب الدين النهروالى : المصدر السابق ،ص ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، عبدالملك العصامي : المصدر السابق ج ٤ ،ص ٨٣ ، السيد عبدالله محمد الزواوي : المرجع السابق ص ٧ ، ابراهيم رفعت : المصدر السابق ،ج ١ ،ص ٢١٠.

ولكي تتجلى صورة هذه المنشآت ، كان من الضروري تحديد مواقع جميع هذه المنشآت على خرائط ، ثم أخذ عينات المتشابه منها لإجراء الدراسة العمارية عليها لإظهار طرز هذه المنشآت ، وأسلوب بنائها والمواد المستعملة فيها ، هذا فضلاً عن إظهار ما تميزت به من نقوش كتابية ،ووحدات زخرفية ، تعكس جانباً من حضارة العثمانيين في هذا البلد الأمين .

ومما يؤسف له اندثار بعض هذه المنشآت ، بسبب عوامل الطبيعة من سيول وغيرها ، كما اندثر بعضها الآخر نتيجة لحركة التوسع العمراني التى شهدتها مكة المكرمة في هذا العصر . إلا أنه أمكن استدراك صورة بعض هذه المنشآت المندثرة من واقع الوثائق ، وكتب المؤرخين ،والرحالة . ولدراسة هذه المنشآت عماريا ،سأتناول كل نوع منها على حدة ؛

أولا : العيون وقنواتها : خارطة رقم (١٧)

سبقت الاشارة إلى أنه كانت تغذي مكة المشرفة ،في العصر العثماني، مجموعة عيون وشحاحيذ ، تمّ نقل مياهها إلى البلد ،بواسطة شبكة من القنوات . وقبل تفصيل القول عن مواقع تلك العيون ، والشحاحيذ ، ووصف مسار شبكة القنوات ، فإن من المفيد الإشارة باختصار إلى القنوات التي كانت تربط تلك العيون والشحاحيذ بمكة .

وهي على النحو التالي :

١ - عين حنين ، وتمتد قناتها من الشرائع - في الوقت الراهن - إلى الأبطح حيث تلتقي بمياه قناة عين عرفه ، وترفدها مجموعة شحاحيذ ، أُطلق عليها اسم عيون وهي : عين مشاش ، وعين ميمون ،وعين الزعفران وعين البرود ، وعين الطارقي ،وعين ثقبة [1] ،وعين سمحة .

---

(١) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ،ص ٢٨٢ ،عبد الملك العصامي: المصدر السابق ،ج ٤ ،ص ١٨٣ ، إبراهيم رفعت : المصدر السابق: ج ١ ص ٢١٠. وكذلك انظر الفصل الثاني من هذا البحث .

٢ - عين عرفه ، وتمتد قناتها من وادي نعمان إلى الأبطح ، حيث تلتقي بمياه قناة عين حنين كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، ويرفدها شحاحيذ ماء بوادي نعمان[1] ، وعين ماء بمزدلفة . خارطة رقم (٣ ، ٣٠، ١٧).

٣ - عين بمنى كانت قناتها تغذي بركة السلم في القرن العاشر الهجري . خارطة رقم (١٧).

٤ - ظهرت في القرن الحادي عشر الهجري عين ماء بالمعابدة ، مقابل بستان القاضي حسين ، أُلحقت بقناة عين عرفة وعين حنين بعد اجتماعهما . خارطة رقم (١٧).

٥ - عين الهميجة : وتمتد قناتها من وادي العشر إلى الزاهر. خارطة رقم (٥ ، ١٧).

٦ - عين كانت تنبع من دخلة الجنبية ، بشارع اللصوص(الأندلس) ، تتم نقل مياهها عبر قناة ، إلى جرول، ومنه إلى التنضباوي. خارطة رقم (٤ ، ١٧).

٧ - شبكة قنوات المياه الداخلية : وتبدأ من موضع التقاء قناة عين عرفة بقناة عين حنين بالأبطح ، وسير الماء في قناة واحدة ، ثم تفرعها لنقل الماء إلى بعض عمائر المياه في أحياء مكة المكرمة ، وبعض المؤسسات الحكومية . خارطة رقم (٨).

---

(١) وثيقة رقم (١٤ ، ١٦) بالملحق رقم (١) من هذا البحث

١ - عيـــن حنيـــن :

أ - منبع العين :

أجمعت آراء مجموعة من المؤرخين والرحالة ، على أن منبع عيـــن حنين يقع في ذيل جبل طاد ، من جبال الثنية الواقعة فى طريق الطائف وكانت مياه العين قبل جلبها إلى مكة ،تصب في بستان يسمى حائط حنين[(١)] .

وإذا أردنا تحديد موقع هذه العين على خارطة طبيعية ،لم نجـد أحدا من المؤرخين قد اهتم بذلك ، فغاية أمرهم في تحديدها أنهم ذكروا روايات في بعدها عن مكة ، جاء في بعضها أنها تبعد عن مكة بضعة عشـر ميلاً ، وفي بعضها الآخر أنها تبعد عن مكة ١٨ ميلاً ، كما ذهب محمد لبيب البتنوني إلى أن بعدها عن عرفة من جهة الشمال الشرقي ٣٥ كيلومتراً[(٢)]

وجاء في وثيقة مؤرخة بعام ١١٢٥هـ/١٧١٣م ، أن منطقة الشريعـة (الشرائع اليوم) ، مكان حايط حنين .[(٣)]

وبناء على ذلك يمكن التعرف على موضع منبع عين حنين ، علـى الرغم من أن ذيل جبل طاد، الذي تشير المصادر الى أنه يمثل منبع هـذه العين ، لا توجد به الآن آثار مياه تنسكب منه ، ومن حسن الحظ أنــي عثرت على صورة فوتوغرافية يحتفظ بها الشريف مساعد بن منصور آل عبد الله بن سرور[(٤)] ، ترجع إلى سنة ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م كان قد صور فيها هذا الموضع ،ويشاهد

---

(١) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق، ص ٢٨٢ ، السيد عبد الله محمد الزواوي : المرجع السابق، ص ٦ ، محمد باشا صادق : المصدر السابق ، ص ٦١ ، إبراهيم رفعت : المصدر السابق ،ج ١ ،ص

(٢) محمد لبيب البتنوني : المصدر السابق ،ص ٦٥.

(٣) وثيقة رقم ٦١٧٦(MAD). بارشيف رئاسة الوزراء العثمانـــي باستانبول.

(٤) عمل الشريف مساعد بن منصور بإدارة عين زبيدة مدة ٣٠ سنة وكان مسئولاً عن العيون وقنواتها خارج مكة .

فيها آثار المياه المنسكبة من ذيل جبل طاد ، هذا فضلاً عن تأكيده بأنه كانت بالقرب من هذا المكان خرزة . خارطة رقم (١٧). ولوحة (٥٧).

وقد تأكد لي صدق ما ذكره الشريف مساعد إجماع من سألتهم من كبار السن في هذه المنطقة عن انسكاب المياه فيما مضى من ذيل جبل طاد ، الذى كانت تنبع منه مياه عين حنين .وتسمى هذه المنطقة فى الوقت الحاضر " ديرة الحنارشة من هذيل " ، وتقدر المسافة بين هذه المنطقة وباب السلام ، أحد أبواب المسجد الحرام من الجهة الشمالية الشرقية ، بمقدار ٤١ كم ، وذلك مروراً بمنطقة القشاشية ، ثم الغزة ، ثم سوق المعلاه ، ثم المعابدة ، ثم العدل ، ثم أعلام حدود حرم مكة الشرقية ، ثم موقع العين. خارطة رقم (١٧).

ب - <u>وصف المناطق التى تمر عبرها قناة عين حنين :</u> خارطة رقم (٧ ، ١٧)

إن الباحث في الوقت الحاضر عن شبكة قنوات عين حنين وروافدها ، لا يرى منها على سطح الأرض إلا القليل ،فضلاً عن بعض الخرزات التى على هذه القنوات ، وقد أشار صلاح الحلوة (الذي قام مع فريق علمى عام ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م بمسح درب زبيدة) إلى وجود بعض القنوات والخرزات القريبة من البرود، مما جعله يحار في أمرها حيث يتساءل عن علاقتها بدرب زبيدة كما أشار في موضع آخر إلى أنه لو مُدت هذه القناة ، من المنطقة القريبة من البرود إلى مكة ،لكانت من أهم روافد المياه بها [1]

---

(١) أطلال حولية الآثار العربية السعودية ، العدد الأول ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م ، ص ٥١ - ٥٢ .إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف السعودية .

ومن توفيق الله قام الشريف مساعد بن منصور آل عبدالله بن سرور في حدود عام ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م بعمل رسم كروكي لمنبع قناة عين حنين ومسارها ، وشبكة قنوات العيون ، التى كانت ترفد قناة عين حنين بالماء من واقع ما رآه بنفسه آنذاك ، مما جعل أمر تتبع مسار القناة وتوقيعها على خارطة من الأمور الميسرة ولله الحمد . أنظر خارطة رقم (٧).

وعلى ضوء ذلك قمت بدراسة ميدانية ، لتتبع مسار قناة عين حنين وروافدها ، فظهر أن القناة تتجه من منبعها بذيل جبل طاد ، إلى جهة الغرب ، حتى تصل إلى بستان يعرف اليوم ببستان ابن سليمان يوجد به شحاذ يعرف بخرزة سمحة[1] ، ثم تتجه القناة من هذا الموضع إلى جهة الجنوب ثم الشمال الغربي لوحة رقم(٥٦،٥٧،٥٨،٦٠) وتستمر في طريقها إلى أن تصل إلى جبل اشفي فتلتقي فى هذا الموضع بقناة تجمع مياه عيون(شحاحيذ) مشاش ، وميمون ، والزعفران[2] ، ثم تستمر القناة في طريقها جهة الشمال الغربي إلى أن تصل إلى جبل ستار(المجاهدين حديثاً) فتلتقي بمياه عين البرود[3] ، ثم تتجه القناة إلى الغرب إلى أن تصل إلى الأبطح بعد أن يرفدها قناة عين الطارقي ، وقناتا عين ثقبة . لوحة رقم (٦٠،٦١،٦٢).

---

(١) سنشير إليها فيما بعد . انظر ص (٣٢٦) من هذا البحث .

(٢) انظر روافد قناة عين حنين

(٣) انظر روافد قناة عين حنين .

ج - روافد قناة عين حنين : خارطة رقم (١٧)

تتمثل في مجموعة شحاحيد ، أُطلق عليها اسم عيون وهي : عين مشاش ، وميمون ، والزعفران ،والبرود ، والطارقي ، وثقبة ،وسمحة .

وليس فيما أورده المؤرخون عن هذه العيون تحديداً لمواقعها أو عمل خرائط توضح ذلك ، لذا اعتمدت في تحديد هذه المواقع على ما أورده الشريف مساعد بن منصور آل عبدالله بن سرور الذي قام فيحدود عام ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م بتتبع مسار قنوات هذه العيون ، وعمل لها رسماً كروكياً كما ذكرت آنفا [(١)]، كما قمت بزيارة ميدانية لمواقع هذه العيون بصحبة الشريف مساعد بن منصور للوقوف على حقيقة الأمر، وسأجمع في دراستي هذه بين ما ذكره المؤرخون وما حصلت عليه من الدراسة الميدانية حتى تتضح الحقيقة كاملة .

قال عبدالكريم القطبي ت ١٠١٤هـ/١٦٠٥م عن عين المشاش :" عين مشاش موجودة إلى الآن ، وهي من جملة العيون التي تصب في ذيل عين حنين (قناة عين حنين) وهي تجري وتضعف أحيانا ، بقلة المطر ، ومحلها معروف "[(٢)].

وقال حمد الجاسر-محقق كتاب المناسك - عن المشاش :" هو مجتمع طرق حجاج العراق ، ونجد، واليمن بقرب أنصاب الحرم (الأميال) ، ويبعد عن مكة بما يقارب عشرة أميال (١٥ كم) "[(٣)].

---

(١) انظر خارطة رقم (٧)

(٢) عبدالكريم القطبي: المصدر السابق ، ص ٨٢.

(٣) الحربي : المناسك ، تحقيق حمد الجاسر ، حاشية رقم ٢ ، ص ٦٥٤.

وقال البلادي عن موقع عين الزعفران : " عين كانت بين جبلي ثقبة وحراء لازالت أرضها معروفة لبعض المكيين "(١)

ويتضح من العرض السابق أن القطبي والجاسر ،لم يوفقا في تحديد موقع المشاش بدقة ، والمهم أن نتعرف على موقع التقاء مياه عين المشاش بقناة عين حنين كما يهمنا أن نعرف على على وجه الدقة من أى مكان في مكة تبدأ العشرة أميال التى حددها لنا حمد الجاسر.

أما البلادي فإنه لم يوفق في تحديد موقع عين الزعفران ، حين قال أنها كانت " بين جبلي ثقبة وحراء " . ولعل مرد ذلك لما اعتاد عليه بعض المكيين في هذه السنين حين يطلقون كلمتي " عين الزعفران " تجاوزاً للدلالة على القناة ، التى يصلهم منها الماء من عين حنين ومجموعة العيون المغذية لقناتها .

وللتغلب على هذه الصعاب أمكنني بفضل الدراسة الميدانية الوصول إلى الحقائق التالية :

أولاً : إن عين مشاش ، وعين ميمون ،وعين الزعفران ،تقع في شمال شرق مكة فىأودية مدرجة من ديار بني لحيان اليوم ، حيث تغذي هذه العيون قناة في ذلك الموضع ، وتتجه بعد ذلك إلى الغرب ،إلى أن تلتقي بقناة عين حنين عند خرزة تقع عند جبل اشفي .

ثانياً: إن موقع عين البرود يقع في سهل البرود ،حيث توجد قناتان ، لنقل المياه من الجبال القريبة من ذلك الموقع إلى خرزة تجتمع بها المياه ، ثم تتجه نحو الغرب ،إلىأن تصل إلي جبل ستار (المجاهدين حديثا) حيث تلتقي فيهذا المكان فى خرزة لتجميع

---

(١) عاتق بن غيث البلادي : معجم معالم الحجاز ،ج ٥ ،ص ١٣٤.

مياه عين البرود بمياه عين حنين ، والمشاش ،وميمون ، والزعفران، لوحة رقم (٦١).

ثالثاً: تنتقل مياه عين الطارقي من جبل الطارقي في قناة تتجه إلى الشمال الغربي ، إلى أن تصل بقناة عين حنين مقابل جبل الطارقي . لوحة رقم (٦٢،٦٣).

رابعاً: تنتقل المياه من ذيل جبل ثقبة عبرقناتين إلى أن تلتقي بقناة عين حنين ، مقابل جبل ثقبة وأمام جبل حراء من الجهة الجنوبية الشرقية . ويؤيد ذلك وجود آثار سد ، لتجميع المياه بذلك المكان وخرزة لازالت باقية إلى الآن . لوحة رقم (٦٦ ، ٦٧).

شحاذ سمحة : خارطة رقم (٧ ، ١٧)

ويطلق عليه محلياً خرزة سمحة ، يقع اليوم في بستان ابن سليمان ، ويبعد عن باب السلام ، أحد أبواب المسجد الحرام حوالي ٢٦ر٠ كم .

ويقرر بعض المسنين الذين عملوا في هذا البستان ،بأن معظم البناء القائم على الشحاذ ، أُنشئ في العصر السعودي . إلا أن الجزء المنقور في الصخر ، والقناة المعقودة الآخذة منه المياه المغذية لقناة عين حنين ، هي من الأعمال السابقة للعصر السعودي .

والشحاذ عبارة عن حفيرة منقورة في الصخر ويتصل به من الجانب الشمالي الغربي قناة معقودة ، تأخذ المياه من الشحاذ وتندفع بها إلى قناة عين حنين . لوحة رقم (٥٨،٥٩).

٢ - عين عرفة :

أ - منبع العين:

تباينت الآراء في تحديد منبع عين عرفة ، وللوقوف على الرأى الراجح وتحديده على الطبيعة ، يمكن تفصيل هذه الآراء ، واستقراؤها على الوجه التالي :

١ - قال الفاسي : " وعين عرفة ... في وادي نعمان "(١)

٢ - أشار عمر بن عبدالعزيز بن فهد إلى أن عين عرفة تنبع من أرض حسان بوادي نعمان .(٢)

٣ - أشار كل من قطب الدين الحنفي المتوفي عام ٩٩٠هـ/١٥٨٢م وعبد الملك العصامي المتوفي عام ١١١١هـ/١٦٩٩م ، إلى أن منبع عين عرفة يقع في ذيل جبل كرا الذي تنصب منه المياه في قناة إلى موضع يقال له الأوجر من وادي نعمان ، ثم منه إلى موضع بين جبلين شاهقين في علو أرض عرفات .(٣)

٤ - تحدث السيد عبدالله محمد الزواوي عن منبع عين عرفة في موضعين من كتابه ، الأول قوله - نقلاً عن قطب الدين الحنفي - " منبعها ذيل جبل كرا وينصب من ذيل جبل كرا في قناة إلى موضع يقال له الأوجر من وادي نعمان ويجري منه إلى موضع بين جبلين شاهقين في علو أرض عرفات " . والثاني قوله " وصل سنة ١٣٢٦هـ...... مهندس ومفتش للبحث عن أحوال تعمير عين زبيدة ... وخرج المفتش المذكور إلى وادي نعمان ...(فوصل) إلى شداد للكشف

---

(١) تقي الدين الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج ٣ ص ٣٢٥.

(٢) عمر بن عبدالعزيز بن فهد: المصدر السابق ، ورقة ٢٤.

(٣) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق، ص ٢٨٢، عبدالملك العصامي: المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٨٣.

ورأى الأعمال العظيمة بنعمان وصنع خريطة عظيمة من أم عين زبيدة (أى عين عرفة) بقرب بلاد السبحي من شداد إلى مكة "(١)

٥ - قال إبراهيم رفعت : " في طريق الطائف على بعد نحو أربعين كيلو متراً من مكة جبال تسمى جبال الثقبة تنبع من عندها عين تسير في قناة بنيت لها من منبعها حتي عرفة فالمزدلفة ... وهذه العين تعرف بعين زبيدة (أى عين عرفة) " ، وأشار في موضع آخر أن منبعها من ذيل جبل كرا.(٢)

٦ - أشار عبدالقادر ملا فلندر أن منبع عين عرفة يقع في ذيل جبل كرا.(٣)

٧ - أشار تقرير مكتب الآثار بالمنطقة الغربية ،التابع لوزارة المعارف السعودية إلى موقع عين عرفة بما نصه : " تشكلت لجنة من كل من :١ - الأستاذ عبدالرحمان كباوي مدير مكتب الآثار بالغربية .

٢ - الأستاذ محمد عبدالعزيز القرعاوي مراقب الآثار بمكة .

٣ - المعلم عيد علي العصيمي مندوب مصلحة المياه بمكة المكرمة.

وبمساعدة هذا الأخير جرى تتبع مجرى عين زبيدة (أي قناة عين عرفة) ابتداء من منابعها الأساسية في وادي نعمان إلى مكة المكرمة . والأمية تقع عند العقم كما يسميها موظفو عين زبيدة

---

(١) السيد عبدالله محمد الزواوي : المرجع السابق ، ص ٧ ، ٢٨

(٢) ابراهيم رفعت : المصدر السابق ،ج ١ ، ص ٢٠٧ - ٢٠٨ ، ٢١٠.

(٣) عبدالقادر ملا فلندر : المرجع السابق ، ص ٦.

وهي على بعد " ٥ - ٨ " كم شرق منطقة الكسارة حيث أقيم مشروع تحويل مجاري عين زبيدة القديمة إلى مواسير خرسانية لتنظيم مجراها. وهذه الأمية عبارة عن خرزتين يربطها مجرى ... والجدير بالإشارة هنا أن منطقة العقم هذه بما فيها من آبار والتى تعرف بالأمية يبدو أنها ليست بداية مجرى عين زبيدة التى تغذي مكة المكرمة ، فلا بد أن منابعها تصل إلى منطقة ما قرب الكرّ (ذيل جبل كرا) ،ولكن هذا هو منتهى علم مصلحة المياه بمكة المكرمة "(١)

ونخلص من جميع هذه الآراء عن منبع عين عرفة إلى ما يلي :

١ - رأي يشير إلى أن منبعها من وادي نعمان .

٢ - رأي يشير إلى أن منبعها من ذيل جبل الثقبة ، بطريق الطائف على بعد نحو ٤٠ كم .

٣ - رأي يشير إلى أن منبعها من ذيل جبل كرا.

٤ - رأي يشير إلى أن منبعها من أرض حسان بوادي نعمان .

٥ - رأي يشير إلى أن منبعها قرب بلاد السبحي بوادي نعمان .

٦ - رأي يشير إلى أن المعلومات المتوفرة الآن تشير إلى أن منبعها من العقم ، إلا أنه يرجح أن منبعها من ذيل جبل كرا .

ولمناقشة هذه الآراء نقول :

ففيما يتعلق بالرأي الأول نجد أن لفظه عام ، لم يحدد منبع العين بدقة ، خاصة إذا عرفنا أن وادي نعمان منطقة كبيرة جدا ، مما يجعلنا نحار في أي جزء من الوادي يقع منبع العين ؟

---

(١) تقرير مبني على مذكره سعادة وكيل وزارة المعارف للشئون الثقافية : رقم ٣٤/٣٥١٦ في ١٤٠٣:٥:٢٩هـ. مكتب الآثار بإدارة التعليم بمكة المكرمة .

أما الرأي الثاني فإنه لا يتفق مع الواقع ،حيث لا يوجد في طريق الطائف ، وعلى بعد ٤٠ كم من مكة جبل يسمى جبل ثقبة ، إضافة إلى ذلك فإننا لو قلنا على سبيل المثال أن الكاتب أخطأ في كتابة اسم الجبل وأنه يقصد جبل كرا بدلاً من جبل ثقبة ! فمن أي موقع في مكة يبعد هذا الجبل مقدار " ٤٠ " كم عنها أمن عند المسجد الحرام أم من المعلاة أم من المسفلة ؟

أما الآراء التي أشارت إلى أن منبع العين يقع فى " ذيل جبل كرا "، " أرض حسان بوادي نعمان" ، " بلاد السبحي " ، " العقم" ،فإنه على الرغم من كونها أكثر تحديداً فهى في حاجة إلى مزيد من التدقيق لذلك رأيت الجمع بين ما ورد في هذه الآراء ، ودراسة هذه المواقع على الطبيعة، فضلاً عن الاستعانة بما أمكنني الحصول عليه من وثائق هامة أنشرها لأول مرة حتى أخرج برأي راجح .

فبالنسبة للرأي القائل بأن منبع عين عرفة من ذيل جبل كرا فقائله يقصد نهاية وادي نعمان من جهة كرا ، خاصة وأننا قد عرفنا من الدراسة الجغرافية ، أن مياه سيول جبل كرا تصب في وادي نعمان ، مما يعطي دلالة على أن منبع العين يقع في أعلى أرى وادي نعمان . انظر خارطة رقم (١٦ ، ١٧).

أما الرأي القائل بأن منبع العين من "أرض حسان بوادي نعمان " ، "من بلاد السبحي بوادي نعمان " فإنه يقصد أعلى وادي نعمان أي في ذيل جبل كرا ، ويؤيد هذا الرأي الدراسة الميدانية التى قمت بها بصحبة الشريف مساعد بن منصور آل عبدالله بن سرور الذي عرفنى على بعض الأعراب سكان المنطقة ، الذين أفادوا بأن أرض حسان يطلق عليها أيضاً بلاد السبحي وتسمى اليوم مزرعة العرجاء، وهي بالقرب من جبل يقال له عند أهل تلك النواحي " دقم زبيدة " .

وعليه فإن منبع عين عرفة ، يقع بأرض حسان ، أو بلاد السبحي أو ما نسميه اليوم بمزرعة العرجاء ، بأعلى أرض وادي نعمان ، مقابل جبل دقم زبيدة ، الذي هو جزء من جبل كبكب . أنظر خارطة رقم (١٧).

وعلى الرغم من عدم ظهور أية معالم مادية اليوم لقناة وخرزات في هذه المنطقة ، فإن الشريف مساعد بن منصور آل عبد الله بن سرور وجهني إلى موضع يبعد عن بلاد السبحي ما يقرب من ٧٠٠م ، تظهر به الآن آثار بناء متهدم ، يأخذ شكل بركة لتجميع المياه وقناتين تمده بالماء، إحداهما تتجه إلى وادي الأوجر ، أحد روافد نعمان، والثانية تتجه إلى شعب الشراء أحد روافد نعمان . لوحة رقم (٥).

ورغبة في الحصول على أدلة مادية أدق توجهت مع أحد العارفين بالمنطقة وهو الأستاذ محمد جابر الحسني[1] الذي صحبني إلى منطقة آل حسن ، حيث أفاد شهود عيان ، بأنه بعد أن اجتاحت السيول المنطقة عام ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م تقريباً ، ظهر بتلك المنطقة جزء من قناة كانت مندثرة تحت التراب ،طولها حوالي مترين وسعتها ٢٥ سم وارتفاعها حوالى ٥٠ سم تقريباً . كما شاهدت على الطبيعة على بعد نحو ٦٠٠ - ٧٠٠م تقريباً من موضع هذه القناة المندثرة ، بناء يظن أنه خرزة ويسمى حالياً بئر آل حسن . خارطة رقم (١٧) . والخرزة عمقها حوالى ٢٥م ،لم أستطع النزول فيها لسوء حالة بنائها.

كما أفاد الأستاذ محمد جابر الحسني ،برواية نقلها عن حمادي بن فويران عن جده أحد سكان تلك النواحي ، أنه كانت توجد بمنطقة وادي الشراء ١٢٠٠هـ - ١٢٥٠هـ/١٧٨٥ - ١٨٣٤م ،آثار قناة وخرزات ، مما يحتمل

---

(١) يعمل حالياً مدرساً باحدى مدارس شداد وهو من سكان تلك النواحي

معه أنها كانت تأخذ المياه من ذيول الجبال القريبة من ذلك الموضع إلى منطقة آل حسن ومنها إلى بركة تجميع المياه الواقعة بالقرب من بلاد السبحي أو العرجاء . خارطة رقم (١٧).

ويزكي هذا وجود منطقة بوادي الشراء يقال لها اليوم عند أهل تلك النواحي " المشاش " ، أشار إليها السيرافي المتوفي سنة ٣٦٨هـ/٩٧٨م في رواية ينتهي سندها إلى عرام بن الأصبع السلمي ،على أن منها موضع ماء عين عرفة فقال " جبال عرفات تتصل بها جبال الطائف ، وفيها مياه كثيرة ... منها المشاش وهو الذي يخرج بعرفات ويتصل إلى مكة "(١).

ونخلص من كل ذلك إلى تحديد منبع قناة عين عرفة ، وتفسير آراء المؤرخين في ذلك ، بالآتي :

إن الآراء التي ذكرت أن منبع عين عرفة يقع في ذيل جبل كرا الذي تنصب منه المياه في قناة إلى الأوجر بوادي نعمان ، والآراء التي ذكرت أن منبع القناة من بستان السبحي كلها آراء صحيحة . حيث وضح من الدراسة الميدانية أن هناك قنوات لنقل الماء من ذيول الجبال إلى بركة لتجميع المياه بالقرب من بستان السبحي ، وعلى ذلك فإن من حدد المنبع بذيل جبل كرا أو " بلاد السبحي " قد أصاب ، على اعتبار أن تلك

---

(١) عبد السلام هارون : نوادر المخطوطات ، جـ ٢ . كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه . رواية السيرافي بإسناده إلى عرام بن الأصبع السلمي ، ص ٣٩٥ ،وحاشية رقم (١) في نفس الصفحة ، ص ٤١٩. الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م ،شركة مكتبه ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. ويجدر التنويه إلى أن المشاش الذي ورد ذكره هنا غير عين المشاش ، المغذية لقناة عين حنين .

المنطقة تعتبر منابع للمياه ومنطقة يقع بقربها بركة ،لتجميع مياه العيون فى قناة واحدة تتجه إلى مكة [1]. خارطة رقم (١٧).

كما أن الرأي القائل بأن منبع العين يقع عند " العقم " راجح أيضا.[2]

ويؤكد ذلك عثوري على ثلاث وثائق حدد بها موقع عين عرفة ،ورسم كروكي لمسار قناتها يرجع تاريخ الوثيقة الأولى إلى عام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م ، وقام بعملها أركان حرب مهندس محمد صادق بك ،وجاء في وصف المنطقة التي تنبع منها عين عرفة أن اسمها مزرعة العقم بوادي نعمان على طريق الطائف[3]. أما الوثيقة الثانية[4] فيعود تاريخها إلى عام ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م وتمّ بها رسم موقع منبع العين إلا أنه لم يُذكر بها تسمية للمنطقة التي تنبع منها العين ، وذكر بالوثيقة أسماء بعض المعالم القريبة من منبع العين ، مثل اسم " جبل ملحة الأعلى " ، الواقعة بالقرب من منبع العين،وذكر اسم (بيوت الهاوة)،الواقعة بالقرب من المنبع أيضا.

---

(١) من الجدير بالذكر في هذا المقام أنه لو أجريت أعمال حفر أثري بتلك المواقع فإنه يمكن الحصول على نتائج إيجابية . الأمر الذي دفعني إلى التفكير في إجراء حفر أثري بتلك المواقع لتدعيم البحث من الناحية العلمية . إلا أنني واجهت ظروفا خارجة عن إرادتي منعتني من ذلك .

(٢) سوف أقوم فيما بعد بالتوفيق بين هذا الرأى والرأي القائل بأن منبع عين عرفة من بلاد السبحي .

(٣) وثيقة رقم ٤٦٥٩ بمكتبة جامعة استانبول . وكذلك انظر صورة هذه الوثيقة رقم (١٣) بالملحق رقم (١) من هذا البحث .

(٤) لقد عثرت عليها لدى الشريف مساعد بن منصور آل عبدالله بن سرور . انظر صورة هذه الوثيقة رقم (١٤) بالملحق رقم (١) من هذا البحث .

والوثيقة الثالثة يعود تاريخها إلى عصر الملك عبدالعزيز آل سعود والمتوفى عام ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م ، وهي من عمل رئيس القسامين بإدارة عين زبيدة الشيخ محمد نور قمر علي ، وقد حدد بها موقع منبع عين عرفة في وادي نعمان ، وذكر بها اسمان بالقرب من المنبع هما " العنبر " و " الفري "(١).

ولتحديد تلك المواقع على الطبيعة ؛ أفاد بعض سكان تلك النواحي من الأعراب ، أن جميع تلك المسميات تدل على ما يطلق عليه اسم " العقم بوادي نعمان " ، فبالنسبة للوثيقة الأولى فقد ورد بها اسم " العقم " أما الوثيقه الثانية فقد ذكر بها اسم " جبل ملحة الأعلى " و " بيوت الهاوة " وهي مما يحيط بالعقم ، أما الوثيقة الثالثة فقد ورد بها اسم " العنبر " و " الفري " ، وهذان الاسمان يطلقان بالضبط على العقم الذي به منبع العين . انظرخارطة رقم(١٧).

وبالبحث عن دلائل مادية تؤكد ذلك ؛وجدت أنه تقع بمنطقة العقم آخر خرزة ظاهرة على وجه الأرض من قناة عين عرفة ، وهذا يطابق ما جاء في الوثائق الثلاث التى أشرت إليها سابقاً. انظر خارطة رقم (١٧) ، ولوحة رقم (٦).

ونخلص من كل ذلك إلى أن هناك رأيين صحيحين لتحديد المنطقة التي تنبع منها عين عرفة ، الأول المنطقة الواقعة قرب " بلاد السبحي " والثاني " منطقة العقم " .

---

(١) لقد عثرت عليها لدى الشريف مساعد بن منصور آل عبدالله بن سرور .
أنظر صورة هذه الوثيقة رقم (١٦) بالملحق الأول من هذا البحث .

ولنا أن نتساءل هنا كيف نوفق بين هذين الرأيين عن منبع عين عرفة .

للإجابة على ذلك أقول إن الرأي الأول الذي يشير إلى أن منبع عين عرفة من ذيل جبل كرا وبالتحديد من بلاد السبحي ،تبناه عمر بن عبد العزيز بن فهد المتوفي عام ٩٥٤هـ/١٥٤٧م ومؤرخ مكة قطب الدين النهروالي المتوفي عام ٩٩٠هـ/١٥٨٢م ، ثم نقله عبد الملك العصامي المتوفى عام ١١١١هـ/١٦٩٩م والسيد عبد الله محمد الزواوي الذي طبع كتابه عام ١٣٣٠هـ/١٩١١م ، وهذا الرأي يمثل منبع عين عرفة وقناتها في القرن العاشر الهجري ، حيث كانوا يجلبون الماء من أعلى نقطة بوادي نعمان بالنسبة للقادم إلى مكة . انظر خارطة رقم (١٧).

ولكن مع مرور السنين بدأ العمال القائمون على إصلاح قناة عين عرفة في أخذ المياه من وادي نعمان من منطقة قريبة لمكة أكثر من الأولى هي " العقم " . ويؤيد هذا أن وادي نعمان يشبه حوضا تغزر فيه المياه على عمق قريب من سطح الأرض في بعض المناطق . إضافة إلى ذلك فإنهم اتبعوا أسلوبا خاصاً في بناء القناة بأرض نعمان بحيث تستقطب جميع مياه الوادي وهي سائرة فى طريقها منه إلى مكة (١). وعليه فإن بلاد السبحي كانت المنبع القديم لعين عرفة واستغني عنها بمنطقة العقم حيث وجد الماء بها بغزارة .

---

(١) انظر أسلوب البناء والمواد المستعملة ص(٤٨١) من هذا البحث .

ب - وصف مسار قناة عين عرفة من منبعها إلى الأبطح بمكة المكرمة :

اتضح مما سبق أن هناك منبعين لقناة عين عرفة ،الأول يقع في ذيل جبل كرا ، حيث تم نقل مياهه بواسطة قنوات إلى بركة لتجميع المياه قرب بلاد السبحي والمنبع الثاني يقع بالعقم . ولما كانت قد اندثرت بعض أجزاء من قناة عين عرفة ؛ فإن من الأفضل تتبع خط سير هذه القناة من منبعها إلى الأبطح بمكة ، من خلال وصف المؤرخين ،والرحالة لها ، فضلاً عن الاستعانة بالوثائق التي حصلت عليها - وأنشرها الأول مرة في هذا البحث - وأشفع هذا كله بالدراسة الميدانية التي قمت بها على الطبيعة .

ذكر قطب الدين الحنفي في وصفه لقناة عين عرفه في القرن العاشر الهجري ، أنها تنبع من ذيل جبل كرا ، حيث تنصب منه المياه " في قناة إلى موضع يقال له الأوجر من وادي نعمان (بركة تجميع المياه بالقرب من بلاد السبحي)، ويجرى منه إلى موضع بين جبلين شاهقين في علو أرض عرفات ... ثم أديرت القناة بجبل الرحمة محل الوقوف الشريف... وجعل منها الطرق إلى البرك التي في أرض عرفات ... ثم استمر عمل القناة إلى أن خرجت من أرض عرفات إلى خلف جبل من وراء المأزمين على يسار العابر من عرفات ويقال له طريق ضباب (بالضاد المعجمة المفتوحة والألف بعدها باء موحدة مشددة)، وتسمى الآن عند أهل مكة المظلمة بضم الميم ثم ظاء معجمة ساكنة فلام مكسورة ثم ميم مفتوحة ثم هاء التأنيث) . ثم تصل منها إلى مزدلفة ، ثم تصل إلى جبل خلف منى في قبليها ثم تنصب إلى بئر عظيمة مطوية بأحجار كبيرة جداً تسمى بئر زبيدة [1] إليها ينتهي عمل هذه القناة "[2] كان هذا قبل العصر العثماني ، فعمل العثمانيون على مد هذه القناة من هنالك إلى الأبطح

---

(١) سبقت الإشارة إلى القول بأن موقع هذه البئر بالعزيزية عند حديقة الطفل .

(٢) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ،ص ٢٨٢ - ٢٨٣.

كي تلتقي بقناة عين حنين ، وتسير مياههما معاً من هناك إلى داخل بعض أحياء مكة [1]. انظر خارطة رقم (٨ ،١٧)٠

كما وصف السيد عبدالله الزواوي عين عرفة من منبعها من ذيل جبل كرا إلى الأبطح بقوله " منبعها ذيل جبل كرا وينصب (الماء) من ذيل جبل كرا في قناة إلى موضع يقال له الأوجر من وادي نعمان ويجرى منه إلى موضع بين جبلين شاهقين في عوارض عرفات فعملت فيها القنوات إلى أن جرى ماء وادي نعمان إلى أرض عرفه ثم أديرت القنوات بجبل الرحمة محل الموقف الشريف ٠٠٠ وجعل فيها الطريق إلى البرك التى في أرض عرفات فتمتلىء ماء يشرب منه الحجاج يوم عرفة ، ثم استمر عمل القنوات متوجها إلى جهة الشام (الشمال) وهناك بازان اسمه فقير الذئب الأعلى والمساحة (المسافة) من جبل الرحمة إليه الف وثلثمائة وثمانية وسبعون مترا ، وبعده بازان فقير الذئب الثاني والمساحة (المسافة) إليه اربعمائة وخمسة أمتار ثم ينعطف الدبل (أي القناة) نحو المغرب (الغرب) داخلا في وادي المغمس وينتهى إلى حوض البقر ،والمساحة بينهما ألف وأربعمائة وعشرون مترا ٠٠٠ ومنه متوجها في باطن الجبل وهو الموضع المسمى بالخاصرة ويقرب منها أراضي زراعية يقال لها الهمدانية ، ثم يرجع منه يمينا إلى بازان الحقابة الذي على يسار الذاهب إلى عرفات ، ثم يتوجه يمينا أيضا إلى بازان المعترضة وبعده يتعلق الدبل (أي القناة) بسفح المأزمين على يسار القادمين من عرفات ويقال له طريق ضب وهو المعروف الآن بالقناطر ، ثم يصل منها إلى مزدلفة ، ثم يتوجه من مزدلفة مارا بوادي النار ، وهناك بازان على رأس جبل على يسار الذاهب إلى مكة يقال له دقم الوبر ، ومنه يكون الدبل متعلقا في الجبل إلى المفجر وهناك ماكينة الوابور ٠٠٠ لإيصال الماء في ماسورة

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٨٦ – ٢٩٠ ، عبدالكريم القطبي : المصدر السابق ، ص ١١٣٠

إلى بعض أمكنة بمنى يرد منها الحجاج ، ثم يتوجه منحدرا خلف جبل منى إلى فتحات موازية لمدرج منى بجانبها مسجد وحوض لسقيا الدواب يسمى حوض البقر الثاني ومنه يكون الدبل تحت الأرض إلى بئر عظيمة ... تسمى بئر زبيدة إليها ينتهى عمل القناة " قبل العصر العثماني الذي تم فيه مد القناة من هناك إلى الأبطح لتلتقي بمياه عين حنين ، ويسيران بعد اجتماعهما إلى داخل بعض أحياء مكة [1]. أنظر خارطة رقم (١٧).

وقد نقل إبراهيم رفعت هذا الوصف وضمنه كتابه والحق به رسما تخطيطيا لتتبع قناة عين عرفة من منبعها إلى مكة [2] (الأبطح) . انظر خارطة رقم (٢ ، ٣).

وبعد هذا العرض يمكن تتبع قناة عين عرفة من منبعها الأول من ذيل جبل كرا إلى الأبطح بمكة المشرفة . خارطة رقم (١٧).

سبقت الإشارة إلى أنه توجد على بعد نحو ٦٠٠ - ٧٠٠م من بلاد السبحي آثار بناء متهدم يأخذ شكل بركة لتجميع مياه القنوات ،وبتتبع تلك القنوات (طلوعا) من وادي النعمان في اتجاه جبل كرا و وادي الأوجر، لحظ آثار مباني قناتين تمتد إحداهما من موقع البركة إلى اتجاه الأوجر بمسافة تقدر بحوالي ٤٠٠ م مما يحتمل معه أنها كانت تستقطب مياه الجبال القريبة من ذلك الموضع ، وتغذي بها البركة . أما القناة الأخرى فتتجه إلى وادي الشراء والذي سبقت الإشارة إلى أنه كان به آثار قناة مندثرة وخرز مما يحتمل معه أن تكون هاتان القناتان وسيلة لنقل المياه من هناك إلى بركة تجميع المياه ببلاد السبحي ثم تسير

---

(١) السيد عبدالله محمد الزواوي: المرجع السابق ، ص ٧ ، ١٧ - ١٨.

(٢) إبراهيم رفعت : المصدر السابق ،جـ ١ ، ص ٢١٠ - ٢١٣.

منها المياه بعد ذلك في قناة واحدة إلى مكة . لوحة رقم (٥) ،خارطة رقم (١٧).

وبتتبع مسار القناة من بركة تجميع المياه قرب بلاد السبحي إلى منطقة العقم التى تعتبر المنبع الثاني لقناة عين عرفة ، يُلحظ أنه لا تظهر - في الوقت الحاضر - أي آثار ظاهرة على سطح الأرض إلا أنه - بناء على ما سبق عرضه عن هذا - يمكن القول بوجود قناة مخفية تحت سطح الأرض تمتد من موقع بركة تجميع المياه قرب بلاد السبحي إلى العقم منبع عين عرفة الحالي كما هو موقع على الوثائق .(١)

ويزكي هذا الرأي قول الأستاذ محمد جابر الحسني أحد سكان تلك النواحي ، أنه شاهد مع مجموعة من الناس آثار خرزة كشفت عنها مياه السيول التي اجتاحت الطرف الشمالي الغربي من شداد . خارطة رقم (١٧) الا أنها مندثرة الآن . ولعل هذا ما يجعلنا نرجح القول بأن هناك قناة ممتدة تحت سطح الأرض من تلك المنطقة إلى العقم . كما يؤيد ذلك أيضا ما أفاد به سكان تلك النواحي ، عن وجود قناة عليها خرز، لنقل المياه من شعب " برم " إلى قناة عين عرفة المقابلة لها ، مما يحتمل معه أن تكون هذه القناة ، لنقل ماء لشحاذ في برم ، لتغذية قناة عين عرفة خارطة رقم (١٧).

وعند منطقة العقم تظهر دلائل امتداد القناة تحت سطح الأرض بظهور خرزاتها على وجه الأرض ، حيث تسير القناة فى خطوط متعرجة تحت سطح الأرض على الوجه الذي يظهر بالوثائق التى سبقت الاشارة إليها(٢)،

---

(١) انظر الوثائق رقم (١٣ ، ١٤، ١٦) بالملحق الأول من هذا البحث .

(٢) الوثائق رقم (١٣ ، ١٤ ، ١٦) بالملحق رقم (١) من هذا البحث .

وما يؤكده الواقع الحالي . انظر خارطة رقم (١٧) ولوحة رقم (٧، ٨، ١٥).

وتتجه القناة من العقم مرورا بجبال ملحة ، وجبال الهاوة العليا ، والهاوة السفلى إلى بلاد الشريف محمد بن عبدالمجيد ، وبلاد الشريف مبارك ، ومنها تسير القناة بين جبلي الكسار وأم الرخوم[1]. وهما الجبلان الواقعان في أول عرفات والتي أشارت إليهما المصادر فيما سبق .. انظر خارطة رقم (١٧) ولوحة رقم (١٥ ، ١٨).

وبعد هذين الجبلين تظهر القناة على سطح الأرض ثم تختفي في بعض مناطق عرفة إلى أن تظهر على سطح الأرض عند سفح جبل الرحمة ، حيث تدور القناة بجبل الرحمة من جهاته الشمالية والجنوبية والغربية[2]. انظر خارطة رقم (٢ ، ٣ ، ١٧) ولوحة رقم (١٩).

وفي منطقة عرفة تتفرع من القناة عدة فروع تغذي صهاريج عرفة وصهريجا واقعا بمسجد إبراهيم[3].

وفي نهاية جبل الرحمة تتجه القناة جهة الشمال حيث تختفي تحت سطح الأرض لوحة رقم (٢٣) إلى أن تغذي بازان فقير الذئب الأعلى الذي يبعد عن جبل الرحمة بمقدار ١٣٧٨م ، ثم تتجه القناة منه إلى بازان فقير الذئب الثاني الذي يبعد عن الأول بمقدار ٤٠٥ م ، ثم تنعطف القناة نحو الغرب تجاه وادي المغمس (عرنه) وتنتهي إلى حوض البقر على بعد ١٤٢٠م من البازان الثاني[4]. ومما هو جدير بالملاحظة أنه لا تظهر حاليا على سطح الأرض بتلك المنطقة إلا بعض الخرزات . انظر خارطة رقم (١٧) ولوحة رقم (٢٤، ٢٥) . ثم تسير القناة إلى موضع يقال له

---

(١) أنظر وثيقة رقم (١٣، ١٤، ١٦) . بالملحق رقم (١) من هذا البحث .
(٢) وثيقة رقم (١٣). بالملحق رقم (١) من هذا البحث ، إبراهيم رفعت: المصدر السابق ، ج ١ ، ص٤٥ ، ٢١٢.
(٣) وثيقة رقم (١٣) . بالملحق رقم (١) من هذا البحث .
(٤) الوثيقة السابقة ، إبراهيم رفعت : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢١٢.

الخاصرة بالقرب منه أرض زراعية يقال لها الهمدانية (القطانية) ثم تتجه القناة إلى بازان الحقابة وهو على يمين القادم من عرفات ثم تتجه يمينا إلى بازان المعترضة (الجديد) ثم يعود ظهور القناة على سطح الأرض عند سفح جبل المأزمين حيث تتجه جهة الجنوب طريق ضب وتسير القناة على قناطر عند منطقة العابدية ، ثم تتجه القناة جهة الغرب إلى أن تصل إلى أم الريحان[1]. خارطة (٢ ،٣٠ ، ١٧) ولوحات رقم (٢٨،٢٥ ، ١٣٢). ومن أم الريحان تعود القناة إلى الاختفاء تحت سطح الأرض ، وتسير تجاه الشمال الغربي ثم تتجه إلى جهة الجنوب الغربي فتمر مياهها عبر بازان مزدلفة[2]. انظر خارطة رقم (٢ ،١٧) ولوحة رقم (٤٧).

ومن بازان مزدلفة تسير القناة تحت سطح الأرض متجهة نحو الغرب مارة بوادي النار ، إلى أن تصل إلى جبل دقم الوبر ، حيث تبدأ بالظهور على سطح الأرض متعلقة بسفح الجبل . وتتجه منه إلى المفجر سفح جبل ثبير حيث كان يقع في ذلك الموضع سابقا آلة بخارية لرفع الماء إلى صهاريج بمنى.[3] انظر خارطة رقم (١٧) ولوحات رقم (٤٨ ، ٥٠).

وتسير القناة من سفح جبل ثبير ظاهرة فوق سطح الأرض إلى منطقة قريبة من مستشفى الأهلي بالعزيزية اليوم ، ثم تختفى القناة تحت سطح الأرض متجهة إلى بئر زبيدة[4] التى يشغل موقعها اليوم

---

(١) وثيقة رقم (١٣) بالملحق رقم (١) من هذا البحث ، إبراهيم رفعت : المصدر السابق ، جـ ١ ،ص ٢١٢.

(٢) وثيقة رقم (٣) بالملحق رقم (١) من هذا البحث .

(٣) الوثيقة السابقة ، إبراهيم رفعت : المصدر السابق ،جـ ١ ،ص ٢١٢.

(٤) وثيقة رقم (١٣) بالملحق رقم (١) من هذا البحث ،إبراهيم رفعت: المرجع السابق ،جـ ١ ،ص ٢١٢. أشار المهندس فاروق أحمد بهلول مصري الجنسية يعمل حاليا بمؤسسة بن لادن - أنه أثناء عمله لحفر مدرستين خلف مزارع فقيه للدواجن بالعزيزية حاليا ،وعلى عمق حوالي مترين، ظهر له قناة عين عرفة وهي فى طريقها من تلك المنطقة . وعلى ذلك فإن القناة حاليا تمر من تحت أرض فناء إحدى المدرستين ومجاورة لأساس المدرسة الأخرى .

حديقة الطفل بالعزيزية . خارطة رقم (٢ ،١٧)،ولوحة (٥١ ، ٥٣ ، ٥٥)

ومن بئر زبيدة تتجه القناة قليلا نحو الغرب ثم تعدل اتجاهها نحو الشمال حيث تخترق المنطقة الصخرية التى تم تكسيرها ومد القناة بها عام ٩٧٩هـ/١٥٧١م ، وتتجه القناة من بئر زبيدة إلى الأبطح حيث يوجد خرزة تجتمع فيها مياه عين عرفة بمياه عين حنين ، وأثناء سير القناة من بئر زبيدة إلى الأبطح تمر ببازان يسمى بازان الجن ويعرف موقعه اليوم بالقرب من عمارة أكرم مندورة التى كانت تشغلها سابقاً المحكمة الشرعية الكبرى بمكة . ثم تتجه القناة إلى جهة الششة[١] حيث تغذي بازان القاضي ثم تنعطف منه القناة جهة الشمال الغربي حيث تصب فى خرزة بالأبطح وتلتقي بقناة عين حنين[٢]. انظر خارطة رقم (١٧).

جـ- روافد قناة عين عرفة بوادي نعمان ومزدلفة :

كانت تغذي قناة عين عرفة ، بعض شحاحيذ بوادي نعمان كما كانت تغذيها عين ماء بمزدلفة ، ويمكن تحديد مواقعها على الوجه التالي :

أولا : الشحاحيذ:

إن المتتبع لمسار قناة عين عرفة بوادي نعمان في الوقت الراهن، لا يجد أى أثر ظاهر على سطح الأرض،يدل على مواقع الشحاحيذ التى كانت تغذي القناة بالمياه ، بيد أنه من خلال ما ورد في وثيقتين يمكن وضع تصور تقريبي لمواقعها.

---

(١) أشار تقرير أعده مكتب الآثار التابع لوزارة المعارف أنه كانت توجد عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م خرزتين لقناة عين عرفة بالششة عند مستشفى الملك فيصل لكن بالبحث عنها الآن لم أجدها . ويبدو أنها هدمت لمصلحة توسعة الشوارع بتلك المنطقة .

(٢) وثيقة رقم (١٣) . بالملحق رقم (١) من هذا البحث .

فقد ورد في الوثيقة الأولى المؤرخة بعام ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م ، تحديد مواقع خمس خرزات كانت تستقطب مياه شحاحيذ لتغذية قناة عين عرفة بوادي نعمان[١]، كما جاء في الوثيقة الثانية التى تعود إلى عهد الملك عبدالعزيز المتوفي عام ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م تحديد مواقع أربع خرزات كانت تستقطب مياه شحاحيذ لتغذية قناة عين عرفة بوادي نعمان[٢].وتفصيل ذلك على الوجه التالي :

فبالنسبة للوثيقة الأولى ورد بها :

١ - رسم قناة تغذي الخرزة رقم (٢٣) على قناة عين عرفة ، ومن اتجاه رسم القناة المغذية ، يرجح أنها مرتبطة بشحاذ يقع في ذيل جبال الهاوة العليا .

٢ - رسم قناة تغذي الخرزة رقم (٢٧) على قناة عين عرفة ، كتب بجانبها " دبل جاف " ولما كانت هذه القناة يقابلها من جهة الجنوب جبال الهاوة العليا ، فإنه يرجح أنها كانت مرتبطة بشحاذ يقع في ذيل الجبل .

٣ - رسم قناة لتغذية الخرزة رقم (٤٦) على قناة عين عرفة ، كتب بجانبها " مسقاية العبادلة " ، ولما كان يقابلها من جهة الجنوب جبال الهاوة السفلى ، فإن من المرجح أنها كانت مرتبطة بشحاذ في ذيل الجبل .

٤ - رسم خرزة تتفرع منها قناتان لتغذية خرزتين على قناة عين عرفة هما الخرزة رقم ٥٤ ،٥٥ ، ولما كان يقابلها من جهة الشمال جبال ملحة السفلى ، فإنه من المرجح أنها كانت مرتبطة بشحاذ في ذيل هذا الجبل.

---

(١) وثيقة رقم(١٤) ، بالملحق رقم (١) من هذا البحث .

(٢) وثيقة رقم (١٦) ، بالملحق رقم (١)من هذا البحث .

٥ - رسم قناة لتغذية الخرزة رقم (٥٦) على قناة عين عرفة ، كتب بجانبها " شحاذ " ، ولما كان يقابلها من جهة الجنوب جبال الهاوة السفلى ، فإنه يرجح أنها كانت مرتبطة بشحاذ في ذيل هذا الجبل .

أما الوثيقة الثانية ، فإنها من عمل رئيس القسامين بإدارة عين زبيدة في عهد الملك عبدالعزيز (محمد نور قمر علي) . وقد ورد بها تحديد مواقع أربع خرزات كانت تستقطب مياه شحاحيد لتغذية قناة عين عرفة بوادي نعمان ، ويمكن تحديد مواقع هذه الخرزات على ضوء ما جاء بالوثيقة كما يلي :(١)

١ - ورد رسم خرزة تمتد منها قناة لتغذية قناة عين عرفة بوادي نعمان، وكتب على الخرزة رقم ٦٦ ، وهذه الوثيقة عبارة عن رسم كروكي لمواقع الخرز على قناة عين عرفة ، من منبعها بالعقم إلى جهة الكسار ، وبدأ ترقيم الخرزات من الكسار صعودا إلى أم القناة بالعقم التى أخذت الرقم (٨٢) . وهذه الخرزة تقابل جبال الهاوة العليا مما يرجح أنها مرتبطة بشحاذ في ذيل هذا الجبل.

٢ - ورد رسم قناة لتغذية الخرزة رقم (١٧) على ترتيب الوثيقة، كتب بجانبها لشحاذ خرزة مسقاية العبادلة . وهذا يتفق مع ماورد بالوثيقة الأولى .

٣ - ورد رسم قناتين لتغذية الخرزة رقم (١٦) على ترتيب الوثيقة الثانية ، كتب بجانبها شحاذ من جهة الجنوب ، وهذا يتفق مع ما جاءفى الوثيقة الأولى،إلا أنه ورد هنا رسم قناتين على عكس الوثيقة الأولى التى ورد بها رسم قناة واحدة .

٤ - ورد رسم خرزتين مرتبطتين بقناة لتغذية الخرزة رقم (٤) على ترتيب الوثيقة الثانية والواقعة أمام جبل اليهوم مما يمكن معه

---

(١) وثيقة رقم (١٦) ، بالملحق رقم (١) من هذا البحث .

ترجيح أنها مرتبطة بشحاذ يقع في ذيل جبل اليهوم.

ونخلص من عرض ما جاء في الوثيقتين إلى أنهما اتفقتا على تحديد موقع شحاذين عندجبل الهاوة السفلى ، واختلفتا في تحديد موقع الشحاحيذ الأخرى . حيث ورد بالوثيقة الأولى(١)، ذكر مواقع خمسة شحاحيذ لم يوقع منها في الوثيقة الثانية(٢) إلا اثنان فقط ، إضافة إلى بيان موقع شحاذ ين لم يرد تحديدهما بالوثيقة الأولى .

والشيء المحير هنا أنني بحثت عن علامات تلك الشحاحيذ بوثيقة(٣) مؤرخة بعام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م ، فلم أجد بها أى شيء يدل على وجود الشحاحيذ.

ولعل التوفيق بين ما ورد بهذه الوثائق ، يرجع إلى اهتمام القائمين على أمر جلب مياه العيون إلى مكة المشرفة ، بالبحث عن مصادر تثري قناة عين عرفة بمياهها . فربما كانت المياه غزيرة بقناة عين عرفة قبل عام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م مما لم يحتج معه إلى مياه الشحاحيذ ، وربما كانت مياه بعض الشحاحيذ قد نضبت بعد عام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م. ممادفع المهندسين إلى البحث عن مصادر مائية أخرى وهي الشحاحيذ التى ذكرت بالوثيقتين.(٤)

---

(١) وثيقة رقم (١٤) ، بالملحق رقم (١) من هذا البحث

(٢) وثيقة رقم (١٦) ،بالملحق رقم (١) من هذا البحث

(٣) وثيقة رقم (١٣) ،بالملحق رقم (١) من هذا البحث

(٤) وثيقة رقم (١٤، ١٦) ،بالملحق رقم (١) من هذا البحث .

٢ - عين ماء مزدلفة :

سبقت الإشارة إلى أنه كان من نتيجة أعمال لجنة عين زبيدة بعد تأسيسها عام ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م ، زيادة كمية مياه قناة عين عرفة بإمدادها بمياه عين بمزدلفة .(١)

وبالرجوع إلى الوثيقة المبين عليها مسار قناة عين عرفة عام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م يلحظ عدم وجود أية إشارة تدل على تحديد عين مزدلفة. وبتتبع الأمر على الطبيعة اليوم لا نجد أي أثر يدلنا على موقع هذه العين . غير أن الملحوظ الآن تدفق كميات من المياه بالحوض الواقع قرب مسجد مزدلفة ، على الرغم من تهدم أجزاء من القناة قبل الحوض وبعده ، مما يحتمل معه استمرارية قيام هذه العين بتغذية قناة عين عرفة في مزدلفة إلى الآن . لوحة رقم (٤٧).

---

(١) انظر ما سبق ص (٢٣٦) من هذا البحث .

طول قناة عين عرفة من منبعها الأول ببلاد السبحي بالأوجر إلى الأبطح :

تجدر الإشارة - قبل تقدير طول قناة عين عرفة من منبعها الأول ببلاد السبحي حتى الأبطح - موضع التقائها بقناة عين حنين - إلى ذكر ما ورد عن ذلك من آراء في كتب المؤرخين والرحالة والوثائق ، وتطبيق ذلك على الواقع للوقوف على حقيقة الأمر.

فأول هذه الآراء أنه تمّ في عام ٩٦٩هـ/١٥٦١م ذرع طول قناة عين عرفة من منبعها ببلاد السبحي بالأوجر إلى بطن مكة ، فبلغ ٤٥٠٠٠ ذراع ، بذراع البناء الذي هو أكبر من الذراع الشرعي بمقدار ٢٥ ٪ [(١)].

كما تشير وثيقة مؤرخة في أواخر ذي القعدة عام ١١٢٥هـ/١٧١٣م ، إلى طول قناة عين عرفة إلى ما يأتي [(٢)]:

قدر طول القناة من منبعها إلى البزابيز بمكة المشرفة عند بستان وقف خاصكي سلطان بالمعابدة (يقع نهاية البستان عند جسر الحجون اليوم) [(٣)] ٤٥٥٣٨ ذراعاً ، وتفصيل ذلك باستخدام الذراع وحدة للقياس بالآتي :

عدد		المنطقة
٦١٨٨ ذ	:	وادي نعمان
٣٥٣١ ذ	:	الكسار وعرفة
٣٧٥٠ ذ	:	المغمس (وادي عرنة)
٤٩٤٩ ذ	:	الخطم
٥٤٠٨ ذ	:	البلاط

(١) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ، ص ٢٨٦ - ٢٨٧ ، عبد الملك العصامي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٨٥ - ٨٦.

(٢) وثيقة رقم ٦١٧٦ (MAD) . بارشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول.

(٣) فى مقابلة مع عاتق بن غيث البلادي صاحب كتاب معجم معالم الحجاز أفاد بما أوردته بعاليه .

٤٥٠٠ ذ	:	مزدلفة
٧٣٨٨ ذ	:	المفجر
٩٣٩٣ ذ	:	من المفجر إلى البزابيز بمكة المشرفة
٤٣٠ ذ	:	قطعة من القناة بأعلى أرض نعمان .

ويمكن تفصيل هذه أيضا بتقدير طول القناة في المناطق التي تمر عبرهـا تحت سطح الأرض ، والمناطق التي تمر عبرها فوق سطح الأرض على الوجه التالي:

أولا : طول القناة فى المناطق التى تمر عبرها تحت سطح الأرض :

عدد		المنطقة
٦١٨٨ ذ	:	فى وادي نعمان
١٧٣١ ذ	:	فى الكسار وعرفات
٣٧٥١ ذ	:	المغمس (عرنة)
٣٦٢٤ ذ	:	فى الخطم
٤٥٠٠ ذ	:	فى مزدلفة
٤٦٥ ذ	:	فى آخر المفجر
٨٩٠٩ ذ	:	من المفجر الى البزابيز بمكة المشرفة
٢٩١٦٨ ذ		المجموع

ثانيا : طول القناة في المناطق التي تمر عبرها فوق سطح الأرض :

عدد		المنطقة
١٨٠٠ ذ	:	في الكسار وعرفة
١٣٢٥ ذ	:	في الخطم
٥٤٠٨ ذ	:	في البلاط
٦٩٢٣ ذ	:	في المفجر
٤٨٤ ذ	:	في المعابدة ووقف خاصكي سلطان
١٥٩٤٠ ذ		المجموع

هذا بخلاف قطعة القناة التى بأعلى ارض نعمان والتى قدرت ب ٤٣٠ ذراعا٠

كما أن هناك رأيا يشير الى أن طول القناة من منبعها إلى مكة المشرفة ينيف على (١٧٠٠٠م) ، ورأي آخر يشير إلى أن طولها من منبعها إلى بئر زبيدة (٣٣٠٠٠ م) ،ورأي يشير إلى أن طولها من منبعها إلى مكة (٤٠٠٠٠م)[١]، ورأي يشير إلى أن طولها من منبعها الى مكة ١٤٣٠٣٨ قدما أى (٤٣٥٩٢٫٥م)[٢]، ورأي يشير إلى أن طولها من منبعها إلى الأبطح (٢٢٧٥٠م)[٣]، وأخيراً تشير وثيقة مؤرخة بعام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م ،أن طول القناة من منبعها إلى مكة قد بلغ (٣٣٧٥٠م)[٤]٠

وقد قمت بقياس طول القناة من منبعها الأول إلى الأبطح ،مستعينا بأدوات القياس الحديثة ، فتبين لى أن القياسات الصحيحة على الوجه التالي :

أولاً : بلغ طول المنطقة المرجح وجود القناة فيها تحت سطح الأرض من بلاد السبحي المنبع الأول لعين عرفة إلى العقم المنبع الثاني لعين عرفة ١٢٫١٥٠ كم ٠

ثانياً : بلغ طول القناة من العقم إلى الأبطح ٢٤٫٨٠٠ كم ٠ وعلى هذا يكون طول قناة عين عرفة من منبعها الأول ببلاد السبحي إلى الأبطح ٣٦٫٩٥٠ كم ٠ خارطة رقم (١٧)٠

---

(١) ابراهيم رفعت : المصدر السابق ج ١ ، ص ٢٢٢٠

(٢) ايوب صبري : المرجع السابق ،ج ٥ - ٧ ، ص ٧٣٨٠

(٣) وثيقة رقم ٤٦٥٩ ، ص ٩ ٠ بمكتبة جامعة استانبول ٠

(٤) وثيقة رقم (١٣).بالملحق رقم (١) من هذا البحث ٠

وصف لمواقع الخرزات على قناة عين عرفة من منبعها ببلاد السبحي إلى الأبطح بمكة المكرمة :

سبق ترجيح القول بوجود قناة مخفية تحت سطح الأرض لنقل الماء من بلاد السبحي إلى العقم ؛ وعلى ضوء ذلك فإن من المرجح وجود مجموعة من الخرزات على القناة اندثرت حالياً .

وبمتابعة الأمر على الطبعة في الوقت الحاضر نلحظ وجود مجموعة من الخرزات على القناة تمتد من العقم إلى الكسار ، ومجموعة من الخرزات تمتد على القناة بوادي المغمس ، ومزدلفة ثم بعد ذلك لا نجد أية آثار تدل على خرزات نظراً لاندثارها.

ولكي تتضح الرؤية عن معالم هذه الخرزات على القناة من منبعها الثاني بالعقم إلى الأبطح بمكة فإن من المفيد تتبع ما ورد عنها بالوثائق ، وكتب المؤرخين ، والرحالة ، ومقارنة ذلك بالواقع الآن.

فقد ورد بوثيقة مؤرخة بعام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م أن عدد خرزات قناة عين عرفة من منبعها بالعقم إلى الأبطح ٦٢ خرزة.(١)

وورد في وثيقة مؤرخة بعام ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م ، أن عدد خرزات قناة عين عرفة من منبعها بالعقم إلى قهوة واقعة بعد الكسار ٦٩ خرزة .(٢)

وورد في وثيقة ترجع إلى عهد الملك عبدالعزيز المتوفى عام ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م ، أن عدد خرزات قناة عين عرفة من منبعها بالعقم إلى

---

(١) وثيقة رقم (١٣) . بالملحق رقم (١) من هذا البحث .

(٢) وثيقة رقم (١٤) . بالملحق رقم (١) من هذا البحث .

الكسار ٨٣ خرزة .(١)

كما أشار كل من الزواوي وابراهيم رفعت إلى أن عدد خرزات قناة عين عرفة في وادي المغمس ٢٥ خرزة .(٢)

وبمتابعة هذه الخرزات على الطبيعة حالياً - خارطة رقم (١٧) ، نجد أن الخرزات القائمة الآن على قناة عين عرفة من العقم إلى مزدلفة يبلغ ٨١ خرزة ، منها ٦٤ خرزة على القناة من العقم إلى الكسار ، وسبع خرزات بعرفة ،وثماني خرزات بالمغمس (وادي عرنة) ، وخرزتين بمزدلفة .

فإذا أردنا الجمع بين ما ورد بالوثائق وكتب الرحالة،والمؤرخين والواقع ، نجد بادئ ذي بدء أن هناك اختلافا بين الوثائق ، وبينها وبين ما ورد في كتاب الزواوي ، وكتاب إبراهيم رفعت . ففي حين تشير الوثيقة المؤرخة بعام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م إلى أن عدد خرزات جميع القناة من منبعها بالعقم إلى الأبطح قد بلغ ٦٢ خرزة ، نجد في وثيقة مؤرخة بعام ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م ما يشير إلى أن عدد خرزات القناة قد بلغ من العقم إلى قهوة بعد الكسار ٧٢ خرزة ، إضافة إلى ذلك فإنه ورد لدى الزواوي وابراهيم رفعت إشارة إلى أن عدد الخرزات في المنطقة الممتدة بوادي المغمس فقط قد بلغ ٢٥ خرزة وهذا مالا نجده في الوثيقة الأولى .

كما أن جميع هذه المعلومات المتضادة لا تتفق مع ما ورد في وثيقة مؤرخة بعهد الملك عبدالعزيز ، حيث ورد بها أن عدد خرزات قناة عين عرفة قد بلغ من العقم إلى الكسار ٨٣ خرزة .

---

(١) وثيقة رقم (١٦) . بالملحق رقم (١) من هذا البحث . هذا مع العلم أن الرقم الواقع على آخر خرزة عند العقم هو (٨٢). لكن بتتبع عدد الخرز حسب علامات على الوثيقة ،يلحظ أن الذي قام بإعدادها قد أغفل ترقيم أول خرزة واقعة عند غرفة الهدار بالكسار.

(٢) السيد عبدالله محمد الزواوي : المرجع السابق ،ص ٧ ،ابراهيم رفعت : المرجع السابق ، ج ١ ص ٢١٢.

وهنا ، لنا أن نتساءل عن أسباب هذا الاختلاف . وللإجابة على ذلك احتمالان :

الاحتمال الأول أن المهندس الذي قام عام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م بتوقيع مسار القناة على وثيقته ، لم يهتم بتوقيع جميع الخرزات على القناة وإنما اكتفى - بالإشارة إلى بعضها - بعلامات تأخذ شكل دائرة .

أما الاحتمال الثاني فإنّ هناك أعمالا عمارية تمت لإنشاء مجموعة من الخرزات بعد عام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م وقبل نهاية عام ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م ، حيث تاريخ الوثيقة الثانية التى وقعت عليها الخرزات من المنبع بالعقم إلى قهوة بعد الكسار . وبالنظر إلى ما تمّ عرضه عن ذلك فى الفصل الثاني من هذا البحث لا نجد أي دليل يؤيد ذلك ، حيث أن الأعمال التى تمت في تلك الفترة لا ترقى إلى إنشاء هذا الكم الهائل من الخرز بوادي نعمان .

وعلى ذلك يمكن القول أن الوثيقة الأولى المؤرخة بعام ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م ، اهتمت بتوقيع مسار القناة من منبعها بالعقم إلى مكة دون الاهتمام بتوقيع الخرزات ، وأن الوثيقة الثانية المؤرخة بعام ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م ، توضح بجلاء مسار القناة من منبعها بالعقم إلى قهوة بعد الكسار ، وقد وقع عليها عدد الخرزات .

وهذا يؤيد أيضا ما أورده الزواوي ، وإبراهيم رفعت عن عدد الخرزات الممتدة عبر وادي المغمس ، والتى بلغت ٢٥ خرزة . كما يرجح أن هناك أعمالا عمارية تمت لإنشاء مجموعة من الخرزات على قناة عين عرفة من منبعها بالعقم إلى الكسار تمت بعد عام ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م ، وهذا ما أشارت إليه الوثيقة المؤرخة بعهد الملك عبدالعزيز .

أما من حيث عدم تطابق ذلك مع الواقع فى الوقت الحاضر

فإن من المرجح أن ذلك يعود إلى اندثار مجموعة من الخرز نتيجة للعوامل الطبيعية كالرياح ، والسيول من جهة ، ونتيجة لحركة التوسع العمراني التى شهدتها مكة في هذا العصر ، من جهة أخرى .

ومن ناحية تقدير المسافات بين الخرزات نجدها مختلفة بشكل كبير حيث بلغت ١٠٠ م ، ٧٠ م ، ٦٠ م ، ٥٠٠م ، ٣٠٠ م ، ٢٠م ، ٧٠ م ، ٥٠ م . ولعل الناحية الفنية هي التى تحكمت في تحديد المسافة بين كل خرزتين .

وعلى ضوء ما ورد بالوثائق يمكننا أن نلحظ وجود مسميات كانت تطلق على بعض الخرزات بوادي نعمان للتعريف بها حتى يسهل تحديد مواقع الإصلاح ، والترميم ، والتنظيف ؛ فقد ورد فى وثيقة مؤرخة بعام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م ذكر لأسماء بعض الخرزات منها خرزة المثمنة ، وقومسيون عمومي ابتدائي ، وتقي الدين باشا ، والخرزة العميقة ، وأم القناديل وعميدي كبير ، وعميدي صغير.(١)

وورد في وثيقة يعود تاريخها لعام ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م ، اسم خرزة أم الخمسة ، وهاشمية ، ونبهانية ، وعلي باشهاب ، وأولية ، ومسقاية العبادلة ، وفارسية .(٢)

وورد في وثيقة يعود تاريخها إلى عهد الملك عبد العزيز المتوفى عام ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م ، اسم خرزة العنبر ، وأم الخمْسة ، ومحمد بن علي ، وأم القف ، والخمرية ، والكبسية ، والسلطانية ، والسفرانية ، والعثمانية ، والجفالية ، والمحمودية ، والمحمدية ، والعجاجية ، والعامرية ، والخلفية ، والبنهانية ، والسعودية ، والشرماء ، وأم قرشين ، وأم القف ، والخليفية ، ومسقاية ، والريشية ، والحسينية

---

(١) وثيقة رقم (١٣) . بالملحق رقم (١) من هذا البحث .
(٢) وثيقة رقم (١٤) . بالملحق رقم (١) من هذا البحث .

رقم (٤٨) ، والحسينيةرقم (٤٧) ، والهاشمية ، ومسقاية العبادلة ، والمثمّنة ، والبصرية ، والمثمنة ، ومسقاية العبادلة ، وخرزة بستان الفارسية ، وخرزة الفارسية الأولى ، والعصيمية بمسيل الجموم رقم (٦)، والعصيمية بمسيل الجموم رقم (٥) ،ومسقاية البجوم ، وخرزة مسقاية البجوم القديمة ، وخرزة جبل اليجوم ، وخرزة قهوة الفارسي.[1]

وصف منبع قناة عين عرفة بالعقم :

إن آخر خرزة على قناة عين عرفة بمنطقة العقم تمثل منبع العين في أواخر العصر العثماني ؛مما يجعل وصفها من الداخل يعطي انطباعا للطراز العماري الذي بنيت عليه في العصر العثماني . إلا أنه من الصعب النزول فيها لمعرفة وصفها من الداخل ، بسبب غزارة المياه ، التي قد تؤدي إلى هلاك من ينزل بها.

وقد سبقني فيمحاولة التعرف على صفة هذا المنبع ، لجنة من مكتب إدارة الآثار التابع لوزارة المعارف ، مع أحد مندوبي مصلحة المياه والمجاري بمكة المكرمة ، إلا أنهم لم يتموا عملهم بسبب ما لحظوه من غزارة المياه وبناء جدار الخرزة على ردم ترابي مما يشكل خطورة على حياة العمال .[2]

ولكن يمكن التعرف على صفة هذا المنبع من خلال وثيقة أعدها أركان حرب ميرالاي مهندس محمد صادق بك عام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م[3] ، فقد ورد بها وصف المنبع حسب الرسم التالي :

(١) وثيقة رقم (١٦) . بالملحق رقم (١) من هذا البحث .
(٢) تقرير سبقت الإشارة إليه .
(٣) وثيقة رقم (١٣) . بالملحق رقم (١) من هذا البحث .

" منبع العين

خط يمثل قناة
عين عرفة

أما وصف هذه الخرزة من الخارج فإنها تأخذ شكلا دائريا محيطه من الخارج ٥,٨ م ، وارتفاعها عن مستوى الأرضية الحالية بلغ في المتوسط نحو ٢ م ، وسمك جدار الخرزة ٩٠ سم ، وتتمثل فتحة الخرزة المؤدية إلى أسفل منبع العين في شكل مربع طول ضلعه ٩٠ سم . وبلغ عمق هذه الخرزة من مستوى سطحها إلى القناة حيث المنبع ٣٤ م . لوحة رقم (٦) شكل رقم (٣٢).

الطرز العمارية لخرزات قناة عين عرفة :

من خلال تتبع الجزء الظاهر على سطح الأرض من خرزات قناة عين عرفة لُحظ أن هناك طرزا مختلفة لهذه الخرزات يمكن إجمالها على الوجه التالي :

١ - إن مجموعة من الخرزات تأخذ كل منها شكلا دائريا من الخارج وفي وسطه فتحة مربعة للنزول إلى القناة . نأخذ منها على سبيل المثال الخرزة الخامسة الواقعة بعد المنبع بالعقم مباشرة . فقد بلغ محيطها من الخارج ٨ م ، وارتفاعها عن مستوى الأرضية اليوم ٢ م ، وسمك جدارها ٨٥ سم ، وبها فتحة مربعة طول ضلعها ٨٤ سم ، للنزول من أعلى الخرزة إلى القناة . ويقدر عمق هذه الخرزة من مستوى سطحها إلى قاعها بأسفل القناة بثلاثة وثلاثين مترا . لوحة رقم (٩) وشكل رقم (٣١).

٢ - يُلحظ وجود مجموعة من الخرزات يأخذ كل منها شكلاً مثمّنا . منها على سبيل المثال خرزة بوادي نعمان عند الكسار ، تأخذ شكلاً مثمنا

من الخارج طول ضلعه ١ م ، وسمك جدارها ٧٥ سم ، ولها فتحة مربعة طول ضلعها ٩٠ سم للنزول إلى أسفل القناة بواسطة حفر في جانبي الفتحة المربعة حتى مستوى القناة . لوحة رقم (١٥) وشكل رقم (٢٧).

كما عمد المعمار في المناطق المعروفة بخطورة مياه السيول بها إلى بناء الخرزات بأساليب يمكن من خلالها المحافظة على بناء الجزء الظاهر من الخرزة على سطح الأرض وهي كمايلي :

٣ - بناء مجموعة من الخرزات يأخذ كل منها شكلا دائريا يضيق كلما ارتفعت جدران الخرزة على سطح الأرض . منها خرزة تبعد عن منبع العين الواقع بالعقم حوالي ٢٥٠ م ، وبلغت أبعاد هذه الخرزة كالتالي: بلغ محيطها من الخارج في المنطقة الملامسة لسطح الأرض ١٢ م ، وبلغ محيط الخرزة عند نهايتها من الأعلى ٥ر١٠ م وذلك على ارتفاع ٣٠ر٢ م، من مستوى سطح الأرضية الحالية ، وسمك جدارها ٢٥ر١ م ، ولها فتحة مربعة طول ضلعها ٨٥ سم للنزول منها إلى أسفل القناة . لوحة رقم(١٠) وشكل رقم (٣٠).

٤ - بناء مجموعة من الخرزات تأخذ كل منها شكلا دائريا ينتهي بشكل مدبب من هذه المجموعة خرزة تبعد عن العقم ٣٠٠ م ،بلغ محيطها من الخارج ٥ر٨ م ، وسمك جدارها ٩٠ سم ، ولها فتحة مربعة طول ضلعها ٩٠ سم ، وترتفع الخرزة عن سطح الأرض الحالية ٢ م ، وتنتهي الخرزة في أحد أجزائها المواجه لممر السيل بشكل مدبب يتمثل في ضلعين طول كلٍ منهما ٣ م ، ويرتفع الطرف المدبب عن مستوى الأرضية الحالية حوالى ١٠ر١ م . لوحة رقم (١١) وشكل رقم(٢٩).

٥ - يمكن رؤية مجموعة من الخرزات تأخذ كل منها شكلا دائريا يضيق كلما ارتفعت جدران الخرزة إلى أعلى ولها طرف مدبب لكسر حدة اندفاع مياه السيل وإبعاد خطرها عن الخرزة ، منها خرزة تبعد عن العقم حوالي ٤٥٠ م. وتوصف أبعاد هذه الخرزة بما يلي: يبلغ محيطها عند مستوى الأرضية الآن ١٠ر٩ م ، كما أن محيطها على ارتفاع ٢٠ر١ م (من

مستوى الأرضية اليوم ٥ر٨ م ، في حين يبلغ محيطها عند نهاية الخرزة من الأعلى ٣٣ر٥ م ، وذلك على ارتفاع ٢٠ر٢ م من مستوى الأرضية الحالية ، وتنتهي هذه الخرزة في أحد أجزائها المواجه لممر السيل بشكل مدبب طول ضلعه ٥ر٢ م)٠ لوحة رقم (١٢) وشكل رقم (٢٨)٠

٦ - كما توجد خرزة بوادي نعمان تبعد عن العقم حوالى ٥ر٢ كم وتمتاز بضخامتها عن باقي الخرزات ، حيث بنيت هذه الخرزة بشكل دائري يضيق كلما ارتفعت جدران الخرزة ، ولها درج للوصول إلى سطحها ، فقد بلغ محيطها من الخارج في المنطقة الملامسة لسطح الأرض ٧٤ر١٧م ، وعلى ارتفاع ٥ر١ يضيق محيط الخرزة من الخارج حيث يبلغ ٢٣ر١٥م ، وبلغ سمك جدارها ٨٠ر١ م ، ولها فتحة مربعة طول ضلعها ٢٥ر١ م للنزول منها إلى أسفل القناة ٠ أما ارتفاع الخرزة فبلغ ٥ر٣ م ، ولذلك عمل لها ٧ درج للصعود إلى سطحها ٠ لوحة رقم (١٤) وشكل رقم (٢٦)٠

ولعل فى ضخامة هذه الخرزة عن باقي الخرزات ما يشير إلى أنها كانت مرتبطة بشحاذ لتغذية قناة عين عرفة بوادي نعمان ٠

الوصف العماري للقناة :

إن المتتبع لمسار قناة عين عرفة فى سفح جبل الرحمة ،وفى سفح جبل المأزمين وفي طريق ضب ، يجد أن معظم مباني القناة لا زالت قائمة إلى الآن ، مما يجعلنا نقف على طرازها العماري فى العصر العثماني ٠

وقبل البدء في وصف القناة في تلك المناطق، من المفيد الاشارة إلى ما ورد عنها لدى بعض المؤرخين والرحالة ٠

فهناك من وصفها فى تلك المناطق ، بأن سطحها تارة يكون مساويا لسطح الأرض، وتارة تنخفض عنه ، وتارة ترتفع عنه بمقدار سبعة أمتار على حسب ارتفاع الأرض وانخفاضها ، أما عرض سطح القناة من الأعلى

فيكون في بعض المواضع نحو متر ، وأحيانا يزيد على ذلك ، أما عرض جوفها (سعتها) ،فإنه يتراوح ما بين ٥٠ - ٦٠ سم ، وعمقها يبلغ نحو ٥٠ر١م ، ويرتفع الماء عن قاعها بحوالي ٧٠ سم ، في المتوسط ، وعلى القناة غطاء من الحجارة به فتحات للاستقاء ، تبلغ مساحة كل منها نحو ٥٠ سم أو أكثر قليلا ، وتتباعد كل فتحة عن الأخرى بمسافة تتراوح من ١٠ م إلى ٢٠ م .(١)

وذكر محمد لبيب البتنوني وصف قناة عين عرفة بقوله " يبلغ عرض هذه القناة نحو متر وربع في ارتفاع نحو متر ونصف ، وتقرب من سطح الأرض وتبعد عنه على حسب ارتفاعها وانخفاضها "(٢).

كما وصف إبراهيم رفعت هذه القناة بقوله " وهذه القناة عرضها من الأعلى متر وقد تزيد ، وفراغها من ٥٠ إلى ٦٠ سنتيمتراً، وعمقها متر ونصف ، وارتفاع الماء فيقاعها ٧٠ سنتيمترا وقد يزيد وقد ينقص ، وهي مغطاة بأبنية الحجارة ، وبالغطاء فتحات لأخذ الماء منها ،عرضها ستون سنتيمترا وتنقص أو تزيد ، والفتحات يتباعد بعضها عن بعض بمسافات مختلفة حسب الحاجة ، وبجانب الفتحات أحواض لشرب الآدميين وأخرى لشرب الحيوان وسطح القناة تارة يكون مساويا لسطح الأرض وتارة يرتفع عنها وقد يصل الارتفاع إلى سبعة أمتار ، وتارة تسير في تخوم الأرض على مقربة من سطحها أو أبعد،... وهذه القناة تدور في سفح جبل عرفات من ثلاث جهات (انظر خارطة ٢ ، ٣) ... وفيها هنالك فتحات كثيرة بين الفتحة وأختها ٥ر٤ أمتار وعرض الفتحة ٦٨ سنتيمترا في عرض ٨٠ سنتيمترا ، وقد يزيد الطول والعرض على ذلك إلى المتر ،وعمق

---

(١) محمد باشا صادق : المصدر السابق ، ص ٦٣ - ٦٤.
(٢) محمد لبيب البتنوني : المصدر السابق ، ص ٦٦.

القناة ١٫٣٢ مترا ، وعرضها ١٫٤٦ مترا من الأعلى ويصعد إلى الفتحات بسلالم قد تصل درجات السلم إلى ١٥ ... ، وعلو الدرجة من ٢٥ سنتيمترا إلى ٣٥ سنتيمترا ، وعرضها ٣٠ سنتيمترا ، وهذا المقاس إنما كان في المجرى جنوب جبل الرحمة فقط ".(١)

وظهر من الدراسة الميدانية أن قناة عين عرفة تختفي في بعض المواضع عن مستوى سطح الأرض ، وتظهر في مواضع أخرى حسب ارتفاع الأرض وانخفاضها ، فعند تتبع القناة ابتداء من العقم إلى الكسار نرى أنها تختفي تحت مستوى سطح الأرض . ويدلنا على ذلك وجود خرزها على سطح الأرض ، وبعد منطقة الكسار ، تبدأ القناة في الظهور على سطح الأرض ثم تختفي في بعض أرض عرفة ثم تظهر عند جبل الرحمة ثم تختفي تحت سطح الأرض في المغمس (وادي عرنة) ثم تظهر متعلقة بسفح جبل المأزمين وتستمر على ذلك في طريق ضب ثم تختفي تحت سطح الأرض في مزدلفة ، وتظهر بعد ذلك على سطح الأرض في منطقة دقم الوبر وتستمر على ذلك مروراً بالمفجر ، ثم تختفي بعد ذلك تحت سطح الأرض في منطقة العزيزية وبالتحديد خلف مستشفى الأهلي الآن وتستمر على ذلك إلى أن تصل إلى الأبطح موضع التقائها بقناة عين حنين . خارطة رقم (١٧) و لوحة رقم (١٨،٧ ، ١٩ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٥٣ ، ٥٥).

واختلفت أبعاد القناة من موضع لآخر ، حيث يُلحظ أن عرض سطحها من الخارج في منطقه جبل الرحمة وطريق ضب قد اختلفت مقاساته فكانت كالآتي :

١ م ، ١٫١٠م ، ١٫٣٠ م ، ١٫٤٠ م ، ١٫٥٠ م ، ١٫٦٠ م ، ١٫٧٠ م ، ١٫٨٠ م . أما سعة القناة من الداخل فإنها تتراوح بين ٥٠ - ٦٥ سم .

---

(١) إبراهيم رفعت : المصدر السابق ج ١ ص ٢٠٧ - ٢٠٨ . كذلك انظر عمر رضا كحالة : المرجع السابق ص ١٦٠ - ١٦١ .

واختلف عمق القناة من الداخل اختلافا كبيرا من منطقة إلى أخرى حيث يتراوح بين ٧٠ سم - ١٧٠ سم • لوحة رقم (٣٥،٥٠) وشكل رقم (١٦،١٧، ١٨ ب ، ١٩ جـ ، ٢٠ د) •

ويوجد على سطح القناة من الخارج فتحات للاستقاء وتنظيف القناة بعضها يأخذ شكل مربع طول ضلعه ٥٥ سم أو ٦٠ سم أو ٧٠ سم أو ٨٠ سم ، وبعضها يأخذ شكل مستطيل طوله ٦٠ سم وعرضه ٥٠ سم وتختلف المسافات بين كل فتحة وأخرى فهى تتراوح بين ٤ م إلى ١٠ م • ويمكن الصعود الى فتحات الاستقاء عن طريق سلالم تختلف أبعادها أيضا من منطقة لأخرى حسب ارتفاع مستوى سطح القناة عن الأرض كما هو الحال في السلالم الموجودة بجبل الرحمة • لوحة رقم (٢٠) والسلالم المؤدية إلى سطح القناة بطريق ضب لوحة رقم (٢٤) وشكل رقم (٦ ، ٢٤ ع) ، ولوحة رقم (٣٦) وشكل رقم (١٧ أ) بطريق ضب •

أساليب المحافظة على القناة من مياه الأمطار والسيول في سفوح الجبال والوديان :

بالنظر إلى مواضع سير قناة عين عرفة من منبعها إلى مكة المكرمة يلحظ أن المعمار كان حريصاً دائما على بناء القناة قريبة من سفوح الجبال التى تمر بقربها ، أو بنائها على قنطرة لحمايتها من أخطار السيول التى تداهم الوديان لوحة رقم (٢٥،٢٨،٥٠) وشكل رقم (١٦ ، ٢٥ و) ، وعلى هذا يمكن تتبع أساليب المعمار في المحافظة على القناة في كل من سفوح الجبال وبطون الأودية على الوجه التالي :

- أساليب المحافظة على القناة في سفوح الجبال :

اتضح من العرض السابق، للمناطق التى تمر عبرها قناة عين عرفة

من منبعها إلى مكة المكرمة ، أن هناك مناطق تظهر فيها القناة فوق مستوى سطح الأرض(١) ، بارتفاعات تتفاوت وطبيعة ارتفاع أو انخفاض الأرض التى تمر عبرها القناة ، مما يُلجئ المعمار إلى بناء القناة إما متعلقة في ذيول الجبال أو سفوحها (لوحة رقم (١٨، ٢٠، ٢٤) وشكل رقم (١٦) .

ومن أهم الأسباب التى دعت المعمار إلى اختيار الأماكن التى يبنى فيها القناة هو توخيه الأمان لها مع بنائها بناءً متينا ، كما يبتعد بها قدر المستطاع عن مياه السيول في الوديان . ولكن على الرغم من ذلك ، فإن القناة تتعرض لمياه السيول المتحدرة من الجبال التى تتعلق القناة بذيولها أو سفوحها ، وهنا لجأ المعمار إلى أساليب عمارية تحقق الاطمئنان على قناته فكان ذلك على النحو التالي :

١ ـ عمل المعمار في المناطق التى بها انحدار مائي يشكل خطرا على القناة المتعلقة بسفح الجبل ، على بناء جدار يمثل سدا لكسر حدة المياه المنحدرة وتوجيهها فى شكل شعبتين إلى منطقة منخفة تؤدى إلى فتحة سفلية في جدار القناة ـ يطلق عليها اسم ميزاب ـ لتصريف المياه بعيدا عن القناة ، ثم عمل على تدعيم هذا الميزاب بأساليب مختلفة منها بناء دعامتين : دعامة عن يمينه ودعامة عن يساره لوحة رقم (٣٠، ٣١، ٣٢) وشكل رقم (١٦ ، ١٨ب) ، أو تدعيم الميزاب بدعامة واحدة مجاورة له . لوحة رقم (٣٣) وشكل رقم (١٦ ، ٢٢ س) .

---

(١) انظر ما سبق ص (٣٣٦) من هذا البحث .

٢ - عملت فتحات تصريف مياه الأمطار والسيول (ميازيب) أسفل القناة بحجر مهذب ومجصص كي لا يتأثر بناء القناة من جراء الماء وجعل المعمار بناء هذه الميازيب مائلا إلى الخارج ليسهل تدفق المياه عبرها بسهولة ، لوحة رقم (٣٠).

٣ - في حالة اعتراض منطقة جبلية لطريق سير القناة ، يلجأ المعمار إلى عمل نفق في الجبل لإمرار المياه ،ويعمل به فتحة تنتهي برقبة تشبه الخرزة ، لوحة رقم (٣٤،٣٥) وشكلرقم (١٦).

٤ - فى حالة بناء الفتحات على القناة فىمنطقة قريبة من سطح سفح الجبل ، حيث يوجد احتمال اندفاع مياه الأمطار والسيول إلى الفتحة ، فإنه يبنى في الجهة التي تندفع إليها المياه ،جداراً ليبعد مياه السيل عن الفتحة ، لوحة رقم (٣٥).

٥ - يلجأ المعمار في بعض المناطق التي يتساوى فيها سطح القناة معسطح سفح الجبل ،إلى بناء سطح القناة بشكل منبعج ، مغطى بطبقة من الملاط ، حتى يسهل انزلاق مياه السيول عليه ، لوحة رقم (٤٢) وشكل رقم (١٦ ،٢٠د).

٦ - كان المعمار حريصاً دائما على الاستفادة من الطبيعة ومحاولة تسخيرها، لتحقيق أهدافه في المحافظة على القناة ، ويتجلى ذلك فى أسلوبه لتوجيه المياه المنحدرة من بعض المناطق الجبلية إلى موضع منبعج على سطح القناة ، ليسهل عملية مرور مياه السيل إلى مواضع منزلقة في الصخر تسهل خروج الماء ، بعيدا عن القناة ، هذا فضلا عن بناء دعامة مجاورة للقناة في هذا الموضع بشكل سميك من أسفل ويقل كلما ارتفعت ، لوحة رقم (٤٢،٤٣) وشكل رقم (١٦ ،١٩ جـ).

٧ - عمل المعمار فى بنائه للقناة بذيول الجبال ،على تجنب ترك أي فراغات بين القناة وذيلالجبل ، للحيلولة دون تجمع المياه

بكميات كبيرة ، مما يشكل خطرا على بناء القناة . لوحة رقم (٣٧).

٨ - الإبقاء على بعض مواضع من القناة القديمة التى تخربت بفعل تجمّع مياه السيول أمامها ، وبناء قناة جديدة مجاورة لها ، واعتبار بقايا القناة القديمة تدعيما للقناة الحديثة المجاورة لها ، مع عدم ترك أي فراغ بين القديم والجديد ،لئلا تتجمع فيها مياه السيول وتهدد المبنى الجديد بالانهيار، هذا إضافة إلى عناية المعمار بفتحات تصريف المياه في القناة القديمة للاستفادة منها في إبعاد المياه عن القناة مع بناء فتحات جديدة أمامها ، تسهل خروج الماء بعيدا عن القناة . لوحة رقم (٣٩،٤٠) وشكل رقم (١٦ ،٢٣ ص).

٩ - من الملحوظ أن عدد فتحات تصريف مياه الأمطار والسيول الواقعة أسفل القناة يزداد مع الدعامات الساندة كلما كانت المنطقة معرضة لكميات كبيرة من السيول . كما تقترب الدعامات الساندة إلى بعضها ، هذا فضلا عن اتساع الفتحات . لوحة رقم (٥٣).

١٠ - يضطر المعمار فى بعض الحالات إلى عمل فتحة تصريف واحدة أو اثنتين في وسط الدعامة الساندة . لوحة رقم (٥٤).

١١ - من وسائل المحافظة على القناة بناء دعامة مواجهة للمياه المنحدرة ، لكسر حدتها وتمريرها عبر فتحتين . لوحة رقم (٥٢).

أساليب المحافظة على القناة عند عبورها بطون الأودية :

إن أهم مثل ، يعبر عن فكر المعمار العثماني ، فى المحافظة على القناة ، عند عبورها بطون الأودية ، هو بناء قنطرة العابدية بطريق ضب ، التى تحمل فوقها قناة ماء عين عرفة ، وتحميها من أخطار السيول . شكل رقم (١٦ ،٢٥ و) ولوحة رقم (٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩)٠

وبالنظر إلى موقع القنطرة يرى على مسافة قريبة منها ، بعض مباني قنوات قديمة ، مما يعطى تصورا للمراحل ، التى أنشئت فيها القنوات ، لحل مشكلة التغلب على أخطار سيول ذلك الوادي ، حيث يعبر عن المرحلة الأولى ، بناء للقناة في منطقة تقع أمام موقع قنطرة العابدية الحالية وتبعد عنها بحوالي ١٥٠ م مما خلف وراء القناة فى المرحلة الأولى حوضا كبيرا يمتلىء بمياه السيول حتى صار خطرامؤكدا لبناء القناة ، لتجمع المياه فيه . لوحة رقم (٢٦)٠

أما المرحلة الثانية ، فقد عمل فيها المعمار ، على بناء قنطرة تحول دون تجمع مياه السيول بأن تسمح لها بالمرور أولا بأولعبرفتحات تصريف ومحاولة تقليص المنطقة الحوضية ، التى كانت تتجمع فيها المياه . شكل رقم (١٦ ، ٢٥ و) لوحة رقم (٢٧)٠إلا أنه يلحظ أن بناء القناة وقنطرتها في هذه المرحلة لم يكن سميكا بالقدر الكافي لمقاومة حدة اندفاع المياه ،فلجأ المعمار إلى بناء دعامات ساندة لهذه القنطرة. شكل رقم (١٦) لوحة رقم (٢٧)٠

ويبدو أن هذه الحلول ، لم تكن كافية لحل مشكلة المحافظة على بناء القنطرة ، أمام عوادي السيول،فعملالمعمار على بناء قنطرة مجاورة للقنطرة القديمة ، مستغلاً الأبنية القديمة في تدعيم قنطرته الجديدة ، ويرجح أن هذا الحل أدى إلى تدعيم القناة بطريق ضب، بدليل بقاء القنطرة إلى الآن . شكل رقم (٢٥ و) ولوحة رقم (٢٨،٢٩)٠

كما حدثت لهذه القنطرة تعلية لجدار القناة بها في العهد السعودي إلا أن هذه التعلية لم تؤد إلى الغاء ملامح طرازها العثماني .(١)

ولعل من المفيد هنا وصف هذه القنطرة كي يتضح لنا ما تميزت به من أساليب عمارية : تمثل قنطرة العابدية بطريق ضب الآن بنائين متلاصقين أحدهما قديم والآخر أحدث منه . ويتخذ البناء الجديد البناء القديم دعامة له من جهة الشرق كما يسند البناء الجديد من الجهة الأخرى سبع دعامات يأخذ كل منها شكل نصف دائرة . لوحة رقم (٢٧،٢٨،٢٩) وشكل رقم (٢٥و) .

أما البناء القديم فقد كان أيضا مدعما إلا أنه لا يظهر من دعاماته اليوم إلا من الجهة الشرقية وتتخذ هذه الدعامات أشكالا مختلفة منها ما يأخذ شكل نصف دائرة تنتهي بشكل مخروطي فى أعلاها ، ومنها ما يأخذ شكلا رباعيا ينتهي بزاوية حادة عند التقائه بجدار القناة ، ومنها ما هو على شكل مخروطي . لوحة رقم (٢٧) شكل رقم (٢٥ و) .

---

(١) اشار الاستاذ يوسف أكبر إلى أن عملية الترميم كانت عام ١٣٦٩هـ

٣ - عين منى : خارطة رقم (١٧)

سبقت الإشارة إلى أن بركة السلم كانت تغذى بالمياه في القرن العاشر الهجري من عين ماء بمنى.[1] أما في القرن الحادي عشر الهجري فقد صارت تغذى بمياه الأمطار. فقد أشار إلى ذلك على الطبري المتوفى عام ١٠٧٠هـ/١٦٥٩م بقوله " ومن البرك بركة السلم، وهي في طريق منى بالقرب من عقبتها، وملأها من ماء المطر لا من مجرى العين ".[2]

وعندما نتساءل عن موقع العين التى كانت تغذي بركة السلم في القرن العاشر الهجري لا نجد فيما توفر لنا من كتب ووثائق ما يجيب عن ذلك أو يحدد هذا الموقع. غير أنه يمكن تحديد موقع هذه العين على الطبيعة الآن، اعتمادا على مايردده بعض المسنين من أهل مكة عن ذلك، حيث أشاروا إلى أن منبع هذه العين يقع مجاورا لمنزل " أحمد صدقى " بمنى، وقد أورد لي الشريف مساعد بن منصور آل عبدالله بن سرور رواية عن أحمد خليفة النبهان، الذي كان يعمل بلجنة عين زبيدة قبل العصر السعودي واستمر خلاله، أن المياه كانت تسيل من ذيل الجبل المجاور لمنزل " أحمد صدقي " وتتجه عبر قناة تحت مستوى سطح الأرض إلى جهة الغرب، وكانت توجد خرزة ببستان - يعود لشيخ قريش فى الوقت الحاضر- وتتجه منه المياه إلى موضع البركة.

ولعل هذا يشير إلى أن عين منى كانت قد جفت فى القرن الحادي عشر الهجري فلم تعد تغذي بركة السلم آنذاك ثم عادت مرة ثانية فيما بعد. وهذا ينسجم مع الرواية التى أشرت إليها قريب.

---

(١) انظر ما سبق ص (١٤٤) من هذا البحث.

(٢) على الطبري : المصدر السابق، ورقة ٥٤٠.

٤ - عين بالمعابدة :

ذكر على الطبري المتوفى عام ١٠٧٠هـ/١٦٥٩م أنه " في حدود الثلاثين بعد الألف ، ظهرت عين مقابل بستان القاضي حسين المالكي بأرض المعابدة .. كان ماؤها تغلب عليه الملوحة واستمرت مدة ويقال أنها ألحقت بعين عرفة وعين حنين " .(١)

ويجدر بنا أن نتساءل :

أولاً : أين موقع العين من أرض المعابدة وكيف ألحقت مياهها بقناة عين عرفة وعين حنين ؟

ثانيا : لماذا ظهرت مياه هذه العين فجأة ؟

أما من حيث تحديد موقع العين بأرض المعابدة فلا يوجد اليوم أية علامات ظاهرة على سطح الأرض يمكن أن يستدل بوساطتها على موقع العين ، إلا أنه من وصف موقعها بأنها أمام بستان القاضي حسين بأرض المعابدة، يمكن ترجيح أنها كانت تقع قريبة من سد الأبطح ، حيث يقع بستان القاضي حسين(٢). أما أسلوب إيصال ماء العين إلى قناة عين عرفة وعين حنين، فيرجح أنه كان عن طريق قناة مستقلة لنقل الماء ، إلى حيث يجتمع ماء عرفة بماء حنين .

وأما من حيث أسباب ظهور العين فجأة ، فمن المحتمل أن مرد ذلك لحدوث زلزال بمكة المكرمة ، تزامن مع ظهور العين في حدود عام ١٠٣٠هـ/١٦٢٠م فمن المعروف أن بعض الزلازل قد ينتج عنها غور بعض العيون ، وظهور

---

(١) علي الطبري : المصدر السابق ، ورقة ٣٨ .

(٢) السيد عبد الله محمد الزواوي : المرجع السابق ، ص ٢٠ .

عيون آخرى . ويرجع ذلك إلى أن فى باطن الأرض عروقا تجري فيها المياه إلى عيون ظاهرة فوق الأرض ،فإذا حدث الزلزال ، أدى إلى تخلخل التربة التى حول العروق التى تجري بها المياه إلى العيون ،فتتأثر العروق من ذلك وربما تسد مما يدفع الماء للبحث عن منفذ آخر غير المنفذ القديم . أو ربما تؤدي الزلازل إلى ظهور منافذ للمياه المحتبسة في باطن الأرض ".(١)

٥ - عين الهميجة : خارطة رقم (٥ ،١٧).

منبع العين :

قال البلادي عن هذه العين : " الهُمَيِّجة : آخذت اسمها من طعم مائها ،وهي عوينة في وادي العُشر أحد روافد فخ تنبع شمال حراء "(٢)

وباستطلاع المنطقة القريبة من جهة شمال جبل حراء لا نجد أية علامات ظاهرة على سطح الأرض حاليا تدل على أن بهذا الموضع منبع عين الهميجة .

ولكن تم بحمد الله للشريف مساعد بن منصور آل عبد الله بن سرور، عمل رسم كروكي لموقع منبع عين الهميجة ومسار قناتها عام ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م بناء على ما رآه بنفسه ، مما زكى ما أورده البلادي عن منبع العين ، وسهل تتبع مسار القناة إلى منتهاها حيث لا يوجد اليوم إلا بعض خرزات بوادي لقيطة . لوحة رقم (٧٢).

---

(١) أبو بكر محمد بن الحسن الحاسب الكرخي : انباط المياه الخفية ، ص ٢٢ ، الطبعة الأولى بمطبعة دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد - ١٣٥٩هـ.

(٢) عاتق بن غيث البلادي : المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ٢١٠.

وعلى هذا فإن قناة عين الهميجة تتجه من موقع منبع العين إلى الغرب عبر وادي العشر إلى أن تصل إلى موقع سد حديث بوادي لقيطة ثم تتجه القناة بعد ذلك إلى الشمال الغربي إلى أن تصب مياهها في مزرعة بالزاهر . وبلغ عدد الخرزات على قناة عين الهميجة من بدايتها إلى نهايتها ٤٦ خرزة وذلك اعتمادا على ما جاء بالرسم الكروكي الذى سبقت الإشارة إليه . لوحة رقم (٧٢) وخارطة رقم (٥).

ويمكن الترجيح بأن أصل الموضع الذي ينتهي إليه جريان ماء عين الهميجة هو بركة الحصحاص التى صرف إليها ماء فخ عام ١٢٤١هـ/١٨٥٥م [(١)]. ولعل هذه من العيون القديمة التى اهتم العثمانيون ببناء قناتها ضمن أعمال لجنة عين زبيدة في نهاية القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر الهجري ، حيث كانت اللجنة تبحث عن العيون القديمة المندثرة لإعادة بنائها. [(٢)]

وقد أفاد الشيخ سعيد بن قاسي بن قابل الأحمدي أحد كبار السن الساكنين بوادي لقيطة [(٣)]، أنه كانت توجد بالقرب من قناة عين الهميجة عند سد وادي لقيطة ، قناتان لنقل الماء . إلا أنه بالنظر على الواقع الآن لا يظهر على سطح أرض تلك المنطقة إلا بعض خرزات قناة عين الهميجة كما هو واضح بالرسم الكروكي الذي عمله الشريف مساعد بن منصور. خارطة رقم (٥).

---

(١) انظر ما سبق ص (٨٤) من هذا البحث . الحصحاص : هو الجبل الذى يشرف على حي الزاهر من جهة الشرق . يسمى جانبه الشمالي الغربى أبو مدافع وعليه حي يسمى ملقية . عاتق بن غيث البلادي :معالم مكة التأريخية والأثرية ، ص ٨٥.

(٢) انظر ما سبق ص (٢٣٨) من هذا البحث .

(٣) مقابلة شفوية تمت في شهر شعبان عام ١٤٠٧هـ.

ومما يؤيد ما أفاد به الشيخ سعيد بن قاسي بن قابل الأحمدي، وجود رسم قناة موقع عليها ثلاث خرزات موازية لقناة عين الهميجة بالقرب من سد وادي لقيطة ، في الرسم الكروكي الذي عمله الشريف مساعد بن منصور ، وقد كتب بجانب القناة الموازية لقناة عين الهميجة " دبل لا يوجد به ماء في تاريخ ١٣٨٠/٣/١٥ هـ " ، إضافة إلى ذلك يظهر من هذا الرسم الكروكي ، رسم قناة تتجه من منطقة العدل إلى وادي العشر كتب بجانبها " عين أم الروس" خريطة رقم (٥). غير أنه ليس بين أيدينا الآن ما يوضح منبع القناتين ومسارهما ومنتهاهما .

ولعل هاتين القناتين تجدان من الدارسين مستقبلا عناية بدراستهما ،لإلقاء مزيد من الضوء على الدور الذي كانتا تضطلعان به .

٦ - عين كانت تنبع من دحلة الجنبية بشارع " اللصوص " المعروف اليوم بشارع " الأندلس " :خارطة رقم (٤ ،١٧) :

إن الباحث الآن عن منبع هذه العين ومسار قناتها لا يجد منها إلا آثار بعض خرزاتها ظاهرة على سطح الأرض في أماكن متفرقة ، مما يصعب معه تحديد ابتداء منبع العين ومسار قناتها . بيد أنه من الممكن تتبع مسار هذه القناة من خلال مذكرات كتبها الشريف مساعد بن منصور آل عبدالله بن سرور عنها ، وتقرير عمل باشراف بلدية المنطقة الخامسة التابعة لأمانة العاصمة المقدسة تمّ فيه توقيع مسار هذه القناة على خريطة ، ومن خلال بعض الخرزات التى لا زالت آثارها ظاهرة على سطح الأرض ، ومن خلال مشاهدات بعض المسنين للخرزات المندثرة الآن . خريطة رقم (٤).

فقد أشار الشريف مساعد بن منصور إلى أن منبع هذه العين كان يقع في دحلة الجنبية في طرف ريع اللصوص ، المعروف اليوم بشارع الجزائر ، وتتجه قناتها من هناك إلى بستان الشريف عون ، الذي أصبح اليوم للأمير

متعب بن عبدالعزيز ، ثم تتجه القناة من هذا الموضع إلى طرف مستشفى الولادة اليوم ، ثم إلى ما يقابل دار عبدالله السليمان بجرول ومنها إلى دار الطبيشى ومنها إلى التنضباوي .

أما تقرير بلدية المنطقة الخامسة التابعة لأمانة العاصمة المقدسة (١) فقد اتضح منه وجود قناة على عمق حوالي ثلاثة أمتار عن سطح الأرض الواقعة أمام المدرسة السعيدية وجوار المباني التابعة للجمعية الخيرية بالقرب من منطقة التيسير فى الوقت الحاضر . خارطة رقم (٤).

وقد قام المهندس عبدالله محمد يماني وكيل البلدية الخامسة بفحص هذه القناة ، فاتضح أنها مبنية من الحجر ويبلغ مقطعها حوالى ٤٠ × ٦٠ سم ، وهي مفتوحة من جهة ومغلقة من الجهة الأخرى ، نتيجة لأعمال حفريات تمت على الأرض المحيطة بها.

وبتتبع مسار هذه القناة عن طريق لجنة شاركت فيها بلدية المنطقة الخامسة ، ظهر لها وجود خرزة تغذية رئيسة للقناة تحت سطح الأرض في منطقة بأحد تقاطعات شارع الأندلس بشارع الجزائر بالقرب من حوش البلدية ومسجد " نافع " . وتتجه القناة من هناك إلى جرول ومنه إلى التنضباوي . خارطة رقم (٤ ، ١٧) .

وقد قمت بزيارة لموقع خرزة التغذية الرئيسة ، فظهر لي من خلال حفرة في الأرض المغطية لها ، جزء من بنائها . لوحة رقم (٧٠). وقد أفاد سكان الحي المجاورون لها ، أنها كانت في الماضى مصدرا من مصادر المياه التى يعتمد عليها السكان في الشرب . وأن مياه هذه الخرزة تأتي من جبلين متجاورين ، وكانت المياه تسيل من أحدهما إلى

---

(١) انظر أصل هذا التقرير لدى بلدية المنطقة الخامسة بمكة رقم : ٥/٥/٦٧٣ في ١٤٠٥/٣/٢٣هـ.

وقت ليس بالبعيد ، أما الجبل الثاني فلا زالت المياه تنبجس من صخوره إلى الآن لوحة رقم (٦٨،٦٩) . ويدعى الأول منهما بجبل الفارع ويبعد عن موقع الخرزة بمقدار ١٧٥٠م تقريبا ، أما الثاني وهو الذى مازالت المياه تنبجس من صخورة إلى الآن فيعرف بجبل السيدة خديجة ، وهو المطل على شعبة الضبع بشارع الأندلس ، ويبعد عن موقع خرزة التغذية الرئيسة حوالى (٥٠٠م) . ويرجح أنه كانت هناك قناتان لنقل الماء منهما إلى موقع خرزة التغذية الرئيسة .

وبناء على الدراسة الجغرافية التى قمت بإجرائها في الفصل الأول من هذا البحث ، اتضح أن خرزة التغذية الرئيسة هذه تقع فيما يشبه الحوض المائي حيث تحيط بها الجبال من جهة الشمال والشرق والغرب ، وتستقطب جميع المياه المتساقطة على هذه الجبال .(١)

وقد ظهر للجنة أثناء تتبعها لمواقع خرزات قناة هذه العين أن مباني كثيرة تم إنشاؤها على مواضع مسار القناة ، وعلى الرغم من ذلك فإن اللجنة استطاعت تتبع مسار القناة من خلال معرفة جماعة من الناس لمواقع هذه الخرزات المندثرة ، ومن خلال بعض الخرزات التى لا زالت قائمة إلى الآن . لوحة رقم (٧١) .

وعلى هذا فقد توصلت اللجنة إلى مواقع ١٥ خرزة مندثرة تمتد على القناة من شارع اللصوص إلى الحلقة فالتنضباوي . أما الخرزات التي لا زالت قائمة إلى الآن فقدر عددها بأربع خرزات .

ونخلص من عرض تقرير بلدية المنطقة الخامسة عن مسار هذه القناة إلى تزكية ما أشار إليه الشريف مساعد بن منصور في مذكراته . حيث اتضح أن منبع هذه العين الذي أشار إليه تقرير البلدية هو عبارة عن

---

(١) انظر ما سبق (ص ١٧) من هذا البحث .

خرزة تغذية رئيسة عند نقطة تلاقي شارع الجزائر بشارع الأندلس ، وهو يقع فى المنطقة التى كان يطلق عليها دحلة الجنبية سابقا ، وتتجه القناة من ذلك الموضع مرورا بشارع الجزائر فالعتيبية فجرول فشارع بئر طوى فالتنضباوي .

وليس لدينا من النصوص ما يجلي الحقيقة عن مسار هذه القناة بعد شارع التنضباوي ؟

ولعل هذا يفتح بابا للدارسين بعدي للوقوف على تفاصيل ملاحظة مسار هذه القناة ودورها الحضاري .

٧ ـ شبكة قنوات المياه الداخلية : خريطة رقم (٨ ، ١٧)

سبقت الإشارة إلى أنه تم في عام ٩٧٩هـ/١٥٧١م مدّ قناة عين عرفة ـ من موضع بئر زبيدة بالعزيزية الآن ـ إلى الأبطح ، حيث التقت مياه قناة عين عرفة بمياه قناة عين حنين في ذلك الموضع ، واندفع الماء بعد ذلك في قناة واحدة إلى مكة المشرفة ، حيث تفرعت منه فروع مختلفة لتغذية عمائر المياه المختلفة داخل البلد(١) .

كما بدئ في عام ٩٧٩هـ/١٥٧١م ايضا في بناء قناة مستقلة بمياه عين عرفة من الأبطح إلى آخر المسفلة ، مرورا بالمدعى ثم الصفا ، ثم سويقة ، ثم السوق الصغير .(٢)

وعلى ذلك فإنه كانت تمتد بمكة المشرفة فى القرن العاشر الهجري قناتان لنقل الماء من الأبطح إلى آخر المسفلة . إلا أنه يتضح على ضوء ما تم عرضه عن جهود العثمانيين في العناية بالعيون وقنواتها ، ابتداء

---

(١) انظر ما سبق ص (١٥٨) من هذا البحث .
(٢) انظر ما سبق ص (١٦٠) من هذا البحث .

من القرن الحادي عشر الهجري وحتى نهاية العصر العثماني - اعتماداً على ما ورد بالوثائق وكتب المؤرخين والرحالة - عدم وجود أي إشارة إلى وجود قناتين تدخل مكة المشرفة من منطقة الأبطح . بل إن الأمر على العكس من ذلك ، فاننا نجد إجماعهم على أن هناك نقطة التقاء تقع بمنطقة الأبطح لنقل مياه قناة عين عرفة ومياه قناة عين حنين عبر قناة واحدة إلى داخل البلد . ويزكي هذا وجود وثيقة تم بها توقيع موضع التقاء قناة عين عرفة بقناة عين حنين ومسار القناة الجامعة لهما.(١)

ويمكن التساؤل هنا عن الأسباب التى أدت بالعثمانيين إلى الرجوع لجمع مياه قناتي عين عرفة وعين حنين في الأبطح ، وتسيير الماء من هناك عبر قناة واحدة إلى داخل البلد ؟

وللإجابة على ذلك يمكن ترجيح أنّه بعد أن تم للعثمانيين بناء قناة مستقلة بعين عرفة من الأبطح إلى آخر المسفلة ، لحظ خراب القناة القديمة التى كانت تنقل مياه عين حنين إلى داخل البلد ، نظرا للمدة الطويلة التى قضتها وما تعرضت له من خراب وانسداد طيلة ثمانية قرون فاستعيض عنها بنقل الماء عبر قناة عين عرفة الجديدة ، التى كانت تنقل الماء من الأبطح إلى آخر المسفلة .

ومن المفيد الآن ، تحديد موقع التقاء قناة عين عرفة بقناة عين حنين في الأبطح ، وتوضيح مسار القناة من هناك إلى منتهاها ببركة ماجن بالمسفلة ، مع ايضاح تفرعاتها المختلفة لتغذية عمائر المياه وبعض المؤسسات الحكومية المختلفة داخل البلد.

وعلى الرغم من عدم ظهور آثار مادية للقناة الآن ، على سطح الأرض سواء كانت خرزات أم غيرها ، فإنه يمكن تتبع مسار هذه القناة من خلال

---

(١) وثيقة رقم (١٣) ، بالملحق رقم (١) من هذا البحث .

ما ورد عن ذلك فى الوثائق ، وكتب المؤرخين والرحالة ، اضافة إلى المتبقي من بعض المنشآت المائية ، التى كانت تستقطب مياه القناة كالبازانات .

وقد أشار إلى موقع التقاء قناة عين عرفة بقناة عين حنين فى منطقة الأبطح علي الطبري المتوفى عام ١٠٧٠هـ/١٦٥٩م ، بقوله : " وعين عرفات وعين حنين يجتمعان في محل يقال له المقسم بأرض المعابدة "(١) ، كما ورد في وثيقة مؤرخة بعام ١١٢٥هـ/١٧١٣م إشارة إلى أن وادي المنحنى هو موضع التقاء قناة عين عرفة بقناة عين حنين .(٢) كما وردت اشارة إلى ذلك بكتاب السيد عبدالله محمد الزواوي ، مفادها أن موضع التقاء قناة عين عرفة بقناة عين حنين ، يقع في بستان بنونة الشهير أمام دكة المنحنى.(٣)

كما أشار محمد عمر رفيع إلى ذلك بقوله " ولا يفوتنى أن أذكر أن ماء عين زبيدة (عين عرفة) وعين الزعفران (مياه قناة عين حنين) ، وما الحق بهما من عين ماء عرفت بعين المعيصم (الطارقي) تتجمع كلها في مكان كائن بالمعابدة لصيق لدار تعود لآل الشيبي تسمى التشمسة كان له فتحة كبيرة يشاهد منها الماء يتدفق من انابيب صغيرة ودقيقة ، يخرج منها الماء إلى المجرى المعد لانسيابه إلى داخل البلدة ، وأخال أنها صنعت كذلك لتصفيته ومنع تسرب الحصوات "(٤)

وخلاصة تلك الآراء أن موضع التقاء قناة عين عرفة بقناة عين حنين يقع بمنطقة الأبطح ، وعلى وجه التحديد داخل سور مبني امارة منطقة مكة المكرمة الآن . حيث يؤيد ذلك ما قام به اركان حرب ميرالاي مهندس

---

(١) على الطبرى : المصدر السابق ، ورقة ٣٧.

(٢) وثيقة رقم ١٧٦\٦ (MAD) . بأرشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول .

(٣) السيد عبدالله محمد الزواوي : المرجع السابق ، ص ٣٩.

(٤) محمد عمر رفيع : المرجع السابق ، ص ٦٦.

محمد صادق بك عام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م ، من توقيع خرزة التقاء قناة عين عرفة بقناة عين حنين على خريطة .(١)

أما مسار القناة من منطقة الأبطح إلى داخل البلدة ،فإن من الأفضل وصف المناطق ، التي تمر عبرها من ذلك الموضع إلى منتهاها ، ثم وصف تفرعاتها المختلفة .

تسير القناة من منطقة الأبطح (داخل سور مبنى امارة منطقة مكة المكرمة حاليا) تحت الأرض في اتجاه المعلاه(٢) وتمر عبر خرزة قريبة من خرزة التقاء قناة عين عرفة بقناة عين حنين(٣). ثم بعد ذلك بحوالي ٣٠٠ م كان يوجد خرزة أرشدني إلى موقعها مطلق القرشي ، وشرف محمد عزب ، اللذان يعملان في الوقت الحاضر بمصلحة مياه منطقة مكة المكرمة . وكانا قد رأياها قبل اندثارها.

ثم تسير القناة تحت سطح الأرض من موضع تلك الخرزة إلى المعابدة بالقرب من مبنى ادارة الحقوق المدنية الحديث ،حيث يوجد موضع خرزة ليس لها علامات ظاهرة على سطح الأرض ، وأنما وضع مكانها حديثا غطاء من حديد وقد ارشدني إلى هذا الموضع أيضا الشخصان اللذان سبقت الاشارة إليهما. خريطة رقم (١٧).

ثم تتجه القناة من ذلك الموضع إلى جهة مبنى امارة منطقة مكة المكرمة القديم ، والذي كانت تشغل جزءا منه سابقا رابطة العالم الاسلامي ، ويؤيد هذا عثوري على ثلاث وثائق أشارت إلى أنه كانت توجد

---

(١) انظر وثيقة رقم (١٣) . بالملحق رقم (١) من هذا البحث .

(٢) وثيقة رقم ٤٦٥٩ ، ص ٩ ، بمكتبة جامعة استانبول .

(٣) السيد عبدالله محمد الزواوي : المرجع السابق ص ٣٩.

ثلاث خرزات في مواضع مختلفة على القناة من المعابدة وحتى مبنى امارة منطقة مكة المكرمة القديم الذي سبقت الاشارة إليه ، وقد تضمنت الوثائق الثلاث عن هذه الخرزات ما يأتي :

الخرزة الأولى وتسمى بخرزة التلمساني ، وتقع في مفترق طرق ،ومادة بنائها الحجر والطين والنورة ، وتأخذ شكلا مستطيلاً أبعاده من الشمال إلى الجنوب مما يلي الشرق ٤٠ر٧ م ومما يلي الغرب ٢٥ر٧م وعرضها من الشرق إلى الغرب مما يلي الشمال ٨٠ر٤ م ومما يلي الجنوب ٥٠ر٧ م (١). أما الثانية فتسمى بخرزة البرج ، الواقعة بجوار قصر الملك عبدالعزيز الذي يطلق عليه قصر السقاف (مبنى امارة منطقة مكة المكرمة القديم) ، تقع في مفترق طرق ،ومادة بنائها الحجر والطين والنورة ، أبعادها من الجنوب إلى الشمال مما يلي الشرق ٢٥ر٣ م ، ومما يلي الغرب ٥٠ر٣ م ، وعرضها من الشرق إلى الغرب مما يلي الشمال ٦٠ر٣م ومما يلي الجنوب ٥٠ر٣ م .(٢)

أما الخرزة الثالثة فتسمى بخرزة باحجلان ، وتقع أمام القصر الملكي بالمعابدة - السقاف - (مبنى امارة منطقة مكة القديم) ،حدودها من الجهة الشرقية أملاك الدولة ، وغربا وشمالا وجنوبا سكك نافذة ، أبعادها : من الشرق الى الغرب مما يلي الشمال ٥٠ره م ، ومما يلي الجنوب ٦٠ره م ، وعرضها من الجنوب إلى الشمال مما يلي الشرق ٥٠ر٤ م ، ومما يلي الغرب ٥ م . وذلك بشكل منحرف .(٣)

ومما يؤكد أيضا مرور القناة بالقرب من مبنى امارة منطقة مكة المكرمة القديم ، والذي كان سابقا " قصرا للملك عبدالعزيز " ، ويطلق عليه البعض تجاوزا قصر السقاف قول محمد عمر رفيع : " وفي طرف قصر

---

(١) حجة شرعية صدرت من المحكمة الكبرى بمكة ،رقم التسلسل ١ ، عدد٣٩٣ تاريخ ١٣٨١/٦/٣هـ.

(٢) حجة شرعية صدرت من المحكمة الكبرى بمكة ،رقم التسلسل ٧ ،عدد ١٥٤ تاريخ ١٣٨١:٦:٢٨هـ.

(٣) حجة شرعية صدرت بالمحكمة الكبرى بمكة رقم التسلسل٢ ،عدد ٢٦ - بتاريخ ١٣٨١/١١/١هـ.

السقاف ، والذي أصبح جزءاً من القصر الملكى ، قبة تغطي مجرى مكشوفا لعين زبيدة يشاهد الماء فيه وعلى باب مدخل القبة حجر من الرخام مكتوب فيه أبيات شعرية فى مدح السلطان أحمد العثماني (الأول)،وشكره على تعمير عين زبيدة ، وايصال الماء إلى الحرم ، مؤرخة تلك الأبيات بعام ١١٢٥هـ".(١)

وتتجه القناة بعد ذلك إلى بستان المفتي (بالمعلاه) (أقيم في موضعه الآن عمارة حديثة يطلق عليها عمارة المفتى ، وتقع أمام مبنى البريد المركزي) . وفي المعلاة تنقسم القناة إلى فرعين ، الفرع الأول يتجه إلى الغزة ثم الى السبع آبار ، ثم القشاشية ، ثم تسير القناة تحت الجهة الشرقية لبيوت خاصكي ، وبيت الشيبي ، والشريف شنبر ،ثم إلى التكية المصرية ، ثم إلى السوق الصغير وبازان الأغوات ، ثم تسير عبر وادي ابراهيم إلى بركة ماجن .(٢)

ومما يؤيد ذلك اشارة بورخاردت Bur Ckhardt إلى أن القناة (٣) كانت تمر عبر المعلاة إلى الغزة ومنه إلى الهجلة ومنه إلى المسفلة وإشارة بأسلامه إلى خرزة ماء كانت تقع بالقرب من مركز شرطة الصفا في الجهة الجنوبية من المسجد الحرام(٤)، الآمر الذي يؤكد مرور القناة من ذلك الموضع

---

(١) محمد عمر رفيع : المرجع السابق ، ص ٦٨.
(٢) وثيقة رقم ٤٦٥٩،ص ٩. بمكتبة جامعة استانبول .
(٣) Bur Ckhardt, OP. Cit, PP. 12, 127.
(٤) حسين عبدالله با سلامه : المرجع السابق ، ص ١١٩ - ١٢٠.

اضافة إلى ذلك ، تأكيد مجموعة من سكان حي سوق المعلاة بوجود خرزة كانت على القناة ، يطلق عليها بئر أبودية وموقعها الآن أمام موقف سيارات النقل الجماعي ، بالقرب من دكان شيخ طائفة العطارين والبقالين حاليا (الشيخ على صبغة) كما تشير وثيقتان إلى وجود خرزتين بالمسفلة ، الأولى تسمى خرزة البخاري(١) والثانية شهيرة بصهريج عبد المجيد(٢). أما الفرع الثاني من القناة الذى يتفرع من منطقة المعلاة فيمر عبر سوق الحباب ، ودكة التمارة ،وزاوية عبد القادر الكيلاني ومقراة الفاتحة ، ثم إلى سوق العطارين ، ومنه يصل إلى بازان المروة ، ثم إلى مقسم باب الخان ، ومن هنا ـ مارا بالسويقة ، وأسواق الشامية ـ إلى بازان العمرة ، ثم منه إلى بازان الشبيكة ، ثم بازان حارة الباب ، وتقدر المسافة من بازان العمرة إلى بازان حارة الباب بحوالي ٢٥٠ م ثم تتجه القناة من هناك إلى جهة قبة الشيخ محمود ، حيث يوجد مقسم للماء يغذي عمائر مختلفة .(٣)

تفرعات القناة لتغذية عمائر المياه المختلفة : خارطة رقم (٨)

يمكن التعرف على صورة هذه الشبكة المائية ، بتتبع ما ورد عنها لدى بعض المؤرخين والرحالة ، ومقارنة ذلك بما ورد في وثيقة مؤرخة بعام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م ، و وثيقة تمثل خارطة وقع عليها جزء من الشبكة المائية بشارع المسعى :

فقد أشار علي الطبري المتوفي عام ١٠٧٠هـ/ ١٦٥٩م إلى أن بركة الشامي وبركة المصري كانتا تتغذيان بالمياه من القناة الرئيسة التى

---

(١) حجة شرعية صدرت من المحكمة الكبرى بمكة المكرمة عدد ١٣٢ تاريخ ١٣٨١/٦/١١هـ.

(٢) حجة شرعية صدرت من المحكمة الكبرى بمكة المكرمة عدد ٩١ تاريخ ١٣٨٢/١١/٢٩هـ.

(٣) وثيقة رقم ٤٦٥٩ ،ص ٩ ، ٢٤٠ ، ٢٥٠ . بمكتبة جامعة استانبول .

تمر بالقرب منهما[1] . وأشار أيوب صبري باشا إلى أن مقسما للماء كان يوجد في سوق الليل ، مدت منه مواسير من حديد لتغذية مستشفى الغرباء بالماء[2] . وأشار محمد أمين المكي أنه تم ايصال ماء القناة عبر المواسير إلى كل من : مستشفى الغرباء ، وعمارة رباط السلطانة خاصكي ودائرة الحكومة السنية ، والقشلة الهمايونية ، والمطبعة، والتلغرافخانة والمخبز العسكري (الفرن) ، والحمامات[3] . وأشار ابراهيم رفعت إلى أنه تم إيصال مياه القناة إلى عشرين سبيلا وعشرين صهريجا بمكة .[4]

وهنا يمكن التساؤل من أي موقع تم ايصال الماء إلى مقسم سوق الليل الذي مدت منه المواسير إلى مستشفى الغرباء ؟ .

ومن أي جهة تم مد المواسير لتغذية عمائر المياه التى سبق ذكرها ؟

وللإجابة على هذه التساؤلات نجد أن الاعتماد على وثيقة مؤرخة ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م يمدنا بمعلومات عن شبكة تفريعات القناة التى لم يشر إليها الكتاب الذين سبق ذكرهم .[5]

وبتتبع ما ورد بهذه الوثيقة على خارطة مكة التى عملت عام ١٢٩٨هـ/١٨٨٠م والاستفادة من خارطة مصلحة المساحة المصرية التى أعدت سنة ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م نستطيع إظهار صورة شبكة تفرعات القناة لتغذية عمائر المياه المختلفة حسب ما ورد بالثويقة على الوجه التالى : خارطة رقم (٨) .

---

(١) على الطبري : المصدر السابق ، ورقة ٤٤ - ٤٥ .

(٢) ايوب صبري باشا : المصدر السابق، ج ٥ - ٧ ، ص ٧٥٧ - ٧٥٨ .

(٣) محمد امين المكي : المرجع السابق، ص ٧ .

(٤) ابراهيم رفعت : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٨٣ .

(٥) وثيقة رقم ٤٦٥٩ ، ص ١٩ - ٢٥ . بمكتبة جامعة استانبول .

الحميدية ، حيث توزع منه المياه إلى بازان أجياد ،عبر ماسورة فخارية قطرها ٦ أصابع ،من موضع تتلاقي فيه ثلاث طرق عند زاوية الفرن الأميري ، والذي مد فيه قناة مبنية من الحجر ، من الصهريج المذكور بطول ١٥م.

٧ - يجري الماء من المقسم الواقع تحت مقر المحتسب ، عبرماسورة ترابية تحت سطح الأرض ، إلى مقسم للماء يقع فىمكان متصل بباب علي بشارع المسعى ، ومن هناك أوصل الماء مرورا بشارع بابالصفا ،إلى مقسم أمام مبنى الحميدية ، وبقرب باب بغله ، ومن هنا - مرورا امام الفرن الأميري وموازيا للضلع الأطول لمبنى الحميدية - تصب مياه هذه الماسورة في بازان أجياد.

٨ - يجري الماء من المقسم الواقع بالقرب من باب بغله عبر ماسورة فخارية قطرها اربعة أصابع إلى كل من التكية المصرية ، وحنفيات الوضوء الواقعة فى اتصال تكية المرحوم الشرواني ، وحنيفات الوضوء بباب الوداع .

٩ - ويجري الماء من مقسم الماء الواقع تحت مقر المحتسب إلى حنفية الوضوء الواقعة تحت مقر مخفر المسعى ، عبر ماسورة رصاصية .

١٠ - يجري الماء من المقسم الواقع فىزاوية دائرة الحميدية إلى كل من بازان ابي بكر الصديق ، عبر ماسورة حديدية قطرها ٤ سم وطولها ٢٨٤ر٥م ، ومطبعة الولاية والفرن الأميري عبر ماسورة حديدية قطرها ٣ سم ،وإلى الأحواض ذوات النوافير ، التى كانت توجد فى مواضع من مبنى دائرة الحمديية . كذلك أوصل الماء من المقسم المذكور بواسطة مواسير حديدية قطرها ٣ سم إلى صهريج يقع بحوشالشريف حسين باشا بن يحيي ، وإلى صهريج يقع ببيت الشريف المذكور.

١١ - ينتقلالماء من المقسم الواقع تحت مقر المحتسب بالمروة ،عبر ماسورة ترابية إلى مقسمباب الخان، ثم ينتقلمنه الماء عبر قناة مبنية

بالحجر ، بعد قطعه شارع المسعى - مرورا بأسواق السويقة والشامية - ، إلى مقسم يقع في موضع ملتقي أربعة طرق يدعى بباب الزيادة ، ومن هنا يجري الماء فى قناة طولها ٨٢م إلى بازان الشامية .

١٢ - تتنتقل المياه من بازان العمرة إلى حمام باب العمرة وحنفيات الوضوء القريبة منه .

١٣ - يجري الماء من مقسم قرب بازان العمرة ، عبر مواسير حديدية ، إلى سبيل بالقرب من ذلك الموضع ، والى سبيل آخر في المدرسة الداوودية .

١٤ - تمتد القناة من بازان العمرة إلى الشبيكة وحارة الباب تحت مستوى سطح الأرض بطول ٢٥٠ م ، وتغذي فى طريقها بازان الشبيكة وبازان حارة الباب الذي تنتقل منه المياه ، لتغذية حنفية وضوء مجاورة له .

١٥ - عمل على القناة ، أمام منزل زين الدين بالقرب من بازان حارة الباب ، مقسم للماء تم ايصال الماء منه إلى موضع قرب زاوية الشيخ رحمة الله افندي ، ثم تمتد القناة من بازان حارة الباب إلى زاوية السهر بشارع شاه محمود (القبة الآن) ، وعمل هناك مقسم للماء مدت منه مواسير ترابية تحت الأرض قطرها ستة أصابع إلى مقسم أنشئ قريبا من قبة الشيخ محمود .

١٦ - تنتقل المياه من المقسم الواقع قرب قبة الشيخ محمود إلى سبيل أمام القبة ، ثم تجري منه المياه عبر ماسورتين فخارتين تحت الأرض ، لتغذية بستان لجنة عين زبيدة ، ثم تجري المياه الفائضة من هناك عبر ماسورة فخارية ، لتغذية بستان عون الرفيق (يقع فى بعض أجزائه مستشفى الولادة الآن) .

كما عثرت لدى الشريف مساعد بن منصور على صورة وثيقة ، يعود تاريخها إلى بداية العصر السعودي ، وتمثل هذه الوثيقة رسما لشبكة قنوات المياه وتفرعاتها بشارع المسعى ، مما يزكى ما ورد بالوثيقة السابقة عن شبكة المياه بهذه المنطقة ،ويضيف معلومات جديدة .(١)

أولا : ورد بهذه الوثيقة رسم قناة مبنية بالحجارة تتجه من بازان المروة إلى مقر الحميدية ، وهذا يتفق مع ما جاء بالوثيقة المؤرخة بعام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م.

ثانيا : كان يقع مقسم للماء في ناصية بازان المروة من الجهة الشمالية الشرقية ،وتنتقل المياه من المقسم المذكور عبر ماسورتين احداهما تتجه لتغذية مدرسة بزقاق العلوي ، والأخرى تتجه إلى صهريج قايتباي .

ثالثا : كان يقع مقسم للماء في ناصية بازان المروة من الجهة الشمالية الغربية ، وتنتقل المياه من المقسم المذكور عبر ماسورتين احداهما تتجه لتغذية سبيل مجاور لموقع المقسم ، والأخرى تتجه لتغذية حنفية (ميضأه) باب السلام .

رابعا : تنتقل المياه من صهريج قايتباي عبر ماسورة إلى مقسم للماء عند باب علي ،حيث تتفرع منه أربعة فروع ، الفرع الأول يتجه لتغذية موضع عند باب على ، والآخر يغذي حنفية باب النبى ، والفرع الثالث يغذي مركز شرطة ، كان يقع عند باب الصفا ، والفرع الرابع يغذي مقسم للماء بالصفا.

---

(١) انظر صورة نقل هذه الوثيقة برقم (١٥). بالملحق الأول من هذا البحث .

٤ - كان يلاصق حمام القشاشية مقسم للماء ، تم إيصال الماء منه إلى الحمام عبر ماسورة رصاصية قطرها اصبع واحد ، وأوصل الماء أيضا من المقسم المذكور إلى بازان القشاشية الواقع أمام المقسم المذكور.

ولم يرد تحديد لمصدر المياه ، الذى كان يزود هذا المقسم وأرجح أنه كان من القناة الرئيسة التى تمر من هذه المنطقة المشار إليها على الخريطة .

٥ - كانت المياه تنتقلمن مقسم العقيلية إلى مقسم الماء الواقع أمام قصر المرحوم عبدالله باشا ، عبر ماسورة حديدية .

٦ - تنتقلالمياه من القناة الرئيسة ، المارة بوادي ابراهيم بالمسفلة ، إلى الصهريج المجاور لها .

أما القسم الثاني من القناة المتفرعة من القناة الرئيسة فى منطقة المعلاة ، والمتجهة إلى بازان المروة ومنه إلى بازان الشبيكة ومنه إلى جرول فقد جاء عنها ما يأتي :

١ - تم إيصال الماء منها إلى بازان التمارة .

٢ - ينتقل الماء من موضع سوق الجزارين إلى صهريج يقع في اتصال تكية السلطانة خاصكي .

٣ - يجري الماء عبر ماسورة رصاصية ، من الصهريج المجاور لتكية السلطانة خاصكي إلى مطبخ التكية ، عبر ماسورة رصاصية .

٤ - تم تغذية بازان المروة من القناة المارة بقربها

٥ - كانت توجد قناة تحت سطح الأرض بشارع المسعى ، تستمد ماءها من مقسم لنقل الماء من القناة المغذية لبازان المروة تحت مقر المحتسب ، إلى مقسم يقع أمام الفرن الأميري وأمام دائرة الحميدية ،وطول هذه القناة بشارع المسعى ٤٨٦م.

٦ - يوزع الماء من مقسم الماء الواقع أمام الفرن الأميري وأمام دائرة الحميدية ، إلىصهريج للماء يقع أمام القسم العسكري لدائرة

القسم الأول : شبكة تفرعات القناة التى تتجه من المعلاة إلى بركة ماجن :

١- ينتقل الماء من مقسم قرب القناة الرئيسة يسمى عقيلية ، إلى مقسم يقع عند زاوية بيت الرشيدي ، عبر ماسورة فخارية قطرها ستة أصابع (أي مايقرب من عشرة سنتيمترات) وتمر من أمام مقبرة المعلاه ومقهى الهدى .

٢ - يقسم الماء الواصل إلى مقسم الماء الواقع عند زواية بيت الرشيدي إلى قسمين :

أ - القسم الأول يمر من خلال ماسورة فخارية قطرها أربعة أصابع وطولها ٩٠٠ م ، إلى بازان شعب عامر .

ب - القسم الثاني يجري عبر ماسورة فخارية إلى شارع الغزة ثم يصب فى مقسم للماء عند مسجد سوق الصباح أمام قصر الامارة (١).

٣ - ينقسم الماء الواصل إلى مقسم الماء الواقع أمام قصر الامارة إلى قسمين :

أ - القسم الأول منهما يجري عبر ماسورة فخارية قطرها أربعة أصابع ليصب في بازان شعب بنى هاشم .

ب - القسم الثاني من الماء يمر عبر ماسورة حديدية قطرها أربعة سنتيمترات ، إلى مقسم للماء بزاوية حديقة مستشفى الغرباء ، وذلك بإمرار الماسورة من زقاق الوزيرية وادخالها في المستشفى بعد ثقب حائطها ، وإمرارها من صالة المجانين بالمستشفى ، وأوصل الماء عبر ماسورة حديدية إلى صيدلية وحمام ومطبخ وشادروان المستشفى ، وإلى حوض له فسقية يقع أمام الصيدلية ، وإلى حوض آخر له فسقية يقع بوسط المستشفي .

---

(١) يحتل موقعه الآن عمارة الجفالي الحديثة التى تواجه من أحد جهاتها عمارة ابن سليم .

خامسا: تنتقل المياه من مقسم الصفا عبر ثلاثة مواسير ،احداهـا تغذى موضع في الناحية الجنوبية الشرقية لمركز شرطة الصفا ، وتتجه الماسورة الثانية ،لتغذية خزان ماء بالصفا ، وتتجه الماسورة الثالثة لتغذية مقسم للماء أمام باب التكية المصرية.

سادسا: تنتقل المياه عبر ماسورةفخارية من مقسم للماء كان يقع عنيد باب علي إلى مقسم للماء عند باب الحميدية الذي تنتقل منه المياه لتغذية التكية المصرية ، وتتجه المياه أيضا عبر ثلاثة مواسير إلى السوق الصغير وأجياد.

تعرض مياه عين عرفة للتلوث :

أدى سوء استخدام بعض الناس لمياه عين عرفة إلى تلوثها وإلى انتشار بعض الأمراض والحميات.(١)

فقد وصفت حالة المياه بعرفة فى بداية القرن الرابع عشر الهجري بأنها سيئة ، وذلك لقيام بعض الناس بغسل ملابسهم وبعض لوازمهم على فتحات مآخذ الماء ، مما أدى إلى فساد الماء باختلاطه بالصابون والأوساخ.(٢)

وقد قدم بعض المؤرخين والرحالة بعض التوجيهات والنصائح لتلافى تلك المساوىء وهي :

١ - توعية الجميع بأضرار سوء استخدام المياه على الصحة العامة والضرب على أيدي من يعبث بها.(٣)

---

(١) محمد لبيب البتنوني: المصدر السابق ،ص ٦٣ ، ٦٧ - ٦٨. أيوب صبري: مرآت الحرمين ، المرجع السابق ،ج ٥ - ٧ ،ص ١١٤١.

(٢) محمد لبيب البتنوني : المصدر السابق ،ص ٦٧ - ٦٨ ،ابراهيم رفعت : المصدر السابق ،ج ١ ، ص ٢٠٩ ، ايوب صبري : المرجع السابق ،ج ٥ - ٧ ، ص ١١٤١.

(٣) محمد لبيبالبتنوني : المصدر السابق،ص ٦٧.

٢ - الطلب من الحكومة السنية، أن تعمل للمحافظة على نظافة المياه بتنظيم الناس عند الاستقاء ومنعهم من المشاجرة والازدحام وحراسة مآخذ المياه من عبث العابثين.(١)

كما قدم بعض الرحالة والمؤرخين النصائح للحجاج من تلوث المياه، فمنهم من نصح الحجاج بتصفية الماء بقماش نظيف (٢) منهم من نصح بوضع بعض الطلمبات على مآخذ المياه كي لا تقذر، ووضع محلول مركب من واحد في الألف من برمنجانات البوتاسا على كل لتر ماء معد للشرب للقضاء على ما به من بكتريا، أو أن تؤخذ أقراص مجهزة تسمى أقراص (فياروجورج) لتنقية الماء.(٣)

ووصف بورخاردت Bur Ckhardt مياه عين عرفة بأنها أفضل المياه بمكة من حيث الطعم(٤)، كما أشار أيوب صبرى إلى ذلك بقوله أنها " لذيذة تشبه ماء استانبول " (٥).

وتشتمل هذه المياه على كمية أملاح ذائبة تمثل ٥٠٠ جزء فى المليون وكلوريدات تمثل ٨٠ جزءًا في المليون، وكربونات على شكل كربونات الكالسيوم تمثل ١٣٠ جزءًا في المليون وكبريتات تقدر ب ٩٦ جزءًا في المليون ولا يوجد بها عنصر الكبريتيد ات والنترات.(٦)

---

(١) المصدر السابق، ص ٦٧ - ٦٨ ، ابراهيم رفعت: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٠٩.

(٢) محمد امين المكي: المرجع السابق، ص ١٠٦.

(٣) محمد لبيب البتنوني: المصدر السابق، ص ٦٧ - ٦٨. ليس في الطبيعة ماء في حالة نقاء تام، حتى ماء المطر وهو أنقى مصادر المياه الطبيعية يحتوي على غازات ذائبة فيه وشوائب صلبة من التراب معلقة به نتيجة لاحتكاكه بالهواء أثناء سقوطه. بل أن ذرات الغبار هي التي تكون النويات التى تتجمع حولها قطرات المطر. ويعتمد نوع وكمية الشوائب التى بالمياه على طبيعة الصخور أو التربة التى مرت بها ولذلك فإن المياه الجوفية التى تخرج من الآبار العميقة تحتوي في الغالب علغ شوائب اكثر مما تحويه المياه السطحية.
د. محمد الحلوجي: الكيمياء الطبيعية، ص ، دار المعارف.

(٤) Bur Ckhardt, OP.Cit, P. 106.

(٥) ايوب صبري: المرجع السابق، ج ٥ - ٧، ص ٧٣١.

(٦) يحيي كوشك: المرجع السابق، ص ١١٦.

ثانيا : الآبــــار : خارطة رقم (٩) .

نظرا لما كانت تقوم به الآبار بتزويد سكان مكة المشرفة وحجاج بيت الله الحرام بالماء إلى جانب العيون ، والاعتماد على الآبار وحدها وقت انقطاع مياه العيون ، فقد وجه العثمانيون عنايتهم للمحافظة علـى الآبار السابقة لعصرهم بصيانتها وتجديدها ، وعملوا على انشاء آبـــار جديدة .(١)

ويمكن بيان مواقع هذه الآبار بتتبع ما ورد عنها في كتـــب المؤرخين والرحالة وخارطة مصلحة المساحة المصرية التى عملت سنة ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م ، ثم محاولة توقيع ذلك على خرائط ما أمكن .

فقد أشار على الطبري ت ١٠٧٠هـ/١٦٥٩م إلى مواقع مجموعة من آبار مكة في عصره بما يلي :

١ - بئر كانت تقع بالمسجد الحرام فى زيادة دار الندوة رآهـا الطبري وقت عمارة الكعبة عام ١٠٤٠هـ/١٦٣٠م .

٢ - كانت فى رواق أم هانىء بئر دفنها المهدي العباسى ،وحفـر عوضا عنها بئرا عند باب الحزورة(٢) الكائنة فى زماننا هذا بالشرشورة .

٣ - بئر في بيت السيد سنان بن راجح .

٤ - بئـــر في بيت السيد زهير بن علي بأجياد.

٥ - بئر في بيت السيد الشريف محسن بن الحسين فى حوشه المعروف بحوش الرباعية .

٦ - بئر برباط ربيع بأجياد.

٧ - آبار بمصافي الداجورة بآخر أجياد.

---

(١) علي الطبري: المصدر السابق ،ورقة ٤٢ - ٤٤.

(٢) تقع هذه البئر على وجه التحديد عند باب الحزورة على يسار الخارج من المسجد الحرام . ولعبت دورا هاما في القرن العاشر الهجري،وذلك بتوفير ماء لغسيل الأموات والطرحاء والفقراء . انظر : جمال الدين بن ظهيرة القرشي ت ٩٨٦هـ : المصدر السابق ص ١٣٦.

٨ - آبار عند بركة ماجن .

٩ - بئر بأول الشبيكة ، معروفة ببئر محمد باشا الوزير ، تقع عند بيت الشيخ عبد المعطي الغوي .

١٠ - بئر تحت جدار الشيخ عيسى بن رشد مجاورة سويقة .

١١ - بئر في قطعة أرض كانت مملوكة سابقا لبني ظهرة بحارة سويقة قبل انتهاتنسب لعبدالله بن الزبير رضي الله عنه .

١٢ - بئر في وقف المرحوم السلطان الأشرف قايتباي عند باب السلام الصغير.(١)

١٣ - أربعة آبار بأربطة السلطان سليمان خان ،في كل رباط بئر.

١٤ - بئر برباط المراغى بشارع المسعى ، المعروف فى القرن الحادي عشر الهجري بوقف ابن عبدالله .

١٥ - بئر مجاور لبيت الملا نور البخاري بالقشاشية ،" على يمين الداخل من زقاق مارطة ويمين زقاق الحمام " .

١٦ - بئر تعرف ببئر الشيخ ، والمراد به - الشيخ عبدالكريم الحضرمي ، مقابلة لزاويته ، بسوق الليل ،ردمت في هذه الأزمنة القريبة والزاوية تقع على يسارالذاهب إلىالمسجد الحرام ويمين الصاعد إلى المعلاه .

١٧ - بئر فى دار سعود زوجة زين الدين مبارك بن جلالرأس المباشرين بجدة ، تقع بسوق الليل .

١٨ - بئر تقع عند الدشيشة المعروفة بالخاصكية قريبا من سوق المعلاه .

١٩ - بئر في المعلاه تعرف ببئر أم سليمان .

٢٠ - بئر فى بستان السلطان سليمان خان بسوق المعلاة .

٢١ - بئر ببستان الصولاق مقابل بستان إبن دخان .

---

(١) لعلها البئر التى اشار إليها الزواوي عام ١٣٢٧هـ انظر ص (٣٩٢) من هذا البحث .

٢٢ - بئر ببستان ابن دخان على يسار الصاعد إلى المعابده .

٢٣ - بئر في البستان الكائن بالمعابده على يمين الصاعد إلى المنحنا .

٢٤ - بئر فيالبستان المعروف بالخرمانية بالمعابده .

٢٥ - بئر أو أكثر ببستان القاضي حسين المالكي .

٢٦ - بئر بالبستان المجاور لبستان القاضي حسين المالكي ، يعرف ببستان القائد ريحان بن عقبة .

٢٧ - بئر ببستان المريسى بالمنحنا على يسار الصاعد من مكة .

٢٨ - بئر بالمنحنا على يسار الصاد في بستان الظهرة .

وأشار ابن عبدالسلام الدرعي الذي حج سنة ١١٩٦هـ/١٧٨١م وسنة ١٢١١هـ/١٧٩٦م ، إلى أن بمكة آبارا كثيرة غالبها مسبل ، وبالتنعيم آبارعذبة[(١)]

وقد أشاربورخاردت Bur Ckhardt الذي زار مكة المشرقة عام ١٢٣٠هـ/١٨١٤م[(٢)] الى مواقع مجموعة من آبار مكة المشرفة ، ووقع بعضها على خارطة[(٣)] انظر خارطة رقم (١). ويمكن تتبع ما أورده بورخاردت Bur Ckhardt عن ذلك بالآتي :

١ - يوجد بالمعابده العديد من الآبار فى مناطق مختلفة .

٢ - يقع في أحد جوانب حديقة منزل الشريف بالمعابده بئر يغلب على مائها الملوحة .

٣ - يقع بسوق الليل والقشاشية الكثير من الآبار المالحة .

٤ - مجموعة من الآبار المالحة رمز إليها بورخاردت بالرقم (٣٨) ، فى خريطته لمكة التىوقع عليها بعض الآبار.

---

(١) حمد الجاسر: ملخص رحلتى ابن عبدالسلام الدرعي المغربى ، ص ٩١٩.

(٢) مصادر تاريخ الجزيرة العربية ،ج ٢ ،ص ١٤.

(٣) Bur Ckhardt, OP.Cit, PP. 102., 124. 131.132.

٥ - بئر بالمعابده وقعها بورخاردت على خريطته السابق الإشارة إليها ورمز لها بالرقم (٦٠).

وأشار صاحب " تحصيل المرام " إلى موقع بئرين سبق أن تحدثنا عن تاريخ انشائهما بما يلي[١]:

١ - عن موقع البئر التى حفرها الشريف عبدالله أمير مكة سنة ١٢٧٩هـ/١٨٦٢م قال تقع " مما يلى طريق جدة فى الزاهر الصغير على يسار الذاهب إلى جدة قريبة من الشيخ محمود ".

٢ - عن موقع البئر التى حفرها شخص هندي عام ١٢٨٣هـ/١٨٦٦م قال " تقع قريبا من الشيخ محمود على يسار الذهب إلى جدة ... بنى جنبه السيد على العطرجي من تجار مكة مسجدا يصلى فيه ".

وأشار ايوب صبري إلى أن البيوت والدكاكين أصحبت تحيط ببئر جبير ابن مطعم ، الواقعة جنوب مسجد الراية في الجهة الشرقية من مكة.[٢]

وأشار ابراهيم رفعت الذي حج سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م إلى مواقع بعض آبار مكة بما يلي :

١ - يقع بجوار أعلام حدود حرم مكة من الجهة الغربية بئر ذكر عنها " وفي الساعة الخامسة نهارا وصلنا إلى العلمين ومنهما يبتدىء الحرم من الجهة الغربية ... وبجوار العلم الشمالي بئر مبنية بالحجر سمك حائطها ١٠ر١ م وقطرها أربعة أمتار وعمقها نحو ١٥ مترا "[٣] ،لوحة رقم (١١٥).

---

(١) محمد بن احمد الصباغ المكي : المصدر السابق ورقة ١٦٠. وكذلك انظر ما سبق ص (١٣٩) من هذا البحث.

(٢) ايوب صبري: المرجع السابق ،ج ٥ - ٧ ،ص ١١٢٤. حدد محمد علوي مالكي موقع هذه البئر بما يلي : تقع بئر جبير بن مطعم إلى جوار مسجد الراية الواقع بالجودرية على يمين الصاعد من المدعا إلى المعلاه حيث يوجد بين المسجد والبيوت التى قبله زقاق ضيق صغير نافذ إلى الطريق العام يقع به بئر جبير بن مطعم ملاصقا لجدار أحد البيوت. انظر : محمد بن علوي بن عباس المالكي الحسني: المرجع السابق ، ص ٢٨١ - ٢٨٣.

(٣) ابراهيم رفعت : المصدر السابق ،ج ١ ،ص ٢٨.

٢ ـ يقع بعد البئر السابقة فى اتجاه مكة بئران إحداهما تحت قلعة المقتلة ، وهي مطوية بالحجر عمقها حوالى ٢٠ م ، وعليها دعامتان لوضع محور البكر عليهما ، ولها ثلاث درجات يقف عليها من يخرج الماء منها ، وماؤها عذب غزير . لوحة رقم (١٢٤). أما الثانية فإنها تقع أمام قلعة أم الدود ، وهي كسابقتها.(١)

٣ ـ يقع بالقرب من مسجد عائشة بالتنعيم بئر.(٢)

٤ ـ تقع مجموعة من الآبار على الطريق بين الشيخ محمود ومسجد عائشة بالتنعيم .(٣)

٥ ـ يقع بجرول بئر طوى .(٤)

٦ ـ يقع بجوار مسجد الكوثر بمنى بئر صالحة للشرب .(٥)

وقد أشار السيد عبدالله محمد الزواوي صاحب كتاب " بغية الراغبين وقرة عين أهل البلد الأمين فيما يتعلق بعين الجوهرة السيدة زبيدة أم الأمين " إلى مواقع مجموعة من آبار مكة المشرفة عام ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م بما يلي :(٦)

١ ـ بئر تقع عند باب السلام الكبير (احد ابواب المسجد الحرام من الجهة الشرقية) .

٢ ـ بئر تقع عند باب السلام الصغير.

٣ ـ بئر تقع عند باب القطبى . (احد ابواب المسجد الحرام من الجهة الشمالية).

---

(١) المصدر السابق ،ج ١ ،ص ٢٨ ـ ٢٩.
(٢) المصدر السابق ،ج ١ ،ص ٣٤٣.
(٣) المصدر السابق ،ج ١ ،ص ٣٤١.
(٤) المصدر السابق ،ج ١ ،ص ٣٠
(٥) المصدر السابق ،ج ١ ،ص ٣٢٦.
(٦) السيد عبدالله محمد الزواوي: المرجع السابق ص ٣٥ ـ ٣٦.

٤ - بئر تقع عند المحكمة الشرعية .

٥ - بئر تقع عند باب المدريبة .

٦ - بئر تقع عند زاوية السمان .

٧ - بئر تقع عند باب الزيادة . (احد ابواب المسجد الحرام من الجهة الشمالية).

وبحارة جرول ست آبار هي :

١ - بئر أمام مسجد جرول .

٢ - بئر طوى الشهيرة .

٣ - بئر تقع عند الانشآت .

٤ - بئر الهندي .

٥ - بئر عند بيت الجنيد بجرول .

٦ - بئر العتيبية .

وبحارة الباب ثلاث آبار هي :

١ - بئر عند مسجد سيدنا خالد

٢ - بئر عند بيت قمري

٣ - بئر فى الخندريسة .

وبحارة الشبيكة خمس آبار هي :

١ - بئر المظعون

٢ - بئر فى الهجلة عند الحلقة

٣ - بئر عند القبور

٤ - بئر عند باب الداوودية

٥ - بئر بحوش الأغوات بالسوق الصغير.

وبحارة الشامية بئر عند المدرسة السليمانية

وبحارة المسفلة عشر آبار هي :

١ - بئر في حوش ناظرين

٢ - بئر فى بيت بكر أحمدوه

٣ - بئر بجانب زاوية سيدنا أبي بكر الصديق .

٤ - بئر عند بيت أبي خطمة

٥ - بئر بحوش الغزة

٦ - بئر بحوش المداح

٧ - بئر عند باب السيد كوشك

٨ - بئر وراء بيت السيد كوشك

٩ - بئر فى زاوية المغاربة يقال له رباط سيدنا عثمان .

١٠- بئر عند بركة ماجن .

وبحارة أجياد سبع آبار هي :

١ - بئر تسمى بئر الحمام

٢ - بئر فى المصافي

٣ - بئر عند بازان أجياد

٤ - بئر فى فرن الميري

٥ - بئر فى الغسالة

٦ - بئر بليلة

٧ - بئر الطبجية

وبحارة القشاشية أربع آبار هي :

١ - بئر في زقاق الحجر

٢ - بئر فى زقاق محرم

٣ - بئر عند بيت البو

٤ - بئر فى زقاق بحرة .

وبحارة الغزة ثلاث آبارهي :

١ - بئر فى سوق الليل .

٢ - بئر خلف دار الأُمارة (عمارة الجفالى حاليا)

٣ - بئر امام دار المحلاوي

وبشعب عامر بئران هي :

١ - بئر غيلما

٢ - بئر بالبرحة .

وبحارة السليمانية ثلاث آبار هي :

١ - بئر عند المسجد

٢ - بئر عند بركة الشامي

٣ - بئر في الشرشورة •

كما يوجد آبار كثيرة خارج حدود السكن في علو مكة ،وفي الزاهـر والتنعيم •(١)

كما ورد تحديد موقع (٤٩) بئرا على خارطة مصلحة المساحة المصرية التى عملت لمكة المكرمة عام ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م • وهي على النحو التالي :

أ - بئران بالمعابده إحداهما تقع قرب مبنى الأمارة القديم (قصر الملك عبدالعزيز) •

ب - بئر زمزم •

ج - ثلاث آبار بأجياد ،الأول يقع فىالجهة الشمالية الغربية لمبنى مستشفىأجياد ، والثاني يقع غرب مبنى وزارة المالية وشمال قصر الأمير سعود، أما البئر الثالثة فتعرف ببئر الغسالة •

د - بالمسفلة (١٣) بئرا•

هـ - بجرول بئران إحداهما يعرفببئر طوى ،والثاني أمامه فى الجهة الشمالية الشرقية •

ز - بئران غرب مستشفى الزاهر حاليا•

و - بالتنضباوي (٢٠) بئرا منها ثلاث آبار كانت مردومة عـام ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م•

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٦ ، ٤٤•

دراسة عمارية

لدور العثمانيين في الآبار

١ - بئر زمزم ومبناهـا :

سبق الحديث أنها تقع جنوب (شرقي) مقام ابراهيم ،بحيث إن الزاوية الشمالية الغربية ، من البناء الذي كان قائما عليها، يحاذي الحجر الأسود وعلى بعد ١٨م منه[١]. لوحة رقم (٦٣،٧٦) وشكل رقم (ا).

وصف مبنى بئر زمزم من الخارج :

سبق أن أشرت إلى عناية العثمانيين بمبنى بئر زمزم وقيامهم بأعمال عمارية متنوعة ، شملت الإصلاح والترميم وإعادة البناء على مدى أكثر من أربعة قرون[٢]، وأن التوسعة السعودية للمطاف (١٣٨١هـ،١٣٨٨هـ / ١٩٦١ ،١٩٦٨م) اقتضت إزالة البناء الذي كان قائما على بئر زمزم[٣] ، مما يجعلنا نعتمد في وصفنا لهذه البئر على ما جاء عنها في الوثائق وكتب المؤرخين والرحالة ،وما هو باق من نقوشها الكتابية ورقبة البئر الموجودة فى متحف آثار الحرم المكي . شكل رقم (٢) لوحة رقم (٧٤-٧٨).

فقد وصف جمال الدين بن ظهيرة القرشي المخزومي (ت ٩٨٦هـ/١٥٧٨م) مبنى بئر زمزم فيعصره بقوله : " بئر زمزم...محل مرخم عليه سقف وفوقه ظله مسقفة بالخشب المزخرف ، وفوقه جمالون بقبة فى الوسط مصفح بالرصاص.. وفى الظلة يؤذن رئيس المؤذنين ، ويبلغ خلف امام الشافعي فى الصلوات الخمس ".[٤]

---

(١) ابراهيم رفعت : المصدر السابق ،ج ١ ،ص ٢٥٥ ،محمد باشا صادق : المصدر السابق ،ص ٥٢ ، عمر رضا كحالة : المرجع السابق ،ص ١٦٣ ،

(٢) انظر ما سبق ص (١٢٤) من هذا البحث .

(٣) يحيي حمزة كوشك : المرجع السابق ،ص ٤٤ ،٤٦.

(٤) جمال الدين بن ظهيرة القرشي :المصدر السابق ،ص ١٣٤.

كما تحدث الكردي عن الحالة التى كان عليها مبنى بئر زمزم فى القرن العاشر الهجري بقوله : " بئر زمزم من عند الماء أسفل إلى فوق بالحجر المبلط بالنورة المحكمة والجبس ، ومن الأرض من محل البنيان إلى المحل الذي يقوم عليه الجابد رخام قائم ، وفي أعلى هذا البنيان دائر من رصاص أيضا ، ومنه إلى الأرض عمد لطيفة من رصاص لحفظ الرخام لصغره من السقوط في البئر ،ثم من محل وقوف الجابد إلى نصف قامته عمد لطيفة من نحاس ،بين كل واحد فتحة نحو ذراع بطوق دائر عليها من فوق مسبوك فيه رصاص "(١)

أما وصف مبنى بئرزمزم فى القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين ، فيمكن الوقوف عليه مما ورد عنه لدى كل من عبد الكريم القطبى (ت ١٠١٤هـ/١٦٠٥م) وعلى الطبري (ت١٠٧٠هـ/١٦٥٩م) وعبد الملك العصامي (ت ١١١١هـ/١٦٩٩م) ،وابن المحب الطبري (ت ١١٧٣هـ/١٧٥٩م)٠ فقد وصف عبد الكريم القطبى مبنى بئر زمزم بقوله " وبصحن المسجد (الحرام) من جانب الباب الشريف بئر زمزم يعلوها مكان مرتفع يؤذن فيه رئيس المؤذنين " (٢)، وتحدث على الطبري عن ذلك بقوله " بئر زمزم ... عليها الآن بناء مربع فيه شباكان من الجهة الغربية وشباكان من الجهة الشمالية ...وبأعلى سقف زمزم ظلة رئيس المؤذنين وفيها شباك يطل على فم زمزم ، يكاد يدلى منه رئيس المؤذنين " (٣)

---

(١) يحيي حمزة كوشك : المرجع السابق ،ص ٤٠٠

(٢) عبد الكريم القطبى : المصدر السابق ، ص ١٤٤٠

(٣) على الطبري : المصدر السابق ،ورقة ٣٩ - ٤٠ والشباك المطل على فم زمزم يمثل فتحة تمكن رئيس المؤذنين من النظر إلى بئر زمزم ، هذا فضلا عن دورها فى التهوية والاضاءة ٠

وتحدث عبدالملك العصامي ، عن الشبك النحاس الذي وضع على دائر فم البئر ، ليمنع سقوط الناس فيه بقوله : " جعل على قدر تدوير البئر وجعل له ست سلاسل، وربطت بالحديد الدائر على فمها ، وصار الماء فوق الشباك (شبك) نحو ثلثي قامة "(١)، وأشار ابن المحب الطبري ، إلى وجود رفوف على مبنى بئر زمزم من الخارج ، مما يلي مقام الحنبلي(٢) (جنوب) ، لعلها كانت تستخدم لوضع الأكواب عليها .

ومن خلال ما تم عرضه من وثيقة مؤرخة بعام ١١٢٥هـ/١٧١٣م ، عن جهود العثمانيين في العناية ببئر زمزم ، يمكن القول أن مبنى بئر زمزم من الداخل كان طوله ٩٫٥ ذراعا وعرضه ٩ أذرع .(٣)

وتحدث محمد بن أحمد الصباغ المكي (١٢٤٣هـ/١٨٢٧م - ١٣٢١هـ/١٩٠٣م) عن وصف مبنى بئر زمزم بقوله : " هي بيت مربع وفي جدرانه ثمانية شبابيك ، ثلاثة مواجهة الكعبة وثلاثة جهة المدرج ، واثنان بجانب الباب والباب في الوسط ، وفي هذين الشباكين حوضين يملآن من زمزم للشرب وفوق قبة البئر (الظلة الخشبية) بيت شيخ زمزم أو رئيس المؤذنين له درج من جهة مقام الحنبلي ، فيطلع رئيس المؤذنين ،وهو شيخ زمزم ليؤذن ، ويليه سائر المؤذنين في جميع الأوقات ".(٤)

وأشار البتنوني الذي زار مكة في حج عام ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م ،إلى أن باب مبنى بئر زمزم يقع في الجهة الشرقية ،وأن دائر فم البئر من الرخام،

---

(١) عبدالملك العصامي : المصدر السابق ،ج ٤ ،ص ٣٩٨ ، كذلك انظر ص(١٢٦) من هذا البحث .
(٢) محمد بن علي المعروف بابن المحب الطبري : المصدر السابق ،ج ٢ ، ورقة ١٢٠ ، ١٢٢.
(٣) انظر ما سبق ص (١٢٨) من هذا البحث .
(٤) محمد بن احمد الصباغ المكي :المصدر السابق، ورقة ٦٩.

الذي يرتفع عن مستوى سطح الأرض بنحو ١,٥٠ م ، وأنه كان يقع بقرب فم البئر حوض يصب فيه المالئون بدلائهم ، ومن هذا الحوض يملأ السقاءون جرارهم .(١)

وأشار كل من ابراهيم رفعت وعمر رضا كحالة إلى وصف مبنى بئر زمزم من الداخل ، فذكرا أنه بناء مربع مفروش بالرخام طول ضلعه ٥,٢٥ م (٢).
وتحدث حسين باسلامة في وصف مبنى بئر زمزم فى موضعين من كتابه ، الأول قوله " مساحة بيت بئر زمزم من الشرق إلى الغرب ٨,٣٠ م ومن الشمال إلى الجنوب ١٠,٧٠م "(٣). والثاني قوله " أما حالة بئر زمزم التى عليها اليوم ، فهو بئر مدورة الفوهة ، عليه قطعة من الرخام المرمر على قدر سعة فمه ، ويبلغ ارتفاعها عن بلاط الأرض التى حول البئر من داخل القبة ذراعين ونصف ذراع اليد أو ١٢٠ سم تقريبا ، وأرض بيت زمزم أو داخل قبة زمزم مفروش بالرخام الأبيض ، ويحيط بفم البئر من أعلاه دربزين معمول من الحديد الثخين ، وفوق الدربزين شبكة من حديد ،وضعت فوق ذلك الدربزان ... أما البناء القائم على بئر زمزم ، فهو بناء مربع الشكل من الداخل ،طول كل ضلع منه أحد عشر ذراعا بذراع اليد ، وسطح البئر مغموس بالحجر والنورة ، وفي الجهة الشرقية باب قبة زمزم، وعلى جناح الباب الشمالي طاقة عليها شباك ثخين ، وكان فى جدار الطاقة سبيل قديم ، ثم ابطل عمله ، وكذلك على جناح الباب الجنوبى طاقة عليها شباك ثخين ، وكان ايضا في جدار الطاقة سبيل قديم ، قد ابطل عمله ، ومن الجهة الشمالية ثلاث منافذ عليها ثلاثة شبابيك ، لكل منفذ شباك ومن الجهة الغربية مما يلى الكعبة المعظمة ثلاث منافذ ولكل منفذ شباك ثخين ، وعلى نحو نصف سطح البئر من الجهة الغربية المقابلة للكعبة المعظمة ، مظلة قائمة على أربع بتر بنيت فى النصف الأمامي من سطح

---

(١) مجيد لبيب البتوني : المصدر السابق ، ص ١٢٦.
(٢) ابراهيم رفعت: المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٥٥ ، عمر رضا كحالة : المرجع
(٣) حسين عبد الله باسلامة : المرجع السابق ، ص ٤٦.

البئر ، وعلى أربع اساطين لطاف وضعت اثنتان منها على جدار البئر الأمامي مما يلي الكعبة المعظمة ، واثنتان على حد منتصف سطح البئر من الجهة الشرقية ، وأما نصف السطح الشرقي ،فهو شمسي ليس عليه مايظله وفوق هذه المظلة الأمامية ، سقف معمول من الخشب القوي ، وفوق السقف جملون مصفح بالواح من الرصاص على شكل بديع ، ويحيط بالمظلة من جهاتها الثلاث الشمالي والغربي والجنوبي خمسة شبابيك ، احدها من جهة الشمال وثلاثة من الجهة الغربية ، وواحد من الجهة الجنوبية ، وذلك معمول من السلك الحديد الدقيق ، والمظلة مدهونة بصباغ أخضر ... ومن ضمن بيت زمزم حجرة واقعة في الجهة الجنوبية تابعة لأغوات الحرم يضعون فيها أدوات تنظيف صحن المطاف ... وغير ذلك من لوازمهم ، وبجانب حجرة الأغوات المذكورة باب الدرجة المصعدة إلى المظلة التى بعلو بئر زمزم"(١)

وبالنظر إلى بعض اللوحات التى أخذت لمبنى بئر زمزم من الخارج قبل إزالته لوحة رقم (٧٣،٧٤،٧٥،٧٦،٧٧)، والرخام الذي كان يحلي دائر فوهة بئر زمزم ، والشبك الحديد الذي كان فوقه ،والتى تم لى بحمد الله العثور عليه بمتحف آثار الحرم المكي ،لوحة رقم (٧٨) ،يمكن القول بصحة ما أورده باسلامة عن وصف مبنى بئر زمزم من الخارج ، واضافة بعض الحقائق التى يمكن أن تلقي بعض الضوء على الطراز العماري لهذه البئر فى أواخر العصر العثماني وهي :

أولا : من حيث موقع البئر وموضع السلالم التى كانت تؤدي إلى سطح ظلة مبنى بئر زمزم ، فقد كانت تقع فى الجهة الجنوبية مما يلى مقام الحنبلي ، حيث ظهر ذلك من الرسم العماري للمسجد الحرام فى كتاب ابراهيم رفعت . شكل رقم (١).

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٨١ - ١٨٣.

ثانيا : يظهر من اللوحات التى أخذت لمبنى بئر زمزم قبل ازالته لوحة رقم (٧٣، ٧٤، ٧٥) ، أن القبة القائمة عليه تأخذ شكلا بصليا ، وتقوم على رقبة مثمنة .

ثالثا : يعلو مدخل البئر عقد مدبب . لوحة رقم (٧٤).

رابعا : استعمل العقد الثلاثي ، والعقد المكون من الصنج المزررة ، والعقد العاتق المدبب ذو المركزين في عمل شبابيك البئر لوحة رقم (٧٤ ، ٧٧).

خامسا : استعمل في بناء العقود المدببة والعتب المكون من الصنج المزررة ، حجارة ذات لونين أسود وأبيض ، وقد اصطلح على تسمية هذه الزخرفة بالأبلق . لوحة رقم (٧٧).

سادسا : يبلغ قطر فوهة البئر ٢ر١٤ م ، وارتفاع الفوهة المغطاة بالرخام ٢١ر١م ، وهذا يقترب إلى حد كبير من المقاس الذي أورده باسلامة سابقا ، والذي كان ٢٠ر١م ، والفوهة تأخذ شكلا منبعجا محيطه ٦٠ر٨ م . شكل رقم (٢) ولوحة رقم (٧٨، ٧٩).

سابعا : كانت تحلى مبنى بئر زمزم مجموعة نقوش كتابية محفوظة اليوم بمتحف آثار الحرم المكي الشريف ،سوف أقوم بدراستها فى الجزء الخاص بالكتابات والزخارف .

وصف بئر زمزم من الداخل : شكل رقم (٣ ، ٧) لوحة رقم (٨٠) .

أشار الأزرقي مؤرخ مكة المشرفة الى أنه بلغ ارتفاع بئر زمزم من قاعها إلى أعلاها ٦٩ ذراعا منها ٤٠ ذراعا بناء ، والباقي منقور في الجبل ،وتغذي البئر ثلاث عيون ، عين حذاء الحجر الأسود ، وعين حذاء أبي قبيس ، والصفا ، وعين حذاء المروة [1]. وقد اهتم كثير من المؤرخين والرحالة ،

(١) ابو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ،ج ٢ ،ص ٦١.

الذين جاءوا بعد عصر الأزرقي ، بنقل هذه الرواية عن وصف بئر زمزم من الداخل .(١)

وفي بداية عام ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م تم تنظيف بئر زمزم ، بتركيب مضخات كبيرة ، لسحب المياه الموجودة به ، مما أتاح تصوير البئر من الداخل ، وأخذ قياسات دقيقة له ، مكنت المهندس يحيي كوشك ، من عمل مساقط وقطاعات للبئر . وهذا يقتضي الإعتماد في وصف البئر من الداخل على ما ذكره المهندس يحيي كوشك حيث أشار إلى ما يلي :(٢)

١ - أن جدار البئر محكم التلييس من الداخل بعمق ١٤٫٨٠م من فوهة البئر . شكل رقم (٦ ، ٧) ولوحة رقم (٨٠ ، ٨١)

٢ - تحت هذا العمق يوجد فتحات تغذية البئر وهي على النحو التالي :

أ - المصدر الرئيسي : وهو عبارة عن فتحة تتجه جهة الكعبة المشرفة فى اتجاه الركن المواجه لحجر اسماعيل، وطولها ٤٥ سم وارتفاعها ٣٠ سم ، وبها غور إلى الداخل ، ويتدفق منها القدر الأكبر من المياه شكل رقم(٥ ، ٧) لوحة رقم (٨٥).

ب - المصدر الثاني : وهو عبارة عن فتحة كبيرة بطول ٧٠ سم ومقسمة من الداخل إلى فتحتين ، ارتفاعها ٣٠ سم ، وهي فى اتجاه أجياد شكل رقم (٥) لوحة رقم (٨٢).

ج - المصادر الفرعية : وهي فتحات صغيرة بين أحجار البناء تخرج منها المياه. توجد خمس منهافى المسافة التى بين الفتحتين الأساسيتين ، وقدرها متر واحد ، كما يوجد ٢١ فتحة أخرى ، تبدأ من جوار الفتحة الأساسية الأولى وباتجاه جبل أبي قبيس والصفا والمروة حتى تصل

---

(١) تقي الدين الفاسي : المصدر السابق، ج ١ ، ص ٢٤٨. عبدالغني النابلسي: المصدر السابق ، ص ٤٤٩ ، عبدالله باسلامة : المرجع السابق ، ص ١٧١-١٧٤، يحيي حمزة كوشك : المرجع السابق ، ص ٦٠.

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٠ - ٦١.

إلى الفتحة الثانية ، وهذه الفتحات لا توجد على مستوى واحد ، ولكنها على مستويات مختلفة ، وتتدفق منها المياه بكميات متفاوتة . شكل رقم (٥) لوحة رقم (٨٣).

٣ ـ يقع تحت فتحات تغذية البئر ، جزء منقور في الجبل بعمق ٢٠ر١٧ م . شكل رقم (٧) ولوحة رقم (٨٤).

٤ ـ تبين من فحص الجزء الصخري المنقور فى بئر زمزم ، أن هناك أجزاء منحوتة طوليا في هذا الصخر ، تقع أربعة منها أسفل المصدر الرئيسي ، وأربعة بين المصدرين الرئيسيين في مسافة متر واحد ، واثنا عشر فى المسافة التى توجد فيها الفتحات الصغيرة . ويختلف غور هذه الأجزاء المنحوتة ، فبعضها غائر يصل إلى عمق ٦ سم وبعضها سطحي ومن المحتمل أن هذا النحت الطولي في الصخر ، حدث نتيجة لسقوط المياه من المصادر بصفة مستمرة ، أو نتيجة لاحتكاك حبال الدلاء بالصخر عندما كان يجلب الماء من البئر بواسطة الدلاء . شكل رقم (٤ ، ٥).

٥ ـ يختلف قطر البئر باختلاف العمق ، فهو يتراوح بين ٥٠ر١ م و ٢ م ، ويصل القطر عند التقاء الجزء المبنى بالجزء المنقور فى الجبل الى ٨٠ر١ م .

ومما هو جدير بالذكر ، أنه حين نريد الجمع بين وصف الأزرقي لبئر زمزم من الداخل ، والمقاسات التى ذكرها يحيي كوشك ، يمكن القول بأن هناك اختلافا يسيرا في المقاسات . حيث أشار الأزرقى إلى أن عمق البئر من أعلاها الى أسفلها ٦٩ ذراعا (٥ر٣٤م) تقريبا منها ٤٠ ذراعا بناء أى (٢٠ م) تقريبا ، و ٢٩ ذراعا نقرا فى الجبل أي(٥ر١٤م) تقريبا فى حين اشار كوشك إلى أن الجزء المبنى قد بلغ عمقه ٨٠ر١٤ م والجزء المنقور فى الجبل قد بلغ عمقه ٢٠ر١٧م.

ولعل سبب هذا الاختلاف يعود لما عليه بئر زمزم الآن ، حيث أنها قد خفضت تحت سطح المطاف الشريف ،ولما مر على البئر من اصلاحات متنوعة عرفنا أخبارها فيما سبق .(١)

كما يلحظ أن هناك اختلافا بين ما أوردته المصادر التاريخية عن وصف المصادر المغذية لبئر زمزم ، وما هي عليه الآن ، حيث سبق القول أن هناك ثلاث عيون لتغذية البئر ، عين حذاء الحجر الأسود وعين حذاء أبي قبيس والصفا وعين حذاء المروة ، فيحين أنه تبين من مشاهدة يحيي كوشك أن هناك مصدرين أساسيين أحدهما تجاه الكعبة ،والآخر تجاه أجياد . أما المصدر الثالث الذي أشار الأزرقي إلى أنه يقع جهة جبل أبي قبيس والصفا ، فقد وجد بدلا منه فتحات صغيرة بين أحجار البناء عددها ٢١ فتحة . ومن المحتمل أن سبب هذا الاختلاف يعود ، لما مر على البئر من أعمال اصلاح وترميم .(٢)

مصادر ماء بئر زمزم :

تشير بعض الروايات التاريخية ، إلى أن ماء زمزم يزيد ويكثر ، كلما كثرت الأمطار والسيول ، وأن الماء يقل فيالسنين التى يقل فيها هطول الأمطار(٣) ، وقد أدى هطول الأمطار فى عام ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م ،إلى ارتفاع منسوب المياه في البئر ،لدرجة أنها اصبحت تتدفق من فوهة البئر مما يشير الى وجود ضغط ، يدفع الماء من أسفل إلى أعلى ، وأدى ذلك

---

(١) انظر ص(٦٦،٦٧،١٢٦)من هذا البحث .
(٢) انظر ما سبق ص (١٢٤-١٣١) من هذا البحث .
(٣) ابو الوليد الأزرقي : المصدر السابق ، ج ٢ ،ص ٥٤ ،٦١ .

أيضا الى تقليل نسبة الأملاح فى الماء.(١)

ولنا أن نتساءل هنا عن المواقع التى تستقطب مياه الأمطار وتؤثر على زيادة كمية ماء زمزم ؟

للإجابة على ذلك يشير يحيى كوشك ، إلى أنه أثناء هطول الأمطار عام ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م ، تم معاينة بئر الداودية القريب من بئر زمزم ، وبعض الآبار المحيطة بالمسجد الحرام ، فاتضح أنها لم تتأثر بما حصل فى بئر زمزم ، وهذا دليل على أن مصادر بئر زمزم تختلف عن المياه الجوفية وقامت شركة المهندسين الاستشاريين المتحدين ، بمراقبة سقوط الأمطار مرتين في منطقة مكة المكرمة ، والتغيرات التى حصلت فى منسوب مياه البئر بعد سقوط الأمطار في هاتين المناسبتين ، فلحظت أن الأمطار التى سقطت فوق مكة المكرمة مباشرة ، قد أدت إلى حدوث سيول فى وادي ابراهيم ، وفى بعض اجزاء المسجد الحرام ، إلا أنه لم يحدث أى تغييرات تذكر في منسوب المياه ببئر زمزم ، أما الملحوظة الثانية فكانت خاصة بأمطار غزيرة هطلت فوق مدينة الطائف ، وبنسبة بسيطة فوق مدينة مكة المكرمة ، ولم تحدث هذه الأمطار أى سيول فى وادي ابراهيم ، إلا أنه ظهرت تغييرات مفاجئة وكبيرة فى منسوب مياه بئر زمزم .(٢)

ومما تقدم نستطيع القول باحتمال أن مصادر مياه بئر زمزم بعيدة عن المنطقة المحيطة بالمسجد الحرام ، ويحتمل أنها تكون من

---

(١) يحيي حمزة كوشك : المرجع السابق ،ص ٧٢. دلت دراسة اجريت لماء زمزم عن خلوة تماما من الكبريتيدات المعروفة بتأثيرها الضار على الصحة العامة ، وأن نسبة الأملاح قد قلت بمقدار النصف تقريبا في الفترة من ١٣٥٤هـ إلى ١٣٩٣هـ ، انظر بحث للدكتور يوسف عبدالمنان والدكتور حسين يوسف محمد : دراسة اهم العناصر الموجودة فى ماء زمزم وعلاقتها بالآبار المحيطة بها ، مجلة جامعة الملك عبدالعزيز ص٤٦١ ، سنة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

(٢) يحيي حمزة كوشك : المرجع السابق ، ص ٩٩.

الكتلة الجيلية الضخمة المغذية لوادي نعمان ووادي حنين .

وفى ختام وصف البناء الذي يعلو بئر زمـــــزم يمكن وصفها فى العصر العثماني بأنها كانت في القرن الحادي عشر الهجري عبارة عن بناء مربع فيـــه شباكان من الجهة الغربية ، وشباكان من الجهة الشمالية ، ويتوســـط سقفها فتحة تطل على فم بئر زمزم .

أما فى القرن الثالث عشر الهجري ، فكانت تمثل بناء مربعـا في جدرانه ثمانية شبابيك ، ثلاثة في الجهة الغربية ، وثلاثة فـــى الجهة الشمالية ، واثنان يحفان بالباب من الجهة الشرقية ، ولهـــا درج من الجهة الجنوبية يؤدي إلى ظلة فى أعلاها . كما كان يقع فـــى الشباكين المطلين على الجهة الشرقية حوضان وفي وسط المبنى قريبا مـن فوهة البئر حوض . أما وظيفة هذا المبنى (بئر زمزم ومبناه) فلـــم تكن مقصورة على امداد الناس بماء زمزم فقط ، بل كانت تقوم بوظائف أخرى شملت توفير احواض لسقي الناس (أسبلة) والوضوء والاغتســـال منها هذا فضلا عن أنها كانت مكانا مثبتا عليه مزولة لتحديد الأوقـــات كما كانت مكانا يصعد إلى أعلاه رئيس المؤذنين ليؤذن ويبلغ خلف امـــام الشافعي ، ومكان لحفظ بعض حاجيات المسجد الحرام .

ب - بئر طـــوى :

الموقع :كان يطلق على موقعها قديما وادي طوى ، وفى الوقـــت الحاضر يطلق على المنطقة التى تقع بها جرول ، ومكانها بالتحديد أمـام مستشفى الولادة .

تاريخها : تم اعادة بناء البئر والغرفة التى عليه فى عهـــد السلطان محمود خان الثاني (١٢٢٣هـ - ١٢٥٥هـ/١٨٠٨ - ١٨٣٩م)[١].

---

(١) انظر ما سبق   من هذا البحث .

أهمية هذه البئر :

ترجع أهمية هذه البئر ،إلى اهتمام بعض الحجاج والمعتمرين ، بالاغتسال منها عند دخول مكة المكرمة ،اقتداء بفعل النبي صلى الله عليه وسلم ، الذي ورد عنه أنه بات بذي طوى عند دخول مكة المشرفة في العام العاشر للهجرة ، واغتسل منها.(١)

وقد أشار ابراهيم رفعت الذي حج سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م إلى ذلك بقوله : " بعد أن القينا عصا التسيار بجهة جرول غربى مكة واتخذنا منها مقاما محمودا أمنا فيه على أمتعتنا ، هممنا بدخول مكة لأداء طواف القدوم تحية البيت الحرام ،فاغتسلنا جميعا من بئر ذي طوى ، اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم " .(٢)

وقد أثر هذا فى تصميم البئر من الناحية العمارية ، فأصبح تصميمها يجمع بين وظيفة امداد الناس بالماء ، وتهيئة مكان للاغتسال وهذا ما سوف نذكره في الوصف العماري لهذه البئر.(٣)

وصف البئر من الخارج :

يمثل مبنى بئر طوى غرفة مربعة تقريبا ، حيث بلغت أطوال أضلاعها ٩٥ر٥ م ، ٦ م ، ٠٠٥ر٦م ، ٦م ،ويتراوح سمك جدرانها ما بين ٩٣ر٠م ومتر واحد . انظر المسقط الأفقي. شكل رقم (٨) لوحة رقم (٨٧).

---

(١) شيخ الاسلام احمد بن تيمية : مجمع فتاواه ، جمع عبدالرحمن بن محمد ابن قاسم النجدي الحنبلي ،ج ٢٦ ، ص ١٢٠ ،عمر بن فهد: المصدر السابق ج ١ ،ص ٥٧٣ ، الحسين بن محمد الورثيلاني : المرجع السابق ص ٣٨٤ ، محمد بن علوي بن عباس المالكي الحسني: المرجع السابق ص ٢٨١.

(٢) ابراهيم رفعت : المصدر السابق ،ج ١ ،ص ٣٠

(٣) انظر ما سيأتي ص (٤١٠-٤١٢) من هذا البحث .

وترتفع جدران مبنى البئر عن مستوى الأرض الآن إلى أعلى الشرفات حوالى ٨٢ر٥م ، شكل رقم (٩ ، ١٠) ولوحة رقم (٨٧) .و تغطي جدران البئر قبة واحدة ، تحيط بها مجموعة من الشرفات التى بنيت فوق جدران لبئر . شكل رقم (١١،١٢) ولوحة رقم (٨٦، ٨٩).

وتعتبر الواجهة الغربية لمبنى البئر هي الواجهة الرئيسة حيث يقع بها مدخل البئر ، ويقع في ناصية مبنى البئر من الجهة الشمالية الغربية ، بناء حديث ، تم انشاؤه في العصر السعودي ، لنقل ماء البئر ، إلى خزان مرتفع ، لكي يمكن التحكم في توزيع مياه البئر ، عبر شبكة من المواسير التى مدت حديثا ، كما يقع أيضا فوق جزء من جدار واجهة مبنى البئر من الزاوية الجنوبية الغربية ،جدار حديث ، تم بناؤه منذ بضع سنوات . شكل رقم (١٠) ، ولوحة رقم (٨٨). أما مدخل مبنى البئر ، فقد كان يعلو واجهته نقش كتابي ،لازال موضعه ظاهرا بغور في الجدار ويبلغ طول لوح النقش ٩٠ر٠م ، وعرضه ٧٠ر٠م ، ويحيط بموضع النقش الكتابي مربع غائر في واجهة مبنى البئر بمقدار ٢٢ر٠م ، وطول ضلعه حوالى ١٢ر٢م ، شكل رقم (١٠) ولوحة رقم (٨٨)، ومدخل مبنى البئر ، عبارة عن فتحة يعلوها عقد نصف دائري سعتها ٤٠ر١ م وارتفاعها من مستوى أرضية مبنى البئر إلى مفتاح العقد ٠٦ر٣م وسمك هذا العقد ٤٦٥ر٠م ، شكل رقم (١٠) ولوحة رقم (٩٠).

وصف مبنى البئر من الداخل :

يلى عقد مدخل مبنى البئر الذي سبقت الإشارة إليه من الداخل ، ارتداد من الجانبين بمقدار ٢٤ر٠م إلى جهة الشمال ، و ٣٤ر٠م إلى جهة الجنوب ، وسمك ٣١٥ر٠م ويقوم عليه عقد مدبب ذو مركزين شكل رقم (١٣) ولوحة رقم (٩٧).

أما غرفة مبنى البئر من الداخل فهي مربعة تقريبا ،اذ يبلغ

طول ضلع الواجهة من الداخل ٤٫٠١٥ م ، في حين بلغت أطوال جميع الأضلاع ٤٫٠٧ م ويغطي هذه الغرفة قبة ضحلة ، قطرها ٤٫٠٧ م ، وعمقها ١٫١٧م ، وسمك جدارها ٠٫٥٨م وقد تم تحويل المنطقة المربعة إلى دائرة كي تقوم عليها القبة ، باستخدام المثلثات الكروية . شكل رقم (٨) ولوحة رقم (٩٦،) . وقد جعلت أرضية مبنى البئر من الداخل على ثلاثة مستويات ، المستوى الأول يرتفع عن مستوى الأرضية الحالية للشارع ٤٥ سم ، ويرتفع المستوى الثانى عن المستوى الأول ١٦ سم، و يرتفع المستوى الثالث عن المستوى الثاني ٢٩ سم ، وقد غطي جميع ذلك ببلاط تم وضعه في السنوات القليلة الماضية . شكل رقم (١٢) ولوحة رقم (٩٤، ٩٥) ، ومن مشاهدة انزلاق المياه على هذه الأرضية ، يتضح أن هذا التدرج يفيد في نقل مياه التصريف بسرعة إلى بالوعة حديثة .

وفي وسط هذه الغرفة تقريبا تقع البئر ،التى ترتفع جدرانها عن المستوى الأول لأرضية غرفة البئر ٠٫٦٢م تقريبا ، والبئر تأخذ شكلا دائريا ، وعليها شبك من الحديد الذي وضع فى فترة لاحقة .وسمك جدار رقبة البئر ٠٫٤٥م وقطرها ١٫٨٥ م ، وعمقها من مستوى حافة رقبة البئر إلى مستوى سطح الماء ٤٫٥٠م (وقت قيامي بأخذ المقاسات) ومن مستوى حافة رقبة البئر إلى قاعها ١٨٫٣٠ م . وبذلك يكون عمق الماء بها ١٣٫٨٠م . شكل رقم (١١) لوحة رقم (٩٥) ، وتغطيجدران البئر أعلى مستوى سطح الماء فيه طبقة من الملاط تظهر آثارها حتى الآن هذا فضلا عن ملء الفراغات بين الأحجار بالمونة ، ويشاهد فى أعلى حافة رقبة البئر ، بعض التجاويف في أحجار البناء ، يرجح أنها نتجت من احتكاك حبال الدلاء بها قديما ، حيث كان يرفع الماء بواسطة الدلاء

وأهم ما يميز مبنى بئر طوى من الداخل ، وجود تجاويف عليها عقود مصمتة ، في جميع أضلاعه ماعدا ضلع الواجهة ،شكل رقم (١٢، ١٤) لوحة (٩٣، ٩٨، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣)أما عن وظيفة هذه التجاويف وأهميتها لمبنى بئر طوى ، فتظهر في أن أعداد كبيرة من الحجاج ، لا زالوا إلى الآن

يستخدمون بعض هذه التجاويف ، بالدخول فيها ، وسترها بقطعة من القماش ، ليتسنى لهم الاغتسال .

أما صفة هذه التجاويف فيمكن التعرف عليها من خلال وصف جدران مبنى البئر من الداخل وهي كالتالي :

١ - الضلع الجنوبى لمبنى البئر من الداخل :

يقع في منتصفه تقريبا تجويف غائر في الجدار بعمق ٤٠ر٠م وسعة ٠٩ر١ م وعليه عقد مصمت ، ارتفاعه من المستوى الأول لأرضية مبنى البئر إلى مفتاح العقد ٨٨٥ر٢ م ، وهو عقد مدبب ذو مركزين ، وحول العقد تجويف غائر في الجدار على شكل مستطيل طوله ٦٦ر١م وعرضه ٣٨ر١ م ، وعمقه ٠٥ر٠ م ، شكل رقم (١٢) ولوحة رقم (٩٢، ٩٣).ويجاور هذا التجويف تجويف آخر إلى شرقيه ،عمقه ٥٠ر٠م وله قاعدة ترتفع عن المستوى الثالث لأرضية البئر بمقدار ٢٥ر٠ م ، ويعلو هذا التجويف عقد مدبب ذو أربعة مراكز ، بلغ ارتفاعه من مستوى قاعدة التجويف إلى مفتاح العقد ٠٧ر١ م . شكل رقم (١٢) ولوحة رقم (٩٢). ولعل هذا التجويف الأخير ، كان يوضع به مصباح الاضاءة ليلا .

٢ - الضلع الشرقي لمبنى البئر من الداخل :

يقع فى منتصفها تقريبا تجويف سعته حوالى ٦١ر٢م، وعليه عقد مصمت سمكه ٣٥ر٠ م ، و ارتفاعه من المستوى الثالث لأرضية البئر إلى مفتاح العقد ٨٠ر٢ م ، وهو عقد مدبب ذو مركزين . شكل رقم (١١) ولوحة رقم (١٠٠) . وفي منتصف العقد نافذة مستطيلة ارتفاعها ٨٠ر٠م ، وعرضها ٧٥ر٠م ،وعليها عتب من خشب ، وسمك هذه النافذة ٥٨ سم . شكل رقم (١١) ولوحة رقم (١٠٠).

٣ - الضلع الشمالي لمبنى البئر من الداخل :

يقع فى نهاية ضلعها الملاصق للضلع الشرقي تجويف غائر في الجدار ، يحليه عقد مدبب ذو أربعة مراكز ،عمقه ٥٠ر٠م ،وسعته ٦٩ر٠م وارتفاعه من مستوى الأرض الأول إلى مفتاح العقد ٧٨ر١ م، شكل رقم (١٤) ولوحة رقم (١٠١،١٠٢).ويجاور هذا التجويف - إلى الجهة

الغربية - تجويف آخر أبعاده نفس أبعاد التجويف الواقع فى وسط جدار البئر الجنوبي .

ويمكن الخروج من هذا الوصف العماري بأن مبنى بئر طوى قد أدى وظيفة امداد الناس بالماء من البئر والاغتسال فى مبناها.

جـ - بئر عند نهاية حدود حرم مكة من الجهة الغربية :

تأخذ شكلا دائريا وعليها غطاء يشبه نصف القبة ، وهي ضمن مجموعة بنائية تضم سبيلا وحوضا لسقيا الدواب [1]. شكل رقم (٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤) ولوحة رقم (١١٥ ، ١١٩).

د- بئر البـز :

تأخذ شكلا مربعا طول ضلعه ١ م ، وهي ضمن مجموعة بنائية تضم سبيلا وحوضا لسقيا الدواب.[2] شكل رقم (٤٨، ٤٩) ولوحة رقم (١٢٤).

---

(١) انظر ما سبق ص (٢٦٦) من هذا البحث .

(٢) انظر ما سبق ص (٢٦٧) من هذا البحث .

ثـالثا : الـبـرك : خارطة رقم (١٠ ، ١٧)

سأقوم في هذه الدراسة بالإشارة إلى ما ورد عن مواقع البرك في العصر المملوكي ، ثم أتحدث عما ورد عنها في العصر العثماني ، لمعرفة التطور الذي طرأ على زيادة عدد البرك ، ووصف ما كان عليه الحال في نهاية العصر العثماني ، هذا فضلاً عن تحديد مواقع بعض البرك على الطبيعة ، اعتمادا على ما ورد عنها فى الوثائق ،وكتب المؤرخين والرحالة . وفي ختام هذه الدراسة سوف أشير إلى وصف بعض هذه البرك من الناحية العمارية ، على ضوء ما بين يدي من وثائق ونصوص تاريخية ، وصور أخذت لبعض هذه البرك .

فمن ناحية مواقع البرك فى العصر المملوكي يمكننا التعرف عليها اعتمادا على أقوال كل من الفاسي وابن فهد ، فقد جاء ذكر مواقع البرك عند الفاسي على الوجه التالي [١]:

١ - كانت تقع عند باب المعلاة بركتان متلاصقتان.

٢ - كان يقع عند سور باب المعلا بركتان متلاصقتان ، تلصق إحداهما سور باب المعلاه ببستان الصارم .

٣ - كان يقع بسوق الليل عند مولد النبي صلى الله عليه وسلم بركتان .

٤ - كان يقع بأسفل مكة بركة يقال لها بركة ماجل ،لأنها عند باب مكة المعروف بباب الماجن .

٥ - كان يقع بحرم مكة عدة برك مما يلي منى وعرفة ، منها البركة المعروفة ببركة السلم .

٦ - كانت تقع مجموعة برك بطرف منى مما يلي المزدلفة .

٧ - كانت تقع بعرفة عدة برك .

---

(١) تقي الدين الفاسي : المصدر السابق ،ج ١ ،ص ٣٣٩ - ٣٤٠.

أما ابن فهد فقد ذكر موقع بركة واحدة لم يذكرها الفاسي،وهي بركة بمسجد نمرة .(١)

أما في العصر العثماني ، فاعتمادا على ما تم عرضه عن جهود العثمانيين فى العناية بالبرك(٢)، فيمكن القول بأنه وجدت فى هذا العصر حركة نشطة فى إصلاح وتجديد برك قديمة ، وإنشاء برك جديدة منها بركة بطرف بازان شعب عامر ، وبركة في وسط حمام باب العمرة (٣).

ويمكن تقسيم البرك في هذا العصر حسب وظائفها ، التى منها ما يختص بتجميع مياه الأمطار للاستفادة منها ، ومنها ما يختص بسقيا الدواب ، ومنها ما يختص بحفظ مياه القنوات للشرب .

أما النوع الأول من البرك فنجد أنها تحتل المواقع الآتية :
خارطة رقم (١٠ ، ١٧) .

١ - بركة في أعلى جبل حراء آشار إليها عبدالكريم القطبي بقوله : " ومن الجبال المأثورة بمكة جبل حراء بكسر الحاء المهملة وفتح الراء الممدودة ممنوعا من الصرف ، ويقال له جبل النور ... وفي أعلاه بركة يجتمع فيها الماء من المطر ".(٤)

كما أشار إليها أيوب صبرى بقوله " وفي جبل النور توجد بركة قديمة يتجمع فيها ماء الأمطار ، ولها أهميتها في إمداد زوار غار حراء بالماء ، إلا أنها الآن مهدمة (٥)" . وأشار إليها إبراهيم رفعت بقوله

---

(١) عمر بن فهد : المصدر السابق ،تحقيق عبدالكريم الباز ،ص ٣٩٧.
(٢) انظر ص (٢٥١) من هذا البحث .
(٣) انظر ص (٢٥٦،٤٢٤) من هذا البحث .
(٤) عبدالكريم القطبي : المصدر السابق ، ص ١٦٢ ، وانظر كذلك محمد بن احمد الصباغ المكي : المصدر السابق ، ورقة ١٢٣.
(٥) أيوب صبرى : المرجع السابق ،ج ٥ - ٧ ،ص ١١١٩.

" يقع جبل حراء أو جبل النور في شمال مكة على يسار الذاهب إلى عرفات ... وقبل أن نصل إلى قمة الجبل بثلاث دقائق ،وجدنا خزانا تحت بالجبل لحفظ مياه المطر ، يبلغ طوله ٨ أمتار في عرض ٦ م وعمق ٤ م،وله درج للوصول إلى قاعه ، وكان خاويا من الماء ".[١] شكل رقم (٤٠).

٢ ـ كان يقع فى أعلى جبل أبي قبيس بركة لتجميع مياه الأمطار[٢].

٣ ـ كان يقع بجبل هندى بركة عظيمة لتجميع مياه الأمطار.[٣]

٤ ـ كان يقع بفناء مسجد الخيف بمنى أربع برك لتجميع مياه الأمطار والشرب منها فى مواسم الحج .[٤]

٥ ـ كان يقع قرب مسجد عائشة بالتنعيم بركة لتجميع مياه الأمطار[٥]، يرجح أن موقعها في شمال المسجدوقربالجبل ، حيث توجد قنوات حفرت في الأرض لاستقطاب مياه الجبل ،وتوجيهها للبركة[٦]. ويمكن الاستفادة من مياه هذه البرك في الوضوء .[٧]

أما ما يخص برك سقيا الدواب فيمكن تتبعها على النحو التالي :

خارطة رقم (١٠).

---

(١) إبراهيم رفعت : المصدر السابق ،ج ١ ،ص ٥٨. وكذلك انظر عمر رضا كحالة : المرجع السابق ، ص ١٥٥.

(٢) عبدالكريم القطبي : المصدر السابق ، ص ١٥٨.

(٣) BurKhardt, OP.Cit, P.122.

(٤) إبراهيم رفعت : المصدر السابق ،ج ١ ،ص ٣٢٤.

(٥) أيوب صبري : المرجع السابق ،ج ٥ ـ ٧ ، ص ١١١٩ ،إبراهيم رفعت : المصدر السابق ،ج ١ ،ص ٣٤٣.

(٦) أيوب صبري : المرجع السابق ، ج ٥ ـ ٧ ، ص ١١١٩.

(٧) المرجع السابق ،ج ٥ ـ ٧ ، ص ١١١٩ ،إبراهيم رفعت : المصدر السابق ،ج ١ ،ص ٣٤٣.

١ - تقع بركة لسقيا الدواب ملاصقة لبازان التمارة بالمعلاه، وتأخذ هذه البركة شكل مستطيل . شكل رقم (٥٥).

٢ - كانت تقع بركة لسقيا الدواب على يمين الصاعد من المعلاه إلى الأبطح، بعد بستان المرحومة خاصكي سلطان[١]. لعلها البركة التي وقعها بورخاردت Bur Ckhardt على خارطة، وأشار أنها مكشوفة لسقيا الدواب، وأن مادة بنائها من الحجر، ورسمها على شكل مستطيل[٢]. خارطة رقم (١).

٣ - كانت تقع بركة لسقيا الدواب بعرفة أمام بستان الجفالي، تأخذ شكل مستطيل تقريباً (٤ × ٢ م) وتستمد ماءها من قناة عين عرفة.[٣]

٤ - من خلال دراسة الآبار المتبقية، اتضح أنه يقع قرب بعضها برك لسقيا الدواب أشرت إلى وصفها العماري أثناء دراسة الآبار، لارتباطها بها وجميعها يأخذ شكل مستطيل، وهي :

أ - بركة ملاصقة لجدار بئر تقع عند نهاية حدود حرم مكة من الجهة الغربية . لوحة رقم (١٣٦) وشكل رقم (٤٢).

ب - بركة ملاصقة لبئر البرّ على الطريق بين جدة ومكة تبعد عن نهاية حدود الحرم بمقدار ٣ر٥ كم . لوحة رقم (١٢٥) وشكل رقم (٤٩).

جـ - بركة ملاصقة لجدار بئر مزدلفة لوحة رقم (١٠٩).

د - بركة ملاصقة لجدار بئر السبحية قرب نهاية حدود حرم مكة الجنوبية . لوحة رقم (١٠٦) وشكل رقم (١٥).

---

(١) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ، ص ٢٢٦.

(٢) Bur Ckhardt, OP:Cit, P 102.

(٣) مقابلة تمت عام ١٤٠٨هـ مع الشريف محسن بن عجلان العرجاني العبدلي أحد كبار السن الذين عاشوا قرب عرفة .

أما النوع الثالث من البرك وهو الخاص بحفظ مياه الشرب للناس ، وإمدادهم بها فهي كما يأتي : خارطة رقم (١٠).

١ - بركة المصري ، تقع بالمعلاه على يسار الصاعد إلى الأبطح وهي المسماة ببركة الصارم[1]،وقد وقع رسمها بورخاردت على خارطة، إلا أنه اختلط عليه اسمها مع اسم بركة الشامي الواقعة أمامها من الجهة الشرقية ، فكتب على موقعها اسم بركة " الشامي "[2]، خارطة رقم (١). ويشير أحد النصوص التاريخية إلى وصف بركة المصري في القرن الحادي عشر الهجري إلى أن في وسطها جدارا يقسمها إلى قسمين[3] بينما وردت فى خارطة بورخاردت Bur Ckhardt ،الذي زار مكة المشرفة عام ١٢٣٠هـ/١٨١٤م ، على شكل مربع بدون فاصل في منتصفها ،وقد بلغت مساحتها ١٦٠ قدماً ، وعمقها يتراوح ما بين ٣٠ - ٣٥ قدماً وهي مبنية بالحجارة بالكامل . ومما يجدر معرفته أنه عندما تكون البركة محتوية على ماء بارتفاع من ٨ إلى ١٠ أقدام ،فإن ذلك يصيركافياً لسقيا قافلة الحج المصري[4]، وتستقطب هذه البركة مياهها من قناة العين المارة بقربها[5].

٢ - بركة الشامي ، تقع بالمعلاه[6]، مقابلة لبركة المصري ، ويفصل بين البركتين الطريق العام[7]، وقد وقع بورخاردت Bur Ckhardt رسمها على خارطة ، إلا أنه اختلطت عليه التسميه كما سبقت الإشارة لذلك ،فسماها بركة المصري. ويؤكد هذه الحقيقة عثوري على وثيقتين

---

(١) علي الطبري : المصدر السابق ،ورقة ٤٤- ٤٥ ، محمد بن أحمد الصباغ المكي: المصدر السابق ، ورقة ١٥٨.
(٢) انظر تحديد موقع بركة الشامي .
(٣) علي الطبري : المصدر السابق ،ورقة ٤٤ - ٤٥.
(٤) Bur Ckhardt,OP.Cit, P.P, 102 , 127.
(٥) علي الطبري : المصدر السابق ،ورقة ٤٤ - ٤٥.
(٦) المصدر السابق ، ورقة ٤٤ - ٤٥.
(٧) محمد بن أحمد الصباغ المكي : المصدر السابق ،ورقة ١٥٨.

الأولى مؤرخة بعام ١٢٩٨هـ/١٨٨٠م وهي عباره عن خارطة لمكة المكرمة حدد عليها موقع بركة الشامي .[١] . أما الوثيقة الثانية فإنها مؤرخة بالرابع والعشرين من شهر صفر لعام ألف وثلاثمائة وخمس وخمسين وجاء فيها ما نصه : " هذه البركة المدفونة الشهيرة ببركة الشامي ... والمحدودة أي أرض البركة المذكورة شرقا بالسكة النافذة وغربا بالشارع الاعظم وشاما بالزقاق النافذ إلى الشارع الأعظم وإلى الرحبة الكائنة ثمة أمام دار الرشيدي ويمناً السكة النافذة ".[٢]

فإذا أردنا تطبيق هذا الوصف على موقع البركة نجد أنه لم يبق فى الوقت الحاضر من هذه الدلائل إلا القليل ، منها أن من حدودها من الجهة الشمالية زقاق نافذ إلى رحبة أمام دار الرشيدي ، وموقع هذه الدار معروف إلى وقت قريب على أنه يقع الآن شرق موقف السيارات الكائن بالخريق ، مما يجعلنا نرجح أن موقع البركة يقع تقريبافي جزء من المكان الذي يشغله موقف السيارات .

ويتضح من رسم بورخاردت Bur Ckhardt لبركة الشامي أنها تأخذ شكل بركة المصري ، خارطة رقم (١) . وتستمد هذه البركة مياهها من قناة العين المارة بقربها.[٣]

٣ ـ بركة ببستان المريسي .

٤ ـ بركة ببستان الظهرة

٥ ـ بركة ببستان حسن أفندي شيخ الحرم بأول المعلاة.

٦ ـ بركة بالفرحاتية الكبرى قريبا من مسجد الحرس .

---

(١) أنظر صورة هذه الوثيقة رقم (١٢) . بالملحق رقم (١) من هذا البحث .

(٢) حجة شرعية صدرت من المحكمة الشرعية بمكة المكرمة عدد(٣٣٦) ، وتاريخ ١٣٥٥/٢/٢٤هـ.

(٣) علي الطبري : المصدر السابق ، ورقة ٤٤ — ٤٥.

٧ - بركة في الدرويشية الجديدة مقابل قبب الأشراف ولاة مكة(١).

ويبدو أن البركتين اللتين أخذتا الرقمين الثالث والسابع كان موقعهما على امتداد شارع المعلاه المتصل إلى الغزة ، حيث أشار بورخاردت إلى وجود مجموعة برك على جانب شارع المعلاة المتصل للغزة .(٢)

كما وردت إشارة في إحدى الوثائق عن وجود بركة ماء بمحلة السليمانية بالحلقة ، جاء في حدودها من الجهة الشرقية رحبة متصلة بشارع ملاصق لمسجد ، ومن الجهة الغربية شارع نافذ ، ومن الجهة الشمالية رحبة متصلة بشارع ، ومن الجهة الجنوبية شارع نافذ ، وكانت مادة بنائها الحجر والطين والنورة . أما أبعادها فمن الجنوب إلى الشمال مما يلي الشرق ٣١ م ومما يلى الغرب ٢٥م ، والعرض من الشرق إلى الغرب مما يلى الشمال ٢١٫٣٠ م ومما يلى الجنوب ٢٠٫٣٠ م(٣). شكل رقم (٣٩).

٨ ، ٩ - بركتان بسوق الليل عند مولد النبي صلى الله عليه وسلم .(٤)

وبحرم مكة المشرفة مما يلي منى وعرفة عدة برك منها:(٥)

١٠ - بركة العلم فى منى .(٦)

١١ - بركة بنيت في تخوم الأرض بسوق العرب بمنى.(٧)

(١) المصدر السابق : ورقة ٤٤ - ٤٥.

(٢) Bur Ckhardt, OP.Cit, P.P, 126, 127.

(٣) حجة شرعية صادرة من المحكمة الكبرى بمكة المكرمة عدد (١٠) وتاريخ ١٣٨١/٨/١٢هـ .

(٤) الصباغ المكي : المصدر السابق ، ورقة ١٥٨.

(٥) الم السابق ، ورقة ١٥٨.

(٦) علىالطبري : المصدر السابق ،ورقة ٤٤ - ٤٥.

(٧) حجة شرعية صادرة من المحكمة الكبرى بمكة المكرمة عدد (٢٠٢) وتاريخ ١٣٤٧/٥/٤هـ. كذلك انظر سيدي الحسن الورثيلاني : المرجع السابق ، ص ٣٩٥ ، إبراهيم رفعت : المصدر السابق ، ج ١ ،ص ٣٣٠.

١٢ - بركة السلم :

أشار إلى موقعها كل من محمد أنور شكري ومحمد فهد الفعر،ورجحا القول بأنها تقع في المكان الذي عثر فيه على النقش رقم (١) ،في حي الشثة بالقرب من مدرسة عثمان بن عفان الابتدائية ، وقاما بتزكية ذلك القول بالإشارة إلى وجود جزء كبير من أحد جدران البركة ظاهر فوق سطح الأرض ، وأن مسجد الشيخ ابراهيم آل الشيخ يشغل جزءا من موقع البركة الشمالي .(١)

وبتحقيق هذه المعلومات على الواقع ومقارنتها بما عثرت عليه من وثائق ونصوص تاريخية ، اتضح أنها تقع في مكان غير هذا الذي ذكر أعلاه .

فإنها تقع الآن أمام بقالة البيبان وبالتحديد في الميدان الذي يتفرع عنده الطريق إلى منى وإلى العزيزية خارطة رقم (١٧) . ويؤيد هذا عثوري على وثيقة تم فيها رسم خارطة لمسار قناة عين عرفة ، وقع عليها موضع بركة السلم(٢)، هذا فضلا عن عثوري على صورة فوتوغرافية لهذه البركة ، من الشريف مساعد بن منصور آل عبدالله بن سرور، الذي أيد ما جاء عن تحديد موقع هذه البركة على الوثيقة، كما يتضح من هذه الصورة تطابق وصف موقعها على الطبيعة وما جاء في الوثيقة. لوحة رقم (١١٢).

وقد سبق القول أن هذه البركة كانت تتغذى بالمياه من القرن الثامن إلى القرن العاشر الهجري من عين ماء بمنى(٣)،غير أنها أصبحت

---

(١) د. محمد أنور شكري : المرجع السابق ،ص ٦٠ ، د.محمد فهد الفعر: المرجع السابق ، ص ٣٤٧ - ٣٤٩.

(٢) وثيقة رقم (١٣) بالملحق رقم (١) من هذا البحث .

(٣) انظر ما سبق ص(١٤٤) من هذا البحث .

فى القرن الحادي عشر الهجري تتغذى من مياه الأمطار.[1] وقد كانت هذه البركة موجودة عام ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م إلا أنها كانت تحتاج إلى ترميم وتعمير ، حتى يتسنى الاستفادة منها.[2]

والآن يمكن القاء بعض الأضواء على وصفها المعماري من خلال الصور الفوتوغرافية التي عثرت عليها لدى الشريف مساعد بن منصور آل عبدالله بن سرور ، لوحة رقم (١١٢):

أ - كانت بركة السلم تأخذ شكلا مربعا تحيط به جدران عالية فى باطن الأرض ، وفي أحد أركانها سلم أو درج يؤدي إلى قاعها.

ب - بنيت البركة بأحجار غير منتظمة الشكل من مداميك، وطليت جدرانها الداخلية بالنورة.

ولا معدى عن الإشارة هنا إلى أهمية موقع بركة السلم ، حيث كانت تقع على مفترق الطريق المؤدي إلى منى وإلى العزيزية ،ومنه إلى عرفات ، حيث أسهم هذا الموقع في توفير الماء للحجاج والمارين بها.

١٣ - كانت تقع خلف مسجد عائشة[3] بالتنعيم بركة ماء[4]،طولها ٢٤م ، وعرضها ١٩م ، وعمقها ٣ م ، وقد بنيت في باطن الأرض ، حيث يلحظ أن أعلى جدرانها موازٍ لسطح الأرض المحيطة بها ، وكانت مادة بنائها الحجر المجصص بالملاط الجيد ، ويقع في كل من جهتيها الشمالية والجنوبية سلم يوصل إلى قاعها مكون من سبع درجات ، وكان يقع بأعلى

---

(١) على الطبري : المصدر السابق ،ورقة ٤٥.
(٢) عبدالقادر ملا قندر: المرجع السابق ،ص ٦.
(٣) ابراهيم رفعت : المصدر السابق ،ج ١ ،ص ٣٤٣.
(٤) على الطبري : المصدر السابق ، ورقة ٤٤ ، حمد الجاسر: ملخص رحلتي ابن عبدالسلام الدرعي ،ص ١١٩ ، ابراهيم رفعت : المصدر السابق ،ج ١ ،ص ٣٤٣.

الجهة الشرقية للبركة حجر ، سطر به تاريخها ،إلا أن إبراهيم رفعت ، لم يتمكن من قراءته ،لأنه كان مقلوبا ٠ شكل رقم (٣٨) ٠ وكانت هذه البركة تستمد ماءها من بئر قريبة منها.(١)

١٤ - بركة ماجن :

أشار علي الطبري إلى أنها كانت تقع بأسفل مكة (٢)،وقد قمت بزيارة ميدانية لحي المسفلة بغية الوصول إلى تحديد موقع البركة فوفقني الله سبحانه وتعالى إلى التعرف على المعلم مصطفى حكيم علي منشي ، والشيخ عبدالحي بخاري وهما من كبار المسنين ويسكنان قرب موقع بركة ماجن ، فدلاني على موقع البركة حيث كانت تقع على بعد ٣٠٠ م جنوب شرق موقف السيارات الكائن بالمسفلة الآن ٠

أما وصف هذه البركة فإننا نستدل من توقيع رسمها على خارطة بورخاردت Bur Ckhardt على أنها كانت تأخذ شكل مربع (٣). خارطة رقم (١)٠

وأشار الكردي أنه كان يحيط بالبركة سور من الجهات الأربع طوله ٤٠ م ، وعرضه ٣١ م (٤)، وبسؤال سكان الحي المجاورين لموقع البركة المعاصرين لوجودها أفادوا بأن هذه الأبعاد غير دقيقة، وأكد ذلك الشيخ عبدالحي بخاري الذي كان منزله يشرف على مبنى البركة ودلني على الموقع والمساحة التى كانت تشغلها البركة ٠ ويتضح من أقواله أنها كانت بركة مستطيلة طولها ٦٠ م ، وعرضها ٥٠ م ٠ كما وجهني

---

(١) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٤٣٠

(٢) علي الطبري : المصدر السابق ، ورقة ٤٤ - ٤٥ ٠

(٣) Bur Ckhardt, OP.Cit, P.P, 102 , 113.

(٤) محمد طاهر الكردي : المرجع السابق ،ج ٦ ، ص ٩٠

بعض سكان الحي إلى أنه كان يقع بناصية البركة - من الجهة الجنوبية الغربية - حوض صغير ،يأخذ شكل مستطيل طوله ٥ م ، وعرضه ٤ م ، وذلك لتصفية المياه ، ليشرب منها أهل تلك المنطقة ،ثم يوجه الفائض للزراعة .

أما عمق بركة ماجن فإنه يقدر بأربعة أمتار ، وكانت لها دعامات تأخذ شكل نصف دائري ،ووضعت من داخل البركة ومن خارجها بما يقارب دعامة كل ٥ م ، وبلغ سمك جدار البركة ٣٠ر١م تقريبا . شكل رقم (٣٦).

١٥ ، ١٦ - كان يقع جهة باب الصفا بركتان .(١)

كما كان يقع بالقرب من المسجد الحرام بمجموعة برك ، أعدت لحفظ المياه ، وتقديمها للحجاج في موسم الحج وهي على النحو التالي :

١٧ - بركة قايتباي : تقع بجانب المسجد الحرام بين باب النبي وباب قايتباي ، تأخذ شكل مربع طول ضلعه ١٤ م ، وعمقها ٦ م ، وتستوعب ٤٧ ألف صفيحة من الماء .(٢) شكل رقم (١٧).

١٨ - بركة تقع عند باب ابراهيم .(٣)

١٩ - بركة بالمسعى داخل المدرسة الخيرية .(٤)

٢٠ - بركة في باطن حمام باب العمرة .(٥)

٢١ - بركة بالمسفلة .(٦)

---

(١) أيوب صبري : المرجع السابق ،ج ٥ - ٧ ،ص ٧٥٦ - ٧٥٨.

(٢) عبدالقادر ملا فلندر : المرجع السابق، ص ١٣ ، كذلك انظر موقع هذه البركة علىوثيقة يعود تاريخها إلى بداية العصر السعودي، رقم (١٥) بالملحق الأول من هذا البحث .

(٣) الوثيقة السابقة ، عبدالقادر ملا فلندر : المرجع السابق ص ١٣-١٤.

(٤) المرجع السابق ، ص ١٤.

(٥) المرجع السابق ،ص ١٤.

(٦) المرجع السابق ،ص ١٤.

٢٢ - بركة عند منطقة الشيخ محمود.[(١)]

٢٣ - بركة عند محطة المحمل المصري بجرول .[(٢)]

كما كانت توجد برك تفور فيها المياه للجلوس حولها والتنزه منها .

٢٤ - بركة ماء في داخل التكية المصرية التى أُنشئت عام ١٢٣٨هـ/ ١٨٢٢م.[(٣)]

ويمكن إلقاء أضواء على مواقع البرك التى أُنشئت في عهد لجنة عين زبيدة ، لتخزين المياه وتقديمها للحجاج على الوجه التالى[(٤)]: خارطة رقم (١٠).

٢٥ - بركة كانت تقع في اتصال بازان شعب عامر.

٢٦ - بركة كانت تقع قرب بازان شعب بنى هاشم .

٢٧ - بركة كانت تقع قرب بازان القشاشية .

٢٨ - بركة كانت تقع قرب بازان التمارة .

٢٩ - بركة كانت تقع بسوق الجزارين في اتصال مخزن الزيت لتكية السلطانة خاصكي .

٣٠ - بركة كانت تقع عند بازان المروة .

٣١ - بركة كانت تقع أمام باب القسم العسكري لدائرة الحميدية.

٣٢ - بركة كانت تقع عند بازان أجياد .

٣٣ - بركة كانت تقع عند بازان الشامية .

٣٤ - بركة كانت تقع بحي المسفلة وتستمد ماءها من القناة المارة بقربها.

---

(١) المرجع السابق، ص ١٤.

(٢) المرجع السابق ، ص ١٤.

(٣) ابراهيم رفعت : المصدر السابق ص ١٨٥ - ١٨٦.

(٤) وثيقة رقم ٤٦٥٩ ، ص ١٩ - ٢٥ بمكتبة جامعة استانبول، وكذلك انظر مواقع البازانات ص (٤٤١) من هذا البحث .

٣٥ - بركة عند بازان الشبيكة ٠

٣٦ - بركة قرب حارة الباب ٠

وورد بوثيقة مؤرخة بعام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م تحديد موقع ثلاث برك بعرفة تستمد مياهها من قناة عين عرفة وهي :(١)

٣٧ - بركة العسكر٠

٣٨ - بركة بمسجد إبراهيم ٠

٣٩ - بركة المصري ٠

وأشار إبراهيم رفعت إلى وجود سبع برك كانت تقع جميعهاجنوبي جبل الرحمة ، وهي خاصة لشرب الحجاج وغيرهم ، ويمكن وصفها بما يلي :(٢) شكل رقم (٣٥)٠

٤٠ - البركة الأولى تتجه من الشرق إلى الغرب ، وهي على شكل مستطيل طولها ٦٦٫٣٠م وعرضها ٥٫٣٥ م وسمك جدرانها ٠٫٦٠م ،ولها درج فى أسفلها ليقف عليها طالب الماء ليستقي ٠

٤١ - البركة الثانية ،تأخذ اتجاه البركة الأولى ، طولها ٦٣٫٨٠م ، وعرضها ٤٫٤٠ م ، وسمك جدرانها ٠٫٦٠ م ، وعمقها ٠٫٧٠م ، ولها درج بأسفلهاليقف عليها طالب الماء ليستقي ٠

٤٢ - البركة الثالثة ، تأخذ اتجاه البركة الاولى نفسه ،طولها ٣٠٫٦٠م ، وعرضها ١٢٫٩٤م وسمك جدرانها ٠٫٧٠م ،وعمقها ٢٫٣٠م ،ولها درج بأسفلها ليقف عليها طالب الماء ليستقي ٠

٤٣ - البركة الرابعة ،خاصة بالمحمل الشامي ،وتقع في الجهة الشمالية لجبل عرفات ، تأخذ شكل مربع طولضلعه ٢٥٫٨٥م ،وسمك جدارها ٠٫٧٥م ، وعمقها ٣٫٩٠ م ، وبها درج للنزول إلىقاعهاوالاستقاء٠

---

(١) انظر صورة هذه الوثيقة رقم (١٣) بالملحق الاول من هذا البحث ٠

(٢) إبراهيم رفعت : المصدر السابق،ج ١ ،ص ٧٧٠

٤٤ - البركة الخامسة ، تأخذ اتجاه جنوب جبل عرفات ،وهي علي شكل مستطيل ، طولها ٥٠ر٥٣م ، وعرضها ٨٥ر١٧ م وعمقها ١ م ،وسمك جدارها ١٠ر١م ، ولها درج في أسفلها ، ليقف عليها طالب الماء ويستقي •

٤٥ ، ٤٦ - أما البركتان السادسة والسابعة ، فقد كانتا مردومتين بالرمال ، زمن رحلة إبراهيم رفعت (١٣١٨ - ١٣٢٥هـ/١٩٠٠-١٩٠٧م) وقد حدد لنا موقعهما فى سوق يبعد عن جبل عرفات مسافة ربع ساعة ، ومن التخطيط الذي وضعه لهما ، نستطيع الترجيح ،بأنهما كانتا تأخذان شكل مستطيل • وجميع هذه البرك تستمد ماءها من قناة عين عرفة •

ويتضح من خلال صورة فوتوغرافية لأحد هذه البرك أن بناءها كان بالحجارة غير المهذبة ، وأن لها ساندات أنشئت ملاصقة للجزء العلوي من جدرانها ، المرتفعة عن مستوى سطح الأرض • لوحة رقم (١١٤)•

٤٧ - بئر زبيدة (بركة زبيدة) ، يشغل موقعها الآن حديقة الطفل بالعزيزية • خارطة رقم (١٧)•

سبقت الإشارة إلى أنها كانت مكانا لتجميع مياه عين عرفة قبل العصر العثماني ، ثم مدت منها القناة في العصر العثماني إلى أن دخلت مكة • وأشار المؤرخون إلى أنها كانت " مطوية بأحجار "(١)• وجاءت في رسم إبراهيم رفعت على شكل دائري • خارطة رقم (٢) ، إلا أنه يتضح من خلال وثيقة تم فيها رسم مسار قناة عين عرفة ، أنها تأخذ شكلا مستطيلا ، ويحتمل أن أعمالا عمارية تمت لهذه البركة حولت شكلها من الدائري إلى المستطيل ، ويؤيد ذلك عثوري على صورة فوتوغرافية ، أخذها الشريف مساعد بن منصور آل عبدالله بن سرور لهذه البركة ، ويتضح منها أنها قد بنيت على شكل مستطيل ، وفي أعلاها دعامتان يربطهما حجر كبير لرفع الماء • أما مادة بنائها فهي الحجارة غير المنتظمة ، تتخللها طبقة من المونة • لوحة رقم (١١٠،١١١)•

---

(١) انظر ما سبق ص(١٤٧-١٥٨) من هذا البحث •

ويمكن أن نخلص من هذا العرض عن مواقع البرك ووصفها في العصر العثماني إلى القول بأن هناك بركا مبنية مثل بركة السلم ، وبركة المصري ، وبركة الشامي ، وبركاً منحوتة في الصخر مثل بركة بأعلى جبل النور . أما برك سقيا الدواب فإنه يغلب على حجمها الصغر مقارنة بالبرك الخاصة لسقيا الإنسان ، ولعل ذلك يرجع إلى أن الإنسان يحافظ على نظافة البرك ، في حين نجد أنه لا بد من تجديد مياه شرب الحيوان لتعرضها للقذارة بسرعة .

رابعا : الأسـبلة : خارطة رقم (١١، ١٧).

سبقت الإشارة إلى أن مجموعة من الأسبلة التى أنشئت قبل العصر العثماني قد ظلت تؤدي دورها في هذا العصر [1]، ومن المفيد تحديد مواقع هذه الأسبلة، كي تتضح لنا معالم مواقع الأسبلة، التى ساهمت في ارواء الناس بالماء في العصر العثماني، سواء ما كان منها قديما وجدده العثمانيون، أم ما تم بناؤه في العصر العثماني.

غير أنه بالنظر إلى ما سبق عرضه عن جهود المسلمين، فى إنشاء الأسبلة، فيما قبل العصر العثماني [2]، يلحظ أن عددها كبير مقارنة بما بين يدي من نصوص تاريخية، عن الأسبلة التى أنشئت قبل العصر العثماني وظلت تؤدي دورها فيه. ونتيجة لذلك، فإن عرضي للنصوص التاريخية الخاصة بذكر مواقع الأسبلة التى أنشئت قبل العصر العثماني وظلت تؤدي دورها في هذا العصر، لا يعنى أن هذه الأسبلة تمثل كل ما بقي عن عصور ما قبل العثمانيين، خاصة وأن هذه النصوص قد جمع أغلبها من ثنايا حديث المؤرخين.

ويمكن تتبع أخبار مواقع الأسبلة التى بنيت بمكة المكرمة قبل العصر العثماني وظلت تؤدي دورها فى هذا العصر بما يلى :

١ - (سبيل) سقاية العباس :

كان موقعها في المسافة بين بئر زمزم والكعبة، حيث كانت تبعد عن البناء المقام على بئر زمزم من ناحيته الشمالية الغربية (٣٩) ذراعا أي (٥٠ر١٩م) تقريبا، وعن ناصيته الجنوبية الغربية (٤٩) ذراعا وتسع اصابع أي (٥ر٢٤م) تقريبا.

وقد أشار ابن عبدالسلام الدرعي، الذي زار مكة عامي ١١٩٦هـ / ١٧٨١م، و ١٢١١هـ/١٧٩٦م، إلى أن الماء كان يصل إلى هذه السقاية

---

(١) انظر ص (٢٥٨) من هذا البحث.
(٢) انظر ص (١٠٢) من هذا البحث

عبر قناة تحت الأرض ، تأخذ مياهها من مبنى بئر زمزم (١). وقد هدمت سقاية العباس عام ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م (٢)

٢ - سبيل الست :

أشار الفاسي إلى أنه كان يقع بطريق منى ، وأن المسافة بينه وبين باب بنى شيبة أحد أبواب المسجد الحرام ٧٥٠٠ ذراع (٣) بذراع اليد أي ٣٦٧٥ م تقريبا في حين وردت المسافة بين باب بنى شيبة وسبيل الست بقياس ابراهيم رفعت ٣٤٢٩م (٤)

٣ - سبيل بجوار باب الباسطية ، أحد أبواب المسجد الحرام من الجهة الشمالية . (٥)

٤ - سبيل الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون بجوار باب ابراهيم (٦) أحد أبواب المسجد الحرام من الجهة الغربية (٧)

٥ - سبيل كان يقع أمام باب الكعبة . (٨)

٦ - سبيل الملك المؤيد ، كان ملاصقا لمبنى بئر زمزم من الخارج (٩)

٧ - سبيل السلطان قانصوة الغوري ، بزيادة باب ابراهيم (١٠) أحد أبواب المسجد الحرام من الجهة الغربية . (١١)

---

(١) حمد الجاسر : المرجع السابق، ص ١٣٤ .
(٢) انظر ما سبق ص (٢٦٠) من هذا البحث .
(٣) انظر ص (١٠٥) من هذا البحث .
(٤) ابراهيم رفعت : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣٣٨ ، ٣٤٢ .
(٥) انظر ص (٢٥٨) من هذا البحث .
(٦) انظر الفصل الأول ص (١٠٥) والفصل الثاني ص (٢٥٨)
(٧) حسين عبدالله باسلامة : المرجع السابق ، ص ١٢٥ ، ١٢٧ .
(٨) انظر ص (٢٥٨) من هذا البحث .
(٩) انظر الفصل الأول ص (١٠٧) والفصل الثاني ص (٢٥٨)
(١٠) على الطبري : المصدر السابق ، ورقة ٣٤ - ٣٥ .
(١١) حسين عبدالله باسلامة : المرجع السابق ، ص ١٢٥ ، ١٢٧ .

٨ - سبيل السلطان قايتباي ، برباطة المجاور للمسجد الحرام ، المشتمل على بابين أحدهما يؤدي إلى المسجد الحرام والآخر الى المسعى .(١)

٩ - سبيل بربع السلطان قايتباي المطل على سوق الخياطين .(٢)

١٠ - سبيل السلطان قايتباي، المجاور لعقد المروة (٣).

أما مواقع الأسبلة العثمانية فهي كالتالي :

١١ - سبيل السلطان سليمان القانوني ، وكان يقع إلى جانب سور باب المعلاه ، على قناة العين المتجهة إلى المسفلة ، جعل عليه منظرة بها شبابيك من الجهات الأربع ليتنزه الناس فيها(٤) ،هدم فى القرن الثالث عشر الهجري.(٥)

١٢ - سبيل في نهاية سوق المعلاة على يسار الخارج منه .(٦)

١٣ - سبيل على يمين الصاعد إلى الأبطح ، قبلي بستان خاصكي سلطان .(٧)

١٤ - سبيل بالأبطح ، ركب على جدرانه (بزابيز) من نحاس ،ليشرب منه الناس .(٨)

١٥ - سبيل الظهرة بسوق المعلاه .(٩)

١٦ - سبيل الشريف أبي نمي أمام قبره .(١٠).

---

(١) على الطبري : المصدر السابق ،ورقة ٣٤ - ٣٥.

(٢) المصدر السابق،ورقة ٣٤ - ٣٥.

(٣) المصدر السابق ،ورقة ٣٤ - ٣٥.

(٤) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ، ص ٢١.

(٥) محمد بن أحمد الصباغ المكي : المصدر السابق ، ورقة ١١٩.

(٦) انظر ما سبق ص (٢٦١) من هذا البحث .

(٧) مؤلف مجهول : سلوك سبيل الرشاد لمولانا السلطان مراد ،ورقة ٦١.

(٨) انظر ما سبق ص (٢٦١) من هذا البحث .

(٩) على الطبري : المصدر السابق ،ورقة ٣٤ - ٣٥.

(١٠) المصدر السابق ، ورقة ٣٤ - ٣٥.

١٧ - سبيل الشريف علي بن أحمد أبي نمي ، بحافة مقبرة السيد بركات.(١)

١٨ - سبيل في الدرويشة الجديدة أمام مقبرة الأشراف ولاة مكة .(٢)

١٩ - سبيل الأغا بهرام بشارع المدعا .(٣)

٢٠ - سبيل السلطان مراد على يسار الخارج من باب الصفا(٤) أحد أبواب المسجد الحرام من الجهة الجنوبية .(٥)

٢١ - سبيل يقع بالقرب من المروه ، كان يستمد مياهه من قناة العين المتجهة إلى بركة ماجن .(٦)

٢٢ - سبيل كاتم السر برباطه ، بالصفا على يسار الذاهب من المروه إلى الصفا.(٧)

٢٣ - سبيل الخاصكية برباطها مقابل باب علي(٨)، أحد أبواب المسجد الحرام من الجهة الجنوبية.(٩)

٢٤ - سبيل الخواجه شمس الدين بن الزمن برباطه الواقع بالمسعى مقابل باب النبي(١٠)، أحد أبواب المسجد الحرام من الجهة الشرقية(١١) وكان هذا السبيل جزءاً من الرباط.(١٢).

---

(١) المصدر السابق ، ورقة ٣٤ - ٣٥.
(٢) المصدر السابق ، ورقة ٣٤ - ٣٥.
(٣) المصدر السابق ، ورقة ٣٤ - ٣٥.
(٤) انظر ما سبق ص (٢٦٢) من هذا البحث .
(٥) حسين عبدالله باسلامة : المرجع السابق ،ص ١٢١.
(٦) انظر ما سبق ص (٢٦١) من هذا البحث .
(٧) علي الطبري : المصدر السابق ،ورقة ٣٤ - ٣٥ ،وحاشية الورقة ٣٠.
(٨) المرجع السابق ،ورقة ٣٤ - ٣٥،وحاشية ورقة ٣٩.
(٩) حسين عبدالله باسلامة : المرجع السابق ،ص ١١٩.
(١٠) علي الطبري : المصدر السابق ،ورقة ٣٤ - ٣٥.
(١١) حسين عبدالله باسلامة : المرجع السابق ، ص ١١٦.
(١٢) علي الطبري : المصدر السابق ،ورقة ٣٤ - ٣٥.

٢٥ - سبيل بالمروه يعرف بسبيل كاتم السر.(١)

٢٦ - سبيل الخاصكية بجانب مبنى بئر زمزم .(٢)

٢٧ - سبيل البلقين بزقاق الحجر.(٣)

٢٨ - سبيل الخاص ، بالسوق الصغير(٤).

٢٩ - سبيل في المدرسة الداوودية .(٥)

٣٠ - سبيل قرب منطقة الشيخ محمود(٦).

٣١ - سبيل قرب السبيل السابق بمنطقة الشيخ محمود(٧)

٣٢ - سبيل بالتنعيم.(٨)

٣٣ - سبيل بطريق التنعيم قريب من الشهداء ينسب لأحد الهنود(٩).

٣٤ - سبيلفى الزاهرعلى يسارالذاهب إلى جدة(١٠).

٣٥ - سبيل سنان باشا قرب مسجد العمرة.(١١)

٣٦ - سبيل قرب قبر السيدة ميمونة .(١٢)

٣٧ - سبيل الأغوات بحوشهم(١٣).

---

(١) المصدر السابق ،ورقة ٣٤ - ٣٥.

(٢) المصدر السابق،ورقة ٣٤ - ٣٥.

(٣) المصدر السابق،ورقة ٣٤ - ٣٥.

(٤) المصدر السابق ،ورقة ٣٤ - ٣٥.

(٥) وثيقة رقم ٤٦٥٩ ،ص ٢٤، بمكتبة جامعة استانبول .

(٦) على الطبري : المصدر السابق ،ورقة ٣٤ - ٣٥.

(٧) محمد بن أحمد الصباغ المكي : المصدر السابق ،ورقة ١٦٠.

(٨) انظر ما سبق ص (٢٦٢) من هذا البحث

(٩) محمد بن أحمد الصباغ المكي : المصدر السابق ،ورقة ١٦٠.

(١٠) المصدر السابق ،ورقة ١٦٠.

(١١) انظر ما سبق ص (٢٦٢) من هذا البحث

(١٢) انظر ما سبق ص (٢٦٥) من هذا البحث

(١٣) انظر ما سبق ص (٢٦٥) من هذا البحث

٣٨ - سبيل علي باشا [1].

٣٩ - سبيل عبدالله باشا [2].

٤٠ - سبيل في دار الشريف زيد أمير مكة عام ١٠٥٣هـ/١٦٤٣م [3]

هذا فضلا عن أن بمنى وطريقها أسبلة كثيرة [4]، منها :

٤١ - سبيل منى الذي وردت له صورتان فوتوغرافيتان في كتاب ابراهيم رفعت، لوحة رقم (١٦٢، ١٦٣)، ويمكن من خلال هاتين الصورتين القاء بعض الأضواء على وصفه العماري، حيث يتضح منها ما يلي :

أ - يأخذ هذا السبيل شكل مربع تقريبا.

ب - يمتاز مدخل السبيل بالبروز عن بقية بناء السبيل وباحتوائه على مجموعة من العقود التى تعلوها الميمة، فضلا عن الزخرفة الاشعاعية الملونة، ومجموعة من العناصر الزخرفية سأشير إليها في نهاية هذا الفصل.

حـ - يحف أسفل جدران السبيل من الجهة الشرقية والشمالية، بناء من الحجارة غير المهذبة، ووضع في وسطه تقريبا - من الجهة الشرقية، وناحيته الشمالية الشرقية، وناحيته الشمالية الغربية - ساندة تأخذ شكل مربع ينتهي فى أعلاه بشكل مخروطي.

د - تم تجصيص السبيل ودهانه باللون الأبيض.

هـ - استخدمت مجموعة من الشرفات لتحلي أعلى جدران السبيل

و - يحلي جدران السبيل، من جهاته الشرقية والغربية، والشمالية، مجموعة من التجاويف في جدران السبيل، تحليها مجموعة عقود تأخذ شكل عقد مدبب ذي مركزين، وعقد نصف دائري.

---

(١) انظر ص (٢٦٦) من هذا البحث.

(٢) انظر ص (٥٠٥) من هذا البحث.

(٣) انظر ص (٢٦٦) من هذا البحث.

(٤) على الطبري : المصدر السابق، ورقة ٣٤ - ٣٥

ز ـ جعلت في كل ناصية من مبنى السبيل دعامة تأخذ اضلاعهـا شكل مسدس يقع فى منتصفه تقريبا شكل عمود. مما اضفى على بناء السبيل صفة الجمال والقوة كى لا تتفكك اضلاعه .

ط ـ تم بناء عقد مصمت فيواجهة السبيل القبلية (الشمالية الغربية) على هيئة عقد مدبب ذي مركزين ، واستخدم في بنائه اسلوب الأبلق .

ل ـ استخدم في بناء بعض أجزاء هذا السبيل حجر الشميسى

ي ـ السبيل عبارة عن حوض كبير ملئ بالمياه ، وضعت في الواجهة القبلية منه فتحات للاستقاء موزعة كالتالي :
ثلاث فتحات عن يمين المنطقة الوسطى ، وثلاثة إلى يسار المنطقة الوسطى ، فتحتان في الوسط . بذلك يكون مجموع فتحات الاستقاء في الواجهة القبلية (٨) فتحات .
كما يلحظ وجود فتحات آخرى للاستقاء في بعض واجهات مبنى السبيل .

٤٢ ـ في محاذاة أعلام الحرم على الطريق من جدة إلى مكة ، وحدة بنائية تضم سبيلا (سقاية) وبئرا وحوضا لسقيا الدواب،والبئر هو مصدر المياه للحوض وللسبيل..
ونظرا لارتباط هذه المنشآت عماريا فقد آثرت أن أتحدث عن وصف البئروالحوض فى هذا الجزء الخاص بالأسبلة ، كي لا تتجزأ هذه الوحدة البنائية وتفقد أهميتها .

الوصف العماري لهذه الوحدة :شكل رقم (٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧)
ولوحة رقم (١١٥، ١١٦، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٠).

أ ـ البئر :

تأخذ هذه البئر شكلا دائريا ، قطر فوهتها من الداخل ٣٠ر٣م

وسمك جدارها ١٠ر١ م ،وعمقها من مستوى سطح رقبة البئر إلى قاعهـا ٨٠ر٢٠م ، وعمق الماء بها ٨٠ر٠م (وقت أخذ هذه المقاسات) وهي مطوية بنيت بأحجار البازلت غير المنحوتة ، المأخوذة من الجبال المجاورة للبئر ، وقد سدت أحجار البئر من الداخل بالمونة في المنطقة ما فوق سطح ماء البئر. شكل رقم (٤١، ٤٢) ولوحة رقم (١١٩)٠

ويقع في الجهة الشرقية للبئر ثلاث درجات ارتفاع كل منها في المتوسط ١٥ر٠ م ، وطولها في الجزء الظاهر حوالى ٢ م ، حيث يغطيها - في الجهة الجنوبية - جزء من التلال الرملية التى حالت دون تمكيني من أخذ مقاسها بدقة ٠ أما عرض كل درجة فيختلف ، اذ بلغت الدرجة الأولى ٤٣ر٠م وهي الدرجة التي ترتفع عن مستوى الأرض الآن حوالي ١٥ر٠م ، أما الدرجة الثانية فقد بلغ عرضها ٤٥ر٠م ، وبلغ عرض الدرجة الثالثة من طرفها الشمالى ٥٢ر٠م ومن منتصفها ٣٤ر٠م٠شكلقم (٤٣) ولوحة رقم (١١٩)٠ ويعلو هذه البئر غطاء يأخذ شكل نصف قبة تقريبا من الخارج ، اعتمد المعمار في تنفيذه على عقد ينصف فوهة البئر ، ثم أكمل الجزء الباقي من الغطاء بواسطة عقد يعلو العقد الأول ،وذلك للاستفادة منه في آمرين : أحدهما : تغطية جزء كبير أعلى فوهة البئر ، والآخر : الاستعانة في ذلك بعملساندتين لحمل جزع من الخشب يستعان بواسطته في اخراج ماء البئر بالدلاء ٠ شكل رقم (٤١ ،٤٤، ٤٥) ولوحة رقم (١١٥، ١١٧ ، ١١٨)٠

وتأخذ كل دعامة من هاتين الدعامتين شكلا يقرب من المخروطي مربع القاعدة تقريبا ، حيث بلغت مقاسات الدعامة الغربية كالتالي طولها عند القاعدة ٧٦ر٠ م، وعرضها ٧٠ر٠م ينتهي في أعلاها شكل مخروطي مربع طول ضلعه ٢٥ر٠ م ، أما الدعامة الشرقية ، فقد بلغ طول ضلعها عند القاعدة ٨٠ر٠م ، وعرضها ٧٣ر٠م ، وتنتهى فى أعلاها بشكل مخروطي طول ضلعه ٢٥ر٠م ،شكل رقم (٤٤،٤٥) ولوحة رقم (١١٨)

ويجاور الدعامة الغربية حوض صغير، تصل إليه مياه البئر بواسطة الدلاء ، كما تنتقل المياه من هذا الحوض عبر مجرى مائي إلى حوض صغير تنقسم فيه المياه إلى شعبتين أولاهما تتجة لتغذية السبيل ، وثانيتهما تتجه لتغذية حوض سقيا الدواب . شكل رقم (٤٢ ، ٤٤) ولوحة رقم (١٢٠ ، ١٢١).

ب ـ حوض سقيا الدواب :

تصل المياه إلى هذا الحوض عبر ماسورة فخارية قطرها ٥ سم ويأخذ هذا الحوض شكل مستطيل تقريبا طوله ٧٠ر٠م وعرضه ٤٠ ر٠م وعمقه ٣٠ر٠م ، وبأسفله ماسورة تساهم في اندفاع الماء بعد سقيا الحيوان إلى خارج الحوض للتخلص منها . شكل رقم (٤٢ ، ٤٤) ولوحة رقم (١١٦).

ج ـ السبيل : سقاية :

يقع هذا السبيل مجاورا للبئر ، حيث بلغت المسافة بين ناصية السبيل ـ من الجهة الشمالية الشرقية ـ ورقبة البئر المواجهة لها ٣٠ر٣م ، كما بلغت المسافة بين هذه الناصية ، وعلم حدود حرم مكة القديم الواقع على يمين الخارج من مكة إلى جدة ، حوالي ٢٠ر١٨م ، شكل رقم (٤٢ ، ٤٧).

وصف السبيل من الخارج :

يأخذ هذا السبيل شكل غرفة مربعة طول ضلعها ٢٠ر٣ م ، تغطيها قبة عميقة ، وتقوم غرفة السبيل على مصطبة ترتفع عن الأرضية الحالية من الجهة الشرقية ٢٥ر٠م ومن الجهة الغربية ٤٥ر٠م وتبتعد جدران السبيل عن حافة المصطبة إلى الداخل بمقدار ٧٥ر٠م . شكل رقم (٤٢)، ولوحة رقم (١١٥ ، ١١٧). وترتفع جدران السبيل عن هذه المصطبة ٧٠ر١م

ويعلو غرفة السبيل المربعة غطاء على مرحلتين : أولهما رقبة وثانيهما القبة . وفيما يخص الرقبة نجد أنها تأخذ من الخارج شكلا مثمنا ينتهي بتقوس إلى الداخل كلما ارتفع ، ويعلو هذا المثمن شكل دائري وضعت عليه القبة العميقة ، ويفصل الجزء السفلى من الجزء العلوي لرقبة القبة حلية على شكل حزام ثلاثي . شكل رقم (٤٢، ٤٤) ولوحة رقم (١١٧، ١٢٢) ، وقد زخرفت القبة من الخارج بمجموعة من الزخارف الكتابية ، والنباتية ، سوف أشير إليها عند الحديث عن الكتابات والزخارف في الجزء الخاص بذلك من هذا الفصل(١) . ويحيط بأعلى جدران الغرفة بروز يمتد الى الخارج بمقدار ٧٠٥ر٠ م وارتفاع ٢٠ر٠م . شكل رقم (٤١، ٤٤) ، ولوحة رقم (١١٨) .

وتوجد في جدران السبيل - من الجهة الغربية والشمالية والجنوبية - فتحات للاستقاء ، عرض كل منها ٢٠ر٠م ، وترتفع ٤٤ر٠م ، وهي موزعة كالتالي : ثلاث فتحات في الجهة الجنوبية ، وثلاث فتحات في الجهة الغربية ، وفتحتان في الجهة الشمالية . شكل رقم (٤١، ٤٣، ٤٤، ٤٦) ، ولوحة رقم (١١٥، ١١٧) . كما تقع في الجهة الشرقية المواجهة للبئر فتحة تأخذ شكل مستطيل تقريبا سعته ٤٢ر٠ م وارتفاعه ٤٤ر٠م . تستعمل في تنظيف غرفة السبيل من الداخل ، مما قد يعلق به من أوساخ ، نتيجة مرور الهواء محملا بالأتربة . شكل رقم (٤١، ٤٣) ولوحة رقم (١١٨) .

وكان يعلو واجهة السبيل من الجهة الجنوبية نقش كتابي يضم ابياتا شعرية باللغة التركية وتاريخ بنائه وهو سنة ١٢٦٣هـ(٢) ، ولا زال موضع هذا النقش ظاهرا في الجدار بغور يقدر بحوالي ٠٦ر٠م ، وارتفاع ٥١ر٠م وطول ٦٠ر٠م ، ويعلو موضع هذا النقش نقش كتابي حديث ذكر فيه أن المغفور له جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود قام بتجديد بناء هذا السبيل عام ١٣٦١هـ .

---

(١) انظر ص (٥٠٢) من هذا البحث

(٢) ابراهيم رفعت : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٨ .

وصف السبيل من الداخل :

يأخذ شكل غرفة مربعة سمك جدارها ٦٩ر٠م ويقع فى الضلع الشرقي المقابل للبئر فتحة لاستقطاب مياه البئر التى سبقت الإشارة إليها ٠ وقد تم تحويل الغرفة المربعة إلى مثمن ، ثم الى دائرة تقوم عليها القبة باستخدام المثلثات الكروية ٠ شكل رقم (٤٢ ،٤٣) ، وقطر القبة من الداخل ٣٠ر٢م ، وارتفاعها من مستوى أرضية مبنى السبيل الداخلية إلى مفتاح القبة ٧٠ر٢ م ٠ شكل رقم (٤٦)٠وقد استعملت الحجارة في بناء جدران السبيل ، والآجر في بناء القبة والجدار الذي يربط بين بناء البئر وبناء السبيل ٠ لوحة رقم (١١٦ ، ١٢٣) ٠

٤٣ ـ وحدة بنائية تضم بئرا وسبيلا وحوضا لسقيا الدواب ، تقع على طريق مكة ـ جدة القديم ، وعلى وجه التحديد على بعد ٥ر٣ كم من أعلام حدود حرم مكة الغربية بالنسبة للقادم إلى مكة ٠

ويمكن وصف هذه الوحد ة البنائية على الوجه التالى : شكل رقم (٤٨ ،٤٩،٥٠،٥١،٥٢) ولوحة رقم (١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧)٠

أولا : البئر :

تأخذ هذه البئر من الداخل شكلا مربعا طول ضلعه متر واحد٠وعمقها ـ من مستوى حافة جدار البئر العلوية إلى قاعها ـ ٥ر٢٣م ، وعمق الماء بها (وقت أخذ هذه المقاسات فى ١٤٠٩/٣/٧هـ) ٥٠ر٥م ، وهي مبنية بأحجار البازلت غير المهذبة ، المأخوذة من الجبال المجاورة للبئر ٠ لوحة رقم (١٢٤) وشكل رقم(٤٨ ،٤٩) ، ويقع على جدار البئر في المنطقة الملاصقة لمبنى السبيل دعامة تأخذ شكلا مربعا تقريبا تتراوح أطوال أضلاعه بين (٦٥سم ، ٥٥سم، ٧٥ سم) ،أما ارتفاعها فهو ٨٠ر١م ، وتنتهي الدعامة في أعلاها بشكل مقوس ، كما يوجد في أعلى الدعامة مكان غائر ،

يرجح أنه موضع لجذع خشبي يربط هذه الدعامة بدعامة أخرى كانت مواجهة لها ، حيث يتم عن طريق هذا الجذع رفع مياه البئر بواسطة الدلاء . لوحة رقم (١٢٤) شكل رقم (٤٨) .

ثانيا : حوض سقيا الدواب :

يأخذ شكل مستطيل طوله ١٠ر٢ م ، وعرضه ٦٥ر٠ م ، وارتفاعه ١٥ر٠م ، لوحة رقم (١٢٥) وشكل رقم (٤٨ ، ٤٩) . وتنتقل إليه المياه من البئر عن طريق الدلاء .

ثالثا : السبيل : لوحة رقم (١٢٤، ١٢٥) وشكل رقم (٤٩) .

يقع ملاصقا للبئر من الجهة الجنوبية الغربية ، ويأخذ السبيل شكل غرفة مستطيلة طولها من الخارج ٢٠ر٣ م ، وعرضها ٣٠ر٢ م ، وارتفاعها من مستوى الأرض الآن ٣٠ر٢ م ، وسمك جدارها ٤٠ر٠م . وسقفها مسطح وضع في منتصفة تقريبا فتحة تأخذ شكل مربع طول ضلعه ٦٨ر٠ م ، ليمكن النزول منها إلى داخل السبيل وتنظيفه . لوحة رقم (١٢٧) وشكل رقم (٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠) . ويشتمل السبيل على ٧ فتحات يمكن عن طريقها الحصول على الماء وهي موزعة كالتالي

- فتحتان في الجهة الشمالية الغربية . لوحة رقم (١٢٥) وشكل رقم (٤٨ ، ٥١) .
- ثلاث فتحات في الجهة الجنوبية الغربية . لوحة رقم (١٢٦) وشكل رقم (٥٠) .
- فتحتان في الجهة الجنوبية الشرقية . لوحة رقم (١٢٤) وشكل رقم (٤٩ ، ٥٢) .

وتأخذ كل فتحة من هذه الفتحات شكل مستطيل ينتهي فى أعلاه بعقد موتور ، وتبلغ مقاسات كل فتحة من الفتحات الواقعة فى الجهة الجنوبية الغربية ، والجنوبية الشرقية (٤٠ر٠م طولا و ٢٠ر٠م عرضا) .

أما الفتحتان الواقعتان في الجهة الشمالية الغربية فقد بلغت مقاسات كل منهما ٤٠ر٠م طولا ، و ٢٨ر٠ م عرضا ، وترتفع جميع هذه الفتحات عن مستوى الأرض الآن في المتوسط بمقدار ٣٥ر١ م . لوحة رقم (١٢٤،١٢٥، ١٢٦) وشكل رقم (٤٩ ،٥٠،٥١).

ويجاور دعامة البئر الملاصقة للسبيل ، حوض صغير يأخذ شكلا بيضاويا من الداخل ، وشكلا مستطيلا من الخارج طوله ٥٠ر٠م ، وعرضه ٤٠ر٠م، حيث يتم نقل المياه من البئر إليه ثم توجه المياه بعد ذلك إلى السبيل عن طريق ماسورة فخارية تمتد من الحوض إلى داخل السبيل . لوحة رقم (١٢٨) وشكل رقم (٤٩ ،٥٢). ويقع في أعلى واجهة السبيل من الجهة الشمالية الغربية نقش كتابي يشير إلى أن الملك عبدالعزيز قد قام بتجديد هذا السبيل عام ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م (شكل رقم (٥١).

أما السبيل من الداخل فانه يأخذ شكل غرفة مستطيلة طولها ٤٠ر٢ م وعرضها ٥٠ر١ م ، وتميل جدران الضلعين الطويلين فيها الي الداخل كلما ارتفعت حتى تضيق المسافة بينهما فى أعلى السبيل حيث بلغت في بعض المواضع ٦٠ر٠م . وهذا الأمر مكن من تسقيف السبيل بالمجاديل الحجرية . لوحة رقم (١٢٩) وشكل رقم (٤٩ ،٥٢).

خامسا : البازانات : خارطة رقم (١٢ ،١٧)٠

يمكن تتبع مواقعها على الوجه التالي :

١ - بازان فقير الذئب الأعلى :

كان يبعد عن جبل الرحمة من الجهة الشمالية بمقدار ١٣٧٨م [١]. حدد موقعه ابراهيم رفعت على خارطة [٢].

٢ - بازان فقير الذئب الثاني :

كان يبعد عن البازان السابق على الطريق من عرفات إلى مكة المشرفة بمقدار ٤٠٥م [٣]. حدد موقعه ابراهيم رفعت على خارطة [٤].

٣ - بازان الحقابة :

كان يقع على يمين النازل من عرفات إلى مكة المشرفة [٥]، ويبعد عن جبل الرحمة حوالى ٣٠٠٠م [٦]. حدد موقعه ابراهيم رفعت على خارطة [٧].

٤ - بازان المعترضة :

كان يقع بعد البازان السابق على الطريق من عرفات إلى مكة [٨] وبالتحديد بالقرب من المأزمين وقبل المزدلفة [٩]. حدد موقعه ابراهيم

---

(١) ابراهيم رفعت : المصدر السابق ،ج ١ ،ص ٢١٢ ،الزواوي : المرجع السابق ، ص ٧٠
(٢) انظر خارطة رقم (٢) بهذا البحث ٠
(٣) ابراهيم رفعت : المصدر السابق،ج ١ ،ص ٢١٢ ،الزواوي :المرجع السابق ،ص ٧٠
(٤) انظر خارطة رقم (٢) بهذا البحث ٠
(٥) ابراهيم رفعت : المصدر السابق ،ج ١ ،ص ٢١٢٠
(٦) الزواوي : المرجع السابق ، ص ٧٠
(٧) انظر خارطة رقم (٢) من هذا البحث ٠
(٨) ابراهيم رفعت : المصدر السابق ،ج ١ ،ص ٢١٢٠
(٩) الزواوي : المرجع السابق ،ص ٧٠

رفعت على خارطة [1]. ويحتمل أن يكون هذا البازان هو بازان الجديد [2] الذي حُدد موقعه في وثيقة مؤرخة بعام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م.[3]

٥ - بازان مزدلفة : حُدد موقعه في وثيقة مؤرخة بعام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م.[4]

٦ - بازان مني :

يمكن التعرف على موقعه منخلالوثيقة مؤرخة في الرابع من شهر شعبان عام ١٣١٦هـ/١٨٩٨م ،وهي عبارة عن عقد بيع ، حيث وردت تسمية هذا البازان كحد من حدود المبيع ، ومن خلال ذلك نستطيع التعرف ولو بعض الشيء على موقع البازان ، سيما وأنه ليس له وجود الآن ، فقد ورد ما نصه " أعنى المبيع هو كامل ابنية الحوش ... الكائن ذلك بأرض منى المعظم بالقرب من البازان الجديد ، عن يسار الصاعد إلى عرفات ، الذي يحده بما اشتمل عليه ويحيط به حدود أربعة ،شرقا الفضاء المتصل بالسكة الموصلة إلى سوق العرب، وغربا الشارع الأعظم الموصل إلى عرفات ، وشاما السكة النافذة الفاصلة بين هذا المبيع وبين البازان "[5].

٧ - بازان الجن :[6]

جاء تحديد موقعه في وثيقة مؤرخة بعام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م[7] ،ويتضح منها أن موقعه الآن في أول منطقة العزيزية ،قريبا من عمارة اكرم

---

(١) خارطة رقم (٢) من هذا البحث .
(٢) ايوب صبري : المرجع السابق ،ج ٥ - ٧ ،ص ٧٥٣.
(٣) انظر وثيقة رقم (١٣) بالملحق رقم (١) من هذا البحث .
(٤) الوثيقة السابقة .
(٥) حجة شرعية صدرت من محكمة مكة المكرمة ،عدد (٩٤؟) وتاريخ ١٣١٦/٨/٤هـ
(٦) ايوب صبري : المرجع السابق ،ج ٥ - ٧ ، ص ٧٥٣.
(٧) وثيقة رقم (١٣) بالملحق رقم (١) من هذا البحث .

مندورة ، التى كانت تشغلها سابقا المحكمة الشرعية الكبرى بمكة .

٨ - بازان القاضي [(١)]:

حُدد موقعه في وثيقة مؤرخة بعام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م[(٢)] ويتضح منها أنه يقع الآن بحي الششة . وبالوقوف على الطبيعة عند موقع البازان وبسؤال الشيخ مطلق القرشي[(٣)] ، عن بناء هذا البازان ، أفاد بأنه كان منخفضا عن مستوى سطح الأرض بحوالى ١٨م ، وكان ينزل إليه بدرج ،وقد غطي مبناه في السنين القليلة الماضية ، بطبقة من الاسمنت المسلح وجعل مساويا لمستوى الأرض المجاورة له ،للاستفادة من موقعه في فتح طريق يربط حي الششة بطريق الحج . ومما هو جدير بالذكر في وصف موقع البازان الآن أنه يجاور عمارة سكنية كانت تعود ملكيتها للشيخ عبدالحميد قطان .

٩ - بازان شعب عامر :

جاء تحديد موقع أرضه ،في وثيقة عقد بيع عقار مؤرخة في الثالث عشر من شهر رجب عام ١٢٩٩هـ/١٨٨١م بما نصه "...كائنة هذه الأرض بمكة المكرمة بحارة شعب عامر ... التى يحدها ويحيط بها حدود أربعة ،شرقا الدار ملك ورثة المرحوم احمد العصيبي ، وتمام الحد منه الدار ملك ورثة سليمان بن احمد البغدادي ، ولهما حق المرور من الأرض الرحبة المذكورة ... ، وتمام الحد منه الزقاق الموصل إلى داخل شعب عامر المذكور غربا بالحوش ملك المبيع عنهم الموكلين المذكورين قديما ، وحديثا ملك محمد بن فهد الكويت ، وتمام الحد منه الزقاق الموصل إلى بير ابوديه ، وشاما الدار ملك ورثة المرحوم السيد سلطان بن السيد مسعود بن السيد شرف العبدلي المذكور ، ويمنا الدار ملك حسن بن مشيلح

---

(١) ايوب صبري : المرجع السابق ،ج ٥ - ٧ ،ص ٧٥٣ .

(٢) وثيقة رقم (١٣) بالملحق رقم (١) من هذا البحث .

(٣) هو احد كبار السن الذين يعملون بمصلحة المياه والمجاري بمكة المكرمة .

وتمام الحد منه الزقاق الموصل الى باب شعب عامر المذكور ".[1]

كما حدد موقع هذا البازان في وثيقة مؤرخة بعام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م[2] وعلى خارطة مصلحة المساحة المصرية التى عملت عام ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م[3] ، ولا زال بناء هذا البازان قائما إلى الآن ، وهو في الوقت الراهن بالقرب من مقر عمدة محلة شعب عامر.

١٠ - بازان التمارة :

لا زال بناء هذا البازان قائما إلىالآن ، ويعرف عند سكان منطقة سوق المعلاة والجودرية باسم " بازان التمارة " ، حُدد موقعه في وثيقة مؤرخة بعام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م[4] ، وعلىخارطة مصلحة المساحة المصرية التىعملت عام ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م[5] ، ويعرف موقعه الآن بأنه يقع في أول شارع الجودرية (المدعا) على يمين النازل إلى المسجد الحرام، وبالتحديد خلف دكان خوج وجوار منزل الشيخ العيوني .

١١ - بازان سوق الليل :

لقد تم إزالة بناء هذا البازان لتوسعة شارع سوق الليل في العصر السعودي ، وجاء وصف موقعه وأبعاده من الخارج فيوثيقة مؤرخة بالثلاثينمن شهرجمادىالأولى عام ١٣٨١هـ/١٩٦١م ،كالتالي :

أ - وصف موقعه :

" ... محدود شرقا بالدار املك الشريف على آبو نمي ،وتمام الحد منه الدار ملك القفاص ، وتمام الحد منه أيضا السكة الشامية النافذة

---

(١) حجية شرعية صدرت من محكمة مكة المكرمة ،عدد (٥٨٧) وتاريخ ١٢٩٩/٧/١٣هـ.
(٢) وثيقة رقم ١٣) بالملحق رقم (١) من هذا البحث .
(٣) انظر صورة هذه الخارطة ببلدية امانة العاصمة المقدسة .
(٤) وثيقة رقم (١٣) بالملحق رقم (١) من هذا البحث .
(٥) انظر صورة هذه الخارطة لدى امانة العاصمة المقدسة .

وغربا بالشارع العام وبه باب البازان ، وشاما الرحبة المتصلة بالسكتين الغربية والشامية ، ويمنا الممر غير النافذ "(١).

ب - اما وصف ابعاد البازان من الخارج فقد وردت كالتالي :

" إن ذرع المحدود أعلاه (البازان) طولا من اليمن إلى الشام مما يلي الشرق مترين وأربعين سنتيما ثم ينعطف إلى جهة الشرق بقدر مترين ، ثم يستمر في الطول إلى جهة الشام الشرقي بقدر أحد عشر مترا وخمسين سنتيما ، ومما يلي الغرب اثنا عشر مترا وستين سنتيما ، وعرضا من الشرق إلى الغرب مما يلي الشام تسعة أمتار وعشرة سنتيمات ، ومما يلى اليمن ستة أمتار"(٢)

وحدد موقع هذا البازان على خارطة مصلحة المساحة المصرية التى أعدت سنة ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م(٣). ويتضح من ذلك أن موقعه الآن فى الناصية الشمالية الشرقية لمكان خروج السيارات من موقف البلدية بسوق الليل.

١٢ - بازان شعب علي:

لازال جزء من بناء هذا البازان قائما إلى الآن ، وجاء وصف موقعه وأبعاده في وثيقة مؤرخة بالثامن من شهر صفر عام ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م كالتالي:

أ - وصف موقع البازان :

" ... المحدود شرقا بالممر النافذ وغربا بالدار العائدة لآل القنق ،وشاما الرحبة المتصلة بالسكة النافذة وبها باب البازان ،ويمنا السكة النافذة وبها باب ثاني ".(٤)

---

(١) حجة شرعية صدرت بمحكمة مكة المكرمة عدد(١٤٨) وتاريخ ١٣٨١/٥/٣٠هـ
(٢) الوثيقة السابقة .
(٣) انظر صورة هذه الخارطة لدى امانة العاصمة المقدسة .
(٤) حجة شرعية صدرت بمحكمة مكة المكرمة عدد (٢٠) وتاريخ ١٣٨٢/٢/٨هـ.

ب - وصف ابعاد البازان من الخارج :

" إن ذرع المحدود بعاليه (البازان) طولا من اليمن إلى الشام مما يلي جهتي الشرق والغرب تسعة أمتار وأربعون سنتيما ،وعرضا من الغرب إلى الشرق مما يلي الشام خمسة أمتار وأربعون سنتيما ،ومما يلي اليمن ستة أمتار وثمانون سنتيما ".(١)

وجاء تحديد موقع هذا البازان في وثيقة مؤرخة بعام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م ، إلا أنه ذُكر فيها باسم بازان " شعب بنى هاشم "(٢)، ومعروف أنه يطلق على هذا الشعب اسم " بنى هاشم " واسم " شعب علي" ، كما جاء تحديد موقعه أيضا على خارطة مصلحة المساحة المصرية التى عملت سنة ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م(٣)، ويتضح من ذلك أن موقعه فى الوقت الحاضر خلف مبنى البنك الأهلى بشعب علي.

١٣ - بازان أمام حمام القشاشية :

لقد تم ازالة بناء هذا البازان لتوسعة شارع القشاشية ،وانشاء موقف السيارات بسوق الليل والقشاشية ، حُدد موقعه في وثيقة مؤرخة بعام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م(٤)، وكذلك على خارطة مصلحة المساحة المصرية التي عملت سنة ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م(٥)، ويتضح من ذلك أنه كان يقع في ناصية مدخل موقف السيارات ، المطل على شارع القشاشية من الجهة الشمالية الغربية .

١٤ - بازان المروة :

لقد تم ازالة بناء هذا البازان ضمن أعمال توسعة المسجد الحرام في العصر السعودي ، وجاء تحديد موقع هذا البازان في وثيقة مؤرخة بعام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م(٦)،وفي وثيقة يعود تاريخها إلى بداية العصر

---

(١) الوثيقك السابقة .
(٢) وثيقة رقم (١٣) بالملحق رقم (١) من هذا البحث .
(٣) انظر صورة الخارطة لدى امانة العاصمة المقدسة .
(٤) وثيقة رقم (١٣) بالملحق رقم (١) من هذا البحث .
(٥) انظر صورة الخارطة لدى امانة العاصمة المقدسة .
(٦) وثيقة رقم (١٣) بالملحق رقم (١) من هذا البحث .

السعودي [١]، ويتضح منهما أن هذا البازان كان يقع بالمروة ، بشارع المسعى في الجهة الشمالية الشرقية لباب السلام الكبير ، أحد أبواب المسجد الحرام من الجهة الشرقية .

١٥ - بازان أجياد :

لقد تم ازالة بناء هذا البازان ضمن أعمال توسعة ساحات المسجد الحرام في العصر السعودي ، وجاء تحديد موقعه في وثيقة مؤرخة بعام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م [٢]، وعلى خارطة مصلحة المساحة المصرية التى عملت سنة ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م [٣]، ويتضح منهما أن موقعه كان بميدان أجياد بالقرب من مستشفى أجياد الحديث .

١٦ - بازان في ميدان أبي بكر الصديق بالمسفلة . أزيل بناء هذا البازان عام ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ،وحُدد موقعه في وثيقة مؤرخة بعام ١٣٠٥هـ [٤] /١٨٨٧م ، وعلى خارطة مصلحة المساحة المصرية التى عملت سنة ١٣٦٧هـ / ١٩٤٧م [٥]، ويتضح منهما أنه يجاور مسجد أبي بكر الصديق بالمسفلة .

١٧ - بازان المسفلة الملاصق لمولد سيدنا حمزة رضي الله عنه .[٦].

لازال موقعه معروفا الى الآن بنفس المسمى .

١٨ - بازان العساكر بأجياد : أزيل بناء هذا البازان ضمن أعمال توسعة شارع أجياد في العصر السعودي . وأفاد مجموعة من كبار السن القاطنين بأجياد أن موقع بازان العساكر الآن في منطقة تبعد بمقدار ١٠٠ م عن الناصية الجنوبية الغربية لمستشفى أجياد وأن البازان المذكور كان يُزود بالماء من قناة العين المغذية لبازان أجياد.

---

(١) وثـيقة رقم (١٥) بالملحق رقم (١) من هذا البحث .
(٢) وثيقة رقم (١٣) بالملحق رقم (١) من هذا البحث .
(٣) انظر صورة الخارطة لدى امانة العاصمة المقدسة .
(٤) وثيقة رقم (١٣) بالملحق رقم (١) من هذا البحث.
(٥) انظر صورة هذه الخارطة لدى امانة العاصمة المقدسة .
(٦) عبدالكريم القطبى : المصدر السابق ، ص ٢٩ ، ١٦٠.

١٩ - بازان الشامية :

لا زال بناؤه قائما إلى الآن ، وجاء تحديد موقعه فى وثيقة مؤرخة بعام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م[١] ، وعلى خارطة مصلحة المساحة المصرية التى عملت سنة ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م[٢]، ويتضح منهما أنه يجاور قصر الهنا الذي هدم بناؤه في الوقت الحاضر.

٢٠ - بازان باب العمرة :

لقد تم ازالة بناء هذا البازان ضمن أعمال توسعة ساحات المسجد الحرام في العصر السعودي ، وجاء تحديد موقعه في وثيقة مؤرخة بعام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م[٣] ، وعلىخارطة المسجد الحرام التى قامت بتصميمها مؤسسة بن لادن سنة ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م[٤] ، ويتضح منهما أنه كان يقع فىالجهة الشمالية الغربية لباب العمرة ، أحد أبواب المسجد الحرام من الجهة الغربية .

٢١ - بازان الشبيكة :

لا زال بناء هذا البازان قائما إلىالآن ، وجاء تحديد موقعه في وثيقة مؤرخة بعام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م[٥] ، وعلى خارطة مصلحة المساحة المصرية التى عملت سنة ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م[٦]. وبالنظر إلى موقعه فى الوقت الحاضر نجد أنه يقع على يسار الذاهب من الشبيكة إلى حارة الباب ،وبالتحديد يقع شمال شرقي فندق الزواوي.

---

(١) وثيقة رقم (١٣) بالملحق رقم (١) من هذا البحث .
(٢) انظر صورة هذه الخارطة لدى امانة العاصمة المقدسة .
(٣) وثيقة رقم (١٣) بالملحق رقم (١) من هذا البحث .
(٤) انظر صورة هذه الخارطة بوزارة المالية والاقتصاد الوطني بالمملكة العربية السعودية .
(٥) وثيقة رقم (١٣) بالملحق رقم (١) من هذا الملحق .
(٦) انظر صورة هذه الخارطة لدى امانة العاصمة المقدسة .

٢٢ - بازان حارة الباب :

لقد تم ازالة بناء هذا البازان ضمن أعمال توسعة شارع حارة الباب في العصر السعودي ، وورد ذكر لتحديد موقعه وأبعاده في وثيقة مؤرخة بالثاني والعشرين من شهر جمادى الثاني عام ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م ،وهو كالتالي:

أ - موقع البازان :

" كامل البازان أرضا وبناء الكائن بمكة المكرمة المبنى بالحجر والنورة ، المحدود شرقا بالدار العائدة للشيخ سليم رحمهُ الله،وغربا الرحبة المتصلة بالسكة النافذة ، وشاما الدار ملك الدهلوي، ويمنا السكة النافذة وبها باب البازان "[١].

ب - وصف أبعاد البازان :

" إن ذرع المحدود بعاليه (البازان) طولا من الشرق إلى الغرب مما يلي الشام ستة أمتار ومما يلي اليمن خمسة أمتار وعشرون سنتيما وعرضا من الشام إلى اليمن مما يلي الشرق خمسة أمتار وخمسون سنتيما ومما يلي الغرب خمسة أمتار وستون سنتيما "[٢]

كما تم توقيع هذا البازان في وثيقة مؤرخة بعام ١٣٠٥هـ[٣]/١٨٨٧م ، وعلى خارطة مصلحة المساحة المصرية التى عملت سنة ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م[٤].

ومما هو جدير بالذكر الإشارة هنا إلى أنه يتضح من خلال ما تم عرضه عن جهود العثمانيين في العناية بالبازانات ، أنه ورد ذكر مجموعة من البازانات ، لم أستطع تحديد مواقعها ، اعتمادا على ما بين يدي من مصادر وهي [٥]:

---

(١) حجة شرعية صدرت من محكمة مكة المكرمة ،عدد(٨٩) وتاريخ ١٣٨٢/٦/٢٢هـ.
(٢) الوثيقة السابقة .
(٣) وثيقة رقم (١٣) بالملحق رقم (١)من هذا البحث .
(٤) انظر صورة هذه الخارطة لدى امانة العاصمة المقدسة .
(٥) انظر ما سبق (ص ٢٦٨) من هذا البحث .

٢٣ - بازان : جرول :

٢٤ - بازان على رأس جبل على يسار الذهب إلى مكة يقال له دقم الوبر (١)

٢٥ - بازان الرصف في طريق منى : جاء في وصف هذا البازان أنه كان منخفضا عن مستوى سطح الأرض بحوالي ٧٤ درجة ، ومحيط جوانبه الأربع ٦٣ ذراعا وسمك جدرانه ذراع واحد ،وارتفاعه ٣ أذرع وله باب ٠

٢٦ - بازان رباط التكارنة

٢٧ - بازان الأغوات ٠

ونظرا لتشابه تصميم بناء البازانات ، فسأقوم بوصف عماري لبازانين منهما ٠

أ - بازان الشامية : شكل رقم (٥٣ ، ٥٤) ولوحة رقم (١٣٠، ١٣١)

وهو واحد من أهم البازانات في مدينة مكة المكرمة ، ويقع بالشامية إلى الغرب من المسجد الحرام على بعد ما يقرب من ٢٠٠ م٠

ويمتاز هذا البازان على غيره من بازانات مكة بأنه يعلوه بناء استغل في العصر السعودي مدرسة ثم صار سكنا٠

وهو عبارة عن صهريج بنى في باطن الأرض تعلوه فتحات للاستقاء، ويأخذ تخطيطه الظاهر على سطح الأرض شكلا مستطيلا ، طول ضلعه الشرقي ٥٠ر١٤م ، وطول ضلعه الشمالي ١٥ر٩ م ٠ شكل رقم (٥٣) ولوحة رقم (١٣١)٠

أما فتحات الاستقاء فعددها سبع فتحات ، تأخذ كل فتحة منها شكلا مسدسا يرتفع عن أرضية البازان مقدار ٤٠ر٠م ، وقد بنيت بأحجار مهذبة ٠ شكل رقم (٥٣) ولوحة رقم (١٣١)٠ ووضعت على امتداد الدعامات (أ - أ)

---

(١) الزواوي : المرجع السابق ، ص ٥٧

مصطبة ترتفع مترا واحدا عن أرضية البازان ، وثبت عليها أعمدة حديدية ، تأخذ في أعلاها شكل عقد ، وكانت تستغل في رفع الماء من البازان عن طريق الدلاء . لوحة رقم (١٣١).

ومعنى ذلك أن الفتحات في هذا البازان على جانب من جوانبه ، في حين استخدم بقية غطاء البازان في خدمات تتعلق بالبناء المقام على هذا البازان .

أما وصف البازان من الداخل فسأعتمد فيه على ثلاثة أمور أولها : الرؤية المباشرة من فتحات البازان العلوية ،وثانيها الدعامات الضخمة التي تحمل المنزل الذي يعلو البازان ، وثالثها وصف المسنين له الذين عاصروا نزول بعض العمال لصيانته . حيث أنني لم أتمكن من النزول إلى داخله ، بسبب امتلائه بالمياه ، علاوة على عدم وجود رسوم أو تخطيطات لهذا البازان لدى الجهات المعنية بتزويد المدينة بالماء ، وكذلك ادارة الآثار.

وعلى ذلك فإن تخطيط البازان من الداخل يأخذ شكلا مستطيلا بنيت فيه دعامات ، ويغطي هذا البازان أقبية على شكل عقود موتورة تمتد من الشمال إلى الجنوب وقد قمت بعمل رسم افتراضي لذلك . انظر شكل رقم (٥٤) ، أما عمق البازان فيبلغ ١١م.

ب - بازان التمارة : شكل رقم (٥٥ ،٥٦) ولوحة رقم (١٣٣، ١٣٤).

يقع إلى شمال شرق المسجد الحرام بحوالي ٥٠٠م ولا يختلف تصميم هذا البازان عن بازانات مكة الأخرى فهو عبارة عن صهريج بني في باطن الأرض ، تعلوه فتحتان للاستقاء ، ويأخذ شكلا مستطيلا ، طول ضلعه الشمالي الغربي ٧٫٤٠ م ، وضلعه الجنوبي الغربي ٤٫٣٠ م ،ويظهر على سطح الأرض فتحتان للاستقاء وترتفعان عن أرضية

البازان بمقدار ٨٠ر٠م ويمكن الصعود لهما عن طريق ثلاث درجات ويكتنف فتحتي الاستقاء دعامتان يربطهما جذع خشبي سميك للاستعانة به في رفع مياه البازان ، كما يقع في جدار البازان من الناحية الشرقية تجويف غائر في الجدار يعلوه عقد نصف دائري لعله كان يستغل في الاضاءة ، وأغراض اخرى تتعلق بأدوات البازان .

أما عن وصف البازان من الداخل فانني قمت بعمل رسم تخطيطي افتراضي له ، لنفس الأسباب التي أشرت إليها في وصفي لبازان الشامية من الداخل .

وعلى ذلك فإن هذا البازان من الداخل يأخذ شكلا مستطيلا وغطي سقفه بأقبية تأخذ شكل عقود موتورة ، شكل رقم (٥٦) . أما عمقه الآن فيبلغ ١٠ م.

ونستخلص من هذا أنه على الرغم من اتفاق البازانات فى الشكل العام ، إلا أنه اختلف اتساعها ، كما شاهدنا ذلك على سبيل المثال في بازان سوق الليل ، وبازان شعب علي ، وبازان كان يقع أمام حمام القشاشية ، وبازان حارة الباب ، وبازان التمارة ، وبازان الشامية. ولعل هذا يرجع إلى أهميه المنطقة التى يقع بها البازان والكثافة السكانية .

أما من حيث تغطية البازانات فإنها كانت تتم بأقبية على شكل عقود موتورة . كما يلحظ أن جميع البازانات بنيت في باطن الأرض ، وينزل إليها بدرج يختلف عدده من منطقة إلى أخرى ، حسب ارتفاع الأرض التي بني فيها البازان .

سادسا : الحمامات : خارطة رقم (١٣)

كانت الحمامات بمكة المكرمة في العصر العثماني قليلة بصفة عامة. وقد أشار علي الطبري (ت ١٠٧٠هـ/١٦٥٩م) إلى ذلك بقوله : " فلم يكن في مكة الآن إلا حمامان أحدهما بالقرب من الشبيكة ويعرف بالوزير محمد والثاني بسوق الليل ... وكان إلى جانب هذا الحمام حمام معروف بحمام النبي ، ولم يعرف وجه الاضافة ، إلا أنه خرب ودمر ، وقد كنت أدركته عامرا يدخله الناس ، وكان بسوق الليل حمام آخر يعرف بحمام قَلَبَه ... خرب ودمر وما أدركته إلا متخربا ، وقد كان عامراً إلى حدود عام عشرة بعد الألف ، ثم إنه صار لزوجة زين الدين؛ مبارك بن جلال رأس المباشرين ، فعمرته بيتا ،...وكذا للسلطان قايتباي حمام صغير تحت جدار ربعه بالسوق الكبير ، إلا أنه لم يستعمل في هذه الأزمان القريبة ".(١)

ويشير بورخاردت Bur Khardt الذي زار مكة عام ١٢٣٠هـ/١٨١٤م، إلى وجود ثلاثة حمامات بمكة المكرمة ، لم يحدد منها إلا حمامين ، أحدهما ينسب للوزير محمد باشا ، وقد أشار إلى أنه يقع بالقرب من الشبيكة (٢)، والاخر بسوق الليل .(٣)

كما أجمع عدد من المؤرخين والرحالة، ابتداءً من أيام محمد بن أحمد الصباغ المكي (١٢٤٣ - ١٣٢١هـ/١٨٢٧ - ١٩٠٣م) ، وانتهاء بالكردي مؤرخ مكة المعاصر ، على أنه كان بمكة حمامان فقط أحدهما حمام الوزير محمد باشا الذي يقع بالقرب من الشبيكة ومن باب العمرة ، أما الثاني فهو حمام القشاشية (سوق الليل).(٤)

---

(١) علي الطبري : المصدر السابق ، ورقة ٤٥.
(٢) BurKhardt , OP.Cit, P. 110
(٣) خارطة رقم (١) بهذا البحث .
(٤) محمد بن أحمد الصباغ المكي : المصدر السابق ،ورقة ١١٩ ،محمد باشا صادق : المصدر السابق ، ص ٥٨ ، محمد لبيب البتنوني : المصدر السابق ص ٥٨ ، ابراهيم رفعت : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٨٣، محمد طاهر الكردي : المرجع السابق ،جـ ٢ ،ص ١٤٩.

ولعل قلة عدد الحمامات بمكة المكرمة ، يرجع إلى أن أغلب روادها كانوا من الغرباء ، حيث أشار بورخاردت Burkhardt الذي زار مكة المشرفة عام ١٢٣٠هـ/١٨١٤م ، إلى أن أهل الجزيرة العربية قلما اعتادوا على استخدام الحمام ، وأنهم يقومون بعملية الغسل المقرر عليهم شرعا في بيوتهم الخاصة .(١)

مما تقدم من نصوص للمؤرخين نصل إلى الحقائق التالية :

١ - أنه في الفترة الأولى من العصر العثماني وهي التي يصورها علي الطبري ، كان عدد الحمامات بمكة المكرمة قليلا بصفة عامة . فقد كان بها حمامان يعملان وثلاثة حمامات أصابها الخراب فان " حمام النبي " خرب ودمر بعد أن كان يعمل في شطر من حياة هذا المؤرخ ، و" حمام قلبه " كان قد خرب ودمر قبل أيام نفس المؤرخ ، والحمام الثالث وهو حمام السلطان قايتباي كان لا يستعمل في أيامه أيضا .

٢ - في الفترة الأخيرة من العصر العثماني أجمع الرحالة والمؤرخون على أنه كان بمكة حمامان فقط .

٣ - يمكن تفسير الحقيقتين السابقتين بأن هذه الحمامات كانت عامة ، وكانت تقدم خدماتها لقصادها من الوافدين (حجاجا ومعتمرين) على مكة فقط ، في حين كان أهل مكة قد ألحقوا ببيوتهم حمامات خاصة تمشيا مع التطور العام في الناحية الحضارية الذي كان في مصر وغيرها من بلدان العالم الإسلامي حيث انتشرت في تلك البلاد الحمامات الخاصة .

---

(١) BurKhardt, OP.Cit, P.110.

أ - حمام باب العمرة :

لقد تم إزالة بناء هذا الحمام عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م ، لتوسعة عمارة المسجد الحرام في العهد السعودي[1] ، وجاء تحديد موقعه في وثيقة هذا نصها : " الحمام الواقع بالشبيكة باب العمرة يحده شرقا الشارع العام وغربا الدار العائدة للأوقاف وسكنى عباس جمال ، ويمنا المؤجرة من السيد المرزوقي على الغير ، وشاما الشارع العام"[2]وقد وقع رسم هذا الحمام على خارطة مصلحة المساحة المصرية ، التى عملت سنة ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م ، ويتضح منها أنه يقع في الجهة الجنوبية الغربية لباب العمرة ، أحد أبواب المسجد الحرام من الجانب الجنوبي ٠

ب - حمام القشاشية (سوق الليل) : شكل رقم (٥٧)

يتكون هذا الحمام من ثلاث وحدات رئيسة هي : الغرفة الباردة ، والغرفة الدافئة ، والغرفة الساخنة ٠ لوحة رقم (١٤٤،١٥٠)٠
وقد كان مدخل الحمام شارعا إلى الشرق ويقع بواجهة الغرفة الباردة المطلة على شارع القشاشية ،وتمثل الغرفة الباردة منطقة مربعة طول ضلعها ٦٠ر٧م ،تغطيها قبة ضخلة عمقها ٨٠ر٢م ،وسمكها ٤٠ر٠م ،وقد تم تحويل المنطقة المربعة إلى دائرة كي تقوم عليها القبة المثقوبة،باستخدام أربعة حنايا ركنية في كل ركن حنية ٠ لوحة رقم (١٤٦) ٠

وعمل في أعلى القبة فتحة مثمنة طول ضلعها ٦٠ر٠م ،لإدخال الضوء والهواء ، والمحافظة على صحة المكان ٠ ومن الغرفة الباردة يمكن الوصول إلى الغرفة الدافئة ، عن طريق فتحة تؤدي إلى منطقة إنتقالية ، ثم منها إلى الغرفة الدافئة، وهذه الفتحة سعتها ٨٠ر٠م ،

---

(١) محمد طاهر الكردي : المرجع السابق ،ج ٢ ،ص ١٤٩ ، كما قدر قيمة الحمام بمبلغ خمسمائة ألف ريال ٠ حجة شرعية صدرت من محكمة مكة المكرمة برقم (٩٧٥) وتاريخ ١٣٨٢:٣:١٨هـ٠

(٢) الوثيقة السابقة ٠

وسمك جدارها ٦٥ر٠م ويعلوها عقد موتور من الجهة المطلة على الغرفة الباردة ، وعقد مدبب ذو مركزين من الجهة المطلة على المنطقة الإنتقالية ، وبلغ ارتفاع الفتحة من مستوى الأرضية الحالية للحمام إلى مفتاح العقد الموتور ٨٥ر١ م . شكل رقم (٥٧) . ولوحة رقم(١٤٥،١٤٧،١٤٨) . أما المنطقة الإنتقالية فإنها تأخذ شكل مستطيل طوله ٢٥ر٣ م وعرضه ٨٥ر٢م ، يغطيها قبة بيضاوية الشكل بها ٤٣ فتحة مغطاة بزجاج لدخول الضوء ، لوحة رقم (١٤٩) ، وبهذه المنطقة بيت خلاء ، ومواضع لخلع الملابس . شكل رقم (٥٧) .

ومن هذه المنطقة أيضا يمكن الوصول إلى الغرفة الدافئة عن طريق فتحة سعتها ٩٠ر٠م ، يعلوها عقد موتور ارتفاعه من مستوى الأرضية الحالية إلى مفتاح العقد ٨٠ر١ م . ويمثل بناء الغرفة الدافئة شكل مستطيل ، يغطيه قبو نصف اسطواني ، به فتحات لدخول الضوء وبلغ طول هذه الغرفة ٧٠ر٧ م ، وعرضها ٣٥ر٣ م، وعلى يسار الداخل مصطبة طولها ٣٠ر٥ م وعرضها ٣٠ر١ م ، وارتفاعها عن مستوى أرض الحمام في الوقت الحاضر حوالي ٣٥ر٠م . لوحة (١٥٠) .

ومن هذه الغرفة يمكن الوصول إلى الغرفة الساخنة عبر فتحة سعتها ٩٠ر٠م ، يعلوها عقد موتور في الجهة المطلة على الغرفة الدافئة وعقد مدبب ذو مركزين ، من الجهة المطلة على الغرفة الساخنة ، وارتفاع هذه الفتحة من مستوى أرضية الحمام إلى مفتاح العقد الموتور ٨٥ر١م .

وتأخذ الغرفة الساخنة شكلا قريبا من المستطيل طوله ٤٥ر٦م ، وعرضه ٦٥ر٥ م ، وتغطيها قبة على شكل بيضاوي ، بها فتحات للإضاءة . وفي وسط الغرفة مصطبة على شكل مثمن،وعلى يمين الداخل مصطبة كما يوجد بهذه الغرفة مغاسل لها صنابير للمياه الساخنة والباردة . لوحة (١٥١ ، ١٥٢، ١٥٥) .

وعلى يسار الداخل إلى الغرفة الساخنة توجد ثلاث فتحات تؤدي إلى مناطق يغطيها قبو نصف اسطواني به فتحات للضوء. شكل رقم (٥٧) ولوحة (١٥٣، ١٥٤).

سابعا : المطاهر (الميضآت) " حنفيات الوضوء " : خارطة رقم (١٤)٠

أ - الميضآت التى أنشئت قبل العصر العثماني وظلت تؤدي دورها فى هذا العصـــر :

١ - ميضأة السلطان الناصر محمد بن قلاوون :

كانت تقع عند باب السلام[1]، وجاء تحديد موقعها فى وثيقة يعود تاريخها إلى بداية الحكم السعودي بمكة[2] وعلى خارطة مصلحة المساحة المصرية التى عملت سنة ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م[3]، وعلى خارطة المسجد الحرام ، التى عملتها مؤسسة بن لادن عام ١٣٧٥هـ[4]/١٩٥٥م ،ويتضح من ذلك أنها كانت تقع على يمين الداخل إلى المسجد الحرام من باب السلام الكبير ، أحد أبواب المسجد الحرام من الجهة الشرقية ٠

٢ - ميضأة السلطان الغوري :

كانت تقع على يمين الخارج من باب ابراهيم[5]، أحد أبواب المسجد الحرام من الجهة الغربية[6]، أشار إليها قطب الدين الحنفي ، بأنها كانت في حالة سيئة ، وكانت تصدر منها روائح كريهة ،وأن عفونتها قد تصل في بعض الأحيان إلى المسجد الحرام ، فيتأذي منها المصلون فأبطل عملها وأغلقت بأمر من السلطان مراد سنة ٩٨٠هـ[7]/١٥٧٣م ،بيد أنه

---

(١) تقي الدين الفاسي : المصدر السابق ،ج ١ ص٣٥٥ ،علي الطبري: المصدر السابق ، ورقة ٤٦٠

(٢) وثيقة رقم (١٥) بالملحق رقم (١) من هذا البحث ٠

(٣) انظر صورة هذه الخارطة لدى امانة العاصمة المقدسة ٠

(٤) انظر صورة هذه الخارطة لدى وزارة المالية والإقتصاد الوطني٠

(٥) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ،ص ٢١٢٠

(٦) حسين عبد الله باسلامة : المرجع السابق ،ص ١٢٧ ٠

(٧) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ،ص ٢١٢٠

وردت إشارة لهذه الميضأة على أنها كانت تؤدي دوراً لخدمة المسلمين ، لدى كل من علي الطبري (ت ١٠٧٠هـ[1]/١٦٥٩م) ،وعبد الملك العصامي (ت ١١١١[2]/١٦٩٩م) ، فلعلها أصلحت وأعيد استعمالها في أيامهما لا سيما وقد عرفنا من خلال عرض جهود العثمانيين في العناية بالميضآت ، أنه جدد بناء فتحة ببابها فيما بين عامي ١١٢٤هـ، ١١٢٥هـ/١٧١٢، ١٧١٣م.[3]

وقد أشار الصباغ المكي (١٢٤٣ - ١٣٢١هـ/١٨٢٧ - ١٩٠٣م)، إلى أن هذه الميضأة لم يعد لها وجود في عصره[4]، إلا أنه بالنظر إلى خارطة مصلحة المساحة المصرية التى عملت سنة ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م[5]،وخارطة المسجد الحرام التي عملت من قبل مؤسسة بن لادن سنة ١٣٧٥هـ[6]/١٩٥٥م ، يظهر بهما وجود ميضأة أمام الخارج من باب ابراهيم . وجاء تحديد موقعها في وثيقة مؤرخة بالثامن عشر من شهر ربيع الأول عام ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م ورد بها : " يحدها شرقا الشارع العام ،وغربا بيت الفوال وشاما الشارع العام وبه باب الميضأة ، ويمنا بيت حسين عجاج "[7].

٣ - ميضأة الملك الأشرف أبو النصر قايتباي :

كانت تقع بشارع المسعى ، بجانب ربع السلطان قايتباي برأس زقاق الحجر[8]. ورد تحديد موقعها في وثيقة يرجع تاريخها إلى بداية العصر السعودي بمكة ، إلا أنها وردت باسم " حنفية باب النبي[9]

---

(١) علي الطبري : المصدر السابق ،ورقة ٤٦.
(٢) عبد الملك العصامي : المصدر السابق ،جـ ٤ ،ص ٥٢.
(٣) انظر ص (٢٨٣) من هذا البحث .
(٤) محمد بن أحمد الصباغ المكي : المصدر السابق ،ورقة ١٥٧ - ١٥٨.
(٥) انظر صورة هذه الخارطة لدى امانة العاصمة المقدسة .
(٦) انظر صورة هذه الخارطة لدى وزارة المالية والإقتصاد الوطني .
(٧) حجة شرعية صدرت من محكمة مكة المكرمة برقم (٩٧٥) وتاريخ ١٨/٣/١٣٨٢هـ.
(٨) علي الطبري : المصدر السابق ،ورقة ٤٦.
(٩) انظر وثيقة رقم (١٥) بالملحق رقم (١) من هذا البحث .

كماحدد موقعها على خارطة المسجد الحرام التى عملتها مؤسسة بن لادن سنة ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م.[١]

ب - الميضآت العثمانية :

٤ - ميضأة السلطان مراد :

كانت تقع تحت سبيله الواقع على يسار الخارج من باب الصفا[٢] أحد أبواب المسجد الحرام من الجهة الجنوبية .[٣]

٥ - ميضأة السلطان مراد:

هذه ميضأة ثانية تنسب للسلطان مراد بن سليم ، كانت تقع في لصق مدرسة السلطان قايتباي[٤]، على يمين الداخل من باب مدرسة السلطان قايتباي ، أحد أبواب المسجد الحرام من الجهة الشرقية .[٥]

٦ - ميضأة بجانب عقد المروة منسوبة إلى كاتم السر :

كانت تقع بجانب رباطه الذي فى المروة ،على يسار الواصل من جهة الصفا.[٦]

٧ - كانت تقع ميضأة ذات ١٥ صنبورابالقرب من بازان المروة.[٧]

---

(١) انظر صورة هذه الخارطة لدى وزارة المالية والإقتصاد الوطني .

(٢) علي السنجاري : المصدر السابق ،ج ٢ ورقة ١٢٦ ،محمد بن علي المعروف بابن المحب الطبري : المصدر السابق ،ج ١ ورقة ٢٧١ ، كذلك انظر ما سبق ص (٢٨٣) من هذا البحث .

(٣) حسين عبدالله باسلامة : المرجع السابق ، ص ١٢١.

(٤) علي السنجاري : المصدر السابق ،ج ٢ ورقة ١٢٦.

(٥) حسين عبدالله باسلامة : المرجع السابق ،ص ٩٧، ١١٥،وكذلك انظر : ص (٢٨٣) من هذا البحث .

(٦) علي الطبري : المصدر السابق ،ورقة ٤٦.

(٧) وثيقة رقم ٤٦٥٩ ،ص ٢١ بمكتبة جامعة استانبول .

٨ - كانت تقع ميضأة جهة باب الصفا ، لها ٧ صنابير.[١]

٩ - كانت تقع ميضأة تحت طرف باب الصفا بجدار مكتبة محمد رشدي باشا ، كان لها ٢٠ صنبورا.[٢]

١٠ - كانت تقع ميضأة تحت مقر مخفر العساكر بالمسعى[٣].

جاء تحديد موقع المخفر فى وثيقة يرجع تاريخها إلى بداية العصر السعودي بمكة[٤]، ويتضح منها أن المخفر كان يقع أمام باب بازان وباب البغلة من أبواب المسجد الحرام في الجهة الجنوبية .[٥]

١١ - ميضأة الخواجا شمس الدين بن الزمن :

كانت تقع بالقشاشية ،قريبا من باب علي[٦]، أحد أبواب المسجد الحرام من الجهة الشرقية[٧]، وقد كان لهذه الميضأة بابان أحدهما ينفذ إلى الشارع ، والآخر إلى الرباط.[٨].

١٢ - كانت تقع ميضأة أمام الخارج من باب الوداع[٩]،أحد أبواب المسجد الحرام من الجهة الغربية[١٠]،كان لها ٤٦ صنبورا.[١١]

---

(١) ايوب صبري : المرجع السابق ،ج ٥ - ٧ ،ص ٧٥٦ - ٧٥٨.
(٢) المرجع السابق ،ج ٥ - ٧ ،ص ٧٥٦ - ٧٥٨.
(٣) الوثيقة السابقة ، ص ٢٢ - ٢٣.
(٤) انظر وثيقة رقم (١٥) بالملحق رقم (١) من هذا البحث .
(٥) حسين عبدالله با سلامة : المرجع السابق ، ص ١٢٠.
(٦) علي الطبري : المصدر السابق ، ورقة ٤٦.
(٧) حسين عبدالله باسلامة : المرجع السابق ،ص ١١٩.
(٨) علي الطبري : المصدر السابق ، ورقة ٤٦.
(٩) وثيقة رقم ٤٦٥٩ ، ص ٢١ - ٢٢ بمكتبة جامعة استانبول ،ايوب صبري : المرجع السابق ، ج ٥ - ٧ ، ص ٧٥٦ - ٧٥٨.
(١٠) حسين عبدالله باسلامة : المرجع السابق ،ص ١٢٦.
(١١) الوثيقة السابقة ، ص ٢١ - ٢٢ ، ايوب صبري : المرجع السابق ، ج ٥ - ٧ ، ص ٧٥٦ - ٧٥٨.

١٣ - كانت تقع ميضأة بالقرب من باب العمرة [١]، أحد أبواب المسجد الحرام من الجهة الغربية [٢]. ورد تحديد موقعها في وثيقة مؤرخة بالثامن عشر من شهر ربيع الأول عام ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م، بما نصه " يحدها شرقا رباط الصيني، وغربا الشارع العام، وشاما بيت الجوهر، ويمنا الشارع العام وبه باب الميضأة "[٣]. كما ورد تحديد موقعها على خارطة المسجد الحرام التي عملتها مؤسسة بن لادن سنة ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م [٤]. ويتضح من ذلك أنها كانت تقع غرب باب العمرة.

١٤ - ميضأة بالتكية المصرية [٥]:

جاء تحديد موقعها على خارطة مصلحة المساحة المصرية التي عملت سنة ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م [٦]، وعلى خارطة المسجد الحرام التي أعدتها مؤسسة بن لادن سنة ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م [٧]. ويتضح منهما أنها كانت تقع أمام باب أجياد وباب أم هانئ، من أبواب المسجد الحرام في الجانب الجنوبي [٨].

١٥ - ميضأة بمنى الحميدية [٩]:

حدد موقعها على خارطة مصلحة المساحة المصرية التي عملت سنة ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م [١٠]. ويتضح أنها كانت تقع جنوب غرب المسجد الحرام.

---

(١) المرجع السابق، ج ٥ - ٧، ص ٧٥٦ - ٧٥٨.
(٢) حسين عبد الله باسلامة: المرجع السابق، ص ١٢٨.
(٣) حجة شرعية صدرت من محكمة مكة المكرمة برقم (٩٧٥) وتاريخ ١٣٨٢/٣/١٨هـ.
(٤) انظر صورة هذه الخارطة لدى وزارة المالية والإقتصاد الوطني.
(٥) ابراهيم رفعت: المصدر السابق، ج ١ ص ١٨٥.
(٦) انظر صورة هذه الخارطة لدى أمانة العاصمة المقدسة.
(٧) انظر صورة هذه الخارطة لدى وزارة المالية والاقتصاد الوطني.
(٨) حسين عبد الله باسلامة: المرجع السابق، ص ١٢٢، ١٢٤.
(٩) انظر ما سبق ص (٢٨٦) من هذا البحث.
(١٠) انظر صورة هذه الخارطة لدى أمانة العاصمة المقدسة.

١٦ ـ ميضأة أسماء بنت أحمد أفندي الصديقي :

كانت تقع بالنقا على يسار الصاعد الى جبل العبادي.(١)

١٧ ـ كانت تقع ميضأة إلى جوار مسجد الإجابة :(٢)

يعرف موقع مسجد الإجابة الآن ، بأنه بحي المعابدة ، إلى الشمال الشرقي من مبنى امارة مكة المكرمة ، على يسار الذاهب إلى منى ، وبانحراف قليل عن الطريق العام.(٣)

١٨ ـ ميضأة على يمين الصاعد إلى المسعى ، بلصق تكية السيدة فاطمة (٤).

١٩ ـ ميضأة لها ٢٢ صنبورا كانت تقع بلصق مكتبة المرحوم الشرواني .(٥)

٢٠ ـ كانت تقع ميضأة قرب بازان حارة الباب .(٦).

٢١ ـ كانت تقع ميضأة في نهاية سوق المعلاه على يسار الصاعد منه.(٧).

٢٢ ـ ميضأة لها ٢٥ صنبورا كانت تقع في وسط المدرسة الداوودية (٨)

---

(١) حجة شرعية صدرت من المحكمة الشرعية بمكة رقم ٧٩٣/٨٠٢ وتاريخ ١٣٢٧/١١/٢٩هـ.

(٢) انظر ماسبق ص (٢٨٤) من هذا البحث .

(٣) سيد عبد المجيد بكر : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٠٦.

(٤) محمد بن أحمد الصباغ المكي : المصدر السابق ، ورقة ١٥٨.

(٥) وثيقة رقم ٤٦٥٩ ، ص ٢٢ ـ ٢٣ ، بمكتبة جامعة استانبول .
تقع مكتبة الشرواني بدار قرب باب أم هانيء مطلة على المسجد الحرام ، وقد سميت باسم مؤسسها محمد رشدي شرواني زاده باشا ، والي الحجاز من قبل الحكومة العثمانية عام ١٢٩٢هـ. انظر دكتور عبد اللطيف عبد الله بن دهيش : المكتبات الخاصة في مكة المكرمة ، ص ١٩ ـ ٢٠ . الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة .

(٦) الوثيقة السابقة ، ص ٢٥.

(٧) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ، ص ٢٢٦.

(٨) ايوب صبري : المرجع السابق ، ج ٥ ـ ٧ ، ص ٧٥٦ ـ ٧٥٨.

٢٣ ـ ميضأة بأجياد تنسب للشريف زيد بن محسن أمير مكة عـــام ١٠٥٣هـ/١٦٤٣م [1].

(١) محمد بن أحمد الصباغ المكي : المصدر السابق ،ورقة ١٥٨.

ثامنـــا : الســـدود : خارطة رقم (١٧)

سبق الحديث عما تم في العصر العثماني من إنشاء مجموعة سدود، منها ما كان يهدف لدرء أخطار السيول عن قنوات المياه ، ومنها ما كان الغرض منه درء أخطار هذه السيول عن مكة المكرمة والمسجد الحرام.(١)

وبالوقوف على الطبيعة في الوقت الحاضر لا نجد إلا سدا واحدا لا زال جزء كبير من بنائه قائما إلى الآن ، وهو سد الأبطح ، الذي انشىء خاصا لدرء أخطار السيول عن مكة ، ولذلك سوف نخصه بالدراسة .

سـد الأبطـح (سد حـراء) : خارطة رقم (١٧) ولوحة (١٣٥،١٣٦،١٣٧).

اتضح من الدراسة الجغرافية أن وادي ابراهيم يأخذ مياهه من شمال شرق جبل النور (حراء) ، ويتجه من الشمال الشرقي نحو الجنـوب الغربي مارا بالمسجد الحرام.(٢)

وعلى هذا تتضح أهمية سد الأبطح الذي كان يقوم بدور عظيم فى الوقوف أمام أخطار السيول المندفعة من شمال شرق جبل النور ،وتحويلها إلـى وادي لقيطه ، حيث يمكن الإستفادة من هذه المياه هناك في نمو الأعشاب والرعي والزراعة .

وفيما يخص تصميم هذا السد ، فإن الجزء الباقي منه يمثل حائطـا سميكا جداره السفلي أسمك من أعلاه ، إذ نجده على الطبيعة في أسفلـه من الأرضية الموجودة الآن (بعد عمليات الردم التي تمت لإنشاء شارع مجاور للسد) يبلغ حوالي ٢٫٧٠م بينما بلغ سمكه في أعلاه حوالي ٢ م .

---

(١) راجع ص (٢٩١) من هذا البحث .

(٢) راجع ص (١٧) من هذا البحث .

ويقدر طول الجزء الباقي من هذا السد بحوالي ٨٠م ،في حين كان يصل من الجانبين إلى جبلين يحصران الوادي • ولذلك اختار المعمار هذا الموقع ليتمكن عن طريقه تحويل مياه السيل إلى وادي لقيطة •

أما من حيث ارتفاعه فقد أنشىء بحيث يسير مع ميزان الماء فيرتفع حيث تكون الأرض منخفضة ، وينخفض حيث تكون الأرض مرتفعة ،مما يجعل أعلاه يسير مع الشكل المستقيم المنتظم ، ويلحظ أن مستوى الأرض المجاورة للسد قد ردمت الآن مما يصعب معه تحديد ارتفاع السد الحقيقي •

ويعلو هذا السد دعامتان ضخمتان تختلفان من حيث الشكل ،فإحداهما تنتهي فى أعلاها بشكل يشبه العقد المدبب ذي مركزين ، وبها مكان غائر ، يرجح أنه كان موضعا للوح تأسيسي ، أما الدعامة الثانيةفتنتهي في أعلاها بشكل يشبه الشرفة المسننة ، ولم أرَ فيها شيئا يجعلني أطمئن إلى تحديد الغرض منها•

وقد بني هذا السد بأحجار ضخمة عند القاعدة وأحجار أقل حجما منها فيأعلاه • ثم غطي جانباه وسطحه بطبقة ملاط سميكة لتحول دون تسرب المياه إلى داخله•

تاسعا : مجاري تصريف السيول والمياه المستعملة : خارطة رقم (١٧،٦)

على الرغم من وجود سد جبل النور (الأبطح) وسد أجياد ، لمنع دخول مياه السيول إلى المسجد الحرام ، وللمحافظة على أرواح الناس وممتلكاتهم خاصة المجاورين للمسجد الحرام ، إلا أن مكة كانت لا تزل تعاني من أثر السيول المنسابة من جبالها المحيطة بالمسجد الحرام ، وحيث الكثافة السكانية .

ولما كان المسجد الحرام يقع ببطن وادي ابراهيم ، ويعترض مجرى مياه السيول ، خاصة المنسابة من جبل قعيقعان ، وجبل أبي قبيس وجبل أجياد ، فقد اهتم المسئولون بهذا المسجد والسكان المجاورين له ، وعملوا على إنشاء مجارٍ خاصة لنقل مياه هذه السيول بعيداً عن المسجد الحرام ، وتوجيهها إلى المسفلة ، حيث يستفاد من بعضها في الزراعة ويوجه الفائض إلى خارج مكة .

وعلى الرغم من ذلك فقد حدث في بعض السنين انسداد في مجاري التصريف ، وازدادت كمية مياه السيول بشكل أدى إلى دخولها المسجد الحرام وإغراقه بالماء حتى ارتفعت المياه في بعض السنين إلى ما يقرب من نصف جدار الكعبة . وهنا عمل العثمانيون على زيادة عدد الفتحات لنقل هذه المياه إلى خارج المسجد الحرام ، كما اهتموا بعمل سرب خاص لنقل الفائض من ماء زمزم إلى خارج المسجد الحرام. كما تم في عصر لجنة عين زبيدة (بدأت أعمالها عام ١٢٩٥هـ) إنشاء الكثير من المجاري لتصريف المياه المستعملة ، من بعض البازانات والمنشآت الحكومية وتوجيهها إلى المجرى الرئيسي لتصريف مياه الأمطار وإلى مواضع أخرى .

ونظرا للتوسع العمراني الذي شهدته مكة المشرفة في العصر السعودي ، فقد استغني عن جميع شبكة المجاري القديمة ، ولم يعد لها وجود الآن .(١)

---

(١) يحيي حمزة كوشك : المرجع السابق ، ص ٥٦ – ٥٧ .

ولذلك سوف أعتمد على الوثائق والنصوص التاريخية للتعرف على سمات هذه الشبكة المائية ومهمتها في العصر العثماني محاولا رسمها على خرائط ما امكن ،والله الموفق ٠

يمكن تقسيم شبكة التصريف إلى ثلاثة أنواع هي :

١ – مجرى عمومي لنقل المياه من المسجد الحرام وتوجيهها إلى المسفلة٠

٢ – فتحات ومجاري لاستقطاب المياه من داخل المسجد الحرام وتوجيهها إلى المسفلة ٠

٣ – مجاري لاستقطاب المياه المستعملة من بعض مباني المدينة وتوجيهها إلى المجرى الرئيسى أو إلى مناطق أخرى ٠

ففيما يخص النوع الأول :

كان يطلق عليه اسم سرب " العنبة " أو سرب (باب الزيادة) وله فتحات لاستقطاب مياه السيول في الجانب الشمالي من المسجد الحرام وترجع أهمية هذا السرب إلى أنه يقع مواجها لممر سيل قعيقعان والفلق والقرارة ، حيث يستقبل مياه السيل ، ويمنع دخوله إلى أبواب المسجد الحرام ، ويسير به في سرب واسع إلى أن يخرج قرب باب ابراهيم فيسيل إلى أسفل مكة مع السيل الكبير.(١)

ويغذي هذا السرب مجموعة فتحات ، وزعت على بعض أبواب المسجد الحرام ، لاستقطاب مياه السيول هي :(٢)

أ – فتحة بباب القطبي (أحد أبواب المسجد الحرام من الجهة الشمالية)٠

ب – فتحة بباب الباسطية (أحد أبواب المسجد الحرام من الجهة الشمالية) ٠

---

(١) قطب الدين الحنفي : المصدر السابق ، ص ٣٤٣ ، محمد بن على المعروف بابن المحب الطبري : المصدر السابق ، ج ١ ،ورقة ٢٥٤ – ٢٥٥٠

(٢) وثيقة رقم ٦١٧٦ MAD بارشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول ٠

جـ - فتحة بباب ابن عتيق (أحد أبواب المسجد الحرام من الجهة الشمالية)٠

د - فتحة بباب العمرة (أحد أبواب المسجد الحرام من الجهة الغربية)٠

وتشير إحدى النصوص التاريخية إلى أن آخر هذا السرب كان يصب قرب مقبرة الشبيكة[1] ، في حين يتضح من خلال ما تم عرضه عن جهود العثمانيين في العناية بمجاري تصريف مياه الأمطار عامي ١١٢٤ - ١١٢٥هـ/١٧١٢ - ١٧١٣م ، أنه قد بلغ طول هذا السرب ،من حافة المسجد الحرام (الغربية) مرورا بالسوق الصغير إلى المسفلة ٨٩٤ ذراعا ٠[2]

وفي العصر السعودي بدأت محاولة لتنظيف السرب مما به من الأوساخ ، فتم لهم تنظيف ٥٠٠م ثم توقفوا ، لعدم درايتهم بمسار هذا السرب ، لانخفاضه عن مستوى سطح الأرض والذي قدر بحوالي ١١م والحفر للوصول إلى هذا السرب قد يؤدي إلى انهيار بعض المباني ٠ وهنا توقفت عملية التنظيم والغي استعمال هذا السرب ٠[3]

ونخرج مما قد يكون من تعارض في الروايات إلى أن المسئولين قد مدوا هذا السرب في وقت لاحق ليؤدي دوره كاملا بعد عامي ١١٢٤ ، ١١٢٥هـ/١٧١٢،١٧١٣م ، ويزكي هذا الرأى ما ذهب إليه ابراهيم رفعت من أن هذا السرب يتجه إلى بركة ماجن[4]٠ وهذا يفسر لنا ما قام به المسئولون في العصر الحديث من محاولة تنظيف هذا السرب للإستفادة

---

(١) محمدبن على الصديقي : المصدر السابق ،ورقة ٩٠

(٢) وثيقة رقم ٦١٧٦ MAD بأرشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول٠

(٣) يحيي حمزة كوشك : المرجع السابق ،ص ٤٨ ، ٥٦٠

(٤) ابراهيم رفعت : المصدر السابق ،ج ١ ،ص ٢٢١٠

منه غير أنهم بعد أن قاموا بتنظيف ١٥٠٠م من السرب وجدوا أجزاء اخرى باقية منه تحول الأبنية الحديثة دون متابعتها ، فكفوا عن العمل ٠

وبالوقوف على الطبيعة الآن لا نجد أي آثار ظاهرة على سطح الأرض يمكن الاستفادة منها في التعرف على مسار هذا السرب ، ولكن وفقني الله في التعرف على المعلم حكيم علي منشي أحد المسنين وهو ممن شاهد مسار هذا السرب في نهاية العصر العثماني، ودلنى على موقع بشارع المسفلة يبعد عن حافة المسجد الحرام من الجهة الغربية حوالي ١٦٠٠م ، وحكى أنه رأى بهذا الموقع بركة مستطيلة طولها حوالي ٣ م وعرضها حوالي ٢ م تنتقل إليها مياه السيول والمياه المستعملة عبر سرب بني تحت سطح الأرض من الجهة الجنوبية الغربية للمسجد الحرام ، وبعد أن تصل المياه إلى هذه البركة تصفى ثم تسير في سرب آخر فوق سطح الأرض ، وتتجه إلى موقع قرب بركة ماجن ، حيث تروي بعض مزارع القصب المستخدمة في علف الحيوانات٠

ويتضح مما أفاد به المعلم حكيم أن هناك اتفاقا بين ما أورده لنا ، وما عرفنا أخباره من روايات المؤرخين، والوثائق ٠

أما ما يخص فتحات التصريف والمجاري التي عملت داخل المسجد الحرام ، لتصريف مياه الأمطار والسيول ، والمستعمل من ماء زمزم فهي على الوجه التالي :

١ - كان يوجد سرب لنقل المستعمل من ماء زمزم ،إلى خارج المسجد الحرام ومنه إلى المسفلة ٠(١)

٢ - كان يقع تحت باب إبراهيم ، أحد أبواب المسجد الحرام من الجهة الغربية ، فتحة سرب لتسهيل خروج ماء السيول والأمطار

---

(١) وثيقة رقم ٦١٧٦ MAD بأرشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول ، الزواوي : المرجع السابق ، ص ٣٢ - ٣٣٠

إلى خارج المسجد الحرام[١]، ومن خلال ما تم عرضه عن أثر السيول على المسجد الحرام وسكان مكة ،عرفنا أكثر من مرة اهتمام أمير مكة وسكانها ،بالتوجه إلى فتح هذا السرب لتسهيل خروج مياه الميول من المسجد الحرام[٢] ،ولعل هذا يشير إلى أن فتحة هذا السرب كانت تغلق وقت هطول الأمطار للحيلولة دون دخول سيل أجياد عبرها إلى داخل المسجد الحرام ، أما فتحها فيكون عقب هدوء الوضع وتوقف مياه السيول والأمطار ، ليتسنى لهم تنظيف المسجد الحرام ، وإخراج ما به من أوساخ نجمت عن مياه السيول ،. وجاء عن وصف فتحة سرب باب ابراهيم أنهاكانت على شكل عقد ، يمشي الناس على ظهره أثناء خروجهم من باب ابراهيم.[٣]

٣ ـ كانت توجد فتحات (بالوعات) لاستقطاب مياه السيول والأمطار من داخل المسجد الحرام ، لنقلها إلى خارجه وهي[٤] كالتالي :

أ ـ فتحة بمقام الحنبلي .

ب ـ فتحة بمقام المالكي .

جـ ـ فتحات في المطاف الشريف وفي مناطق مختلفة من المسجدالحرام.

أما ما يخص مجاري تصريف المياه المستعملة من بعض البازانات والمنشآت الأخرى ، فهي على الوجه التالي :

١ ـ تم نقل الماء المستعمل من بازان الشامية ، عبر سرب بنى تحت الأرض ، إلى حظيرة أميرية بباب الزيادة[٥] ،أحد أبواب المسجد الحرام من الجهة الشمالية.[٦]

---

(١) الوثيقة السابقة ، محمد بن على الصديقي : المصدر السابق،ورقة ٥١،٥٢ ،محمد بن علي المعروف بابن المحب الطبري: المصدر السابق ، جـ ٢ ،ورقة ٤٧ ،حسين عبدالله باسلامة : المرجع السابق ،ص ٣٣ـ ٣٤.

(٢) انظر ما سبق ص(٢٩٥) من هذا البحث .

(٣) محمد بن على الصديقي : المصدر السابق ،ورقة ٥١.

(٤) الوثيقة السابقة .

(٥) وثيقة رقم ٤٦٥٩ ،ص ٢٤. بمكتبة جامعة استانبول .

(٦) حسين عبدالله باسلامة : المرجع السابق ،ص ١٣١.

٢ - تم نقل الماء المستعمل من بازان الشبيكة ،عبر سرب مبنى إلى مقهى الحمار ، ثم إلى بئر المدعون ، ومنه إلى حظيرة أميرية كبيرة (١).

٣ - تم نقل الماء المستعمل من بازان شعب عامر ،عبر سرب بني تحت الأرض ، إلى موضع يشبه البئر ، وضع في مسيال الشعب ،وقد ساهم هذا السرب أيضا في استيعاب الفائض من الماء المستعمل في البيوت المحيطة به (٢).

٤ - وجه الماء المستعمل من بازان شعب بني هاشم ،عبر سرب بني تحت الأرض إلى حظيرة أميرية (٣).

٥ - وجه الماء المستعمل من بازان القشاشية ،عبر سرب بني تحت الأرض إلى حظيرة الأمير (٤).

٦ - تم بناء سرب تحت الأرض ، لاستيعاب الفائض من مياه بازان التمارة وتوجيهها إلى بئر تجميع المياه المستعملة خلف شرطة الأميرية (٥).

٧ - تم نقل الماء المستعمل من البازان الواقع في ميدان أبي بكر الصديق عبر سرب بني من الحجر طوله حوالي ٤٠٠م ويتجه إلى المسفلة (٦).

٨ - تم توجيه الماء المستعمل من بركة المسفلة إلى حظيرة أميرية كبيرة إلى جواره (٧).

وجاء تحديد مواقع جزء من شبكة تصريف المياه المستعملة فى وثيقة يعود تاريخها إلى بداية العصر السعودي بمكة وهي كالتالي (٨):

٩ - يقع أمام باب السلام الكبير مكان تتجمع فيه المياه المستعملة عبر أسراب مدت إليه وهي :

---

(١) الوثيقة السابقة ،ص ٢٥.
(٢) الوثيقة السابقة ،ص ١٩.
(٣) الوثيقة السابقة ، ص ١٩.
(٤) الوثيقة السابقة ، ص ١٩.
(٥) الوثيقة السابقة ، ص ٢٠
(٦) الوثيقة السابقة ، ص ٢٣.
(٧) الوثيقة السابقة ، ص ٢٤.
(٨) وثيقة رقم (١٥) بالملحق رقم (١) من هذا البحث .

أ - سرب ميضأة باب السلام .

ب - سرب مدرسة بالقرب من زقاق العلوي.

جـ - سرب بازان المروة .

- تنتقل المياه المستعملة من مكان التجميع الواقع قرب باب السلام الكبير ، وتتجه في سرب عبر شارع المسعى ، ثم تنحرف من عند الصفا في اتجاه السوق الصغير .

ويتغذى هذا السرب في طريقه بكمية من المياه المستعملة الواردة إليه من بعض المنشآت وهي :

أ - سرب ميضأة بلصق مدخل مدرسة السلطان قايتباي .

ب - سرب من عند باب النبي .

جـ - سرب حنفية باب النبي .

د - سرب بالقرب من مركز شرطة المسعى .

هـ - سرب قرب التكية المصرية .

عاشرا: المنشآت المائية لخدمة الزراعة : خارطة رقم (١٥)

سبقت الإشارة إلى أن العثمانيين استفادوا من فائض مياه قنوات العيون الواصلة إلى مكة المشرفة في إنشاء البساتين ، فضلا عن إنشاء البساتين التي تعتمد على مياه الآبار. ويمكن إيضاح ذلك بالآتي :

أ – بساتين يعتمد في ريها على الفائض من مياه قنوات العيون الواصلة إلى مكة وهي :

١ – بساتين قرب بركة ماجن بالمسفلة [١]، منها بستان الشريف عبد الله باشا [٢]، كان من منتجاتها الخضروات والفواكه [٣] كالعنب والموز والسفرجل.

٢ – بستان لجنة عين زبيدة بجرول :

كان يتغذى من الفائض من ماء القناة المتجهة إلى منطقة الشيخ محمود [٤]، وجاء في وثيقه مؤرخة بالثاني من شهر رجب عام ١٣٣٠هـ/١٩١١م ، تحديد لموقع هذا البستان ،و وصف مساحة أرضة ، وكيفية حصوله على الماء ومنتجاته الزراعية . ورد بها ما نصه : " أرض البستان الكائنة بمكة المكرمة بحارة جرول بالقرب من ضريح الشيخ محمود ، التي يحدها ويحيط بها حدود أربعة ، شرقا الشارع الأعظم الموصل إلى عمرة التنعيم وغيره ، وغربا الشارع الموصل إلى جدة وغيرها ... وشاما مسيل السيل المنحدر من جهة بئر طوى ، ويمنا المقسم المعد لسقيا البستان ... وذرع قطعة أرض البستان المذكور ، طولا من الشام إلى اليمن مما يلي الشرق مايه وسبعون ذراعا ، ومما يلي الغرب من جهة الشام واليمن مايه وخمسة وعشرون ذراعا ، وشاما من كل جهة من جهتي الشرق والغرب مايه وواحد ذراع ، كل ذلك بذراع العمل المعماري ... وزرع غروسا في أرض البستان

---

(١) محمد لبيب البتنوني : المصدر السابق ،ص ٦٦.
(٢) وثيقة رقم ٤٦٥٩ ،ص ٢٦ ، بمكتبة جامعة استانبول .
(٣) ابراهيم رفعت : المصدر السابق ،ج ١ ،ص ٢٠٧.
(٤) ابراهيم رفعت : المصدر السابق ،ج ١ ،ص ١٩٧ ، محمد عمر رفيع : المرجع السابق ، ص ٦٦.

المذكور من العنب والورد والليمون والفلفل ... فيه الخضروات والبرسيم ... وكان هذا البستان يسقى من فائض العين المذكورة ومعدا للأجار"(١).
ولا زال موقع هذا البستان معروفا الآن وهو يقع ملاصقا لدار ابن سليمان كما يشغل موقع البستان ادارة مصلحة المياه والمجاري بمكة المكرمة في الوقت الحاضر .

٣ - بستان عون الرفيق بجرول :

جاء تحديد موقعه على خارطة مصلحة المساحة المصرية التي عملت سنة ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م ، ويتضح منها أن موقعه في الوقت الراهن غرب مستشفى الولادة بجرول .

كما جاء وصف هذا البستان وما فيه من برك بالآتي :(٢) بستان دولة شريف مكة - (عون الرفيق) - هو حديقة غناء بجهة جرول مستطيلة الشكل طول ضلعها البحري ٢٧٠ مترا ، والغربي ١٨٠ مترا وارتفاع سورها المحيط بها متران ، وفي وسطها خزان للماء مربع الشكل طول ضلعه ٦١ مترا ، وسمك حائطه من الأعلى ثلاثة أمتار وربع وارتفاعه أربعة أمتار وهو مبني بالحجر الأزرق وجدره من الداخل والخارج مجصصة بالجير المخلوط بمسحوق الآجر ، ويصعد إليه من الجهة الشمالية أوّلا على أربع درجات، ثم بعدها ١٦ درجة عن اليمين ومثلها عن اليسار ، فله سلمان بعد الأربعة الاولى ، وفي آخر السلم درجة كبيرة في مستوى أعلى الخزان ،والسلم مصنوع من حجر متين زادته الصنعة رونقا وجمالا ، وفي زوايا الخزان الأربع من الداخل درج منتظم على شكل ربع الدائرة ، كل زاوية فيها ١٤ درجة طول العليا منها متر والسفلى ستة أمتار ونصف ، وهذا الدرج للنزول منه إلى قاع الخزان ، وفي منتصف كل جدار من جدران الخزان بحذاء الأرض فتحتان ، إرتفاع كل فتحة ثلاثة أرباع المتر في عرض نصف ذلك ، لتصريف المياه منها إلى البستان ، وهذا الخزان الكبير

---

(١) حجة شرعية صدرت من محكمة مكة المكرمة عدد (٥٣٥) وتاريخ ١٣٣٠/٧/٢هـ.
(٢) ابراهيم رفعت : المصدر السابق ، ص ١٩٥ - ١٩٦.

لا مثيل له في أقطار الحجاز. وبالبستان أيضا خزانان بينهما أربعة أمتار ، ارتفاع كل منهما ستة أمتار ، وبأعلى كل منهما فتحتان ، تقذفان المياه إلى بركة يشرب منها الناس ويغتسلون ويغسلون أوانيهم وثيابهم . والمزروع من أرض البستان نحو الربع وفيه شجر الجوافة والجوز الهندي والبرتقال والليمون والنخيل والعنب والورد والبرسيم الحجازي والكرنب والكرات والباذنجان والطماطم وشجر الكادي.

ب - بساتين كان يعتمد في ريها على مياه الآبار منها :

١ - بستان من أوقاف السلطان سليمان القانوني :

كان موقعه بسوق المعلاه على يمين الصاعد ، وبه بئر لري الأشجار (١)

٢ - بستان يعرف في القرن الحادي عشر ببستان حسن أفندي شيخ الحرم ، وكان يعرف قبل ذلك ببستان المدني :

كان موقعه على يسار الصاعد إلى المقبرة ويشتمل هذا البستان على بركة. (٢)

٣ - بستان من أوقاف المفتي علي بن عبدالقادر الصديقي (٣) :

كان موقعه بالخريق ويحده غربا الشارع العام ، مسيل وادي ابراهيم (٤). وبموقع البستان الآن عمارة تنسب للمفتي ، وهي واقعة أمام مبنى البريد المركزي.

٤ - بستان شيخ الحرم :

كان موقعه عند بركة المصري بالمعلاه (٥)، لعله البستان

---

(١) علي الطبري : المصدر السابق ، ورقة ٤٣ ، ٤٧، ٤٨.
(٢) المصدر السابق ، ورقة ٤٧، ٤٨.
(٣) تولى الافتاء بمكة المشرفة سنة ١١٤٩هـ وتوفى بها سنة ١١٨٧هـ.
الشيخ عبدالله مرداد أبو الخير : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٢٥.
(٤) صك صادر من كاتب عدل مكة المكرمة عدد (٣٠٤) وتاريخ ١٣٧٠/٨/٢٠هـ.
(٥) محمد بن علي المعروف بابن المحب الطبري : المصدر السابق ، ج ١ ، ورقة ٢٣٣.

الذي أشارت إليه إحدى النصوص التاريخية على أنه يقع غربى البركة وأرضه تروى من بئر فيها وتنتج الخضروات .(١)

٥ - بستان خاصكي اشتهر في القرن الحادى عشر باسم بستان الصولاق: كان به بئر لري أراضي البستان(٢)، ويعرف موقعه في الوقت الحاضر بأنه يمتد على يمين المتجه من جسر الحجون إلى المعابدة(٣).

٦ - بستان ابن دخان كان به بئر لري أشجار البستان ويقع على يسار الصاعد إلى المعابدة أمام بستان خاصكي .(٤)

٧ - كان يقع بالمعابدة والمنحنا مجموعة بساتين ،ترويها مياه الآبار(٥)، منها بستان شيخ سدنة الكعبة محمد صالح بن احمد الشيبي ١٢٧١هـ - ١٣٣٥هـ/١٨٥٤ - ١٩١٦م(٦)، ويقع بأرض البستان الآن مبنى امارة مكة المكرمة .

٨ - يمتد إلى منى وادٍ عرضه ١٠٠ م ، تتخلله أراض زراعية مساحتها ٥ - ٧ دونمات ، أكثرها على سفوح الجبال من الجهتين الشمالية والجنوبية تسقى بماء الآبار .(٧).

٩ - كان يوجد بالقرب من جبل النور ساقية(٨)، يحتمل أن تكون صممت لري أراضي زراعية .

---

(١) BurKhardt, Op.Cit, P, 127.

(٢) علي الطبري : المصدر السابق ،ورقة ٤٣ ،٤٧ - ٤٩.

(٣) .

(٤) علي الطبري :المصدر السابق ورقة ٤٣ ،٤٧ - ٤٩.

(٥) المرجع السابق ، ورقة ٤٧ - ٤٩.

(٦) محمدصالح بن احمدالشيبي : المصدر السابق ،ص ٣٩ - ٤٢،ابراهيم رفعت : المصدر السابق ،ج ١ ،ص ١٨٢.

(٧) خيرالدين الزركلى : المرجع السابق ،ص ١٢٤ ،عمر رضا كحالة : المرجع السابق ، حاشية رقم ٤ ، ص ١٥١.

(٨) محمدباشاصادق : المصدر السابق ،ص ٧٩.

١٠ - بستان السُّبَحِيَّه (السبحي) (العكيشية) :[1]

كان يقع جنوب مكة على درب اليمن عند نهاية حدود حرم مكة من هذه الجهة . ويسقى هذا البستان بئر دائرية الشكل ، مبنية بالحجارة قطرها ٢ر٣ م[2]، شكل رقم (١٥) ولوحة (١٠٦،١٠٧) .

---

(١) شرف بن عبدالمحسن البركاتي : المصدر السابق ،ص ١٤.

(٢) عاتق بن غيث البلادي : المرجع السابق ،ج ٤ ،ص ١٦٥.

المنشآت المائية ـ مواد وأساليب بنائها والأدوات المستعملة فيها :

أولا : مواد البناء والأدوات المستعملة فيها :

لقد أفاد العثمانيون في بناء مرافق المياه بمكة والمشاعر من مواد البناء المتوفرة في البيئة المحلية مثل أحجار البازلت(١) وأحجار الشميسي(٢)، والآجر(٣)، والجص(٤)، والأخشاب(٥)، واللاقوت(٦) كما استخدموا مواد بناء جلبوها من استانبول ومصر مثل : الحديد، والنحاس، والرصاص، والزيت . كما جلبوا من مصر الآت العمارة التي كان منها مساحي ومجاريف .(٧)

ويظهر من المباني الباقية إلى الآن، أن العثمانيين استخدموا أحجار البازلت غير المنحوتة، والدقشوم في بناء الخرزات وأساسات قنوات المياه، ورفع جدرانها من الجانبين، ودعاماتها، وتغطيتها .

---

(١) يتميز هذا النوع من الأحجار بمقاومته للمياه، ويسمى بالحجر الشبيكي ذي اللون الأسود . د.ناصر عبدالله الصالح : المؤثرات والأنماط الجغرافية للعمارة التقليدية بالمملكة العربية السعودية، ص٣٤، ٣٥. الطبعة الاولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، مطابع المقاصد الإسلامية .

(٢) جلبت هذه الأحجار من الحديبية على بعد ٢٣ كم تقريبا من المسجد الحرام . حسين عبدالله باسلامة : المرجع السابق، ص ٨٦ - ٨٧.

(٣) محمد طاهر الكردي : المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٦٦.

(٤) محمد بن علي بن بلال الصديقي: المـ السابق، ورقة ٢٣، محمد آمين المكي : المرجع السابق، ص ٧٥.

(٥) د.فريدشافعي : العمارة العربية في مصر الإسلامية، عصر الولاة، ص ٥٥، د. ناصر عبدالله الصالح : المرجع السابق، ص ٣٤.

(٦) يتكون اللاقوت من خلط الدبس مع الزيت في الخيش لاستخدامه في سد بعض ثقوب في قناة الماء . مقابلة مع الشريف علي بن شاكر الجودي الذي عمل نحو ٤٠عاما في صيانة قناة عين عرفة .

(٧) قطب الدين الحنفي : المـ السابق، ص ٢٨٩، عبدالملك العصامي : المـ السابق، ج ٤، ص ٨٦ - ٨٧، محمدبن علي المعروف بابن المحب الطبري : المـ السابق، ج ١ ورقة ٢٣٣ - ٢٣٦. وثائق بدفتر المهمة رقم ٧، ص ٢٤٧، ٣٤٢. بارشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول .

كما استخدموا هذه الأحجار في بناء السدود ،والقناطر ، والآبار، والبازانات ، وجدران الحمامات كحمام القشاشية ، وجدران الأسبلة كسبيل حدود حرم مكة من الجهة الغربية ،وسبيل البز ،ومجموعة من البرك . انظر اللوحات رقم (٦ ،٢٧ ،٢٩ ،٣٤ ،٤٩ ،٥٠ ،٩١ ،١٠٦ ،١١٠ ، ١١٢ ، ١١٩ ،١٢٤).

واستخدمت أحجار الشميسي في بناء مجموعة من العقود بمبنى بئر زمزم ، وسبيل منى . لوحة رقم(١٦٢) . أما الآجر فقد استخدمفي تسوية مواضع على جانبي قنوات المايه ،وفي بناء أقبية وقباب حمام القشاشية وبئر طوى ، وسبيل نهاية حدود حرم مكة من الجهة الغربية ،وفي تغطية البئر المجاور لهذا السبيل . لوحة رقم (٢١ ،٤١ ،١١٦ ، ١٢٣ ،١٤٩) ، وكذلك في بناء بعض البرك [(١)].

واستخدم الخشب في عمل مظلة على مبنى بئر زمزم ،واستعمل الرصاص فى تصفيح قبتها ، كما عمل من النحاس شبك (تصبيعات) ربطت بسلاسل حديدية لتمنع الناس من السقوط في بئر زمزم [(٢)]. أما الجص فقد كان المادة الأساسية في مونة لصق احجار البناء ، وسد فراغاتها ، وتلبيس بعض الجدران . لوحة رقم

ثانيا : أسلوب البناء :

تميز إنشاء مرافق المياه بأساليب بنائية عديدة يمكن تفصيلها بما يلي :

١ - كان لاستخدام الآجر مادة لعمل أقبية وقباب منشآت المياه بمكة أثره الكبير في تقليل سمك الجدران الحاملة لهذه الأقبية والقباب لتميزه بخفة الوزن ، واستقامة ابعاده التي مكنت المعمار من استخدامه في تسوية بعض جدران القناة ، ليسهل تغطيتها بمجاديل حجرية .

---

(١) وثيقة رقم ٦١٧٦ MAD بارشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول .

(٢) عبدالملك العصامي : المصدر السابق ،ج ٤ ،ص ٤٠٠ ،ابراهيم رفعت : المصدر السابق ،ج ١ ،ص ٢٥٧ ، حسين عبدالله باسلامة : المرجع السابق ، ص ١٨٠.

٢ - تعددت أنواع العقود ،والقباب مرافق المياه فظهر العقد الثلاثي الفتحات ، والعقد نصف الدائري ، والعقد المدبب ذو المركزين، والعقد المدبب ذو الأربعة مراكز ،والعقد الموتور ، والعقد على شكل حدوة الفرس ، والعقود المعشقة . كما ظهرت القبة الضحلة ، والقبة نصف الكروية ، والقبة البيضاوية ، والقبة البصلية . ولعل في تنوع هذه الأشكال ما يشير إلى مقدرة المعماريين المسلمين في اتخاذ الأساليب المناسبة لكل منشأة على حدة ، مع الاحتفاظ بقوة البناء ، تحقيقا للغرض الذي من أجله أنشئ .

ويمكن أن نتخذ من بئر طوى مثالا للتدليل على ذلك ، فقد عمد فيه المعمار على تغطية المبنى بقبة ضحلة تتميز بالقوة ، وتحافظ في نفس الوقت على المنظر العام لمبنى البئر .

٣ - اتبع المعمار في بنائه لبئر زمزم سنة ١٠٢٨هـ/١٦١٨م أسلوبا يتمثل في تثبيت أحجار البناء تحت مستوى سطح الماء في البئر من غير جبس ولا نورة (رضم) ثم استعمل المونة في المنطقة العلوية البعيدة عن ملامسة الماء(١). وقد أثبت هذا يحيي كوشك الذي أشرف على تصوير البئر من الداخل بصور فوتوغرافية . لوحة رقم (٨٠،٨٢،٨٣) . ولعل هذا الأسلوب يعتبر قاعدة عامة في بناء آبار مكة .

والجدير بالذكر أن المعمار عمد إلى بناء البئر (بالرضم) في المنطقة الواقعة تحت مستوى سطح الماء ، ليسهل تغذية البئر من المياه المحيطة بقاعه .

٤ - لما كانت بعض جبال مكة تعترض طرق قنوات المياه ،فقد لجأ المعمار العثماني إلى تكسير الجبال ونقرها ، ليتمكن من مد قناته عبرها . ويمكن أن نتخذ مثالا لهذا من أعمال العثمانيين في تكسير

---

(١) محمد طاهر الكردي : المرجع السابق ،ج ٣ ،ص ٩٨ - ٩٩ .

المنطقة الصخرية الممتدة من بئر زبيدة إلى الأبطح سنة ٩٦٩هـ/١٥٦١م .
ويصور لنا قطب الدين النهروالي الاسلوب الذي استعمله العثمانيون لتحقيق هذا الغرض فقال : " فما وجد الأمير ابراهيم حيلة غير أن يحفر وجه الأرض إلى أن يصل إلى الحجر الصوان ثم يوقد عليه بالنار مقدار مائة حمل من الحطب الجزل ليلة كاملة في مقدار سبعة أذرع في عرض خمسة أذرع من وجه الأرض والنار لا تعمل إلا في العلو لكونها تعمل عملا يسير من جانب السفل مقدار قيراطين من أربعة وعشرين قيراطا من ذراع فيكسر بالحديد إلى أن يوصل إلى الحجر الصلب الشديد فيوقد عليه بالحطب ليلة أخرى إلى أن ينزل فيذلك الحجر مقدار خمسين في العمق في عرض خمسة أذرع إلى أن يستوفي الفي ذراع على هذا الحكم وذلك يحتاج إلى عمر نوح ومال قارون وصبر أيوب وما رأى من ذلك محيصا فأقدم عليه إلى أن فرغ الحطب من جميع جبال مكة فصار يجلب من المسافات البعيدة وغلا سعره ".(١)

ويمكن أن نفسر ذلك بأنه عند رفع درجة حرارة المادة تزداد طاقة جزيآتها وبالتالى تزداد سعة اهتزازها ،وهذا يؤدي إلى زيادة متوسط المسافة بين كل جزئين والجزيآت المجاورة ، أي أن المادة تتمدد عند رفع درجة حرارتها.(٢)

٥ - يمكن تقسيم أسلوب بناء القناة إلى قسمين رئيسيين :
أ - بناء القناة عن طريق رص الأحجار فوق بعضها على جانبي القناة ، دون استعمال مادة لاصقة ، وذلك للمعاونة على تسرب المياه من خارج القناة وتجمعها في داخلها. وهذه الطريقة نجدها من بداية قناة

---

(١) قطب الدين الحنفي النهروالي : الاعلام ، ص ٢٩٠.
(٢) ف. بوش : اساسيات الفيزياء ، ص ٣٠٧.

عين عرفة فى وادي نعمان إلى البجوم ومن المعروف أن هذه المنطقة التي بنيت فيها القناة بهذا الأسلوب تكون مختفية تحت سطح الأرض، وتستقطب جميع مياه السيول .(١)

ب - بناء القناة في المناطق الظاهرة على سطح الأرض ، والمناطق الفقيرة في مائها تحت سطح الأرض ، بعمل أساس للقناة ثم يبنى جانبا القناة بالحجر والمونة ، وتجصص من الداخل بصفة عامة . أما من الخارج فتظهر في شكل مداميك تلتصق أحجارها بالمونة ، بحيث لا تظهر تجويفات بين أحجار القناة يمكن أن يتسرب منها إلى داخل القناة الحشرات . لوحة

٦ - اقام المعمار العثماني خرزات على القناة على مسافات متقاربة بصفة عامة ، وهي عبارة عن فتحات يمكن النزول منها إلى قاع القناة لإجراء عملية الصيانة والترميم والتنظيف(٢) (وهي ما يعرف فى الوقت الراهن بغرف التفتيش) . وقد يظهر بناء الخرزات على سطح الأرض كما شاهدنا ذلك في الدراسة العمارية(٣)، وقد تغطى أسطح الخرزات بمجاديل حجرية ،تعلوها طبقة من التراب ،ويحيط بالخرزة أحيانا اثرة من الأتربة ،ترتفع إلى أكثر من المتر فوق سطح الأرض لحمايتها من السيول وتسمى حينئذ (بالفُقُر)(٤).

٧ - عند إجراء صيانة القناة في المناطق التى تختفي فيها تحت سطح الأرض ، يتم نزول عامل أو مجموعة من العمال المسئولين عن صيانة القناة ، عن طريق الخرزات بوساطة فتحات منقورة فى جدران الخرزة ،ثم يلي ذلك مرحلة المرور من خلال القناة إلى موضع الخرزة التالية التي يمكنه الخروج منها بعد تنظيف ما يمكن تنظيفه من الأتربة، وإخراجها

---

(١) مقابلة مع الشريف مساعد بن منصور.
(٢) وثيقة رقم ٤٦٥٩ ،ص ١٥ - ١٧ ،مكتبة جامعة استانبول .
(٣) انظر ص (٣٥٠) من هذا البحث .
(٤) الشريف مساعد بن منصور ، بحث عن عين زبيدة لم ينشر.

من الخرزة التي دخل منها العامل أو من خرزة تليها . وفي بعض المواضع تكون الخرزة مغطاة بمجاديل حجرية ، ويحيط بها على سطح الأرض الأتربة (فقر) ، وفي هذه الحالة يعمل المسئول عن صيانة القناة في الداخل على اخطار العمال الموجودين على سطح الأرض عن طريق دق طبقان القناة من أسفل بحجر يكون معه حتى يمكن أن يسمعه العمال الموجودين خارج القناة بواسطة التصنت بالأذن وقت الغروب أو الشروق ، ثم يقومون بازاحة الأتربة المحيطة بموضع الخرزة ويفتحوا الطبقان ، ويخرجوا الأتربة والشوائب المانعة لجريان الماء في القناة عن طريق الدلاء .(١)

٨ - بعد نزول العمال من الخرزات إلى قاع القناة لصيانتها ، كانوا يصادفون شقوقا أو تصدعات في بعض مواضعها ، أو كسرا في بعض طبقانها (المجاديل الحجرية) ولإصلاح ذلك عمدوا إلى ما يلي :(٢)

- في حالة التصدعات والشقوق يمكن علاجها بملئها بعجينة مكونة من الجير الحي ، والقطن ،والزيت ، تكون مخمرة لفترة طويلة ، حيث يشكل الزيت الموجود في هذه العجينة طبقة عازلة تحول دون تسرب المياه . وتعتبر هذه الطريقة وسيلة سريعة لدرء تسرب المياه إلى خارج القناة مؤقتا حتى يأتي المختصون لترميم هذا الجزء بالطريقة العمارية المناسبة .

- في حالة وجود كسر في أحد الطبقات (المجاديل) يلجأ إلى استخدام قطعة من خشب العرعر ، توضع محل المجدال المكسور ، ويتم انزالها مع أحد العمال عبر إحدى الخرزات القريبة من موضع الخلل ، ثم يقوم العامل بعمل ثقوب في أحد طرفي القناة إلى أن يتم إخراج المجدال المكسور ، ويوضع مكانه قطعة الخشب المشار إليها ،ثم يزال الجزء الآخر من المجدال ويدخل الخشب في مكانه ، وذلك لفترة مؤقتة إلى أن يتم إعادة بنائه .

---

(١) مقابلة مع الشريف مساعد بن منصور في ١٤٠٨/٢/٢١هـ .

(٢) المرجع السابق .

٩ ـ لجأ المعمار العثماني في المناطق التي تتعرض القناة فيها للسيول إلى عدة أساليب للمحافة على القناة هي [١]:

أ ـ بناء سدود عرضية تبعد خطر السيول عن مجرى القناة مباشرة .

ب ـ بناء قنطرة حاملة للقناة .

جـ ـ عمل فتحات (ميازيب) أسفل القناة .

د ـ تغطية سطح القناة بطبقة من الملاط على شكل محدب .

١٠ ـ من خلال روايات بعض المهتمين بإصلاح وصيانة قنوات المياه بمكة ، نجد وصفا لقنوات المياه تحت سطح الأرض على أنها ليست على شكل واحد ،بل اتبع المعمار العثماني أساليب عديدة في بنائها . ويمكن التعرف على هذه الأساليب من بعض الإصطلاحات التي يطلقها بعض العمال على طريقة سيرهم في القناة اثناء الصيانة والتنظيف وهي على الوجه التالي[٢]:

ـ هاوى : أى يستطيع الانسان أن يمشى فى القناة واقفا أومنحنيا.

ـ رأس : أى يستطيع الانسان أن يمشي في القناة ورأسه مرتفعا عن مستوى الماء بالقناة .

ـ مستريحة: أى يثني رقبته ويبقي ما بين صدغه والطبق (المجدال) فضاء وما بين صدغه الثاني والماء فضاء .

ـ خده : أى يصل صدغه الأسفل إلى مستوى الماء .

ـ خشم : أى يكون جميع جسد العامل في الماء ماعدا فتحة خشمه وهو يزحف على بطنه .

ـ غطس : يكون ذلك بكامل جسمه على مقدار ما يستطيع ، ومعنى هذا أن هذه المنطقة من القناة تتميز بوجود منطقة منخفضة لتتجمع فيها الرواسب .

ـ كوره الماء: يعني أن الماء متوقف عن الجريان في أحد مواضع القناة. وإذا اراد العامل فتح الطريق وتسيير الماء ،وكانت الخرزة

---

(١) انظر ص (٣٦٠) من هذا البحث .

(٢) الشريف مساعد بن منصور : بحث عن عين زبيدة لم ينشر ،ص ١٥٨.

بعيدة عن موضع انحباس الماء ، يجب عليه أن يجمع نفسه القرفصاء ليواجه جريان الماء المندفع الذي سيجرفه بقوة إلى موضع خرزة يكون بالقرب منها عاملان آخران يمسكان العامل حين يحمله الماء بقوة ويخرجانه بسرعة ، وإذا أفلت منهما جرفه الماء القوي إلى مواضع قد يرتطم فيها بمواضع ذات زاوية (منكسرة) من القناة فيموت .

١١ - تعتبر طبيعة الأرض الرملية في بعض مناطق من وادي نعمان من أهم الصعاب التي كانت ترهق لجنة عين زبيدة أثناء صيانتها للقناة حيث ظهر للجنة أثناء عملها عام ١٢٩٦هـ/١٨٧٨م أنه لكي يتم تنظيف القناة من الأتربة التي نقلتها السيول فإن عليها أن تحفر خندقا كبيرا على امتداد القناة المسدودة بعرض ٤م ، وإرتفاع نحو ٢٠ م . ونظرا لعدم توفر الأدوات والآلات اللازمة لهذا العمل ارتفعت التكاليف .(١)

١٢ - اثناء عمارة لجنة عين زبيدة لخرزتين بوادي نعمان في حدود عام ١٣٢٨هـ/١٩١٠م ، كان أسلوبها في بنائهما يتمثل في عمل حفرة عظيمة بطول ٤٥م ، وعرض ٣٧ م ، ثم يتناقص العرض كلما نزل العمال في الحفر قدر ذراعين على حسب عادة الحفريات ، ليصلوا من ذلك إلى دكة بمقدار ذراع ، لوقوف العمال عليهاتسمى (ركازا) ، واستمروا في هذا العمل إلى أن وصلوا في أسفله إلى عرض ١٧ ذراعا . أما الطول فهو على حاله ٤٥ م ، ثم بنوا في ذلك الموضع خرزتين صعدوا بهما إلى وجه الأرض.(٢)

١٣ - اهتمت لجنة عين زبيدة بعد تأسيسها عام ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م بتلييس بعض مواضع من تجويف القناة بالأسمنت .(٣)

---

(١) وثيقة رقم ٤٦٥٩ ، ص ١٠ - ١٦ ، مكتبة جامعة استانبول .

(٢) السيدعبدالله محمد الزواوي : المرجع السابق ، ص ٤٠.

(٣) وثيقة رقم ٤٦٥٩ ، ص ١٦. بمكتبة جامعة استانبول .

١٤ - حرص القائمون بأمر توفير المياه لمكة على المحافظة فى استمرار وصول المياه إلى مكة أثناء أعمالهم في ترميم القناة بقدر المستطاع . ويتجلى ذلك في عام ١١٠٥هـ/١٦٩٣م باتباعهم أسلوب تحويل مياه القناة إلى مجرى من خشب عمل لفترة مؤقتة في المنطقة المراد إصلاحها[١]، كما عمد المهندسون في فترة لجنة عين زبيدة إلى استخدام خراطيم عملت من قماش غليظ الأنسجة بقطر ٦٠ر٠م لإمرار المياه فيه لفترة مؤقتة في المنطقة المراد ترميمها.[٢]

١٥ - لقد عرفنا فيما سبق أنه كان يصادف العمال أثناء تجديد بناء القناة على وجه الأرض وجود قطع صخرية تمنعهم من العمل فكانوا يعمدون إلى فتح نفق فيها بعرض ٢٠ر٠م ، وإرتفاع ٤٠ر٠م ،وفي بعض الاحيان كانت تكثر كمّيّة المياه في بعض مواضع الانفاق ، ويظهر فيها اختناق المياه ، ويتعطل جريانه ، ويتراجع قسم كبير منه إلى اتجاه منبع العين . ولهذا فقد وضعت عدة أساليب في عهد لجنة عين زبيدة لعلاج هذه المشكلة سواء في الأنفاق أو في بعض مواضع أخرى من القناة وتتلخص هذه الأساليب فيما يلي :

أ - أخذ في الاعتبار إنشاء بعض مواضع من الأنفاق بشكل كبير يمكن دخول الإنسان وخوروجه منه بسهولة ، وبنائه بالحجر من الداخل.[٣]

ب - عملت لجنة عين زبيدة على هدم بعض مواضع من القناة ، ظهرت بها هذه العيوب وإعادة بنائها موسعة .[٤]

---

(١) السيد عبدالله محمد الزواوي : المرجع السابق ، ص ٢٢ - ٢٣ ،محمد أمين المكي : المرجع السابق ، ص ٣٢.

(٢) وثيقة رقم ٤٦٥٩ ، ص ١٦. بمكتبة جامعة استانبول .

(٣) الوثيقة السابقة ، ص ١٦ .

(٤) ايوب صبري : المرجع السابق ،ج ٥ - ٧ ،ص ٧٥٥.

جـ - عمل - من أجل تخفيف ضغط الماء ، وتقليل خطره على القناة - على بناء بركة منخفضة قرب مسجد مزدلفة كي تتجمع بها مياه قناة عين عرفة ثم توجه إلى مكة .(١)

١٦ - اتبع المعمار العثماني في بنائه لقناة عين عرفة أسلوبا يسهل للناس الحصول على الماء من القناة في مناطق خارج مكة . ويظهر ذلك بما يلي :

أ - يلحظ عند جبل الرحمة بعرفة أن المياه تنتقل من القناة الرئيسة إلى قناة مجاورة لها . عمل بها صنابير ، لتوزيع الماء على الناس . لوحة رقم (٢١، ٢٢).

ب - أشارت وثيقة مؤرخة بعام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م إلى أن قنوات المياه خارج مكة ، كانت في كثير من مواقعها مكشوفة ، لتسهل للبدو المجاورين أخذ ما يحتاجونه منها لشربهم وسقي مواشيهم(٢)، وبالوقوف على كثير من مواقع قناة عين عرفة عند جبل الرحمة وبطريق ضب يمكن مشاهدة فتحات على سطح القناة ودرج للوصول إليها، لوحة رقم(٢٠، ٢٤ ، ٣٦ ، ٤٩) وشكل رقم(١٦).

١٧ - يتضح من كمية الكلس الملتصقة بجدار القناة من الداخل في طريق ضب ، أن المياه تسير في إرتفاع نحو متر ويبقى نحو ٤٠ر٠م لمرور كمية من الهواء التي تساعد على جريان الماء .

١٨ - نلحظ أن المعمار قد عمل طبقة ملاط في أرضية القناة بطريق ضب بلغ سمكها ٢٥ سم . وذلك للمحافظة على المياه المنسابة وعدم

---

(١) المرجع السابق ، جـ ٥ - ٧ ، ص ٧٥٥.
(٢) الوثيقه السابقة ، ص ٩- ١٠.

تسربها. لوحة رقم (٤١).

١٩ - يلحظ في بناء القناة بطريق ضب أن المعمار اتبع أسلوب وضع الأحجار الصغيرة في الجزء الأوسط من جدار القناة، ثم أحاطه بجانبين من الاحجار الكبيرة، ثم صب المونة الطرية لتتخلل جميع فراغات الجدار بين الأحجار. أما الأحجار الجانبية فقد الصقت مع بعضها بواسطة المونة التي تحدد كل حجر وتسمى هذه الطريقة الكحلة. أما استعمال المونة الداخلية فيسمى الخوضة. لوحة رقم (٤٥).

٢٠ - يتضح من تتبع قناة عين عرفة فى المنطقة التى تمر عبرها فوق سطح الأرض أنها بنيت بشكل سميك من أسفل، ويقل هذا السمك كلما ارتفع جدار القناة، مما يعطي القناة قوة لتحمل خطر الانهيار. حيث وجدنا مواضع من القناة قد بنيت عند القاعدة بعرض ٧٥ر١م، ثم قل هذا السمك في منتصف ارتفاعها تقريبا الى ٦٠ر١م، وبلغ في أعلاها ٥٠ر١م. كما يلحظ أن بعض مواضع من القناة كان سمكها عند القاعدة نحو ١٠ر٢م. وقل هذا السمك في أعلاها حيث بلغ ٧٨ر١م. لوحة رقم (٢٩، ٤٦).

٢١ - اتبع المعمار العثماني عام ١١٢٢، ١١٢٣هـ/١٧١٢، ١٧١٣ أساليب عديدة في بنائه للسدود المختصة بمدافعة خطر السيول عن قنوات المياه يمكن تفصيلها فيما يلي :

أ - تم دك قطعة أرض في مجرى السيل بوادي المفجر، بطول ١٢ ذراعا، وعرض ذراعين، وقد (ارتفاع) نصف ذراع، ثم عمل عليها جدار صغير، لرد السيل بطول ٦ أذرع وعرض ذراع واحد، وقد ذراع واحد.(١) شكل رقم (٣٤).

ب - جدد بناء سد برأس البلاط الكبير، لحماية القناة من تأثير السيول، وذلك ببنائه بطول ٣٢ ذراعا، وعرض نصف ذراع، وقد ذراع واحد، ثم نقل من الجهتين، وعمل به فتحات ليجري عبرها

---

(١) وثيقة رقم (٧)، ص ١٤ بالملحق رقم (١) من هذا البحث.

الماء بهدوء من الجهتين[1]. شكل رقم (٣٣).

جـ - عمل المعمار على تغطية سطح السد بطبطاب، لحمايته من تأثير المياه إذا علته.[2]

---

(١) وثيقة رقم ٦١٧٦ MAD . بارشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول.

(٢) الوثيقة السابقة .